سلسلة مفردات التربية الإسلامية

الحلقة العاشرة - الأخيرة

التربية الجسدية الإسلامية

تأليف

الدكتور على عبد الحليم محمود

من علماء الأزهر

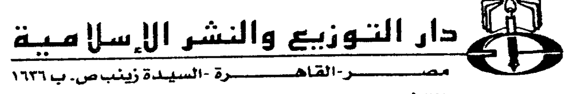
الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع: ١٧٤١٧ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي: I.S.B.N.

977 - 265 - 474 - 1



مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٢٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

إهداء

●● *إلى* الذين يعملون فى صمت، ويحتسبون عند الله أجْرَ ما يقومون به من فكر وعمل فى تربية أنفسهم أولاً، ثم فى تربية المسلمين، متخذين من القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ مصدراً ورافداً؛ يمدهم بالقيم التربوية الصحيحة.

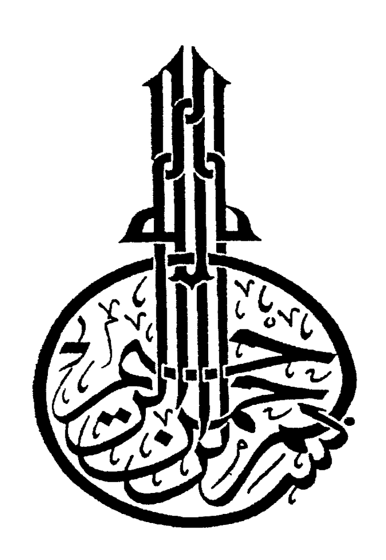
●● *وإلى* الذين يرغبون أن يعرفوا عن التربية الإسلامية ما لا يسع المربِّى جهلُه.

●● *وإلى* القائمين على المؤسسات التربوية الإسلامية الفاعلة: البيت، والمسجد، والمدرسة، والنادى بأنواعه كلها، وكل التجمعات المهنية فى المجتمع، لعلهم يجدون فى هذه السلسلة بعض ما يعينهم على القيام بأعمالهم فى ميادينهم العديدة.

●● وبهذه الحلقة العاشرة «الأخيرة» من هذه السلسلة:

«مفردات التربية الإسلامية» وهي: «**التربية الجسدية الإسلامية**» أكون قد بلَّغتُ، وأدَّيتُ بعض ما وجَبَ علىَّ، وأسأله سبحانه أن يعين على أداء ما بقى من واجبات، إنه سبحانه الموفق المعين.

على عبد الحليم محمود



بَيْنَ يَدَىْ هذه السلسلة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد ﷺ المبعوث هدى ورحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وبعد:

فإن هذه السلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» ذات الحلقات العشر؛ قد تفضَّل الله علَيَّ فأتممت العمل فيها بهذه الحلقة: «التربية الجسدية الإسلامية» عاشرة الحلقات وخاتمتها.

وفى الختام أسأل الله تعالى أن يمنح من الأسباب ما يمكننى من شكره، فبإتمامها تستريح النفس ويستقر القلب، وأشعر بأنى قد قطعت جميع خطوات الطريق، والفضل لله والحمد له الآن وعند الإتمام، إنه الموفق الهادى إلى سواء السبيل.

إن التربية الإسلامية أمل علماء المسلمين، وهدف المصلحين المجددين لأمر الدين، ووسيلة الدعاة إلى الله والمنشغلين منهم بالتربية، وموضع الاحترام والتقدير من علماء التربية المنصفين حتى لو كانوا من غير المسلمين، لأن هؤلاء جميعًا يعلمون أن التربية الإسلامية أشمل أنواع التربية وأكملها، وأكثرها إحاطة بكل ما من شأنه أن يصلح الإنسان فى حاضره ومستقبله، ومعاشه ومعاده.

● وهذه السلسلة كلها وكل مفردة من مفرداتها تستهدف أهدافًا إسلامية ذكرتها أو ذكرت معظمها فى تقديم كل حلقة منها. وأُذكِّر هنا ببعضها فى إيجاز؛ والذكرى تنفع المؤمنين، ومن ذلك:

– التأكيد على أن التربية الإسلامية فى عمومها وفى خصوص كل مفردة من مفرداتها، عمل إسلامى رئيس وفاعل، وبدونه لا يكون المسلمون على علم أو فهم أو عمل لما يطالبهم به هذا الدين الخاتم؛ وذلك أن التربية تَعَلُّمٌ وعِلْمٌ وتعليم وعمل؛ وهذه مطالب الدين الخاتم التى هى المنقذ للإنسانية من ضلالها وحيرتها، بنقلها من الكفر والشرك والضلال إلى الإيمان والإسلام والإحسان والهدى.

– والتأكيد على أن دين الإسلام بوصفه أكمل الأديان وأتمها يربِّى الإنسان تربية متكاملة تتناول كل جوانب حياته، ليؤهله بذلك إلى النجاح والتوفيق فى معاشه ومعاده.

- والتأكيد على أن دين الإسلام بتربيته الشاملة المتكاملة للإنسان، لديه القدرة - من خلال هذه التربية - على أن يحل كل مشكلة تتصل بحياة الإنسان أيًا كان نوعها، وبالغًا ما بلغ حجمها وعمقها ومداها فى الزمان والمكان، سواء فى ذلك المشكلات الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو غيرها، مادامت هذه المشكلة تعوق وصول حقه إليه أو تلحق ضرراً به أو بغيره من الناس؛ إذ الإسلام دائمًا هو الحل.

- والتأكيد على أن التربية الإسلامية تعلم الإنسان وتدربه على التعاون مع غيره على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وتعلمه كيف يستمع إلى الرأى الآخر ويحاوره حتى يتبين له الحق من الباطل والهدى من الضلال، لأن ذلك هو الذى يحقق للناس جميعًا الوئام والسلام والطمأنينة.

- والتأكيد على أن التربية الإسلامية قادرة فى مجال تطبيقها على أن تقدم للناس الخدمات الاجتماعية مادية ومعنوية لأنها تدعم التكافل بين الناس، وترى فى مال الأغنياء حقًا للسائل والمحروم، حقًا غير الزكاة التى فرضها الله تعالى فرضًا.

- والتأكيد على أن التربية الإسلامية موجهة للإنسان مهما كان لونه أو عرقه أو لغته أو الإقليم الذى يعيش فيه، فهى ذات توجه إنسانى عام لا تعرف العنصرية التى يمارسها اليهود، ولا العرقية ولا التفرقة اللونية التى يمارسها عدد كبير من دول أوروبا وفى مقدمتها بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وهولندا وبلجيكا، ناهيك عن الولايات المتحدة الأمريكية، تلك الدول التى تمارس تلك العنصرية مع أنها بنفسها التى كتبت وثيقة حقوق الإنسان!!.

- والتأكيد على أن التربية الإسلامية لا تتوقف عن العمل حتى تصل إلى العالم كله دون خوف من أحد، ولا خشية من عدو مع كثرة أعداء الأديان عمومًا، وأعداء الإسلام على وجه أخص، وإن أعداء الإسلام هم أعداء الإنسان وأعداء الحياة إذْ هم صانعو الموت والدمار ومصدّروه وبائعوه فى شكل أسلحة فتاكة يعكفون على تصنيعها وإنفاق الملايين على تطويرها يومًا بعد يوم، فتبليغ التربية الإسلامية للناس جميعًا كتبليغ دعوة الله إلى عباد الله منوطة بكل مسلم قادرٍ على التبليغ، حتى يعم الخير للناس جميعًا.

- والتأكيد على أن المسلمين وهم يبلغون رسالة ربهم لا يخافون أحداً ولا شيئًا، ولا قوةً مهما بلغت، ومهما أضمرت الحقد للإسلام والمسلمين، لأن الإسلام حق والحق أبلج،

وأحق أن يُتَّبع، ومهما بلغ بأعداء الإسلام حقدهم وتحدّيهم، فإن الله تعالى ناصر المؤمنين وجاعلهم فوق الذين كفروا.

إن الإسلام دين الحق والهدى والخير والتسامح وحسن التعامل وحسن الظن بالناس. لذلك هو دين الإنسانية الراشدة.

والتربية الإسلامية هى التى تدعم هذه القيم الرفيعة، فتنقذ بهذه التربية البشرية كلّها ممن يتربصون بالإنسان الدوائر، ويحاولون أن يعودوا به إلى العبودية الحقيقية فى السياسة والاقتصاد على وجه الخصوص تحت شعارات خادعة، وإلى الضعف والتخاذل والبُعْد عن أسباب القوة.

وإن التربية الإسلامية للإنسان تمكنه من أن يقف بالمرصاد لأولئك الذين يتحولون به إلى العبودية فى القرن الواحد والعشرين!!!.

يقف لهم بالمرصاد آخذاً بأسباب القوة مجاهداً فى سبيل الله تعالى لنصرة الإنسانية كلها، إرضاءً لرب العالمين سبحانه وتعالى.

■■■■

بين يدى هذا الكتاب

هذا الكتاب هو الحلقة العاشرة الأخيرة من سلسلة «مفردات التربية الإسلامية» بعنوان: «التربية الجسدية الإسلامية».

وبهذا الكتاب نريد أن نؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أو التردد:

– أن التربية الإسلامية شاملة متكاملة:

ومعنى شمولها أنها تتناول بالإصلاح والتَّسديد كل ما له علاقة بحياة الإنسان فى الدنيا والآخرة، فلا تدع ثغرة من هنا أو ثلمة من هناك يتسرب منها أى خلل أو إفساد لجانب من جوانب شخصية الإنسان، الجوانب المعنوية أو المادية.

ومعنى تكاملها أن بعضها يكمل بعضًا، وأنه لا يغنى بعضها عن بعض، وأنها بجميع مفرداتها هى التى تطب لأدواء الإنسان المعنوية والمادية الشخصية والاجتماعية، الدنيوية والأخروية.

– وأن التربية الإسلامية للإنسان واجبة لازمة:

ومعنى وجوبها أن الله تعالى هو الذى أوجبها، كما أوجب على عباده العبادات كلها، وأنه سبحانه أوجبها وفق منهج ونظام يلائم كل الملاءمة فطرة الإنسان التى فطره الله عليها، ويهيئ بها للإنسان أن يتلاءم مع مفردات الكون الذى يعيش فيه.

ومعنى لزومها للإنسان أنها لا تنفك عنه أو ينفك عنها إلا بخسران بيِّن يقع عليه فى دنياه وآخرته، فهى لازمة له ليعيش حياة إنسانية كريمة.

وهذا اللزوم للتربية الإسلامية ليس لازمًا بالتسخير، وإنما هو لازم بالحكم والأمر من الله تعالى، وبالاختيار الحر من الإنسان الذى يستهدى بالعقل والشرع.

– وأن التربية الإسلامية لجسد الإنسان هى تربية وتوجيه وتسديد للإنسان نفسه بجميع ما فيه، لأن جسد الإنسان هو وعاء روحه وعقله وخلقه ودينه، وحواسه وجوارحه، وما يؤمن به من معتقدات وما يدين به من قيم وما يمارسه فى حياته من أقوال وأعمال.

● هذا الجسد – أو ذاك الإنسان – الذى تحرص التربية الإسلامية على أن تقدم له عونًا كبيراً يمكنه من ممارسة حياة إنسانية كريمة، يتمتع فيها بالصحة النفسية والجسدية

وبالسلامة والاستقامة الروحية والعقلية والخلقية والدينية، فى إطار تعامل إنسانى كريم مع ما يحيط به من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية دائمة التغير، حيث يستطيع بهذه التربية أن يمارس جهاد النفس والشيطان، وجهاد المعتدى بكل ما يستطيع من أنواع الجهاد، يفعل ذلك من أجل أن يستمتع من خلال عمله وجهاده بما فى نفسه وفطرته، ومافى الكون المحيط به من جمال وجلال، حيث أنعم الله عليه بأن سخر له ما فى السماوات والأرض جميعًا من مخلوقات ذات بهاء وجمال وصنعة محكمة وتناسق معجز، ليحس بذلك كله ويعبر عنه بما شاء من فنون التعبير التى فى مقدمتها عبادته وحده سبحانه وتعالى، ومنها عمله وصنعتُه وفنُّه وما يستطيع أن يبدعه.

- إن التربية الإسلامية لجسد الإنسان ترسم أطراف الإطار الذى يجب أن يتحرك الإنسان فى داخله دون شذوذ عنه أو خروج عليه، ودون إكراه؛ لكى يحقق ذاته إنسانًا كرمه الله ورزقه من الطيبات وفضله على كثير من خلقه؛ ولكى يحقق لذاته تلك الصحة التى أشرنا إليها هنا – وفصلنا القول فيها ووَصَّلناه فى كل مفردة من مفردات التربية الإسلامية التسع التى أفردنا كل مفردة منها بكتاب – إن التربية الإسلامية للجسد تُحكم أطراف هذا الإطار، بحيث تقاوم الانحرافات عن الحق، والضلالات عن الصراط المستقيم صراط الله؛ لأن الانحراف عن ذلك أو الخروج عنه يجعل خسارة الإنسان لدنياه أكيدة وملموسة مشاهدة، وخسارته لآخرته نتيجة لمعصيته ربه وخروجه من منهجه الصحيح السليم الذى أتمه وأكمله ورضيه للبشرية كلها دينًا ونظامًا.

- إن التربية الإسلامية للجسد الإنسانى أى الإنسان تتناول جميع أبعاد الجسد، الروح والعقل والحواس والأعضاء والمهارات كما أشرنا إلى ذلك آنفًا.

وهذا الكتاب يستهدف أن يوضح هذه الأبعاد الجسدية للإنسان ويوضح حقوق هذا الجسد وواجباته، ومن أجل ذلك فإن هذا الكتاب يشتمل على مدخل وبابين:

– أما المدخل فيشتمل على نقطتين هما:

توضيح مفهوم التربية الجسدية.

وتعريف ببعض المصطلحات التى تتصل بموضوع الكتاب.

– وأما الباب الأول ففيه ثلاثة فصول، ويستهدف توضيح حقوق الجسد الإنسانى.

- فالفصل الأول عن: الحقوق الأساسية لجسد الإنسان.
- والفصل الثانى عن: الحقوق المعنوية للجسد.

● والفصل الثالث عن: الحقوق النفسية والاجتماعية لجسد الإنسان.

– وأما الباب الثانى ففيه أربعة فصول، ويستهدف توضيح واجبات الجسد الإنسانى.

● ففى الفصل الأول حديث عن: الواجبات الشخصية أو الفردية.

● والفصل الثانى عن : الواجبات الأسرية للإنسان المسلم.

● والفصل الثالث عن: الواجبات الاجتماعية.

● والفصل الرابع عن : الواجبات السياسية.

والذى لا يحتاج منا إلى تأكيد هو أن ممارسة الإنسان لحقوقه وتمسكه بها ودفاعه عنها لا تقل أهمية عن أداء الإنسان لواجباته، بل هما متكاملان لا يغنى أحدهما عن الآخر، ولا يحدث للإنسان أمْنٌ ولا استقرار، ولا تقدم اجتماعى إلا بهما معًا.

كما أننا لسنا بحاجة إلى تأكيد أن هذه الحقوق جاءت وقررت من عند الله تعالى، وعلى لسان رسوله ﷺ فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكذلك شأن الواجبات فهى من عند الله تبارك وتعالى وفق منهجه الذى بلغه عنه رسوله الخاتم ﷺ.

إن حقوق الإنسان جاءت بمقتضى الفطرة التى فطر الله عليها الإنسان، وليست منحة من مجتمع أو هيئة، وليست تفضلاً من أحد على الإنسان.

وكذلك واجبات الإنسان أوجبها الله تعالى، ولم توجبها دولة أو حكومة مهما تَغَوّلت الدولة ومهما اعتسفت الحكومة وتعاملت مع الناس بالإرهاب المعنوى والمادى – كما هو مشاهد على مستوى العالم اليوم – لأن ما يوجبه الله يكون دائمًا هو العدل والإنصاف، ويخلو دائمًا من التحيز والتمييز والمحاباة ، لأنه رب الناس جميعًا أبيضهم وأصفرهم وأسودهم، وليس رب شعب دون آخر، كما يهذى بذلك الذين يزعمون أنهم شعب الله تعالى أخبرهم بذلك، وهم بذلك يفترون على الله الكذب وهم يعلمون أنهم يكذبون.

● وبغير ممارسة هذه الحقوق كما شرعها الله تعالى وبغير أداء هذه الواجبات التى أوجبها سبحانه؛ فلن تقوم على الأرض حياة إنسانية كريمة، ولن تجدى هيئة الأمم المتحدة؛ جمعيتها العامة ومجلس أمنها فى تحقيق كرامة الإنسان، وتاريخ هيئة الأمم من يوم أنشئت وحتى اليوم شاهد صدق على أنها هيئة تتحيز للأقوى والأغنى ، وتدوس فى سبيل ذلك حقوق الإنسان على الرغم من أنها هى التى كتبت الوثيقة وأعلنتها منذ أكثر من نصف قرن من الزمان !!!.

المدخل إلى هذا الكتاب

يتناول هذا المدخل موضوعات رئيسة هي :

– تعريف التربية الجسدية وتحديد مفاهيمها .

– وتحديد أهداف التربية الجسدية .

– وتوضيح أبعادها .

– ومنهج الإسلام في بناء جسد الإنسان .

– وتعريف ببعض المصطلحات التي تتصل بموضوع الكتاب .

أولاً : تعريف التربية الجسدية وتحديد مفاهيمها :

نقصد بالمفاهيم؛ المفهوم اللغوى، والمفهوم العام، والمفهوم الإسلامى كما ورد فى القرآن الكريم، وفى السنة النبوية المطهرة فنقول سائلين الله العون والسداد .

١ – المفهوم اللغوى لتربية الجسد :

● الجسد كالجسم لكنه أخص، قال الخليل بن أحمد [١] : «ولا يقال الجسد لغير الإنسان من خَلْق الأرض ونحوه» .

– والجسد يطلق على ما له لون .

– والجسم يطلق على ما لا يبين له لون كالماء والهواء .

– وفى قول الله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ** ﴾[الأنبياء:٨]، أى أن الجسد يجب أن يُمَدَّ بالطعام وأنه مهما مُدَّ به فلن يخلد ، وإنما الموت نهايته .

ومما يشهد لما قاله الخليل قول الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ** ﴾ [ص : ٣٤] إذ المعنى : فتنَّاه حتى لا يغتر بأبهة الملك فالقينا على كرسيه جسداً لا يستطيع تدبير الأمور، فتنبه ورجع إلى الله .

---

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدى الأزدى (١٠٠ – ١٧٠هـ) (٧١٨ – ٧٨٦م) من أئمة اللغة والأدب، وهو واضع علم العروض وهو أستاذ سيبويه النحوى، ولد ومات فى البصرة وعاش فقيراً، له كتاب العين فى اللغة لم يسبق إليه، وله كتاب معانى الحروف وكلاهما لا يزال مخطوطًا، وله كتب اخرى مخطوطة .

– والجسد هو الجسم كله.

– والجسد كل روح يتمثل بتصرف الخيال المنفصل.

– وظهر الجسد فى جسم نارى كالجنّ، أو فى جسم نورى كالأرواح الملكية والإنسانية.

– والجسم؛ جوهر قابل للأبعاد الثلاثة: الطول والعُرْض والعمق.

ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجساماً وإن قطع منها ما قطع وجُزِّئَ منها ما جُزِّئَ، قال الله تعالى: ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ... ﴾[البقرة: ٢٤٧]، وقال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ .... ﴾ [المنافقون: ٤] تنبيهاً على أنه ليس وراء الأجسام ما يُعتد به، فقلوبهم فارغة من الإيمان وتلك صفات المنافقين.

– والبدن هو: ما عدا الرأس والأطراف من الجسم.

وقد يستعمل البدن بمعنى الجسم، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً .... ﴾ [يونس: ٩٢] أى ننجيك بجسمك.

● وتربية الجسد هى تعهده بما يصلحه ويوجهه ويسدده، مع منعه مما يضره أو يضر غيره من الناس، وتنميته فى الاتجاه الصحيح، الذى يحقق له السلامة والنمو والمقدرة على أداء الوظائف المنوطة به.

٢– المفهوم العام للتربية الجسدية:

تعنى التربية الجسدية فى مفهومها العام جميع الأسس التى يقوم عليها العمل الذى يؤدى إلى النضج المتسق للإنسان فى مراحل حياته المختلفة.

– ولأهمية الجسد فى حياة الإنسان؛ إذ هو الوعاء للروح والعقل، والحواس، والجوارح، لم يُسْتسغ للمربين الواعين أن يضعوا الجسد فى منزلة أقل من الروح والعقل؛ كما فعل بعض المفكرين فحقروا الجسد، واعتبروا مطالبه مصدر الشرور والآثام، إذ هى فى نظرهم رغبات وشهوات يجب أن تكبت!!! وقد فاتهم أن تلك الرغبات والشهوات هى الفطرة التى فطر الله الناس عليها، لتستمر حياته بها على هذه الدنيا، مع إنعامه عليهم بالدين والمنهج الذى يضع النظام والإطار الذى تُعبِّر به هذه الرغبات والشهوات عن نفسها دون أن يوصف الإنسان وهو يعبر عنها بعيب أو مَذَمَّة.

- وليس للمربين أن يبالغوا فى شأن الجسد، فيعطوه أكثر من حقه فيطلقوا له العنان فى التعبير عن رغباته وشهواته دون ضابط أو قيد؛ لأن ذلك ليس فى صالحه ولا فى صالح المجتمع الذى يعيش فيه الإنسان، كما خُدع فى ذلك بعض المفكرين وسموا هذه الفوضى حرية شخصية !!!

ومن الإنصاف أن يلقى الجسد من التربية الراشدة ما يليق بالإنسان الذى كرمه الله تعالى وفضّله على كثير من خلقه.

- وقد أجمع المفكرون والمصلحون والمربون - فى تاريخ البشرية - على أن التربية الجسدية للإنسان ذات شأن رفيع وأهمية قصوى فى حياة الإنسان، مهما اختلفت مشارب هؤلاء المفكرين والمصلحين والمربين وتنوعت توجهاتهم، وعلى سبيل المثال:

- رأينا الأمم التى كانت تجعل من الحروب سبيلاً لحياتها تهتم بتربية الجسد اهتمامًا كبيرًا، تحصل من خلاله على أفراد أقوياء الأجساد أصحاء أقوياء يستطيعون خوض الحروب وتحقيق الانتصار فيها.

- ورأينا الأمم التى تنفر من الحروب إلا إن فرضت عليها أن تهتم كتلك الأمم المحاربة، بتربية أجساد أبنائها من أجل مواجهة الحروب ورد العدوان.

- ورأينا الأمم التى تعيش على الدعة والرفاهية، تهتم أيضًا بالتربية الجسدية، إيمانًا منها بأن الجسد القوى هو الذى يحقق لصاحبه المتعة والرفاه، عندما يعب من الشهوات ما يشاء.

- ومعنى ذلك أن الأمم جميعًا - فى تاريخها الطويل - لابد أن تهتم بتربية الجسد وترعاه حتى يشب أبناؤها أقوياء أصحاء قادرين على ممارسة حياتهم فى السلم وفى الحرب على السواء.

٣- المفهوم الإسلامى للتربية الجسدية:

ينظر الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية إلى التربية الجسدية نظرة لا قصور فيها ولا مبالغة، لأنها نظرة حق وعدل جاء بها خاتم الأديان وأتمها وأكملها، فهى تربية لا تقل أهمية عن تربية الروح والعقل والخلق وسائر مفردات التربية الإسلامية التى تستهدف جميعها تكوين الإنسان الصالح الصحيح القوى الذى يستطيع أن يمارس فى الحياة حقوقه وأن يؤدى واجباته.

- ففى الصحة عمومًا :

جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿ .. **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا** .... ﴾ [الأعراف: ٣١]، وعلم الصحة الإنسانية يمكن أن يؤخذ من هذه الآية الكريمة.

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ»**.

وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سافروا تصحوا، واغزوا تستغنوا»**.

وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن عمه رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«لا بأس بالغِنَى لمن اتقى الله عز وجل، والصحة لمن اتقى الله خير من الغِنَى، وطيب النفس من النعم»**.

- وفى صحة القلب وسلامته:

جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩].

والقلب السليم هو البرىء من مرض الكفر والنفاق والرياء.

وقوله عز وجل: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ....﴾ [آل عمران: ٥٩].

وروى أحمد بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الإنسان مضغة إذا سلمت وصحت، سلم سائر الجسد وصح، وإذا سَقِمَتْ سقم سائر الجسد وفسد، ألا وهى القلب»**.

وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة؛ فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل»**.

وروى الطبرانى - فى معجمه الكبير - بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله تعالى آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها»**.

وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له: «**إن أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم**».

- **وفى صحة العقل وسلامته وشرفه:**

وردت نصوص إسلامية عديدة تؤكد أن العقل منبع العلم، وأن العلم بالنسبة للعقل بمثابة الثمرة من الشجرة، والعقل هو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة، وكل تجربة أو خبرة يحظى بها الإنسان هى ثمرة عقله.

ومن شرف العقل وأهميته سماه الله تعالى نوراً فى قوله تبارك وتعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** ....﴾ [النور: ٣٥]. وسمَّى سبحانه وتعالى العلم المستفاد من العقل حياة فى قوله عز وجل: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**...﴾[الأنعام: ١٢٢].

وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**كرمُ الرجل دينُه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه**».

وروى ابن المحبَّر(١) بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هُدًى ويرده عن رَدًى، وما تَمَّ إيمان عبد ولا استقام دينُه حتى يكمل عقله**».

وروى ابن أبى الدنيا(٢) بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا بلغه عن أحد من أصحابه عبادة قال: «**كيف عقله**»؟ فإن قالوا: عاقل، قال: «**ما أخْلَقَ صاحبكم أن يبلغ**» وإن قالوا: ليس بعاقل، قال: «**ما أخلقه ألا يبلغ**» أى يبلغ بعقله رضا الله تعالى.

- وحسب العقل شرفًا أنه عصمة من الشرك والضلال؛ فقد روى ابن أبى الدنيا بسنده عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه أن رجلاً من بنى قشير أتى النبى ﷺ، فقال: إنما كنا نعبد فى الجاهلية أوثانًا وكنا نرى أنها تضر وتنفع، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أفلح من جعل الله عز وجل له عقلاً**».

---

(١) جاء ذلك فى كتابه: «فى العقل».

(٢) جاء ذلك فى كتابه: «العقل وفضله» ط. الحلبى مصر ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

وروى ابن المحبَّر بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كثرت المسائل يومًا على رسول الله ﷺ فقال: **«يا أيها الناس إن لكل شىء مطية، ومطية المرء العقل، وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً»**.

وروى ابن أبى الدنيا بسنده عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما رفعه إلى النبى ﷺ أنه قال: **«إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والزكاة والجهاد والحج والعمرة، حتى ذكر سهام الخير، وما يُجزَى يوم القيامة إلا بعقله»**.

وروى ابن المحبَّر بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قلتُ يا رسول الله بمَ يتفاضل الناس فى الدنيا؟ قال: **«بالعقل»** قلتُ: وفى الآخرة؟ قال: **«بالعقل»** قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم؟ فقال: **«يا عائشة، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله عز وجل من العقل؟ فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون»**.

وروى ابن أبى الدنيا بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يعجبكم إسلام امرئ حتى تعرفوا معقود عقله»**.

- وفى صحة الجسد وسلامته:

وردت الآية الكريمة: ﴿ **.. وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا....** ﴾ [الأعراف: ٣١].

ووردت أحاديث نبوية كثيرة تؤكد حرص الإسلام على الاهتمام بالجسد ومده بأسباب القوة، ومنعه من التعامل مع أسباب الضعف.

قال الله تعالى فى وجوب الأخذ بأسباب القوة أيًا كان نوعها: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولا شك أن القوة يدخل فيها قوة الأجساد أولاً لكى تقدر على حمل السلاح والتعامل به فضلاً عن قوة التسلح وقوة الإعداد المعنوى والمادى، وقوة المال الذى ينفق من أجل المعركة.

وروى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك ولا تعجز، وإن غلبك أمر فقل: قدَّر الله وما شاء فعل، وإياك واللَّوَ؛ فإن اللَّوَ تفتح عمل الشيطان»**.

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: «دخل عليّ رسول الله رسول الله ﷺ فقال: **«ألم أُخبَرَ أنك تقوم الليل وتصوم النهار»** قلتُ: بلى، قال: **«فلا تفعل، قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا...»**.

وروى الديلمى فى مسنده بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«البسُوا الصوف وشمروا، وكلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه، حسب الآدمى لقيمات يقمن صلبه، فإن غلبت الآدمى نفسه، فثُلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ للنّفَسِ»**[1].

وروى النسائى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا فى غير إسراف ولا مخيلة»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ من السَّرَف أنْ تأكل كلما اشتهيت»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«طعام الواحد يكفى الاثنين، وطعام الاثنين يكفى الأربعة، وطعام الأربعة يكفى الثمانية»**.

وروى البخارى بسنده عن صفية رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»** وفى رواية لغير البخارى: **«فضيقوا مجاريه بالجوع»**.

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عمر وعن أبى هريرة رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن يأكل فى معًى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: تجشأ رجل فى مجلس رسول الله ﷺ فقال له: **«أقْصِرْ من جشائك، فإن أطول الناس جوعًا يوم القيامة أكثرهم شبعًا فى الدنيا»**.

هذا عن صحة الجسد والأخذ بأسباب قوته والابتعاد عن أسباب ضعفه.

---

(١) قال الإمام أبو حامد الغزالى: ذُكر هذا الحديث لبعض الفلاسفة من الأطباء، فعجب منه وقال: ما سمعت كلامًا فى قلة الأكل أعظم من هذا، وإنه والله لكلام حكيم.

وأما سلامة الجسد من الأمراض المعدية والسارية، فقد ورد فيها أحاديث نبوية شريفة نذكر منها:

روى أحمد بسنده عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا وقع الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا منها»**.

وروى أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها سألت النبى ﷺ عن الطاعون فأخبرها: **«أنه كان عذابًا يبعثه الله عز وجل على من يشاء، فجعله الله عز وجل رحمة للمؤمنين، فليس عبد يقع الطاعون فيه فيمكث فى بلده صابراً محتسبًا يعلم أنه لم يصبه إلاَّ ما كتب الله عز وجل له، إلاَّ كان له مثل أجر شهيد»**.

٤- التربية الإسلامية للجسد تحترم طبيعته:

للجسد الإنسانى طبيعة فطره الله عليها، ومَنْ أحْسَنُ من الله فطرة، لقد فطر الناس عليها ولا تبديل لخلق الله، ولهذه الفطرة الجسدية مطالب ورغبات وشهوات، والاستجابة لهذه المطالب والرغبات والشهوات فى إطار ما أحل الله تعالى وما حرم هو الحياة الصحيحة السليمة للإنسان، وما حرمه الله على الإنسان إنما حرمه لأنه يضره ويعطل قواه ويحول بينه وبين الصحة والسلامة.

- وقد يتصور بعض الناس أن التحريم لشيء مما يريد الإنسان هو حجْر على حريته الشخصية ومقاومة لرغباته وشهواته الجسدية، وذاك تصور قاصر عن فهم الحقيقة وعن فهم تربية الجسد، فضلاً عن قصوره عن فهم الدين وفهم الحرية الشخصية.

- والحقيقة المؤكدة أنَّ ما حرّمه الله قليل جداً إلى جانب ما أحله وأباحه، وعلى سبيل المثال:

- حرّم الله الزواج من المحارم والمشركات والصلة المثلية بين الرجال والنساء، وترك ما وراء ذلك مباحًا، والمباح فى الزواج أوسع وأكثر مما حُرّم منه.
- وحرّم الله تعالى الامتناع عن الزواج مع القدرة عليه.
- وحرّم الله تعالى الخمر وأباح عديداً من المشروبات.
- وحرم الله تعالى تعذيب الجسد أو إبادته بالقتل أو بالانتحار، وأبطل فرية القائلين بأنهم يعذبون أجسادهم طاعة لله وتقربًا إليه، لأن الله تعالى لا يُتقرَّبُ إليه بمعصية له.

- والقصور فى فهم تربية الجسد عند هؤلاء، أن تربية الجسد عون له على النمو، وعلى أداء وظائفه فى الحياة، وضبط جوارحه مع كل ما يحقق صلاحه ويدفع عنه ما يضره أو يفسده، ولا شك أن حرية الجسد فى ممارسة رغباته وشهواته دون ضابط، تجر عليه كثيراً من الأضرار والمخاطر، بل تخرجه عن دائرة الإنسانية وتقربه من دائرة الحيوانية.

والتربية فى جوهرها نظام وانضباط، وحرية ممارسة الشهوات فوضى وتعويق، بل تعطيل للتربية ونظامها.

وليس هناك من العقلاء من يقول بالحرية المطلقة سواء أكانت فى السلوك الشخصى أو السلوك الاجتماعى أو السلوك السياسى أو أى سلوك، إنما هى فوضى واضطراب وخلل.

- وأما قصورهم فى فهم الدين فيعنى جهلهم به وبمقاصده وغاياته، وهؤلاء الجهلة بالدين أصناف وطوائف لا يخلو منهم زمان، ولا يختص بهم مكان دون مكان، فمنهم:

- الجامدون المتحجرون الذين عطلوا عقولهم فحرموها من التفكير والتفكر والتدبر، وأخذ العبرة بالسَّيْر فى الأرض وتأمل أحوال السابقين، وإنما هم يرفضون كل جديد لأنه جديد، مع غض نظرهم عن صحته وصوابه، ويلتزمون بما وجدوا عليه أسلافهم مهما كان بعيداً عن الصحة والصواب!!!.

إن هؤلاء لا يفهمون الدين لأنهم عطلوا عقولهم التى هى مناط التكليف بالدين، وتجاهلوا نعمة الله عليهم بالعقل الذى يهدى إلى معرفة الدين الحق.

- والمغالون المتشددون المتنطعون المتفيهقون، الذين يشددون على أنفسهم وعلى الناس، وهؤلاء هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «**ألا هلك المتنطعون**» أى المتكلِّفون المتشددون.

وقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن الدين يُسْر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا...**».

وروى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق**».

● والمحتكرون للدين الزاعمون أنهم أصحاب ولاية فيه تتيح لهم أن يثيبوا أويعاقبوا أو يمنعوا باسم الدين، أو أولئك الذين يدعون أنهم هم الطريق إلى الله أو أصحاب مفاتيح رحمته، كل هؤلاء دجّالون كذابون، لأن الإسلام دين الوضوح ولا طلاسم فيه ولا أسرار ولا كهنوت، وليس فى الإسلام سرٌّ خص الله به أحداً من عباده، وإنما هو المحجة البيضاء ليلها كنهارها، والعمل فى الإسلام بالتعلم، والمكانة فيه بالاجتهاد فى عبادة الله تعالى والالتزام بمنهجه ونظامه، ولا يحتاج المسلم وسيطًا بينه وبين الله، لأن الله تعالى أقرب إلى الإنسان من كل وسيط وما يتقرب المسلم إلى الله إلا بعمله الصالح.

● والمتسيبون المترخصون الذين يهوّنون من شأن الدين والتدين، ويستبدلون به نظمًا وقيمًا غريبة عن الإسلام وافدة عليه مضللة عنه وعن هديه، مباعدة بين الناس وبين ما شرع الله لهم، ومقصية قيم الإسلام عن سلوك الناس، هؤلاء منهم المنادون بسفور المرأة واختلاطها بالرجال حتى لو كانت خلوة، ومنهم المخنثون من الرجال الذين يلبسون ملابس النساء، والمترجلات من النساء، ومنهم الذين يرون رقص المرأة أمام الرجال فنٌّ وإبداع، ومنهم، ومنهم، ... هؤلاء المتسيبون المترخصون فى أمور الدين يدخلون على الدين ما ليس منه، ويخرجون منه ما هو من صميمه.

● والذين يتخذون الدين سلمًا للدنيا، فيبيعون دينهم بعرض زائل من أعراض الدنيا، فإذا بهم قد خسروا الدين ولم يكسبوا الدنيا.

هؤلاء هم الذين تحدث عنهم رسول الله ﷺ فيما رواه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافراً، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل»**.

وفى رواية للترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه جاء الحديث وآخره: **«يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا»**.

كل هؤلاء قاصرون عن فهم الدين بعيدون عنه وعن هدى النبى الخاتم ﷺ.

ثانيًا: تحديد أهداف التربية الجسدية:

● إذا كان مجمل أهداف التربية الجسدية - الذى لا يختلف عليه علماء التربية - هو: توفير أسباب الصحة للإنسان عن طريق النمو السوى المتوازن لكيانه العضوى؛ فإن هذه الأهداف - كما سنفصلها بعد قليل - سوف تظل موضوع اهتمام المربين فى كل زمان

ومكان؛ وبخاصة إذا كان توفير أسباب الصحة للإنسان يستوجب توفير أسباب البعد عن الأمراض والعاهات والنقائص التى قد يتعرض لها الإنسان فى حياته؛ لأن الجسد يحتاج إلى توافر أسباب الصحة والنمو بمقدار ما يحتاج إلى تجنب الأمراض والعاهات والنقائص.

- وإذا كان يدخل فى مجمل أهداف التربية الجسدية – عند جميع علماء التربية – أن يتوفر للإنسان ما يجعله فى حالة توازن جسدى يمكنه من أن يؤدى جسده وظائفه العضوية، لكى يمارس حياته بعيداً عن القلق والاضطراب، شاعراً بالرضا والسعادة والثقة بالنفس؛ فإن معظم علماء التربية يؤكدون أن التوازن الجسدى عنصر هام من عناصر الشخصية الإنسانية السوية.

تلك مقدمة ضرورية فى تحديد أهداف التربية الجسدية للإنسان، فما هى هذه الأهداف بنوع من التفصيل؟

١ – عون الإنسان على ممارسة حياته:

التربية الجسدية الصحيحة تعين الإنسان على ممارسة الأداء الجيد لحياته على نحو يحقق به ذاته ليشعر بالرضا والسعادة، حين يجد نفسه مؤثراً تأثيراً إيجابيًا فيما حوله من ناس وأشياء، ومتأثراً كذلك بهذا العالم الذى يحيط به تأثراً إيجابيًا نافعًا، إن الإنسان بغير الجسد الصحيح السليم لا يستطيع أن يؤثر ولا أن يتأثر بإيجابية ونفع لغيره وانتفاع به.

– إن مفهوم التربية الجسدية يتسع ليشمل كل جانب من جوانب تنمية جسد الإنسان من طعام وشراب ونوم وراحة وتعب وتريض وعادات سلوكية.

– بل إن مفهوم التربية الجسدية يمتد ليشمل ما تسميه التربية الرياضية أو الرياضة البدنية.

– التربية الرياضية جزء من التربية الجسدية، لا تستطيع التربية الجسدية أن تغفله أو تقلل من شأنه، لأن غرض التربية الرياضية الأساسى هو العناية بالجهاز العضلى فى جسم الإنسان، إذ هى تنمى العضلات وتزيد من قدرتها على المقاومة لكثير مما يعوق النمو العضلى أو تأدية العضلات لوظائفها، كما تزيد قدرة الإنسان على الحركة وسرعتها وأدائها براحة وبرشاقة وجمال.

– ومن المسلَّم به أن التربية الرياضية تُحسِّن سير الجهاز العضلى الذى يأخذ فى الاعتبار جميع ظواهر التغذية وعمل الأجهزة الدورية والتنفسية، وجهاز الغدد الصم، والجهاز العصبى، وكل ذلك يجعل الرياضة البدنية ضرورية للإنسان ولكن تبقى جزءاً من التربية الجسدية.

٢- وتحقيق الصحة النفسية والاجتماعية للإنسان:

- التربية الجسدية المتكاملة ذات أثر بارز فى تحقيق الصحة النفسية للإنسان؛ لأن الصحة النفسية تحتاج بالضرورة إلى صحة جسدية تُحدِثُ - كما قلنا- توازنًا وتواؤمًا بين أعضاء الجسد الإنسانى ليؤدى وظائفه، وهذا التوازن والتواؤم والأداء الوظيفى هو سبب فى الصحة النفسية.

- والتربية الجسدية الصحيحة الشاملة تؤدى إلى التكامل الحركى للإنسان، وهذا الأداء الحركى المتكامل يعنى إقدار الإنسان على التعبير عن ذاته وإرادته وانفعالاته، وإقداره على السيطرة على كل ذلك بدقة ومرونة ونشاط وصبر على الأداء، وتنمية للمهارة الحركية، وشحذ للانتباه والتَّيقظ وكل ذلك يعنى النجاح فيحقق الصحة النفسية للإنسان.

● والتربية الجسدية تحقق الأمن الاجتماعى للإنسان؛ وذلك أن التربية الجسدية الصحيحة للإنسان تمكن الإنسان من ممارسة حياة اجتماعية فاعلة راشدة مؤثرة.

- إن الحياة الاجتماعية للإنسان تبدأ منذ سنوات عمره المبكرة، إذ كل ما يتعلق بالعلاقات المتبادلة بين الأفراد أو الجماعات هو من صميم الحياة الاجتماعية للإنسان؛ فالطفل، وإن كان يشبه الذَّرة أو النواة الاجتماعية فإنه يتوسط الشبكة الاجتماعية، ثم تأخذ هذه الذرة أو النواة أو الطفل فى النمو، ويزداد التأثر والتأثير فى الشبكة الاجتماعية الضخمة التى تحيط به فى مختلف سنوات عمره، ثم يستطيع بعد أن يكبر أن ينشئ لنفسه شبكة اجتماعية تخصه.

- وتتعدد العلاقات الاجتماعية فى حياة الإنسان، لتشمل علاقته بأسرته، ثم بمدرسته، ثم بالمسجد، والنادى، والأقارب والجيران والأصدقاء، ثم بالمجتمع كله على كل مستوى من مستويات التعامل مع الإنسان.

ولا يستطيع الإنسان أن يعيش حياة اجتماعية آمنة دون هذه العلاقات، وما يحكمها من قيم.

كما لا يستطيع الإنسان أن يمارس حياته الاجتماعية دون أن يكون قد حدثت له تربية جسدية صحيحة سليمة.

٣- وتنمية القيم الخلقية فى الإنسان وتثبيتها :

التربية الجسدية المتكاملة تتصل اتصالاً وثيقًا بالقيم الخلقية وتثبيتها فى الإنسان والمجتمع؛ وذلك أن التربية الجسدية الصحيحة لها آثار مادية ملموسة فى الإنسان كتنمية الجهاز العضلى والحركى وما بينها من توافق وانسجام مع سائر أعضاء الجسد من لسان وعين وأذن ويدين ورجلين وبطن وفرج، حيث يتمكن كل عضو من هذه الأعضاء من أداء وظيفته على وجهها الصحيح النافع الذى شرعه الله تعالى لصالح معاش الإنسان ومعاده.

– وهذه التربية الجسدية الشاملة التى لها تلك الآثار المادية تدرب الإنسان على ممارسة قيم خلقية رفيعة سامية، مثل:

- التدرب على العمل وإجادته.
- والتدرب على الصبر والتحمل.
- والتدرب على التأنى وسعة الحيلة.
- والتدرب على الجرأة والإقدام.
- والتدرب على رباطة الجأش والثقة بالنفس.
- والتدرب على قوة الإرادة والعزم.
- والتدرب على سرعة الاستجابة والمبادرة.

وكل تلك الأمور هى قيم خلقية رفيعة سامية كانت من آثار تربية الجسد تربية صحيحة سليمة.

– فإذا تعود الإنسان على التمسك بهذه القيم، فإن ممارسة التدرب عليها يؤدى إلى تثبيتها فى الإنسان، وإذا ثبتت واستقرت هذه القيم الخلقية فى الإنسان، فإنه يعيش فى تصالح مع نفسه ومع من حوله من الناس، بل إنه يعبر بهذه القيم عن تمسكه بدينه، لأن الإسلام يدعم ويعزز كل قيمة خلقية فاضلة تعود على المتمسك بها بالخير والصلاح فى دنياه وآخرته.

– ولا نستطيع أن نتصور إنسانًا صالحًا ، ولا أسرة صالحة ولا مجتمعًا صالحًا دون أن تكون له قيم خلقية فاضلة يتمسك بها، وتسود علاقاته الاجتماعية؛ وذلك أن الأثر الخلقى للتربية الجسدية الصحيحة السليمة الشاملة لا ينكرها أو ينكر أثرها أحد من علماء التربية الذين يُعْتَدُّ لهم برأى.

٤- الاستمرار والتواصل والتوريث:

التربية عموماً جسدية وغير جسدية لا يكتب لها النجاح ولا تستطيع أن تكون ذات أثر وفاعلية إلا إذا كانت مستمرة لا تتوقف عند مرحلة بعينها من مراحل تربية الإنسان، ومع استمرارها لابد فيها من التواصل بمعنى أن حلقاتها جميعًا يجب أن تتواصل، ومع استمرارها وتواصلها يجب أن تتوارثها الأجيال جيلاً عن جيل. والتربية الجسدية الإسلامية تستهدف تحقيق الاستمرار والتواصل والتوريث من جيل إلى الذى يليه حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

- إن الاستمرار والتواصل والتوريث للتربية الجسدية وما تفرزه من قيم فى الإنسان، إن ذلك من الحقائق المؤكدة فى الإسلام فهى تربية تبدأ مع الإنسان وهى حق له وواجب عليه؛ إذ يطالب الإسلام الإنسان أن يتزوج ما دام قادراً على ذلك، ويوجب عليه أن يحسن اختيار الزوجة، كما يطالب الزوجة وأولياءها أن يحسنوا اختيار الزوج، ويضع لكل منهما معايير فى الاختيار، ثم يطالب الزوج بألا يضعف نسله بزواجه من القريبات، ويطالب الزوجين برعاية الأم فى حملها، وبحسن اختيار اسم المولود، وبحسن رعايته وحضانته وكفالته حتى يبلغ مبلغ من يعتمد على نفسه ويتحمل مسئولياته عن نفسه وعن غيره.

- إن التربية الإسلامية للجسد عمل مستمر طوال عمر الإنسان مهما طال، وليست وقفًا على الأطفال أو الصغار، لأنها تضع القواعد التى يجب أن يلتزم بها كل المسلمين صغاراً وكباراً، شباباً وشيوخًا، فليس لشيخ مهما تقدم به السن أن يتخلى عن أسلوب الإسلام فى تربية الجسد بجلب المنافع له، ودفع المضارّ عنه، ولو تخلى فقد أثم وعرض جسده إلى التهلكة، بينما الواجب أن يحافظ على هذا الجسد صحيحًا سليمًا قويًا قادراً على عبادة الله تعالى والقيام بأداء واجباته التى لا ينتهى أداؤها إلا بالموت.

- التربية الجسدية فى الإسلام مستمرة متواصلة متوارثة فى الأجيال، مثلها فى ذلك مثل سائر مفردات التربية الإسلامية العشر التى أفردنا لكل منها كتابًا بأسره، وأكدنا فيها جميعًا أنها تربية أوجبها الله على عباده الذين اختاروا الإسلام دينًا وارتضوا به منهجًا ونظامًا، وأنهم يثابون على أداء هذا الواجب ويعاقبون على تركه.

- ونودّ أن نذكر بأن التربية الجسدية الصحيحة السليمة فرع من فروع التربية الإسلامية العشر: الروحية والخلقية والعقلية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والجهادية

والجمالية والجسدية، وأن هذه الأنواع من التربية لا تستطيع أن تؤدى وظائفها أو واجباتها إلا من خلال جسد قوى ذى قدرة على الفعل والتفاعل، لا يمارى فى ذلك أحد ممن ينشغلون بالتربية عمومًا، وبالتربية الإسلامية على وجه الخصوص.

- بل إن المؤكد لدى علماء التربية الإسلامية فى مختلف عصورهم، وتعدد أوطانهم، أنهم مجمعون على أن التربية الجسدية من خلال ما يناط بها من أعمال هى أهم أنواع التربية للإنسان، بل تكاد تكون أهم مفردة من مفردات التربية الإسلامية، لكنهم مجمعون كذلك على أن أهمية التربية الجسدية لا تسمح للمربين أن يقل اهتمامهم بأى مفردة من المفردات لحساب التربية الجسدية.

ثالثًا: أبعاد التربية الجسدية:

تتحرك التربية الجسدية للإنسان فى أبعاد أربعة - كما اتضحت لى وكما تصورتها - وهى:

- البُعد الخاص بتربية حواس الإنسان.
- والبُعد الخاص بتربية أعضاء الجسد وتوظيفها.
- والبُعد الخاص بتربية مهاراته الجسدية.
- والبُعد الخاص بتربية قوته الجسدية.

ولكل بُعدمن هذه الأبعاد حديث نرجو توضيحه بعون من الله تعالى وتوفيق.

١- تربية حواس الإنسان:

تتحرك التربية الجسدية فى مجال حواس الإنسان لتربيتها على منهج الإسلام فيما يجب أن تكون عليه هذه الحواس وما تؤديه من وظائف.

- إن التربية الجسدية الصحيحة تعطى لحواس الإنسان من العناية والتدريب ما يكفل لها أن تكون على الدرجة الملائمة من الدقة والحِدَّة والقدرة على الأداء الجيد.

- وحواس الإنسان منافذ لجسده يتعامل من خلالها مع ما يحيط به ليتأثر ويؤثر فى المرئيات والمسموعات والمشمومات، والمذوقات والملموسات، ولا تستطيع تربية جسد الإنسان أن تتجاهل تربية العين والأذن والأنف واللسان واليد، وتربية هذه الحواس تعنى توجيهها وتسديدها وتنميتها والمباعدة بينها وبين أسباب الضعف وتجنيبها المخاطر والمضارّ،

وتدريبها على الدقة والحدة والقوة وسرعة نفاذها إلى ما يُرى وما يُسمع وما يُشم وما يذاق وما يُلمس.

- إن الإسلام اهتم برعاية هذه الحواس وأوجب المحافظة عليها صحيحة سليمة، وحرم إتلافها أو تعطيلها بل قرر عقوبات على من تسبب فى إتلاف حاسة من هذه الحواس، وحظر على هذه الحواس أن تقع فيما حرم الله عليها أن تقع فيه؛ فكل حاسة منها لها إطار تتحرك فى داخله تتأثر وتؤثر، ويحرم عليها أن تمتد إلى ما حرّم الله عليها أن تراه أو تسمعه أو تشمه أو تذوقه أو تلمسه أو تمشى فى طريقه.

- وتربية الإسلام لهذه الحواس تبدأ مع الطفل وليداً ويقع عبؤها على الوالدين، ثم تستمر هذه التربية مع الإنسان فى سنوات عمره كلها تقوم بها المدرسة والمسجد والمجتمع، ويقوم بها الإنسان نفسه حينما يبلغ سِنَّ التكليف الشرعى.

وهذه التربية لهذه الحواس تستهدف تنشيطها وتدريبها، لكى يتم تنظيم عملية الإدراك فى حياته كلها.

- والإسلام يوجب رعاية هذه الحواس وتوجيهها وتسديد عملها نحو ما أحلَّ الله ومنعها مما حرّم.

٢- تربية أعضاء الجسد وتوظيفها:

تتحرك التربية الجسدية فى هذا البعد لتتيح لأعضاء الجسد فعالية ونمواً وأداءً جيداً لوظيفتها، ويعتمد ذلك على أعمال جليلة الخطر، من أهمها:

- توفير البيئة الصالحة لأعضاء الجسد، البيئة التى تمكنها من أداء وظائفها على النحو الصحيح.

وهذه البيئة تتمثل فى المكان الملائم والظروف الملائمة التى يعيش فيها الإنسان مثل: النظافة، النظام، والهواء النقى، والدفء أو البرودة، والألوان والأصوات والمشمومات والمذوقات والملموسات؛ مما يكون له أبلغ الأثر فى تدريب أعضاء الجسد على النمو الصحيح والممارسة الصحيحة لوظائفها فى الحياة.

- ومقاومة الأسباب والعوامل التى تؤثر تأثيراً سيئًا فى هذه الأعضاء أو تعوقها عن أداء وظائفها، وهذه الأسباب والعوامل كثيرة مثل: الأمراض والتشوهات، والقصور، وكل ما من شأنه أن يضعف عضواً من أعضاء الجسد أو يعوقه عن أداء وظيفته.

- وتوفير أسباب النمو الصحى لهذه الأعضاء حتى تؤدى وظائفها، ابتداء من الأسرة (الأبوين)، ثم المسجد، ثم المدرسة، ثم المجتمع بكل ما فيه من مرافق لأن أعضاء الجسد لا تنمو نمواً صحيحاً، ولا تؤدى وظائفها إلا إذا توفرت لها هذه الأسباب.

- والتربية الإسلامية للجسد توجب على المسلم فرداً وجماعة ومجتمعاً وحكومة أن تتعاون فى توفير البيئة الصالحة، وفى مقاومة أسباب الضعف والفساد، وفى توفير أسباب النمو الصحى لأعضاء الجسد.

وتقصير الفرد أو الجماعة أو المجتمع أو الحكومة فى شىء من هذه الواجبات مخالفة لمنهج الإسلام فى الإصلاح والتربية تجعل المخالف موضع مساءلة أوعقاب، كما أن القيام بهذه الواجبات تجعل من قام بها موضع ثناء وثواب.

٣- تربية المهارات الجسدية:

تربية الجسد لابد أن تأخذ في اعتبارها تربية مهاراته، يدوية وغير يدوية؛ لأن ذلك من صميم عملها وجليله، وأكثره أهمية فى تربية الإنسان وتنمية قدراته ومهاراته.

- وهذا النوع من التربية يبدأ فى زمن باكر من حياة الإنسان وهو طفل يتعلم فى بيته الكلام، ويُكوِّن حصيلة لغوية تعينه على ممارسة حياته كما نما وخطا خطوات فى عمره، ثم تتسع مع دائرة التعلم والتدرب وتتعمق، لتأخذ المدرسة من ذلك بنصيب وافر، ثم تفتح القراءة الباب على مصراعيه.

- والبيت والمدرسة يشتركان فى تنمية المهارات اليدوية وغيرها من المهارات من خلال التعليم والتدريب فى مجالات عديدة كاللعب والقراءة وحِرَف الزراعة والبناء وتنسيق زهور الفناء المدرسى وتربية الطيور والحيوانات ونحوها، وما من مجال من مجالات حياة الإنسان إلا تستطيع المدرسة والبيت أن ينميا مهارة الإنسان فيه كالحساب والتجارة والطهى والأشغال اليدوية، مما سوف يكون للتدريب عليها أحسن الأثر فى حياة المتعلم ومستقبله، عندما يخرج من بيته ومن مدرسته ليمارس حياته معتمداً على نفسه وعلى قدراته ومهاراته.

- وما يُعَلَّمه الولد ويُدَرَّب عليه فى المدرسة أو فى البيت يختلف بالضرورة عما تُعَلَّمه البنت وتُدرَّب عليه، لأن وظائف كل منهما فى الحياة تقتضى مهارات مختلفة يدوية وغير يدوية إلى حد كبير، ومراعاة ذلك واجب تربوى وعلى البيت والمدرسة أن يسهما فى تربية المهارات وتنميتها.

– ومما يدخل فى المهارات غير اليدوية، المهارات الفكرية والمهارات الخلقية والسلوكية والاجتماعية عموماً، وكلها مهارات يبدأ تعلمها فى البيت ثم تتسع وتتعمق فى المدرسة والمجتمع.

وللمعلم فى تنمية المهارات أثر بارز، وللأنشطة المدرسية أثر آخر، وللمرافق المدرسية ونظافتها ونظامها وجمالها أبلغ الأثر فى تنمية مهارات المتعلم فى مجالات عديدة.

– وتربية المهارات الفكرية والخلقية والسلوكية هى الركيزة التى تقوم عليها تربية الحس الجمالى عند الإنسان(١).

والمهارات حِرف تُتعَلَّمُ وتنفع صاحبها.

● ومنهج الإسلام فى التربية لا يقل اهتمامه بالحرف عن اهتمامه بكل ما له علاقة بالإنسان ، وفى كتابنا «التربية الجمالية الإسلامية» تحدثنا عن الحرفة فى القرآن الكريم والسنة النبوية، وعن حِرَف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعن حرفة العبد المؤمن ومكانتها فى شخصيته، ومكانة العمل اليدوى عموماً، وأنه عمل شريف يؤجر عليه صاحبه ويغفر له ذنبه إذا أمسى كالاًّ من عمل يده.

٤– تربية قوة الجسد :

ذلك هو البعد الرابع من الأبعاد التى تتحرك فيها التربية الجسدية لكى تحقق للجسد قوة تعينه على أداء وظائفه فى الحياة.

وتقوية الجسد واجب شرعى على الإنسان، وعلى كل من يسهم فى تربية جسد الإنسان لكى يتمكن من عبادة ربه والقيام بما أوجب عليه من واجبات تحتاج إلى قوة الجسد.

وتقوية الجسد كما تقوم على مَدِّه بأسباب القوة من غذاء وعمل ومنعه من أسباب الضعف كالمرض والكسل؛ فإنها تتناول تدريبه وتحريك عضلاته وأعضائه كلها من خلال عملين تربويين هما : اللعب، والرياضة البدنية، ولكل منهما حديث.

أ– اللَّعِب :

وهو اشتراك الفرد فى نشاط رياضى أو ترويحى.

وقد يكون اللعب حُرًّا أى يجىء من واقع طبيعى.

---

(١) أوضحنا ذلك بتفصيل فى كتابنا «التربية الجمالية الإسلامية» وهو الحلقة التاسعة من هذه السلسلة. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية. ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

وقد يكون منظمًا يسير وفق قوانين وأنظمة معينة.

واللعب أنسب للأطفال، والألعاب الرياضية أنسب لمن تجاوزوا سن الطفولة.

– وإعطاء الأطفال فرصة للعب تربية جسدية وعقلية ونفسية واجتماعية لهم، فمن الواجب أن يلعبوا لينموا أجسادهم وعقولهم وحسَّهم الاجتماعى، وخيالهم ورغبتهم فى التنظيم وفى التعبير عن ذواتهم، ويرى بعض علماء التربية أن الكبار والمعلمين ليس لهم أن يتدخلوا فى لعب الصغار إلا بمقدار ما يحول بين الصغار ووقوعهم فى الأخطار.

– ويرى كثير من علماء التربية أن اللعب أفضل من الألعاب الرياضية الجمعية التى تخضع لبرامج معينة، ويعللون لذلك بقولهم:

إن اللعب يستلزم اشتغال جميع الحركات التى تمليها اختيارات الطفل الطبيعية، وتلبى كل اهتماماته، فضلاً عما تحدثه له من سرور ورضًا، وثقة فى النفس تدفعه إلى التشوق للعب والتحمس لممارسته، وفى الوقت نفسه تجنبه التَّعَب الجسدى الذى تفرضه عليه الرياضة البدنية.

واتفق علماء التربية على أن اللعب ينمى فى الطفل عادات وخصالاً وقيمًا خلقية عديدة مثل:

- قيمة حرية الاختيار التى تنمى الإرادة.
- وقيمة المبادرة الذاتية إلى ما يحبه من اللعب.
- وقيمة الصبر والدأب والعزم والتصميم.
- وقيمة التعاون مع من يشاركه فى اللعب.
- وقيمة التضامن والاندماج مع الآخرين.
- وقيمة المنافسة.
- وقيمة احترام قانون اللعب، وهذا تمهيد لاحترامه قانون بلاده.
- وقيمة تكوين الطبع السليم الفاعل الحر.
- وقيمة المحاولة للتغلب على المشكلات والعقبات التى تحول بينه وبين اللعب الذى اختاره.

ولعل هذه القيم والخصال التى يحققها الأطفال من خلال ممارستهم للعب – حتى وإن لم يشعروا هم بذلك – لعل هذه القيم تقنع بعض الذين يعترضون على لعب الأطفال، ويريدون أن يُضْفُوا عليهم الجِدّية والرزانة متجاهلين طبيعة العمر الذى يعيشونه.

ب- الألعاب الرياضية:

التربية الجسدية يجب أن تشتمل مع اللعب على الألعاب الرياضية أو التربية البدنية، لأنها جزء منها، فلا جسد يُعد صحيحًا سليمًا دون أن يمارس رياضة بدنية تنشط الجسد، وتقويه، وتمكنه من إنجاز مهارات تمكن الإنسان من التغلب على المصاعب التي تواجهه في حياته.

- التربية الرياضية تكسب الجسد قوة وتولد فيه طاقات كامنة ، وتدربه على الصبر والاحتمال، وتوسع قدراته على التصرف الملائم، وتنمي فيه روح العمل الجمعي، وتعوده دقة التوقيت، والسرعة الحركية، وسرعة الاستجابة، ورباطة الجأش، ومقاومة التعب والإعياء، والثقة بالنفس عند النجاح في أداء هذه التدريبات البدنية.

- ولو ذهبنا نعدد فوائد التربية الرياضية للجسد لتوسع بنا الكلام، ولكن حسبنا في هذا المجال أن نذكر الفوائد التالية:

- تعويد الجسد على المرونة في الحركة والليونة في أدائها برشاقة.
- وتقوية أعضاء الجسد بالمران والتدريب.
- وإعانة أعضاء الجسد على أداء وظائفها على نحو أفضل.
- والتعود على بذل الجهد البدني.
- وتحمل التعب والصبر عليه.
- وتمكين الجسد من النمو الجيد الذي يمنحه القدرة على ممارسة الأعمال التي تقتضيها حياته.
- وتمكين الجسد من ضبط حركته مع حركة اللاعبين.
- وتوليد المهارات العديدة بتعدد التمرينات والتدريبات بشكل منتظم.
- والتربية البدنية تحول بين الجسد والأمراض التي يتسبب فيها خمول الجسد وكسله وتوقفه عن الحركة والتدريب.

- كما أن للتربية الرياضية فوائد نفسية وخلقية وسلوكية واجتماعية عديدة، نذكر منها:

- أنها عندما تقوى الجسد تبعث في النفس ثقة واعتزازًا بالذات، نتيجة لهذه القدرات والمهارات التي أحدثتها التربية الرياضية في جسد الإنسان.

- وتعوده التلاؤم والانضباط فى حركاته وسكناته مع حركات الآخرين وسكناتهم، وفى هذا الانضباط مزيد من الشعور بالرضا والسعادة والثقة بالنفس.
- وتعوده على الصبر والتحمل والقدرة على بذل المجهود البدنى أولاً، ثم بذل أى مجهود آخر بعد ذلك، دون إحساس بالغرور أو الزهو أو الإعجاب بالذات.
- والتربية الرياضية تعلم الرياضى القصد والاعتدال فى رياضته وفى عمله، لأنها تحارب الإفراط والتفريط.
- وتدربه على التعاون مع الآخرين تعاونًا يصل فى بعض الألعاب إلى حدّ التكامل، لما تُلْزِمه به من عمل ومران وتدريب، وإصرار على بلوغ الهدف.
- وتقوى فيه الحسّ الاجتماعى؛ عن طريق الارتباط بالفريق والتجاوب معه فى إحداث حركات وأشكال جمالية، لما فيها من ترتيب ونظام ودقة ومهارة.
- وتعوده على الطاعة والالتزام والانتظام ، وحب العمل فى جماعة، والاندماج فى هذه الجماعة.
- وتعوده أن يبذل أقصى ما فى وسعه من جهد عن رضا واقتناع بما فى بذل هذا الجهد من فائدة خُلُقية له ولغيره من المشاركين معه فى بذل هذا المجهود الرياضى.
- وتعوده على نسيان ذاته أى التواضع، واندماجه فى الفريق، واعتزازه بهذا الاندماج.
- وتلقنه أعظم الدروس من خلال تذكيره بنعم الله تعالى عليه، ومنها نعمة الجسد الصحيح السليم المعافى.

– والتربية الرياضية بكل ما لها من فوائد جسدية ونفسية واجتماعية ليست غاية فى ذاتها، وإنما هى وسيلة من وسائل تقوية الجسد وإحداث توازن فيه، كما أن التربية الجسدية ليست غاية فى ذاتها، وإنما هى وسيلة تستهدف أن يعيش الإنسان قادراً على العمل والأداء، وأن كل مفردات التربية الإسلامية ليست غايات فى ذاتها، وإنما هى وسائل لتصحيح حياة الإنسان وجلب المصالح له، ودفع المفاسد عنه، والغاية هى عبادة الله وحده لا شريك له كل أنواع العبادة التى شرعها وجعل ذروة سنامها الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

رابعًا : منهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان :

يقوم منهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان على عدد من الحقائق الراسخة الصادقة التى جاء بها الوحى على لسان النبى الخاتم محمد ﷺ الذى أمره الله بأن يبلغها لعباده، فقال له: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ... ﴾ [المائدة: ٦٧] والوحى الذى أنزل من عند الله يشتمل على عدد من الحقائق؛ منها ما يتصل بذاته سبحانه وملائكته وعالم الغيب كله، ومنها ما يتصل بالكون وما فيه من مخلوقات، ومنها ما يتصل بالرسل والأنبياء، ومنها ما يتصل بالإنسان جسده وما يحويه من روح وعقل وقلب وجوارح وحواس.

هذه الحقائق التى يقوم عليها منهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان هى:

– أن الله تعالى هو خالق الإنسان جسده وروحه وعقله.

– وأن للإنسان طبيعة فطره الله عليها ذات مطالب وحقوق.

– وأن أعضاء جسد الإنسان يجب أن تتجنب ما حرّم الله تعالى.

– وأن الإسلام يحرم إفناء حياة الإنسان أو إفسادها.

– وأن للإنسان حياتين دنيا وأخرى وأن عليه إصلاحهما.

ولنلق ضوءًا على كل حقيقة من هذه الحقائق الخمس ونوضح موقف الإنسان منها، الإنسان جسده وروحه وعقله وحواسه وجوارحه، والله سبحانه ولى التوفيق والسداد.

١ – الله تبارك وتعالى هو خالق الإنسان:

تلك حقيقة يقوم عليها منهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان وروحه وعقله وكل ما يتصل بحياته، ويترتب على هذه الحقيقة أن يؤمن الإنسان بأن الله تعالى أدرى بهذا الجسد وبما يصلحه وما يفسده أو يعطل قواه؛ فإذا أمر الله تعالى بشىء يخص هذا الجسد فإن على الإنسان العاقل أن يستجيب لأمر الله دون تردد ، بل عليه أن يقبل عليه لأن فى الأخذ به نجاته، وفى تركه هلاكه؛ لأن الله تبارك وتعالى هو خالق هذا الجسد العليم به الخبير بأسراره، وما فيه من أجهزة وجوارح وحواس، وبما يتسبب فى صحته وعافيته، أو سقمه ومرضه؛ فإذا نهى الله عن شىء له صلة بالجسد فى مطعمه أو مشربه أو ملبسه أو مسكنه أو منكحه أو قوله أو عمله؛ فإن على الإنسان العاقل أن ينتهى عما نهاه الله عنه لأن اقترابه مما نهى الله عنه

يلحق به ضرراً قد يصل إلى حد الموت والفناء، أو المرض أو الضعف أو العجز عن ممارسة الحياة.

– هذه الحقيقة أساس من أسس بناء الإسلام لجسد الإنسان فإذا لم يسلم بها الإنسان، ويتجاوب مع متطلباتها فهو عدو نفسه وملحق بجسده أبلغ الأضرار فى الدنيا، ومعرض نفسه لعذاب الله تعالى فى الآخرة لأنه عصاه فلم يمتثل أمره ولم يجتنب نهيه.

– وعندما يعرض للإنسان عارض فيمرض أو يضعف أو يعجز عن أداء بعض وظائفه فى الحياة، فعليه أن يستمر على امتثال أمر الله تعالى واجتناب نهيه، وأن يعتبر ما أصابه من البلاء، وعلاج البلاء عند المسلم هو الصبر عليه واحتساب الأجر عند الله تعالى، وعليه أن يلهج بدعاء الله والثناء عليه وحمده، والإكثار من ذكره، مع الأخذ بالأسباب والتداوى، فتلك سنة نبينا عليه الصلاة والسلام، وهديه فى الصحة والمرض، ولنا فيه الأسوة الحسنة على كل حال.

ومن أدب الإسلام عند المرض الصبر وترك الشكوى، واللهج بالدعاء.

٢ – وأن للإنسان طبيعة فطره الله عليها لها حقوق ومطالب:

تلك هى الحقيقة الثانية التى يقوم عليها منهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان، ويترتب على هذه الحقيقة احترام هذه الطبيعة الفطرية والاستجابة لمطالبها المشروعة.

إن منهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان لا ينكر على الإنسان أن يعبر عن مطالب جسده فى إطار المنهج الذى شرعه الله يطب لكل شيء، ويحل كل إشكال؛ لأنه المنهج الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد.

وتتاح لنا فرصة هنا أن نؤكد أن جميع الأديان السماوية الصحيحة تعمل على بناء الإنسان بناءً صحيحًا سليمًا ؛ لأنها بحكم كونها من عند الله تتجاوب مع طبيعة الإنسان لأنها فطرة الله التى فطر الناس عليها.

– هذه الطبيعة التى فطر الله الناس عليها طبيعة بشرية فيها رغباتها وشهواتها، وفيها قصورها ونقصها، ومنهج الإسلام فى تربية هذه الطبيعة البشرية هو أن يسمح لها بالتعبير عن رغباتها وشهواتها فى الإطار الصحيح الذى لا يجلب لها ضرراً فى دينها أو دنياها، بل يضمن لها الصحة والسلامة، إن منهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان منهج واقعى يعترف بحاجات الجسد وينظم الحصول عليها ويعرف قصور الإنسان وتقصيره، ويتيح له

باب الاستغفار والتوبة إلى أوسع مدى، وتلك منحة من الله جاءت نتيجة لما ركبه الله تعالى فى طبيعة البشر من قصور، وما فطرهم عليه من رغبة فى تلافى هذا القصور.

- وبعض المناهج تجاهلت هذه الطبيعة البشرية فأدانت الإنسان على كل تعبير عن رغباته وشهواته وتصورت انه يستطيع أن يتناسى هذه الرغبات والشهوات ليسمو ويعلو على حساب تجاهل فطرته، فأخطأت هذه المناهج عن طريق بناء جسد الإنسان وأفسدت عليه دنياه ولم تصلح له آخرته.

- وبعض المناهج أعطت الجسد الإنسانى الحق فى التعبير عن رغباته وشهواته دون ضابط أو رابط، فأصبح هو والحيوان سواء فى تحقيق حاجاته، فأخطأت هذه المناهج طريق بناء جسد الإنسان، فافسدت على الإنسان دنياه وأخراه.

وجاء منهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان واقعيًا إنسانيًا قادراً على الإصلاح والبناء.

٣- وأن أعضاء الجسد يجب أن تتجنب ما حرَّم الله:

تلك حقيقة من الحقائق التى يقوم عليها منهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان، لأن الله تعالى ما حرَّم على الإنسان إلاَّ ما يضره فى دنياه وآخرته.

- ولقد وجَّه منهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان إلى الامتناع عن كل ما حرم الله تعالى، وطالب أعضاء الجسد مجتمعة فى صورة الجسد، ومنفصلة عضواً عضواً إلى ممارسة أعمال وأخلاق وسلوك تكون فى ممارستها المصلحة وفى تركها المفسدة، فما من فضيلة إلا وأمر الله بممارستها والتمسك بها، وما من رذيلة إلا نهى الله عن الاقتراب منها.

- وأعضاء الجسد الإنسانى التى قد تسعده أعمالها أو تشقيه هى: اللسان، والعين، والأذن، واليدان، والرجلان ، والبطن ، الفرج.

ولكى يبنى الإسلام هذا الجسد الإنسانى ويوجه أعضاءه ويسدد أعمالها حرم على كل عضو منها ما فيه ضرر وخطر، وخسارة فى الدنيا والآخرة وعلى سبيل المثال :

- فقد حرَّم الله على اللسان الكذب والغيبة ومدح الناس فى وجوههم، والفحش والبذاء، والخوض فيما لا يعنيه، وشهادة الزور وقوله...
- وحرّم على العين النظر إلى ما حرّم النظر إليه من عورات، وحرم عليها النظر إلى أحد أو شيء يخص أحداً من الناس قبل أن يستأذن، وحرّم النظر إلى داخل بيوت الناس دون استئذان...

● وحرّم على الأذن أن تستمع إلى ما حرّم الله الاستماع إليه، والاستماع إلى اللهو والباطل وكل ما يصد عن ذكر الله.

● وحرّم على اليدين العدوان والبطش، وأن تمتد بالسرقة إلى أموال الناس وأشيائهم، وحرّم الغَصْب والاختلاس...

● وحرّم على الرجلين السعى والمشى إلى ما حرّم الله من باطل وضلال، وكل ما يغضب الله السعى إليه كأمكنة الريب والشبهات ونحوها ....

● وحرّم على البطن أن يدخلها طعام أو شراب حرّمه الله تعالى، وأن يدخلها خبيث أو ضار من الطعام أو الشراب، وحبب إليها عدم الامتلاء بالطعام ووَضع للطعام والشراب شروطًا وآدابًا.

● وحرّم على الفرج أن يوضع فى حرام، فحرم الزنا واللواط والسحاق وإتيان البهائم، بل حرم إتيان الزوج لزوجته فى دبرها وقصر الجماع على القبل ومقصد الولد...

وهكذا وجّه منهج الإسلام فى تربية الجسد الإنسانى هذه الأعضاء وسدّد أعمالها، وجعل على كل مخالفة عقوبة، فبنى بذلك جسداً إنسانيًا طاهراً قويًا فاعلاً.

٤- وأن الإسلام يحرم إفناء هذا الجسد أو إفساده:

وتلك حقيقة يجب أن يؤمن بها الإنسان، وأن يحترمها، ويحرص على الالتزام بها.

- ومنهج الإسلام فى بناء جسد الإنسان لابد أن يحرم هدم هذا الجسد أو إفناءه أو إفساده، سواء أكان هذا الإفناء أو الإفساد ماديًا أو معنويًا، سريعًا أو بطيئًا؛ لذلك حرّم الإسلام قتل النفس إلا بالحق، وحرّم الانتحار وسماه مبادرة من العبد لربه بالتخلص من حياته التى هى منحة من الله تعالى يستردها وقتما يشاء، ولا يسمح لأحد أن يعجل بالتخلص منها.

- وضخم الإسلام عقوبة قتل النفس بغير حق فجعل عقوبتها القتل قصاصًا، وضخم من حرمة النفس فقرر أن أهل قرية بأكملها لو تمالأوا على شخص فقتلوه - دون وجه حق - قُتلوا جميعًا به، وأعلن أن أسوأ ما يلقى الإنسان به ربه هو سفك دم حرام، بل حرّم قتل كل ذى روح ما لم يكن لضرورة.

- وجعل عقوبة الإفساد لأى عضو من أعضاء جسد الإنسان قصاصًا من نفس العضو المماثل فإن تعذر التماثل فى القصاص أحل محله غرامة مالية تناسب مكانة العضو الذى أفسد.

– ولم يسمح الإسلام بان يعرّض الإنسان نفسه للقتل إلا فى الجهاد فى سبيل الله والحرص على الاستشهاد فى سبيله تعالى، وجعل هؤلاء الشهداء فى أعلى المنازل يوم القيامة.

– إن منهج الإسلام فى بناء الإنسان قد كفل لهذا الجسد حياة دنيوية صحيحة، لو اتبع الإنسان فيها ما جاء به الرسول الخاتم ﷺ لكفل لنفسه حياة أخروية آمنة من عذاب الله مطمئنة فى جنة النعيم.

إنه المنهج الذى كفل لجسد الإنسان روحه وعقله وخُلُقِه وسلوكه حياةً إنسانية كريمة دون أن يحيف جانب من حياة الإنسان على جانب.

٥– وأن للإنسان حياتين دنيا وأخرى وأن عليه إصلاحهما:

وتلك حقيقة راسخة يقيم عليها الإسلام منهجه فى بناء جسد الإنسان وبناء كيانه الإنسانى السلوكى والاجتماعى، وهذه الحقيقة قررها الله تعالى فى كل دين من الأديان السماوية، وجاء عنها فى الدين الخاتم والكتاب الخاتم قوله تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. فالآخرة دار جزاء والدنيا دار عمل وابتلاء.

– وهذه الدنيا بما فيها وما يدب عليها من مخلوقات وما تزخر به أرضها ومياهها وسماؤها من نعم وأسباب تمد الإنسان بحاجاته لو أنه أحسن التعامل معها، فجد واجتهد وأحسن التعامل مع نواميس الدنيا وقوانينها، وسننها، لعاش حياته الدنيا راضياً وحياته الأخرى مرضياً عنه من ربه سبحانه وتعالى.

إنه لو لم يكن هناك جزاء ما كان هناك عمل، ولو لم يكن هناك حساب لاستوت الطاعات والمعاصى، واستوى الصالح والطالح، وحاشا لله تعالى أن يكون قد خلق الناس عبثًا، أو أن يكون الناس غير راجعين إلى ربهم فمجازيهم بما كانوا يعملون..!!!

– إن الإسلام وهو يبنى جسد الإنسان بناءً صحيحًا سليمًا يؤكد أن هذا الجسد القوى يجب أن يوظف فى الدنيا وفق سنن الله تعالى فى خلقه، وألا تغره قوته، ولا تطغيه قدرته لأنه على الرغم من ذلك كله ضعيف، وأن الله تعالى يريد بتشريعاته أن يخفف عنه، ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٢٨]. إن ذلك من صميم منهج بناء الإنسان لدنياه وآخرته.

خامساً: تعريف ببعض المصطلحات التى تتصل بموضوع الكتاب:[1]

١- الأمراض الجسدية:

هذه الأمراض نوعان كبيران، تحت كل نوع منهما عشرات الأمراض، وهذان النوعان هما:

أ - الأمراض التى يولد بها الإنسان (العاهات والنقائص).

ب- والأمراض التى تعرض للإنسان بعد ولادته.

والتربية الجسدية تستهدف تخليص الإنسان من هذه الأمراض من خلال العناية بتربية جسده تربية شاملة يدخل فيها العلاج والتداوى.

٢- البَدَن:

البدن هو الجسد، أو هو ما سوى الرأس والأطراف من جسم الإنسان.

وتطلق كلمة البدن اعتباراً بعظم الجثة، فى مقابل إطلاق كلمة الجسد اعتباراً باللون.

وبَدُن: سَمِن، وبدَّن: سَمِن أو أَسَنَّ، ومن هذا المعنى ما رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«لا تبادرونى بركوع ولا سجود... إنى قد بدَّنتُ»** أى كبرتُ وأسننت.

وبدَّن: من معانيها أسنَّ وضعف.

٣- البيئة التربوية:

البيئة هى: المجال الذى تحدث فيه الإثارة أو التفاعل لكل وحدة حيَّة. وهى كل ما يحيط بالإنسان من طبيعة ومجتمعات بشرية ونظم اجتماعية وعلاقات شخصية.

والبيئة التربوية هى: العوامل التى تؤثر فى تربية الإنسان، وفى توجيه سلوكه، وتلك العوامل هى: الأسرة والمسجد والمدرسة والمجتمع والدولة، ويضاف إلى هذه العوامل الآن المجتمع العالمى نتيجة لقرب بلدان العالم بعضها من بعض بسبب تقدم الاتصالات والمواصلات وثورة المعلومات.

فكل هذه العوامل تسهم فى تربية الإنسان عموماً، وتربية جسده على وجه الخصوص.

---

(١) رتبت هذه المصطلحات ترتيباً هجائياً، ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة.

٤ – التأهيل :

هو مساعدة الأفراد ذوى العاهات وعونهم على استقلال قدراتهم ومواهبهم للقيام بالعمل الذى يلائمهم، لكى يستطيعوا إعالة أنفسهم.

وللتأهيل مراكز عديدة ، بعضها مهنى، وبعضها خدمى، وبعضها تدريبى تشغيلى.

وتأهيل الجسد الإنسانى مساعدته على أن يؤدى وظائفه على الوجه الصحيح الذى يعزز إنسانيته وكرامته.

وهذا التأهيل يستخدم الغرائز الفطرية فى الإنسان استخدامًا أشمل وأعمق مما يستخدمها الترويض – كما سنتحدث عنه فى هذه المصطلحات.

والتأهيل بهذه المعانى يمتد إلى أجيال متعاقبة، بل يجب أن يمتد، لأن امتداده فى صالح تربية جسد الإنسان.

٥ – التربية البدنية :

هى إحدى وسائل تربية الإنسان، وجُل اهتمامها ببدنه، ولكنها لا تستطيع أن تتجاهل تربيته الروحية والخلقية والعقلية وغيرها، إذ لابد من التلاؤم بين كل أنواع التربية التى يحتاج إليها الإنسان.

وما دامت التربية البدنية من أنواع التربية ، فلابد أن تكون منهجية منظمة، على خلاف اللعب، فإنه كثيراً ما يكون غير خاضع لمنهج أو نظام.

وغاية التربية البدنية الصحة، والصحة فى الإنسان تعنى القوة والجمال، وكلاهما يُعبَّر عنه ببدن قوى ذى تركيب متناسق متين.

والتربية البدنية – وهى تسعى إلى تحقيق غاياتها – تعمل ما فى وسعها على استغلال ميول الفرد للنشاط الحركى، سواء منه ما كان فرديًا أو جمعيًا.

وتعمل التربية البدنية على تزويد الفرد بصفات سلوكية جيدة ونافعة، مثل حب النظام والتعاون، والاعتماد على النفس، والقدرة الحركية ، والنشاط، وغيرها من الصفات الحميدة.

٦- التربية الجسدية:

ليس من المبالغة القول بأن التربية الجسدية هى الأساس الذى تستند إليه كل أنواع التربية، لأن جسد الإنسان هو على وجه من الوجوه الإنسان نفسه، لأن الجسد وعاء الروح والعقل والحس والشعور.

وتربية الجسد تعنى أن يكون هذا الجسد أو الإنسان قويًا قادراً على ممارسة الحياة الإنسانية بكفاءة وقدرة على التغلب على عوامل الضعف الجسدى المادية والمعنوية على السواء، لأنها تستهدف الصحة الجيدة للإنسان.

ولأن التربية الجسدية هى موضوع الكتاب كله، نكتفى فى الحديث عنها هنا بهذا القدر، وسنتوسع فى الحديث عنها فى سائر الكتاب، إذا أذن الله تعالى وأعان.

٧- التربية الجنسية:

هى تبصير الإنسان منذ سنوات عمره الأولى «العقد الأول مثلا» بالقضايا التى تتصل بالجنس الآخر ولداً وبنتًا، فى ظل ما شرع الإسلام وما أباح، وفى ظل أدب الإسلام وكناياته وتورياته التى لا تجرح شعوراً ولا تجَرّئ على الوقاحة أو على فاحش من الكلام.

ونحن المسلمين لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد علمنا رسولنا ﷺ أن نعلم أبناءنا وبناتنا أن يستأذنوا إذا دخلوا علينا فى أوقات العورات الثلاث من قبل صلاة الفجر، وحين وضع الثياب من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء - وهذا بدء جيد للتربية الجنسية وفيه إشارة وإيحاء تربوى مُعَلّم ومنبّه.

ثم نعلمهم أدب النظر، وأدب غَضّ البصر ، ثم ينمو الصغير فيتعلم من دينه أدب الخطبة وأدب البناء بالأهل ، وأدب العشرة الزوجية.

وكل معلومة عن الجنس تؤخذ من مصادرها الموثوق بها - الأسرة والمسجد والمدرسة - فهى أمتن وأصدق من أى معلومة عن الجنس تتسرب إلى الصغار أو الشباب عن طريق الزملاء، أو عن طريق تجار قصص الجنس وأفلامه.

ومبدأ الإسلام الراشد المعلم هو: «لا حياء فى الدين» فلكل سؤال حول الجنس جوابه الحكيم.

أما الذين يحيطون الموضوعات الجنسية بالصمت ورفض الحديث فيه، فذلك من الخطر الوشيك الداهم، لأن الزملاء ومن ليسوا أهل ثقة سوف يتحدثون، وفى ذلك الموقف عون للشيطان على الإنسان.

٨- التربية الخلقية:

أفردنا لها كتابًا بعنوان «التربية الخلقية» هو الحلقة الثانية من هذه السلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» صدر عام ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م عن دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٩ - التربية الروحية:

أفردنا لها كتابًا بعنوان «التربية الروحية» هو الحلقة الأولى من هذه السلسلة صدر عام ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م عن نفس دار التوزيع المشار إليها آنفًا.

١٠- التربية الرياضية:

تتوجه هذه التربية إلى الجهاز الحركى فى الإنسان فتعينه على الاكتمال، ومع اكتمال عمل الجهاز الحركى يتقدم الوعى والتفكير ويتعمق التدريب والتدرب، ويتعلم الإنسان الدقة فى الأداء وحسن التوقيت لما يؤديه.

وتشتمل التربية الرياضية على طائفة من التمرينات والتدريبات البدنية المحددة بزمان بعينه ومكان ملائم، كما تشتمل ألعابًا جمعية تعمق القدرات المهارية وتنميها، وتدرب على السرعة ورباطة الجاش.

والتربية الرياضية قادرة على إحداث أحسن الأثر فى أولئك الذين يعانون من البطء أو العجز الحركى، أو يعانون من الضعف العقلى.

وأهم آثار التربية الرياضية هى أنها:

- تعين من لديه قصور حركى، أو سوء دقة حركية على أن يتلافى هذا القصور، وذاك الخلل فى الدقة الحركية.
- وتعين من يعانى من ضعف عقلى على أن ينسق بين استجاباته الحركية التى يعبر بها عن انفعالاته تنسيقًا جيدًا.
- وتقوى الإرادة، وتسهم فى تنمية خصال العزم والاحتمال، وهذا وذاك طريق إلى زيادة نشاط العقل وتنمية طاقات الجسد.

١١- التربية العقلية:

أفردنا لها كتابًا بعنوان: «التربية العقلية» هو الحلقة الثالثة من هذه السلسلة صدر عام ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، عن دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٢- التربية المهارية :

وهى التى تعنى بتربيـة المهارات لدى الإنسان، أو التدرب على إيجادها إن لم تكن موجودة، أو تقويتها إن كانت ضعيفة.

وأغلب هذه المهارات ، مهارات يدوية، لها علاقة مباشرة بتربية عضلات الإنسان وأعضائه، وبخاصة اليد، التى تنمو مهاراتها بالتدريب، وعندما تحدث المهارة اليدوية فإن معنى ذلك تربية وتنمية ذكاء الإنسان العملى - أى القدرة على معالجة الأشياء.

- وقد اتفق كثيرون من علماء التربية على أن تدريب المهارات وتنميتها عمل ذو قيمة نفعية للإنسان، بل له قيمة تربوية لا تقل - إن لم تزد - من قيمتها الجسدية والنفعية.

١٣- التربية المهنية :

هى تدريب الأفراد وتأهيلهم لأداء أعمال أو مهن معينة بإتقان وكفاءة مناسبتين للمتدرب وللمهنة نفسها.

والتربيـة المهنيـة لا ينبغى أن توجه لفريق من الأفراد دون فريق - فى مجال التعليم ومدارسه - إذ لا توجد وظيفة اجتماعية للإنسان أو لمهنة من المهن لا يحتاج إلى تدرب وتربية، لأنه لا توجد مهنة يولد بها الإنسان.

والثقافة المهنيـة يجب أن تشمل جميع المتعلمين، وبخاصة ما كان متصلاً بالمهن الصغيرة، أو المهن العامة غير المتخصصة.

- والتربية المهنية يجب أن تكون فى جميع مستوياتها ذات مراحل ملائمة لمن يتدرب على تلك المهنة، كما يجب أن يكون هذا التدريب ممزوجًا - فى مراحل التعليم كلها - بالقيم الخلقية والاجتماعية والجمالية.

- كما أن التربية المهنية يجب أن تأخذ فى اعتبارها حاجات المجتمع الاقتصادية، وأن تحاول الاستجابة لسد الفراغ فيها.

١٤- التربية النفسية :

اتفق علماء التربيـة على أن الإنسان لا يستطيع أن ينمو نموًا متكاملاً إلا من خلال حلقات عديدة من البِنَى النفسية، التى تتلاءم كل بنية منها مع البيئة التى تقابلها ، وهذا التلاؤم النفسى مع البيئة يحدث توازنًا وظيفيًا يساعد الإنسان على أن يحقق أهدافه، بل يعينه على أن يكون ذا وعى وبصر بالحياة الاجتماعية.

وهذا بدوره يؤدى إلى تطور القيم التى يؤمن بها الإنسان إلى ما هو أرقى وأعلى، وعلى سبيل المثال:

– فإن قيم الحق والخير تتحول وتتطور إلى قيم الفن والجمال.

– وقيم الفن والجمال تتحول وتتطور وتفرز قيم الحب.

– وقيم الحب تسمو وتعلو فتؤدى إلى قيم التقوى وخوف الله تبارك وتعالى، وهذا ما يقره ولا يعترض عليه علماء التربية المسلمون، لأن التربية الإسلامية سلسلة من حلقات متصلة يفضى بعضها إلى بعض، وترتقى كلما تضامت حلقاتها نحو الهدف الأكبر وهو القرب من الله وطاعته باتباع رسوله الخاتم ومنهجه الخاتم(١).

١٥– الترويض:

الترويض هو تكوين عادات وآليات جاهزة لدى الكائن الحى. وهو أكثر ما يستعمل مع الحيوان، وإن كان للإنسان منه نصيب لا بأس به ولا مذمة ولا حذر فيه.

والترويض بالنسبة للإنسان مناسب لسنٍ بعينه، وإن كان أليق بالإنسان فى سنوات تعلمه، والإنسان أولى به عندما تقتضى ذلك ظروف بعينها.

– ويتم الترويض من خلال التعليم والتدريب المستمر على ممارسة حركات بعينها تكون فى الغالب مصحوبة بانفعالات ذات صلة بها قريبة.

– وأصل الترويض بدأ حينما حاول الإنسان أن يخضع بعض الحيوان – من أجل الحصول على طعام أو شراب – ليقوم بحركات بعينها ، وربط هذا بذلك حتى نجح فى هذا الترويض، وبالتالى فإن الحيوان الذى رُوِّض قد فقد بعض خواص أسلافه، وخرج على ما كان معهوداً مألوفاً من هؤلاء الأسلاف.

– ويسمى الحيوان المروض على الإتيان بهذه الحركات، مُدَجَّنًا أو مستدجنًا؛ لأنه روض على ما ليس فى طبعه.

– والتربية عمومًا، والتربية الجسدية على وجه الخصوص، يُحتاج فيها فى بعض الأحيان إلى ترويض، أى تغيير نحو الأحسن والأفضل، وبالنسبة للإنسان نحو الأقرب إلى الله تعالى والأرضى له سبحانه.

---

(١) هذا ما حاولناه واجتهدنا فى إيضاحه وتوكيد معطياته فى هذه السلسلة المكونة من عشرة أنواع من أنواع التربية تمثل كل منها حلقة متصلة بسائر الحلقات ، ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى ذلك، وأن يأجرنا الله عليه.

١٦- التعب الجسدى:

التعب عموماً هو نقص فى القدرة على أداء العمل الذهنى أو الحركى الحسى وله أسباب كثيرة منها: الجهد المتواصل دون فترات راحة كافية، والشعور بالألم والضيق عند أداء العمل، ومن الناحية العضوية قد يكون سببه زيادة سكر الدم أو تراكم السموم والفضلات فى العضلات والأعصاب، أو اضطراب فى التنفس أو النبض أو ضغط الدم.

- والتعب الجسدى لابد أن يصحبه تعب نفسى، لأن الجسد وعاء للروح والعقل والجوارح والأحاسيس، فلابد أن ينال التعب الجسدى من ذلك كله.
- والعوامل النفسية لها أثر واضح فى التعب أى نقص القدرة على العمل، إذ من المعروف أن العمل الذى يفرض على الإنسان فرضاً يتعبه بأسرع مما يتعب من عمل يحبه ويقبل عليه، وكذلك الشأن فى العمل الرتيب الممل والعمل غير المتنوع.
- والعوامل الاجتماعية تؤثر فى إحداث التعب، إذ من المسلَّم به أن العمل فى جماعة يحول غالباً بين الإنسان وبين إحساسه بالتعب، لهذا ولغيره نفهم معنى أن يد الله مع الجماعة، ومعنى أن الجماعة رحمة والفرقة عذاب، ومعنى أن الجماعة مع الحق، وأن من شذ عنها شذ فى النار. وهذه الكلمات النورانية عن الجماعة هى أحاديث نبوية شريفة تحدث بها المعصوم ﷺ، وذكرناها بتمامها فى ثنايا هذا الكتاب وفى غيره من كتبنا، وكان ذلك من فضل الله وعونه.

١٧- التوازن الجسدى:

كما أوضحنا أكثر من مَرَّة أن الجسد وعاء للروح والعقل والحواس والجوارح، نؤكد أن التوازن الجسدى لابد أن يكون توازناً بين ما يكنه الجسد وما يحتوى عليه من مفردات الإنسان، أى لابد أن يكون التوازن الجسدى توازناً بين الروح والعقل والخلق والحواس والجوارح، بحيث يُعطى كل من هذه القوى حقه من الرعاية والاهتمام وحقه فى التعبير عن ذاته فى إطار ما شرع الله تعالى.

ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة.

- توازن الروح أو النفس يعنى أن تكون الروح متلائمة متوائمة مع ما تؤمن به، وترجوه وتحذره، منسجمة مع ما تطلبه وما يطلب منها، وأن تكون متوازنة مع سائر قوى الجسد.
- وتوازن العقل يعنى أن تكون القوى العقلية متلائمة ومنسجمة بعضها مع بعض كالهَمّ والعزم والإرادة والميل، وأن يكون العقل منسجماً مع حرية الفكر وحرية الاختيار وألا يطغى العقل على سائر قوى الجسد.

- وتوازن الجسد معناه أن يكون الجسد متلائمًا مع سائر أعضائه وحواسه وجوارحه ، وكل قواه، بحيث لا يحدث فى وظائفه خلل أو اضطراب .

- والتربية الجسدية - كما اتضحت لنا أبعادها فى هذا الكتاب - قادرة على إحداث هذا التلاؤم والانسجام للوصول بهذا الجسد إلى ما يرضى الله تبارك وتعالى فى ضوء أن الجسد وعاء للروح أو النفس، وفى إطار قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس : ٧- ١٠] .

١٨- الجسد :

الجسد كالجسم لكنه أخص .

قال الخليل بن أحمد رحمه الله : لا يقال الجسد لغير الإنسان من خَلق الأرض ونحوه .

والجسد يقال لما له لون .

والجسم يقال لما لا يبين له لون كالماء والهواء، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨]، يشهد لما قال الخليل .

وقال عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ** ﴾ [ص : ٣٤]، وقال سبحانه : ﴿ **فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ** ﴾ [طه : ٨٨] .

- والجسد كل روح تمثل بتصرف الخيال المنفصل، وظهر فى جسم نارى كالجن، أو نورى كالأرواح الملكية والإنسانية، حيث تعطى قوتهم الذاتية الخلع واللبس، فلا يحصرهم حبس البرزخ .

١٩- الجسم :

الجسم : ماله طول وعُرض وعمق، فهو جوهر قابل للأبعاد الثلاثة . ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجسامًا وإن قطع ما قطع وجُزّئ ما جزئ، قال الله تبارك وتعالى :﴿ **.... إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ....** ﴾ [البقرة : ٢٤٧]، وقال عز وجل : ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ....** ﴾ [المنافقون : ٤] .

وفى هذه الآية تنبيه على أن العبرة ليست بالأجسام وإنما بما تنطوى عليه هذه الأجسام من قيم .

٢٠- الرياضة:

الرياضة فى تعريفها الدقيق هي: فن تدريب الجسد، جميع أنواع التدريب التى من شأنها أن تقويه، عن طريق حركات مدروسة ونافعة له، وهذه الحركات هى المشى والجرى والقفز والتسلق، والرفع والرمى ، والعوم وأمثالها.

- ورياضة الجسد متنوعة أو يجب أن تتنوع إلى :

- رياضة تنفسية تتكون من مجموعة من الحركات التى تزيد فى الطاقة التنفسية، وتوسع القفص الصدرى، وتجعل التنفس مريحًا.
- ورياضة تقويمية تستهدف علاج التشوهات الجسدية التى يمكن علاجها.
- ورياضة إيقاعية يتعلم منها الإنسان ضبط حركاته وجعلها متوازنة.
- ورياضة بصرية تتدرب العين فيها على رؤية الجمال فى خلق الله تعالى وبديع صنعه.

- والرياضة تستهدف دائمًا النموّ السَّوِيّ للإنسان، ذلك النمو الذى يتناول فى النهاية تكوين الإنسان ذى الصحة الجيدة القادرة على أداء وظائفها من جانب والقادرة على مقاومة الأمراض من جانب آخر.

٢١- الصحة:

هى حالة تمتع الإنسان بكامل العافية البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية، وليست مجرد خلو الإنسان من الأمراض، وقد جاء ذلك فى دستور هيئة الصحة العالمية.

- والصحة العامة بما تشتمل عليه من نشاط اجتماعى وثقافى يتوارثه جيل بعد جيل، هى جزء أصيل من النسق الاجتماعى، لأن هناك علاقة وثيقة بين هذه الصحة العامة والعوامل الاجتماعية العامة، وبين كل ذلك وتلك العوامل الخاصة التى تهدد صحة الإنسان فى المجتمع.

- والصحة أنواع منها:

- الصحة العامة.
- والصحة النفسية.
- والصحة الجسدية.
- والصحة العقلية.
- والصحة المهنية.

● والصحة الاجتماعية.

● وكل هذه الأنواع من الصحة تندمج فى قولنا: «الصحة العامة» وأقوى أسباب هذه الصحة العامة من أجل أن يعيش الإنسان حياة هانئة هادئة، قد أجملها الله تعالى فى قوله الكريم: ﴿.... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا......﴾ [الأعراف: ٧].

فالتوازن فى تناول الطعام والشراب الذى أحل الله والاقتصاد فى هذا التناول، وعدم الإسراف فيه هو المعامل الرئيسى لصحة الإنسان.

وللإسلام فى أدب الطعام والشراب نظام وقيم، جعل بعض علماء الحديث النبوى وبعض الفقهاء للطعام أبوابًا كاملة فى كتبهم، جمعوا فيها ما ورد فى السنة من آداب الطعام.

٢٢- العضلات الجسدية:

وتسمى الجهاز العضلى فى الإنسان.

ويحتوى جسم الإنسان على أكثر من ستمائة عضلة.

- وللعضلات فى الجسم وظائف هامة منها:

● إنتاج الحرارة الداخلية للجسم.

● وتحريك الطعام فى الجهاز الهضمى.

● وضخ الهواء فى الجهاز التنفسى (الرئتين).

● وتمكين الإنسان من الكلام.

● وتمكينه من الحركة والسكون والجرى والتوقف.

- والقلب نفسه - على خطر وظيفته وأهميتها للحياة - هو إحدى عضلات الجسم.

- وحسن أداء الجهاز العضلى ينعكس على حسن أداء جميع أجهزة الجسم الدورى والتنفسى وجهاز الغدد الصم، والجهاز العصبى، وكل جهاز فى الجسم الإنسانى.

- والتربية الجسدية لابد أن تعنى بالجهاز العضلى، فتوفر له فرص الحركة الصحيحة والسكون الصحيح، والأفعال وردود الأفعال، وهو تربية صحية طبية لابد منها لجسد الإنسان.

٢٣- القوة:

هى كل قدرة يمكنها أن تحدث أثرًا.

- وللقوة أنواع عديدة فى مجال التربية عمومًا والتربية الجسدية على وجه الخصوص ومن هذه الأنواع:

● القوة الروحية النفسية التى تعتمد على التجارب الواعية.

● والقوة الاجتماعية، وهى كل دافع يؤدى إلى العمل الاجتماعى.

● والقوة العضلية فى الجسد الإنسانى.

● والقوة العقلية ، وغيرها من القوى .

– وللقوة معان عديدة ورد كثير منها فى القرآن الكريم:

● الجدّ والاجتهاد، كما فى قوله تبارك وتعالى: ﴿ .... فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ..... ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

● والقوة المادية ، كما فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

● والقوة البدنية، كما فى قوله عز وجل: ﴿ نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ... ﴾ [النمل: ٣٣]

● والقوة العلمية، كما يفهم ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ .... كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ... ﴾ [الروم: ٩].

● وقوة البدن والعقل، كما فى قوله جل وعلا: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً .... ﴾ [الروم: ٥٤].

٢٤– اللَّعِب:

اللعب: اللهو، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿ ... أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢].

واللعب بالدين: اتخاذه سخرية، قال الله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ... ﴾ [الأنعام: ٧٠].

– واللعب – فى مجال التربية – هو اشتراك الفرد فى نشاط رياضى أو ترويحى، وهو نوعان:

● لعب حرّ: لا يخضع لقوانين أو أنظمة.

● ولعب منظم: يسير وفق قوانين وأنظمة معترف بها.

– واللعب نشاط اجتماعى يشترك فيه عدد من الأفراد أو الجماعات طبقًا لقواعد معينة، للوصول إلى أهداف محددة.

- وللعب فوائد عديدة منها :

- أنه حافز طبيعي لتصريف الطاقة الزائدة فى جسم الإنسان.
- وأنه ينمى أعضاء الجسد ويقويها.
- وأنه واجب تربوى بالنسبة للأطفال و الصغار.
- وأنه يلبى اهتمامات الصغار، ويجعلهم يقبلون إليه بشوق وحماسة.
- وأنه ترويح عن القلوب والأبدان بعد التعب، لأنه يُذْهب الملل، فقد روى أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنه قالت : قال رسول الله ﷺ : **«خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله عز وجل لا يَمَّل حتى تملوا»**.
- وأنه يدعم القيم الفاضلة فى الإنسان مثل :

المبادرة، والعزم، والحزم، والصبر، والتعاون، والتضامن، والنظام، والدقة، واحترام الوقت.

٢٥- الوظائف العضوية فى الجسد :

الوظائف العضوية فى الجسد هى التى تسيطر فيها وظيفة الحركة العضلية على سائر الوظائف الأخرى.

- وتربية الأعضاء لأداء وظائفها مطلب شرعى تربوى لا غِنَى عنه لأنه بالغ الأهمية فى حياة الإنسان؛ والتقصير فيه تقصير فيما طالب الإسلام به.

- ومن تربية الأعضاء وإقدارها على أداء وظائفها الاهتمام بأمور على جانب كبير من الأهمية مثل :

- تهيئة المكان الذى يمارس الإنسان فيه أى نشاط بدنى أو ثقافى أو اجتماعى أو رياضى، تهيئته من حيث النظافة والاتساع والهواء والضوء والشمس والمزروعات ونحو ذلك مما يعود على الإنسان بالفائدة.
- والعمل على مقاومة التشوهات والنقائص فى جسد الإنسان من خلال الوسائل المشروعة المتاحة ، القادرة على هذا الإصلاح، كالتمرينات الرياضية والعلاج وغير ذلك مما يجعل الجسد قوياً، لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير.

وبعد : فهذه تعريفات لبعض المصطلحات التى لها صلة بالتربية الجسدية نرجو أن تعين القارئ على فهم محتوى هذا الكتاب.

■■■■

الباب الأول

حقوق الجسد لكى يعيش ويؤدى وظائفه

وفيه فصول ثلاثة:

الفصل الأول:

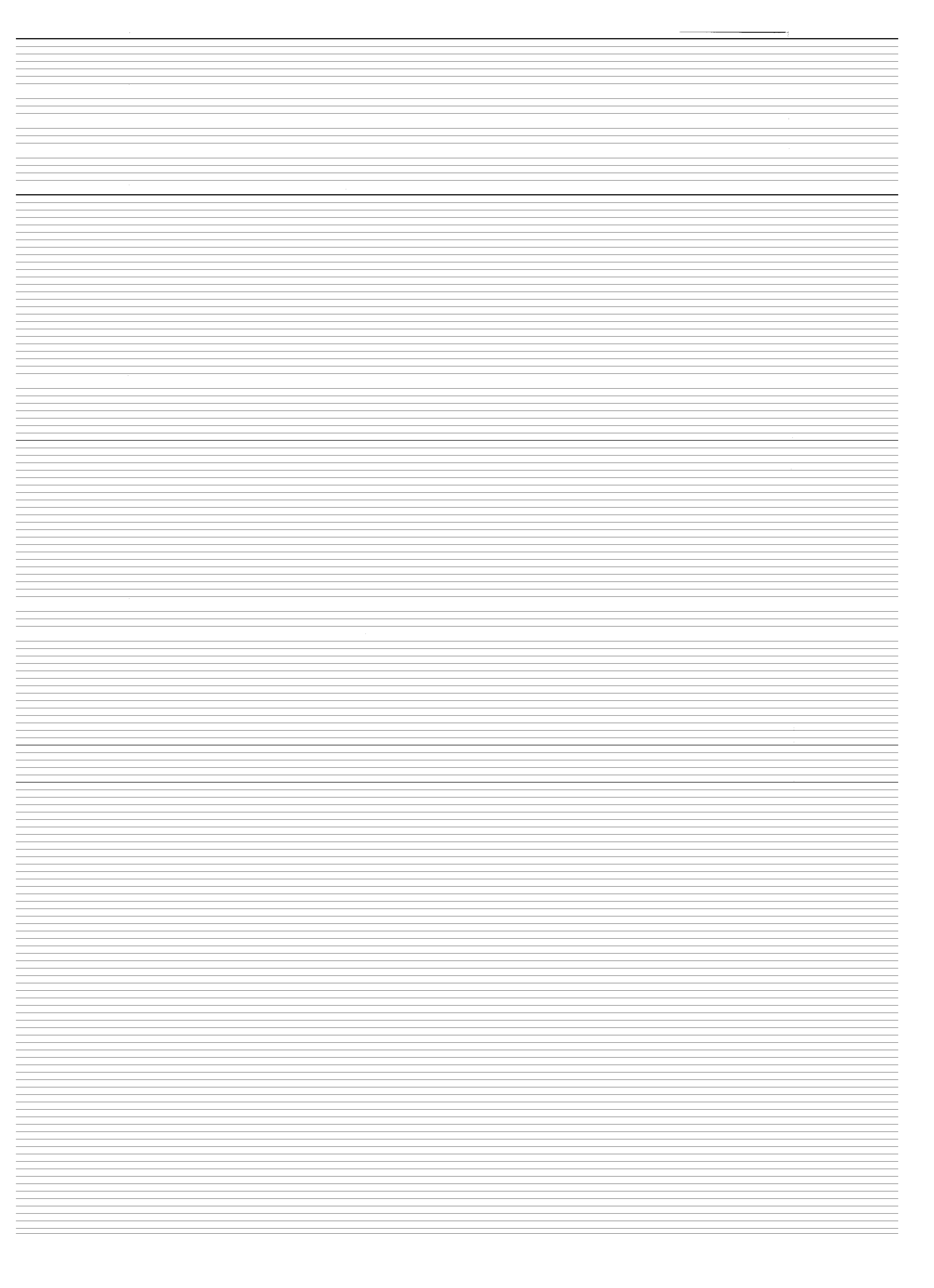
الحقوق والمتطلبات الأساسية للجسد.

والفصل الثانى:

الحقوق أو المتطلبات المعنوية للجسد.

والفصل الثالث:

الحقوق والمتطلبات الاجتماعية والنفسية للجسد



حقوق جسد المؤمن لكي يعيش ويؤدي واجباته

هي حقوق لجسد المؤمن، ومتطلبات له لا يمارس حياته الإنسانية دونها.

– أما أنها حقوق فيعني وجوب أدائها أو وجوب ممارستها.

فوجوب أدائها أصل في ديننا لأن الله تعالى هو الذي أوجبها، لعلمه أنه لا حياة إنسانية كريمة لهذا الجسد إلا بها.

– وأما الذي يؤديها فهو كل من يستطيع أداء حقوق أوجبها الله تعالى؛ تقربًا إلى الله وطاعة له، وامتثالاً لأمره، ابتداء من الإنسان نفسه صاحب هذا الجسد، ومروراً بكل من يلي أمر هذا الإنسان من والدين وأسرة، ومسجد ومدرسة ومجتمع، وانتهاء بالحكومة التي تلي أمر الناس وتحكمهم.

– والجسد كالحياة نعمة أنعم الله بها على الإنسان لكي يستعين بما أودع الله فيه من طاقات على عبادة الله تعالى، فهذا الجسد وعاء للروح أشرف ما في الإنسان لأنها نفخة من روح الله تبارك وتعالى، ووعاء للعقل الذي هو مناط تكليف الله تعالى لعباده بعبادته، ووعاء للجوارح والحواس، التي يمارس الإنسان حياته من خلال أعمالها، ووعاء للقيم الخلقية التي يعيش الإنسان حياته متمسكًا بها.

– وبسلامة الروح والعقل والجوارح والحواس وصحتها يصبح الإنسان قويًا ذا إرادة حرة واختيار لا قهر فيه، وبسلامة القيم الخلقية ورفعتها يستطيع الإنسان أن يتعامل مع الكون الذي يعيش فيه ناسه وأشيائه تعاملاً إنسانيًا كريمًا يمكنه من أداء وظائفه في الحياة.

– وإذا كان الجسد وعاء لكل هذه القوى والطاقات؛ فإننا في التقديم لهذا الباب الأول من الكتاب نود أن نشير إشارات سريعة إلى كل قوة من هذه القوى لننظر كيف يكون أمرها من حقوق هذا الجسد ومتطلباته.

● فالروح أشرف ما في الإنسان من حقها ومن متطلباتها أن ترتوي بالإيمان، وتتغذى بزاد الإسلام لتحسن صلتها بخالقها سبحانه وتعالى؛ فتحبه وتراقبه وتطيعه وترجو رحمته وتخشى عقابه، فتحقق للإنسان سعادة الدنيا والآخرة.

● والعقل من نعم الله تعالى على الإنسان وبه فضله على كثير ممن خلق، وبه يعرف الإنسان الخير من الشر والحق من الباطل، فإن عجز عن هذا التمييز لجأ إلى الشرع الذى أنزله على خاتم رسله محمد ﷺ، وبذلك تحقق له سعادة الدنيا والآخرة.

● والجوارح من نعم الله على الإنسان يمارس بها الحياة الدنيا فيأخذ بيديه ويسعى بقدميه، ويرى بعينيه، ويسمع بأذنيه، ويتكلم بلسان مبين، ولولا هذه الجوارح لكان الإنسان مثل كتلة من الحجر، لا تصل إلى شيء مما تريد لأنه لا إرادة لها أصلاً، وهى بحاجة إلى إطار من الشرعية تمارس عملها فى داخله لكيلا تخرج عما شرع.

● والجسد بكل ما يشتمل عليه من روح وعقل وجوارح يحتاج إلى قيم خلقية فاضلة نافعة يتمسك بها، وبهذه القيم يستطيع الإنسان أن يتعامل مع غيره وأن يكسب احترامه وثقته، فيرضى بذلك ربه سبحانه وتعالى، فيحظى بثوابه وجنته يوم يقوم الناس لرب العالمين.

● والجسد بكل ما فيه من روح وعقل وخلق هو عون لصاحبه على أن يكون حر الإرادة، حسن الاختيار للنهج السياسى الذى يرغب فى أن يعمل من خلاله ليحقق أغراضه فى الحياة الحرة الكريمة؛ فهوبحاجة إلى تربية سياسية إسلامية.

● والجسد بكل ما أودع الله فيه من روح وعقل وخلق ودين وقدرة على اختيار النهج السياسى الذى يريد، يعين صاحبه على أن يتجاوب مع المجتمع ويتعاون معه على البر والتقوى، ورائده فى ذلك احترام حق الإنسان فى حياة حرة كريمة، وتلك هى الحياة الاجتماعية الإسلامية التى دعا إليها الإسلام؛ فالجسد دائمًا بحاجة إلى هذه الحياة الاجتماعية بل هى حق من حقوقه.

● والجسد بكل ما يحتويه ينزع دائمًا إلى تحقيق حاجاته اليومية والموسمية، من طعام وشراب وملبس ومسكن وزوجة وولد، وذلك يحتاج إلى نظام اقتصادى عادل يؤدى إلى التكافل بين الناس ويقر أن الأجر فى مقابل العمل، ويأبى أن يستغل الإنسان حاجة أخيه الإنسان بل يعاونه ويبرُّه ويتآخى معه، وكل ذلك من مظاهر الحياة الاقتصادية التى جاء بها الإسلام، فالإنسان بحاجة إلى هذا النظام الاقتصادى الإسلامى العادل بل هو حق من حقوقه.

● وهذا الجسد بهذه الطاقات وتلك القوى، وهذه الأنواع من التربية هو الجسد القادر على مقاومة أعدائه ومواجهتهم والانتصار عليهم، فهو يجاهدهم فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، فهو بحاجة إلى التربية الإسلامية الجهادية يحصن بها نفسه من أعداء متربصين، فكانت التربية الجهادية حقًا من حقوقه وضرورة فى حياته.

– والجسد الذى حوى هذه القوى وتلقى تلك الأنواع من التربية لابد أن يكون صاحبه قد وصل إلى واحة الإيمان وباحة الإسلام وساحة العدل والإحسان، ولابد أن يكون شرُف بأن أمَر بالمعروف ونهى عن المنكر، وجاهد فى سبيل الله.

ومن وصل إلى ذلك فإنه بإيمانه ينظر إلى نفسه وإلى جميل ما خلق الله، وإلى بديع ما سوَّى، فيرى هذا الجمال الذى جعله نصيبًا لسائر مخلوقاته، فيحس به ويستمتع بهذا الإحساس ويحاول أن يعبر عنه بما أتاح الله من وسائل التعبير، ولذلك كان هذا المؤمن بحاجة إلى التربية الجمالية الإسلامية، بل كانت وستظل هذه التربية الجمالية حقًا من حقوقه، إن الإنسان المؤمن عليه أن يحاكى الجمال الذى أبدعه الله فى مخلوقاته فى مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه وعمله وتعامله، كما تعلمه ذلك التربية الجمالية الإسلامية.

– وهذا الجسد أو الإنسان الذى صاغه الإسلام وفق أنواع التربية ومفرداتها التسع، يحتاج إلى ما يعينه على أداء واجبات الإيمان والإسلام والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فلا بد له من جسد قوى يعينه على كل ذلك، أى لابد له من تربية جسدية إسلامية، فهى إذن حق من حقوقه تعينه على أداء وظائفه فى الحياة.

تلك مقدمة وتمهيد للحديث عن حقوق الجسد ومتطلباته، تلك الحقوق –أو المتطلبات– التى إذا مارسها استطاع أن يؤدى واجبه نحو ربه ونحو نفسه وأهله وولده وأقاربه وأرحامه، ونحو إخوته فى الدين، ونحو بنى الإنسان جميعًا.

– والحديث عن هذه الحقوق لجسد الإنسان وما يحوى – أى الإنسان كله – كثيرة ومتشعبة، ولا سبيل عندى إلى حصرها جميعًا؛ لأن ذلك فوق طاقتى، فاكتفيت بأن أذكرها تحت أصناف ثلاثة هى:

● الحقوق – أو المتطلبات – الأساسية للجسد.
● الحقوق – أو المتطلبات – المعنوية أو الأدبية.
● والحقوق – أو المتطلبات – الاجتماعية.

- والإسلام فى منهجه ونظامه قد أحاط هذه الحقوق بتشريعين عظيمين:

أحدهما:

تحريمُ وتجريمُ مَنْع الجسد - أى الإنسان - من ممارسة حقوقه، حتى لو كان من تسبب فى هذا التحريم أو الحرمان الإنسان نفسه، فضلاً عن الآخر، سواء أكان هذا الآخر فرداً أو جماعة أو هيئة أو حكومة.

والآخر:

حثُّ الإنسان وتشجيعه على أن يمارس حقوقه ويدافع عنها ما دامت من الحقوق التى شرعها الإسلام، ومالم يفعل الإنسان ذلك فقد ظلم نفسه، لأن من فرط فى حقوقه فقد رضى لنفسه الذل والهوان، وهذا حرام، بل إن الهجرة من مكان يستذل فيه المسلم بحرمانه من حقوقه مشروعة مهما كانت متاعبها، وذلك يفهم من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا...**﴾ [النساء: ٩٧].

وما يستثنى من هذه الهجرة إلا الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

- ولا قوام لجسد الإنسان إلا إن توفرت له حقوقه جميعًا الأساسية أو المادية والمعنوية والاجتماعية، فإن حرم منها عجز عن أداء وظائفه فى الحياة، وعلى رأس هذه الوظائف عبادة الله وحده لا شريك له.

- وقد جعلنا هذا الباب فصولاً ثلاثة:

الأول منها عن: الحقوق الأساسية للإنسان.

والثانى عن: الحقوق المعنوية أو الأدبية له.

والثالث عن: الحقوق الاجتماعية.

والله تعالى هو الموفق المعين.

■■■■

الفصل الأول

الحقوق الأساسية للجسد

وتشمل :

١ - الطعام والشراب.

٢- والملبس ونحوه.

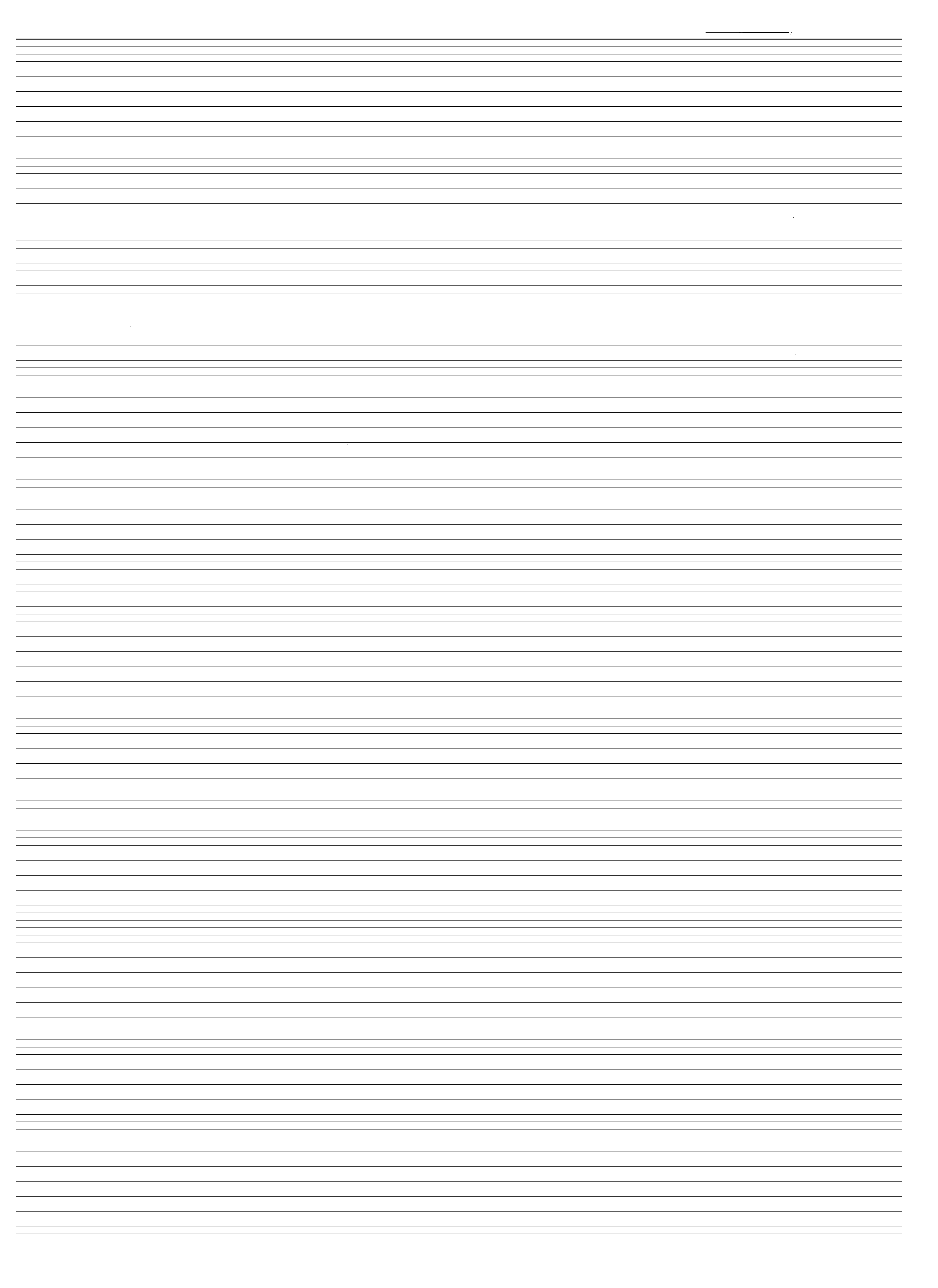
٣- والمسكن والزوجة والولد.

٤- والعمل والكسب.

٥- وحفظ الحياة.

٦- والصحة.

٧- والتريُّض «الرياضة البدنية».



الحقوق الأساسية لجسد الإنسان

هذه الحقوق أو المتطلبات سميتها أساسية؛ لأنها كالقواعد التي يقام عليها بناء الجسد الإنساني، فهي الأصل الذي لو لم يتوفر لا يقام البناء، فإن أقيم على غيره انهار، أو بقي فترة قصيرة عاجزاً عن أن يمارس حياته ويؤدي وظائفه.

إنه الأساس أو الأساسي في كل شيء لا غنى عنه بحال.

– وهذه الحقوق أو الحاجات الأساسية لجسد الإنسان عند التأمل فيها نجدها ضرورية له، ونلحظ أنها مادية في مقابل الحقوق أوالحاجات المعنوية.

وفي مقدمة هذه الحقوق أو الاحتياجات أو المتطلبات:

١– الطعام والشراب:

وهو حق للإنسان وحاجة أساسية من حاجات جسده ليعيش ويؤدي وظائفه في الحياة؛ لذلك أوجب الإسلام على الوليّ أن ينفق على مَنْ في ولايته ما دام غير قادر على عمل يحصل منه على طعامه وشرابه، والأصل الشرعي الذي أوجب ذلك هو قوله تعالى:

﴿ . . .وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا . . . ﴾

[البقرة:٢٣٣]

وروى البخاري بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»**.

وروى أحمد بسنده عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور»**.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن صنائع الأنبياء فقال: «كان آدم حَرَّاثًا، وكان إدريس خياطًا، وإبراهيم زراعًا، وكان إسماعيل قناصًا، وكان إسحق راعيًا، وكذلك يعقوب وموسى، وكان يوسف ملكًا وكذلك سليمان، وكان أيوب غنياً وثرياً، وكان هارون وزيراً، وكان إلياس نساجًا، وكان داود زرَّاداً، وكان يونس زاهداً وكذلك يحيى، وكان عيسى سياحاً، وكان محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين مجاهداً في الله حق جهاده».

وروى الطبرانى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: **«إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف»**.

وروى البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العانى»**(١).

– والإسلام يشترط فى الطعام والشراب أن يكون طيبًا وحلالاً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **....كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...** ﴾ [البقرة: ٥٧، ١٧٢ والأعراف: ١٦٠، وطه: ٨١].

وقال عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

روى الترمذى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: قال النبى ﷺ: **«مَنْ أكل طيبًا، وعمل فى سُنَّة، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة»**(٢).

وروى الديلمى – فى مسند الفردوس بسنده – عن على رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعبًا فى طلب الحلال»**.

وروى البيهقى – فى السنن – بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: **«لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبدٌ ليموت حتى يبلغه آخر رزق هو له، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، أخْذِ الحلال، وتَرْكِ الحرام»**.

وروى الطبرانى – فى الكبير – بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«طلب الحلال فريضة بعد الفريضة»**.

وروى البيهقى – فى شعب الإيمان – بسنده عن سعيد بن عثمان ابن السكن(٣) عن النبى ﷺ قال: **«طلب الحلال مثل مقارعة الأبطال فى سبيل الله، ومن بات عَيِيًّا من طلب الحلال بات والله تعالى عنه راض»**.

وروى الديلمى – فى مسند الفردوس – بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«طلب الحلال واجب على كل مسلم»**.

---

(١) العانى: الأسير.

(٢) البوائق: الشرور والخصومات والدواهى.

(٣) ولد ٢٩٤هـ وتوفى ٣٥٣ هـ من حفاظ الحديث، نزل مصر وتوفى بها، له كتاب: «الصحيح المنتقى فى الحديث».

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال النبى ﷺ: **«يا أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يَمُدّ يديه إلى السماء يا رب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنَّى يستجاب له».**

● ومع أن الطعام والشراب مطلبان أساسيان لجسد الإنسان فإن الإسلام – من خلال نصوصه– طالب المسلم بالا يسرف فى تناولهما، وأن يبذلهما لكل محتاج إليهما، وأن يلتزم بادب الإسلام فى الطعام والشراب.

– أما عدم الإسراف فى تناولهما:

فقد روى ابن ماجة بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، وحسب الآدمى لقيمات يقمن صلبه، فإن غلب الآدمى نفسُه؛ فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس».**

روى ابن ماجة بسنده عن سمرة بن سهم قال: نزلت على أبى هاشم بن عتبة رضى الله عنه وهو طعين، فأتاه معاوية رضى الله عنه يعوده، فبكى أبو هاشم، فقال معاوية: ما يبكيك أى خال؟ أوجع يُشْئِزك(١) أم على الدنيا، فقد ذهب صفوها؟ قال: على كلٌ لا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلىّ عهداً وددت أنى كنتُ تبعتُه، قال: **«إنك لعلك تدرك أموالاً تُقَسَّم بين أقوام، وإنما يكفيك من ذلك خادم ومركب فى سبيل الله».**

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً كان ياكل أكلاً كثيراً فاسلم؛ فكان ياكل أكلاً قليلاً، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: **«إن المؤمن يأكل فى مِعًى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء».**

– وأما وجوب بذل الطعام والشراب للمحتاجين:

فقد روى ابن ماجة بسنده عن **عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:**

---

(١) يهمك او يقلقك.

«يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام».

وروى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: «سأل رجل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: أىّ الإسلام خيرٌ؟ قال: **«تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»**.

● وحسب المسلم إثمًا وشرًا أن يمنع الطعام والشراب عمّن يعول ومن يملك قوته:

روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«كفى إثمًا أن تحبس عمَّن تملك قوته»**.

وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
«كفى بالمرء إثمًا أن يُضَيِّع من يقوت».

– وأما التزام أدب الإسلام فى الطعام والشراب:

● فمن أدب الطعام أن يسمى الله قبل تناوله وأن يأكل بيمينه وأن يأكل مما يليه، بذلك وردت أحاديث نبوية كثيرة منها:

ما روى أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسى أن يذكر اسم الله تعالى فى أوله، فليقل: بسم الله أوله وآخره»**.

وروى أبو داود بسنده عن عمرو بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال: قال لى النبى ﷺ:
«ادنُ بُنَىَّ، فسمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك».

وآداب الطعام فى الإسلام كثيرة منها:

غسل اليدين عند الطعام وكراهية ذم الطعام، وكراهية التقذر للطعام، وكراهية الجمع بين لونين من الطعام، والتحبيب فى الأكل فى جماعة، وكثير من آداب الطعام والشراب[1].

٢– الملبس ونحوه:

الملابس ونحوها كالنعال والسراويل والقلنسوة وما يغطى به الرأس، والترجل، والتطيب، ونحو ذلك من حاجات الجسد هى حقوق للجسد، يجب أن تؤمَّن له.

(١) انظر على سبيل المثال: سنن أبى داود «كتاب الأطعمة».

- ففى اللباس:

عنون البخارى -فى كتاب اللباس - باب قول الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ....** ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ....** ﴾ [الأعراف: ٣١].

وروى البخارى بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا فى غير إسراف ولا مخيلة»**.

وفى رواية لابن ماجة: **«... مالم يخالطه إسراف ولا مخيلة»**.

وروى البخارى بسنده عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«مَنْ جَرَّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»**.

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال أبو القاسم ﷺ: **«بينما رجل يمشى فى حُلَّة تعجبه نفسُه، مُرَجِّل جُمَّته إذ خسف الله به؛ فهو يتجَلَّل إلى يوم القيامة»**.

وروى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله ما يلبسُ الْمُحْرِم؟ قال رسول الله ﷺ: **«لا تلبسوا القُمُص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس، ولا الخِفاف إلا أحد لا يجد النعلين، فليلبس خُفَّين، وليقطعهما أسفل من الكعبين، ولا تلبسوا من الثياب شيئًا مسَّه زعفران ولا الورس»**.

والذى يفهم من الحديث الشريف أن كل هذه الملبوسات مباحة لغير المحرِم بحجٍ أو عمرة.

وروى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: **«مَنْ لم يجد إزارًا[١] فليلبس سراويل[٢]، ومَنْ لم يجد نعلين فليلبس خفَّين»**.

وكذلك عدد كبير من الملابس التى كانت على عهد رسول الله ﷺ مثل: القميص، والرداء، والجُبَّة من الصوف أو من الشعر وغيره، والقباء[٣]، والبرانس[٤]، والبرود، والحبرة، والشملة، والعصابة، والمغفر، والعمامة، والخميصة، وغيرها.

---

(١) الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن.

(٢) السراويل: لباس يغطى السرة والركبتين وما بينهما.

(٣) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب.

(٤) البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به.

والقاعدة العامة فى استعمال الملابس أن تكون ساترة للعورة من الرجل والمرأة، وألا يترتب على لبسها ضرر للابسها، وألا تكشف عن جسم لابسها ما لا يجوز كشفه كفرجه حين يحتبى، وألا تعوق أطرافه، أوتعجزه عن الاحتراس من شىء يقع به، وألا تكشف عورته حين يرفع الصمَّاء[1] من جانب فيضعها على منكَبيْه.

ويحرم على الرجل لبس الحرير أو التزين بالذهب، أما المرأة فلها ذلك.

ويحرم على المرأة أن تلبس ما يشف عن جسدها أويصفه.

● والملابس المباحة كلها لا يجوز فيها إسراف ولا مخيلة، ولا تشبه للرجال بملابس الناس، ولا تشبه للنساء بملابس الرجال.

إن الجسد الإنسانى فى حاجة إلى ملبس يقيه الحر والبرد ويستر عورته، ويستطيع به أن يقابل الناس، وأن يؤدى وظائفه فى الحياة.

● وللجسد احتياجات أخرى كثيرة غير الملابس كحاجته إلى الزينة وإلى المياه والنظافة، وحاجته إلى الراحة والهدوء، والاسترواح، وحاجته إلى النور والهواء، وحاجة كل عضو من أعضاء الجسد إلى ما يصلحه ويمكنه من أداء وظيفته.

وكل تلك الحاجات الأساسية للجسد قد كفلها له الإسلام بتشريعاته، وحظر على أى أحد أن يحول بينه وبينها، كما وضع لهذه الحاجات شروطًا وآدابًا، وطالب الفرد والمجتمع والحكومة بالعمل على توفيرها ورعايتها، بل حظر الإسلام على الإنسان نفسه أن يهمل فى حقوق جسده أو يحرمه منها، فإن فعل فقد خالف شرع الله تعالى.

٣- المسكن والزوجة والولد:

وهى حقوق أساسية للإنسان؛ جسده وما يحوى هذا الجسد، ولأنها من حاجاته الضرورية التى لا يحيا إلا بها كانت حقوقًا راسخة مؤكدة لا يمارى فيها أحد من عقلاء الناس، ولا يستطيع أن ينكرها تشريع أو قانون.

أ- المسكن:

وحاجة الإنسان للسكن كحاجته إلى الطعام والشراب، وقد امتنَّ الله تعالى على الناس بنعمة أن جعل لهم من بيوتهم سكنًا، قال تعالى ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ**

---

(١) الصماء: طرف ثوب يوضع على الكتف.

لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ...﴾ [النحل: ٨٠].

● ولأن السكن من مَحابِّ الإنسان، وهو نعمة من نعم الله تعالى عليه، نبَّه الله تعالى على أن هذه النعمة كنعمة حب الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر، ما ينبغي أن تكون موازية لحب الله ورسوله والجهاد في سبيله حتى لا يقع من يوازي بين هذا وذاك في إثم أو معصية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

● وقد أوجب الإسلام على الدولة أن تؤمن السكن للإنسان إن لم يكن هو قادراً على تأمينه، حتى لو كان من يحتاج إلى السكن من أهل الذمة ما دام يعيش في ظل حكومة إسلامية، له عليها حقوق وعليه نحوها واجبات.

إن سائر احتياجات الجسد الإنساني وليس مسكنه فقط قد كفلها الإسلام وأوجبها في بيت مال المسلمين عندما يعجز الإنسان عن تأمينها لنفسه؛ لأن بيت مال المسلمين وحكومتهم وأهل اليسار منهم مطالبون بالتكافل مع كل ذي حاجة.

غير أن مسكن المسلم مسكن بسيط لا مبالغة فيه ولا إسراف ولا مباهاة، وإنما هو ما يكفيه وأهله وضيفه.

● وقد جاء في السنة النبوية المطهرة ما يعزز هذه البساطة في بناء البيوت، ومن ذلك:

ما رواه ابن ماجة بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بنيت بيتًا يكنني من المطر، ويكنني من الشمس، ما أعانني عليه خلق الله تعالى.

وما رواه أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مَرّ رسول الله ﷺ وأنا أُطيِّن حائطًا لي أنا وأمي، فقال: «**ما هذه يا عبد الله**»؟ فقلت: يا رسول الله شيء أصلحه، فقال: «**الأمر أعجل من ذاك**».

رواه أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع اختلاف في بعض ألفاظه.

وروى ابن ماجة بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: مَرَّ رسول الله ﷺ بقبة على باب رجل من الأنصار فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: قُبَّة بناها فلان، قال رسول الله ﷺ: «**كل مال**

يكون هكذا فهو وبال على صاحبه يوم القيامة»[1] فبلغ الأنصارى ذلك فوضعها، فمرّ النبى ﷺ بعد ذلك فلم يرها، فسأل عنها، فأُخبر أنه وضعها لما بلغه عنك، فقال: **«يرحمه الله يرحمه الله»**.

وليس معنى ذلك أن لا يعمل الإنسان على إيجاد سكن يُكِنّ جسده، وذويه من المطر والشمس ويستره عن أعين الآخرين، كما أن ذلك لا يعنى أن يتكالب الناس على البنيان، وإنما يجمع بين هذا وذاك التوسط والاعتدال والإقبال على الأعمال التى تعمر الآخرة.

روى ابن ماجة بسنده عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال، ولا فى إضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يدك أوثق منك بما فى يد الله، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أُصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أُبْقيت لك»**[2].

- واتخاذ الغرف[3] جائز، فقد روى أبو داود بسنده عن دُكَيْنْ بن سعيد المزنى قال: أتينا النبى ﷺ فسألناه الطعام، فقال: **«يا عمر اذهب فأعطهم»** فارتقى بنا إلى عِلّيَّة فأخذ المفتاح من حُجْزَته[4] ففتح.

ب - الزوجة والولد:

- أما الزوجة، فإن طلبها والحصول عليها فطرة فى الإنسان فطره الله عليها ليعبر عن رغبته الجنسية وليعقب أولاداً، وقد أمر الله تعالى بالزواج فى قوله: ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** ....﴾ [النور: ٣٢].

ومنع سبحانه وتعالى ولىّ البنت أن يعضلها أى يحرمها من الزواج، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ .... **فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ** .... ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

---

(١) أى أن المال ما ينبغى أن يصرف فى غير ما لابد منه من البناء.

(٢) قال أبو إدريس الخولانى (٨ - ٨٠ هـ) تابعى تولى قضاء دمشق: مثل هذا الحديث فى الأحاد كمثل الإبريز فى الذهب.

(٣) واحدتها غرفة وهى العُلّية أى ما بنى فى الطابق فوق الأرضى.

(٤) الحجزة: موضع شد الإزار من الوسط.

والزواج سنة الله فى خلقه أجمعين وفى مقدمتهم من اصطفاهم من الأنبياء والمرسلين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ولَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ... ﴾ [الرعد: ٣٨].

● وقد وردت فى الزواج والدعوة إليه والتحبيب فيه أحاديث نبوية كثيرة منها:

ما روى أبو داود بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ استطاع منكم الباءة[١] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء».**

وروى ابن ماجة بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«النكاح سنتى، فمن لم يعمل بسنتى فليس منى، وتزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ومن كان ذا طول فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصيام، فإن الصوم له وجاء».**

● وفى معايير اختيار الزوجة والزوج وردت أحاديث نبوية منها:

ما رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«تنكح النساء لأربع؛ لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»**

ويضاف إلى ذلك معايير أخرى تضاف إلى معيار الدين حثت عليه أحاديث نبوية أخرى كيسر المهر وحسن الخلق وعدم العقم وغير ذلك مثل أن تكون بكرًا وليست بذات قرابة قريبة من الزوج.

ومعيار اختيار الزوج واضح فيما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير».**

● إن الزواج من نعم الله الكبرى على الإنسان؛ فبه يكون الولد والامتداد فى الزمان والمكان والمجتمع، وبه يحسن تدبير العيش، ورعاية الأسرة وتربية الأبناء، ومن خلاله تكثر العشيرة ويكون النسب والصهر، وهو تدرب على الجهاد فى سبيل الله، لأن السبيل إلى

---

(١) الباءة: النكاح والجماع. وقيل: الإمكانات المادية والأول أولى بالقبول لأن نهاية الحديث تنصح بالصوم لكسر الشهوة.

الرزق من أجل الأسرة جهاد أيضًا، وحسب الزواج فضلاً وقيمة أنه يحقق كل هذه الفوائد.

– وأما الولد؛ فإنه نتيجة للزواج وغاية، وطلب الولد من خلال الزواج فطرى فى الإنسان كطلب الزوجة.

والإنسان بغير ولد يغلب عليه أن يكون أسيفًا، لأنه لا عقب له، ولا فرصة أمام من حُرِم الولد أن يتقرب إلى الله بتربية الأبناء تربية إسلامية.

وقال الأسلاف من العلماء: إن طلب الولد فيه موافقة لرضا الله تعالى للاستجابة لأمره سبحانه بالنكاح، وفيه موافقة لرضا رسول الله ﷺ ولمحبته طالب الولد لأنه ﷺ يباهى الأمم بكثرة عدد المسلمين، وفيه الحصول على البركة والخير لدعاء الولد لأبويه بعد موتهما، وفيه الحصول على الشفاعة إذا مات الولد صغيراً فشفع لوالديه فقبل الله شفاعته.

فقد روى أحمد بسنده عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أنه سمع النبى ﷺ يقول: **«يُقال للوِلدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة، فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا، فيأتون، فيقول الله عز وجل: مالى أراهم محبنطئين[1]، ادخلوا الجنة، فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا، فيقول الله تعالى: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم»**.

وروى أحمد بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما مِنْ مسلمين يُتوفَّى لهما ثلاثة إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما»** فقالوا يا رسول الله: أو اثنان؟ قال: **«أو اثنان»** قالوا: أو واحد؟ قال: **«أو واحد»** ثم قال: **«والذى نفسى بيده إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته»**[2].

وبعد فهذه مكانة الولد عند الله تعالى؛ كبيرًا صالحًا يتقبل الله دعاءه لوالديه أو صغيراً يشفع لهما عند الله، فهل يستغنى الإنسان عن الولد أو يزهد فى طلبه من خلال الزواج؟

---

(١) أى ممتنعين.

(٢) أى احتسبت أجر مصيبتها بموته عند الله تعالى دون جزع أو قول شىء يغضب الله تعالى أو عمل شىء يغضبه سبحانه وتعالى.

٤ – العمل والكسب :

العمل من مطالب الجسد لكى يصح وينفى عن نفسه الخمول والكسل والمرض والضياع.

والكسب حق للإنسان مادام يعمل، إذ هو نتيجة للعمل، والعمل والكسب كلاهما مرضاة لله سبحانه وتعالى؛ لأنه أمر بالعمل وبالكسب أى السَّعْى على الرزق.

ومع العمل ينشط الجسم ويقوى ويتسع الرزق ، وتصبح لحياة الإنسان قيمة وأهمية، وبه تؤمن الأسرة والمجتمع من آفات البطالة والخمول والكسل.

والجسد الذى لا يعمل يضيع على نفسه عبادة الله أول ما يضيِّع، إذ العبادات كلها تحتاج إلى عمل وحركة وكسب حلال لتأمين الطيب من الرزق، وفى النهاية فإن الجسد الذى لا يعمل يضيع على نفسه الجهاد فى سبيل الله لأن جميع أنواع الجهاد فى سبيل الله عمل.

بل إن الذى لا يعمل لا يستطيع أن يمارس الإيمان نفسه لأن الإيمان يترجم عنه العمل الصالح، فمن لا يعمل كيف يؤمن وكيف يعبِّر عن إيمانه، ولا يستطيع أن يمارس أركان الإسلام ولا أن يمارس العدل والإحسان ولا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا يستطيع أن يمارس الدعوة إلى الله وهذه أمور واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته.

ومن ترك العمل كيف يكسب قوت يومه؟ وكيف يؤدى واجبه نحو بيته وعياله؟ وكيف يتصدق وكيف يحسن إلى غيره؟ وكيف يقعد عن العمل مع أن الله تعالى أمر بالعمل فى محكم كتاب وفى سنة رسوله ﷺ؟

- وإذا كان من المعروف والمقرر فى ديننا الخاتم أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الآخرة هى الحياة على وجه الحقيقة وأنها خير وأبقى؛ فماذا يزرع من لا يعمل؟ وكيف ينشغل بالعرض ويذهل من الجوهر؟ وكيف تلهيه الفانية عن الباقية؟

- وآيات القرآن الكريم وكلمات السنة المطهرة توجب العمل وتحث عليه، وتعتبره وسيلة لكسب الرزق الطيب ومن ذلك :

– قوله الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ .... ﴾ [الجمعة : ١٠].

- وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧].

- وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ...﴾ [المؤمنون: ٥١].

- وقوله سبحانه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ....﴾ [التوبة: ١٠٥][(١)].

● والأحاديث النبوية الشريفة التي دعت إلى العمل وحببت فيه أكثر من أن تحصى في هذه الجزئية من هذا الكتاب، ومنها:

- ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه»**.

- وما رواه الطبراني - في الأوسط- بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«منَ الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة»** أي العمل.

- وما رواه الطبراني - في معاجمه الثلاثة- بسنده عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: كان ﷺ جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جَلَد وقوة وقد بكر يسعى؛ فقالوا: ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله، فقال ﷺ: **«لا تقولوا هذا؛ فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفهم فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان»**.

- وما رواه الديلمي - في مسند الفردوس - بسنده عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال»**.

- وما رواه أحمد بسنده عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أي الكسب أطيب؟ قال: **«عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور»**.

- وما رواه أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الكسب كسب يد الصانع إذا نصح»**.

---

(١) آيات القرآن الكريم التي دعت إلى العمل أو حببت فيه أو عطفته على الإيمان يبلغ عددها المئات.

– وما رواه البيهقى – فى شعب الإيمان – بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ طلب الدنيا حلالا تعففًا عن المسألة، وسعيًا على عياله، وتعطفًا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر».**

٥– حفظ الحياة:

من حق الجسد ومن صميم حاجاته الأساسية، ومن المقاصد الضرورية التى تتكفل بحفظها كل الشرائع السماوية حق الجسد بأن يحيا، وأن يحافظ كل مَنْ له به صلة على حياته.

إن حفظ حياة الإنسان ضرورية لأن بها تقوم مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت أو انتقصت لم تجر مصالح الإنسان فى دنياه على استقامة وأمان، وإنما يحدث الفساد والتهارج وتضيع الحياة نفسها، ومع هذه الخسارة لابد أن تتأثر الحياة الأخرى لتوقفها على الحياة الدنيا.

– وحفظ حياة الجسد إنما يقوم على اجتماع أمرين:

أحدهما:

ما يقيم أركان هذه الحياة للجسد، ويمدها بأسبابها، ويثبِّت قواعدها، لتستمر هذه الحياة دون إلحاق ضرر بها فضلاً عن إهدارها.

والآخر:

ما يدفع عنها الضياع والفوت.

وحفظ حياة الجسد واحد من المقاصد الخمسة التى استهدفتها شريعة الإسلام وهى: الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

وهذه المقاصد الخمسة أو الضروريات لو فاتت فقد فاتت حياة الإنسان، وذلك واضح عند التدبر.

– فلو أنه فات الدين لفاتت الحياة الآمنة بعبادة ربها سبحانه وفات الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، وفات العمل نفسه، وفاتت الحياة الآخرة التى هى خير وأبقى.

– ولو فاتت النفس لفاتت حياة الإنسان فى هذه الدنيا وما قامت لهذه الدنيا قائمة ولا صلح فيها شىء.

- ولو فات العقل بإفساده أو تعطيله لما كان بين الإنسان والحيوان فارق، ولما صحت التكاليف الشرعية ، ولاختلط بناءً على ذلك الحلال والحرام والخير والشر والنافع والضار .

- ولو فات الحصول على النسل لم يكن للإنسان على هذه الأرض امتداد ولا توارث، وانتهت الحياة الإنسانية وما تحفل به من عمل صالح .

- ولو فات الحصول على المال أو وقفت دونه العقبات لاستحالت حياة الإنسان، لأن المال سبب من أسباب الحياة لو فات، فات الطعام والشراب والملبس والمسكن والزوجة والولد والعمل والكسب .

● وحق الجسد أو الإنسان فى الحياة حق أصيل ثابت فى الإسلام تأكد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فضلاً عن ثبوته عقلاً ومنطقًا .

- فمن آيات القرآن الكريم التى تثبت هذا الحق وتؤكده كل ما جاء فيه مما يتصل بتحريم العدوان على النفس، وفرض عقوبة القصاص على من تسبب فى إهدار حياة إنسان أو إهدار عضو من أعضاء جسده، ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ...** ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

وقوله جل وعلا : ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

وقوله عز وجل : ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٥] .

فالعدوان العمد على النفس يقابله قتل القاتل، وفى هذا القانون عند تطبيقه حياة للمجتمع كله وردع للمجرم المعتدى على حياة الناس .

- ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى أوجبت المحافظة على النفس وتعظيم حرمتها :

ما رواه ابن ماجة بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع : **«ألا إنّ أحرم الأيام يومكم هذا ، ألا وإن أحرم الشهور شهركم هذا ، ألا وإن أحرم البلد بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟»** قالوا : نعم، قال : **«اللهم اشهد»** .

وجاء فى سيرة ابن هشام من كلامه ﷺ فى حجة الوداع: «... **إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحركة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ...»**.

وما رواه ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك؛ ماله ودمه، وأن نظن به إلا خيراً»**.

وما رواه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.. **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»**.

وما رواه ابن ماجة بسنده عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**المؤمن مَن أمِنَه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»**.

٦- ومن حقوق الجسد الصحة الجيدة:

الصحة الجيدة للجسد تعنى سلامته من العيوب والأمراض التى تعوق الجسد عن أداء وظائفه.

وهذه الصحة الجيدة تحتاج إلى عديد من الأسباب منها:

- الحِمْية:

بمعنى دفع الأمراض وأسبابها ومقاومة العادات الضارة؛ ولذلك فروع صحية عديدة منها:

- تجنب التخمة التى يؤدى إليها الإسراف فى الطعام والشراب الذى نهى عنه الإسلام فى الكتاب والسنة كما أوضحنا ذلك آنفًا.
- واتباع العادات الصحية الآمنة:

وذلك مثل:

- الشرب على دفعات، فقد روى الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشربوا واحداً كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسَمُّوا إذا شربتم واحمدوا إذا أنتم رفعتم»**.

- ومنع التنفس فى الإناء أو النفخ فيه، فقد روى أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس فى الإناء أو ينفخ فيه».

- والوقاية من الأمراض والتداوى منها إذا حدثت؛ روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «... وفِرّ من المجذوم[1] فرارك من الأسد».

وروى البخارى بسنده عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها» هذا عن التوقى من الأمراض.

وأما التداوى منها، فقد روى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك[2]، فقلت: يا رسول الله ﷺ إنك توعك وعكًا شديداً قال: «أجل أوعك كما يوعك رجلان منكم» قلت: ذلك أن لك أجْرَيْن، قال: «أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذًى شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها».

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء».

وروى أحمد بسنده عن أسامة بن شريك رضى الله عنه قال: كنت عند النبى ﷺ، وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «نعم، يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داء واحد» قالوا: ما هو؟ قال: «الهرم»[3].

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله أرأيت رُقًى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نترقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال ﷺ: «هى من قدر الله».

- والقاعدة العريضة فى دفع الأمراض، هى تجنيب الجسد كل ما يضره، أو يلحق به أى أذى».

---

(١) الجذام: مرض تتآكل منه أعضاء الجسد وتتساقط.

(٢) أى يعاوده الألم الشديد من المرض أو الحمى، وكان ﷺ عندئذ يوعك من الحمى.

(٣) الهَرَم: كِبَر السِّن والشيخوخة.

روى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«لا ضَرَرَ ولا ضِرار»**.

وروى أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ضَرَر ولا إضرار، وللرجل أن يجعل خشبةً فى حائط جاره، والطريق المِيْتاء سبعة أذرع»**.

– ومن صحة الجسد التقشف والخشونة وترك التنعم:

روى أحمد بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«إياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»**.

وروى الطبرانى –فى الكبير– بسنده عن القعقاع بن أبى حَدْرَد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تمعددوا[1] واخشوشنوا[2] وانتضلوا[3]»**.

وروى أحمد بسنده عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة؛ صانعه المحتسب فيه الخير، والرامى به، ومُنبْله، فارموا واركبوا، ولأن ترموا أحب إلىّ من أن تركبوا، وليس من اللهو إلا ثلاث ملاعبة الرجل امرأته، وتأديبه فرسه، ورميه بقوسه، ومن علَّمه الله الرمى فتركه رغبة عنه فنعمة كفرها»**.

٧– ومن حقوق الجسد وحاجاته: التريض «الرياضة البدنية»:

والتريض بلغتنا المعاصرة هو ممارسة التربية الرياضية، إذ من المسلَّم به لدى علماء الصحة الجسدية وعلماء التربية الرياضية أن هناك اتصالاً وثيقًا بين الجسد السليم الصحيح وبين الرياضة البدنية، فهم يؤكدون أن مزاولة الأنشطة الرياضية تحفظ لجسم الإنسان حيويته ونشاطه ولياقته وقوته، بل تكسبه مرونة فى حركاته، ورشاقة وقدرة لأعضاء جسده كلها، كما أنها تحول بينه وبين عديد من الأمراض التى يسببها ترك الرياضة البدنية.

– وللرياضة البدنية فى الجسد فائدتان:

إحداهما:

أنها تكسبه القوة والمرونة.

---

(١) تمعددوا: أى انتسبوا إلى معد بن عدنان فى خشونة العيش.

(٢) اخشوشنوا: تعودوا حياة الخشونة والتقشف.

(٣) انتضلوا: ارموا بالسهام.

والأخرى:

أنها تحول بينه وبين الأمراض.

ولتوضيح ذلك نقول:

● أما أنها تكسب الجسد القوة والمرونة، فذلك لأن هدف التربية الرياضية جعل الجسد لائقًا لممارسة الحياة وأداء وظائفه فيها، وقد قلنا آنفًا إنه إذا صح الجسد صح العقل بل صحت الحالة النفسية والاجتماعية للإنسان، إذ ليست صحة الجسد هى مجرد خلوه من الأمراض، وإنما صحته هى قدرته على أداء وظائفه أداءً جيداً.

وقوة الجسد تعنى قوة القلب وزيادة عدد كريات الدم الحمراء، وانضباط ضغط الدم، وسلامة الجهاز التنفسي، وعمق التنفس.

كما تعنى قوة الجسد زيادة فى حجم العضلات وزيادة فى قوتها وسرعتها وكفاءتها، كما تعنى إقدار الجسد على الاستمرار فى العمل.

– فعلاقة التريض والرياضة الجسدية بقوة القلب، أن الرياضة البدنية تجعل عضلة القلب تزداد حجمًا كلما أُلقى عليها عبءٌ أثناء ممارسة الأنشطة الرياضية – كما أكدت ذلك بحوث كثير من الأطباء وكثير من المتخصصين فى التربية الرياضية – انطلاقًا من مسلَّمة علمية هى أن كل عضو من أعضاء جسد الإنسان يَقْوَى كلما استعمل، ويضعف إذا لم يستعمل، والقلب إحدى عضلات الجسد، فكلما مارس صاحبه الرياضة البدنية عمل القلب بصورة أكبر فقوى بصورة أكبر.

غير أن من المسلَّم به أيضًا أن يكون استعمال العضو فى نشاط رياضى متدرجًا ومتكرراً، حتى يحدث النمو فى العضو بشكل متوازن.

– وهنا كإجماع – أو ما يشبه الإجماع – بين المختصين من الأطباء والمختصين فى التربية الرياضية؛ على أن النشاط الرياضى مطلوب للجسم الإنسانى مادام متناسبًا مع عمر المتريض وحالته الصحية، ومادام هذا النشاط الرياضى غير مبالغ فيه.

– وللتمرينات الرياضية أثرها فى كريات الدم الحمراء، لمن يمارسها إذ يزيد عدد هذه الكريات عنده عن آخر لا يمارس هذه التمرينات، وتعليل ذلك أن غير المتريض يستهلك عدداً أكبر من كريات الدم الحمراء عند بذل المجهود، ولا يعوض هذا الاستهلاك إلا فى

زمن كبير، بينما الرياضى يستهلك عدداً أقل من هذه الكريات ويستعيض عما استهلكه فى زمن أقل، هكذا يقول المختصون.

- وتأثير الرياضة البدنية فى القلب وتنشيطه ومرونة شرايينه، وبالتالى قلة مقاومتها لدفع الدم لما فيها من مرونة، ومعنى ذلك أن الذى يمارس الرياضة البدنية يكون ضغط دمه متوازناً وملائماً، وبعيداً عن المعاناة من ارتفاع ضغط الدم.

- ومن المؤكد أن النشاط الرياضى له - كما أشرنا آنفاً - تأثير على عضلات الجسم كلها، إذ يحدث فى كل عضلة قوة وقدرة على العمل وسرعة فى الاستجابة للحركة المطلوبة مع زيادة القدرة على الاحتمال.

ومجمل ذلك أن النشاط الرياضى يكسب الجسد بكل أعضائه قدرة على التوافق الحركى النافع، وعلى تجنب الحركات التى لا تقع فيها، وهذا التوافق بين العمل العضلى والعمل العصبى يحدث قدرة على التعلم لكل جديد وسرعة استجابة لممارسته.

- وقد أكد المختصون فى وظائف الأعضاء وفى الرياضة البدنية؛ أن التمرينات الرياضية تؤدى إلى بطء التنفس وعمقه، حيث قاسوا حركات التنفس فوجدوها عند من يمارس الرياضة البدنية أبطأ وأعمق منها عند من لا يمارس هذه الرياضة.

● ونتيجة لهذا كله نجد الرياضى يستطيع أن يمارس العمل لمدة أطول من غير الرياضى، لأن غير الرياضى يكون أسرع إلى التعب من الرياضى، لأن حمض «اللينيك» التعب يتكون عند الرياضى أبطأ بكثير عنه عند غير الرياضى.

● وأما أن الرياضة البدنية تكسب الجسد قدرة على مقاومة الأمراض؛ فذلك أن الرياضة البدنية - كما قلنا - تكسب الجسد كل هذه القوة والمرونة، وتعوده الدأب والصبر على بذل المجهود، وتدربه على الاستمرار فى العمل، فإنها تنفى عنه كثيراً من الأمراض التى تتولد - عادة - عن الكسل والتراخى وعدم الحركة.

ولو أخذنا فى إحصاء الأمراض التى تقاومها الرياضة البدنية فى الجسد كما ذكرها العلماء لاتسع بنا القول ولخرجنا عن السمت الذى أردناه من حديثنا عن تربية الجسد بالرياضة البدنية.

● وأشيع هذه الأمراض هى:

- تشوه قوام الجسد كاستدارة الظهر، واستدارة الكتفين والانحناء الجانبى، والتجويف

القطني، فضلاً عن الترهل والسمنة، وارتخاء العضلات ونحو ذلك من الأمراض، كأمراض الشرايين التاجية والانزلاق الغضروفي، وبعض الأمراض النفسية.

– وحتى عند وقوع المرض العضوى أى فى الجهاز الهضمى، والجهاز الدورى، وأجهزة الإفراز، أو المرض العضلى؛ فإن هناك تمرينات رياضية تؤدى إلى العلاج يصفها المختصون ولا يجوز أن تكون هذه التمرينات اجتهاداً.

– وقد أصبح علاج زيادة الوزن السمنة اليوم، يعتمد فى جانب منه على التدريبات الرياضية مع التقليل من الطعام، والنظر الفاحص فى نوعيات هذا الطعام.

● وكل هذه الأنواع من التدريبات البدنية شرعها الإسلام بل دعا إليها وحبَّبَ فيها، بل مارس الرسول ﷺ بعضها، كالتسابق والمصارعة ونحوها.

روى أبو داود بسنده عن على بن ركانة عن أبيه ركانة رضى الله عنه أنه صارع النبى ﷺ فصرعه النبى ﷺ.

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أدخل فرسًا بين فرسَيْن وهو لا يأمن أن يسبق فليس بقمَّار[1]، ومن أدخل فرسًا بين فرسَيْن وهو يأمن أن يسبق فهو قمَّار»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا سبق إلا فى خف أو حافر»[2]**.

وروى ابن ماجة بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: **«ضَمَّر رسولُ الله ﷺ الخيلَ، فكان يرسل التى ضُمِّرتْ من الحفياء[3] إلى ثنية الوداع، والتى لم تُضَمَّر من ثنية الوداع إلى مسجد بنى زريق»**.

وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا سبق إلا فى خُف أو حافر أو نصل»[4]**.

---

(١) القمَّار: من يلعب القمار.
(٢) الخف كناية عن الجمال والحافر كناية عن الأفراس.
(٣) موضع على بعد أميال من المدينة المنورة.
(٤) النصل: السهم والرمح ونحوهما.

والمعنى المقصود فى إباحة السبق هو أن الجُعْل أو العطاء لا يستحق إلا فى سباق الخيل وما يشبهها كالجمال، وفى الرمى بالسهام والرماح ونحوها.

وهذا يعزز لدى المسلمين حبهم للرمى وما يشبهه مما يمكن المسلم من التدرب على وسائل القتال، وهى وسائل تتغير من زمن إلى زمن آخر، وعلى المسلم أن يجيدها، ليكون مستعداً للجهاد فى سبيل الله فى كل حين.

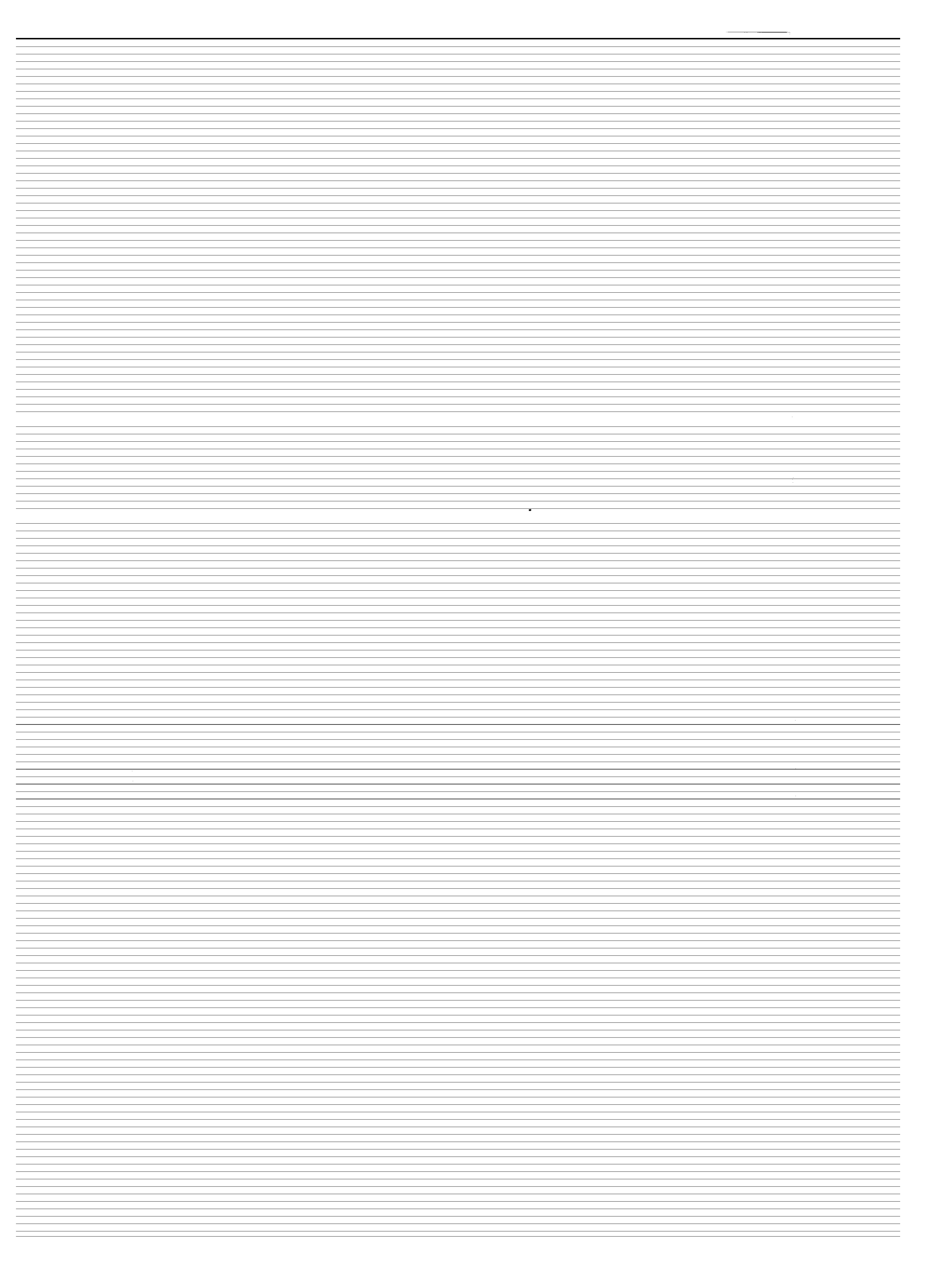
وكذلك السباق فى الجرى ونحوه من ألعاب القوى التى تهيئ للمسلم جسداً قوياً مدرباً، حيث المبدأ العام المقرر فى ديننا هو أنَّ «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير**..» رواه مسلم وابن ماجة وأحمد بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

ولقد علمنا الرسول ﷺ – وهو القدوة لنا – أن التسابق على الرواحل عمل مارسه هو شخصياً، فقد روى أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت مع النبى ﷺ فى سفر، قالت: فسابقته فسبقته على رحلى، فلما حملتُ اللحم سابقته فسبقنى فقال: «**هذه بتلك**».

وكل ذلك الذى ذكرنا مما جاءت به سنة النبى ﷺ من التريض ومن تمرين الجسد وتدريبه على الرياضة البدنية التى هى حق للجسد ومطلب له.

وبعد: فإذا كانت هذه حقوق الجسد الأساسية المادية فإن له حقوقاً معنوية هى ما يتكفل بتوضيحها الفصل الثانى من هذا الباب بعون من الله وتوفيق.

■■■■



الفصل الثانى

الحقوق المعنوية للجسد

وتشمل :

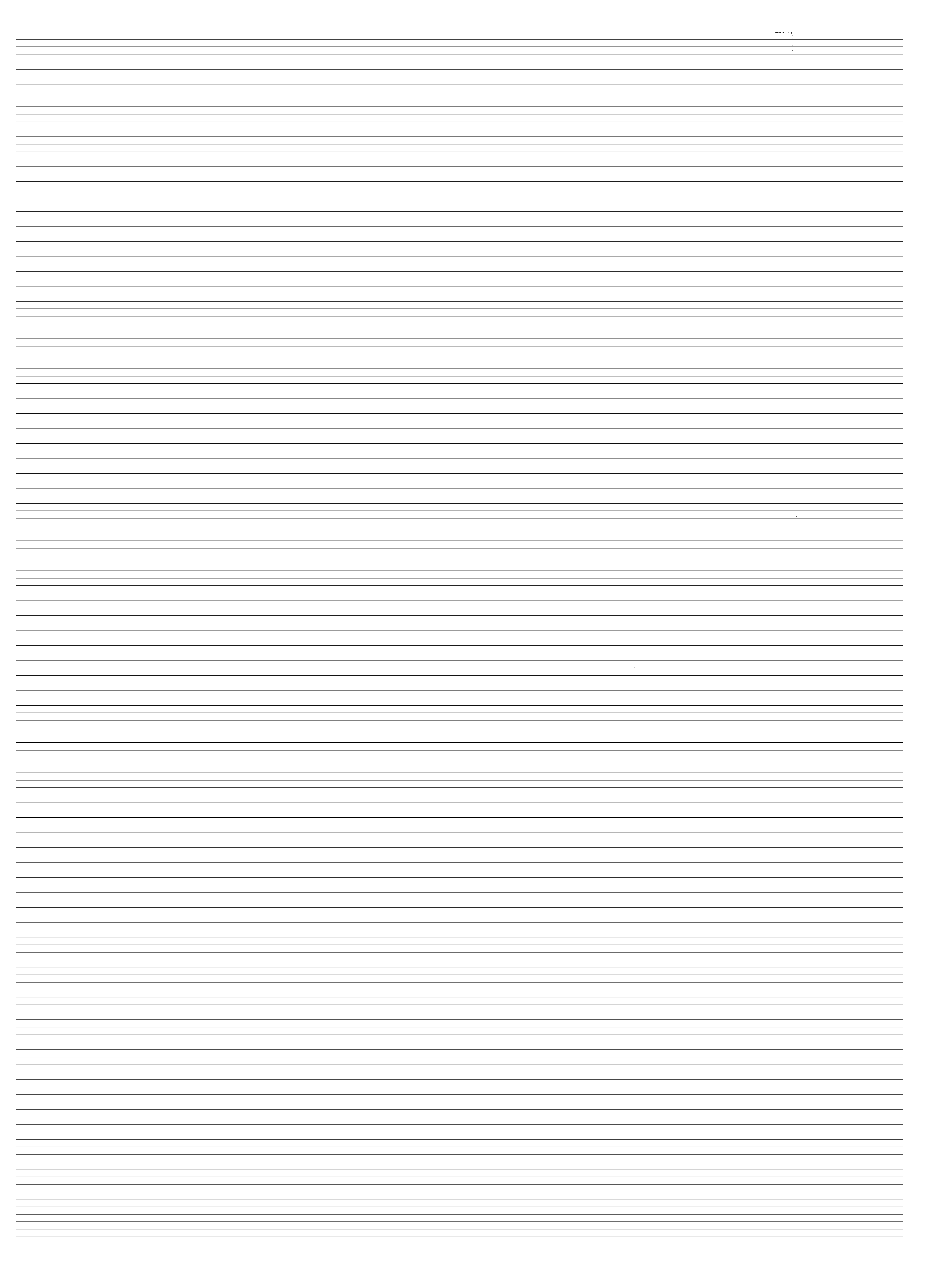
١ - التعلم والتثقف.

٢ - والتدين وعبادة الله وحده.

٣ - والحريات.

٤ - والانتماء.

٥ - والإعلام.



الحقوق المعنوية للجسد

إن حقوق الجسد المعنوية أو الأدبية لا تقل أهمية عن حقوقه المادية الأساسية كالطعام والشراب ونحوهما، مما لا تستقيم حياة الجسد إلا به.

وتلك الحقوق المعنوية للجسد قد كفلها له الإسلام كما كفل حقوقه المادية، وبدونها لا يستطيع الجسد أن يمارس حياته ولا أن يؤدى وظائفه.

إن جسد الإنسان كما يتكون من أعضاء وأجهزة - كما أوضحنا فى الفصل الأول من هذا الباب - يشتمل كذلك على روح وعقل ودين وخلق ومشاعر وأحاسيس ومعنويات تحتاج أيضًا إلى غذاء غير الطعام والشراب.

- وليس كالإسلام منهج أو نظام عنى بهذه الحقوق أو تلك الاحتياجات المعنوية لجسد الإنسان؛ لأن الجسد بطاقاته العديدة هو الإنسان.

وبمزيد من الإيجاز الذى سنوضحه فى هذا الفصل نطرح هذه الأسئلة تاركين الإجابة عنها لما تتضمنه مفردات هذا الفصل الثانى من الباب الأول من الكتاب:

- هل يستطيع هذا الجسد أن يمارس حياته ويؤدى وظائفه دون تعلُّم وتثقف؟

- وهل يستطيع أن يعيش دون غذاء روحى عقلى خلقى، يتمثل فى التدين إيمانًا وإسلامًا وعدلاً وإحسانًا وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر وجهادًا فى سبيل الله؟

- وهل يستطيع أن يمارس حياته ويؤدى وظائفه دون حريات تفك القيود عن فكره وإبداعه وعمله، وحرية عن التعبير عما يراه ويحس به من كل ما يحيط به ويتصل بحياته؟

- وهل يستطيع الإنسان أن يحيا حياة إنسانية كريمة دون انتماء إلى دينه وعالمه الإسلامى وعالمه العربى ووطنه وأسرته، وما اختاره من نظام سياسى واقتصادى واجتماعى وثقافى؟

- وهل يستطيع الإنسان أن يحيا حياته بفاعلية ومشاركة دون أن يكون له حق فى معرفة ما يحيط من أحداث وظروف سياسية يخطط لها حكام صالحون أو غير صالحين، إن هذا حقه الجوهرى فى إعلام صادق شفاف، يتمكن الإنسان من خلاله من أن يشارك فيه ويعدل ويبدل ويقترح ما يراه محققًا لمصالحه الدنيوية والأخروية.

هذه الحقوق الخمسة أو تلك الحاجات المعنوية هى من حقوق الإنسان التى لا يعيش إلا بها، وقد كفلتها له سائر الشرائع السماوية، وبخاصة خاتمتها الشريعة الإسلامية.

- وحقوق الجسد أو حقوق الإنسان هى حقوق متكاملة شاملة، لا يغنى بعضها عن بعض، ولا يمكن إهدار حق منها أو انتقاصه، وهى غير قابلة لأن يميز بين بعضها وبعض ولا تَقبْل أن يُمارَس بعضُها دون بعض، وهى ذات تفاصيل وتفريعات قد تعجز الباحث عن الإحصاء، ولكن يمكن أن نجملها من خلال النظرة الفاحصة إلى منهج الإسلام ونظامه فى عنوانين كبيرين تحت كل واحد منهما عشرات الحقوق، هذان العنوانان هما:

الأول: كل ما يحقق للإنسان مصلحة دنيوية أو أخروية فهو حق له، وحاجة من حاجاته، ما ينبغى أن ينازعه فيها أحد أو نظام أو حاكم أو سلطة.

والآخر: كل ما يدفع عن الإنسان ضرراً فى حياته الدنيا والآخرة فهو من حقوقه التى يدرأ بها الشر عن نفسه فى دينه ودنياه، لا ينازعه فيها أحد أو نظام أو حاكم أو سلطة.

وقد آثرنا أن نتحدث عن خمسة حقوق للجسد أو للإنسان رأيناها جامعة تحتها كثيراً من التفصيلات، والله تعالى هو الموفق المعين.

١ - حق الإنسان فى التعلُّم والتثقُّف.

وهذا من الحقوق والحاجات الروحية والعقلية والخلقية والدينية للجسد الإنسانى.

الروح من حقها أن تتزود بالعلم والمعرفة لكى تصفو وتقبل على ربها؛ تستمد منه زادها، وطريقها إلى ذلك هو التعلم والتثقف.

والعقل من حقه أن يتزود بالعلم والثقافة ليحسن التفكر والتدبر فيما حوله، وفيما خلق الله من مخلوقات، وسبيله إلى ذلك هو التعلم والتثقف.

والخُلُق من حقه أن يجد الأنموذج الذى يتخلق بأخلاقه والذى يتمثل فيه الخير والبر وحسن الخلق، ولن يجد الخلق طريقاً إلى ذلك إلا بالتعلم والتثقف.

والدين والتدين من حق الإنسان، لأنهما من حاجاته الضرورية التى لا يحيا إلا بها، ولا يستطيع أن يعمر آخرته بعمل صالح فى دنياه إلا بالدين والتدين، ووسيلة ذلك وطريقه هما التعلم والتثقف.

● العقل الإنسانى من حقه أن يفكر ويتدبر ويختار ويمارس إرادته الحرة، وكل ذلك يحتاج إلى تعلم وتثقف، يصل به إلى العلم والثقافة اللذين يؤديان به إلى حسن الاختيار، ودقة التفضيل لشيء على شيء[1].

وحديثنا عن التعلم والعلم فى هذا المجال وهو حاجة الإنسان إلى التعلم والعلم يقتضينا أن نوضح هذه الحاجة أو هذا الحق، ثم نقسم العلم إلى نوعين علم دينى وعلم كونى ونوضح موقف الإسلام منهما.

أولا: التعلُّم والعلم:

● أما حاجة الإنسان إلى التعلم أو حقه فيه، فقد أشاد الإسلام به بل أوجبه، فعلى كل مسلم أن يسعى إليه ويطلبه، فلا عِلْم إلا بتعلم، ولابد من العلم ليحسن الإنسان عبادة ربه ويعرف حقوقه سبحانه وتعالى فيعبده على علم وهدى. وتلك قضية مسلَّمة قررها القرآن الكريمة فى قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: ٩]، وجعل أول ما ينزل من خاتم كتبه على خاتم رسله قوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق: ١ - ٥].

وقال لرسوله الخاتم ﷺ: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤].

● والذى يؤكد حق الإنسان فى التعلم للوصول إلى العلم، أن الله تعالى أمر رسله جميعًا أن يعلموا الناس ولا يتقاضون على ذلك التعليم أجرًا، فأنزل فى محكم قرآنه على لسان كل رسول، وعلى لسان بعض الأنبياء قوله تعالى على لسان كثير منهم عليهم السلام: ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ...** ﴾ [الفرقان: ٥٧] على لسان خاتمهم عليه الصلاة والسلام، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ** ﴾ [الشعراء: ١٠٩][2].

● وفى المجتمع المسلم لا يجوز أخذ أجر على التعليم، لأن ذلك واجب الحكومة المسلمة

---

(١) توسعنا فى الحديث عن ذلك فى الحلقة الثالثة «التربية العقلية» من هذه السلسلة.

(٢) مقولة نوح عليه السلام، الشعراء: ١٠٩، ومقولة هود عليه السلام، الشعراء: ١٢٧، ومقولة صالح عليه السلام، الشعراء: ١٤٥، ومقولة لوط عليه السلام، الشعراء: ١٦٤، ومقولة شعيب عليه السلام، الشعراء: ١٨٠.

تنفق على تعلم الناس وتعليمهم وتتعهد المؤسسات التعليمية، وتنفق على المعلمين والمرافق التعليمية وذلك واجبها، كما أنه حق لكل من يعيش فى ظل حكومة مسلمة.

● والتعليم الذى تتولاه الحكومة المسلمة ينبغى أن يتناول نوعين من التعليم هما:

التعليم لعلوم الدين وما تصح به عبادة الناس لخالقهم سبحانه وتعالى، وذلك فرض عين على كل حكومة مسلمة، أما التخصص فى بعض علوم الدين فمن فرض الكفاية عليها، وكذلك الشأن فى تعلم هذه العلوم.

والتعليم للعلوم الكونية ومعظمها بل كلها لازم لحياة الإنسان كالطب والصيدلة والزراعة والصناعة، وعلوم الأرض وعلوم الفيزياء والكيمياء والكهرباء وما يتصل بتسخير الطاقة لصالح الإنسان، وعلوم الحرب وصناعة السلاح، وعلوم الاقتصاد والتجارة، وعلوم السياسة، وما لا أحصى من هذه العلوم، وتعلمها من فروض الكفاية على الأفراد، وتعليمها من فروض الكفاية على الحكومة المسلمة.

ولنلق ضوءاً على هذين النوعين من العلوم.

أ - العلوم الدينية:

نعنى بالعلوم الدينية كل علم له صلة بأصول الدين: القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ وسيرته، أو له صلة بالعبادات والمعاملات الإسلامية والأخلاق.

وهذه الأنواع من العلم هى حق للمسلم على الحكومة المسلمة بحيث تهيئ له تعلم تلك العلوم إلى الحد الذى يجعله فاهماً لدينه قادراً على أداء وجباته نحو هذا الدين.

● وفى وجوب التعلم وتحصيل العلم والتعليم والإشادة بالعلماء وردت نصوص إسلامية كثيرة منها:

● فمن آيات القرآن الكريم:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...** ﴾ [المجادلة: ١١].

وقوله جل شانه: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ...** ﴾ [الزمر: ٩].

وقوله تعالى: ﴿ ... **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الانبياء: ٧].

وقوله عز وجل: ﴿ ... **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وغيرها من الآيات.

وهذه الآيات الكريمة توجب طلب العلم أى التعلم، كما يرى ذلك كثير من المفسرين للقرآن الكريم، ومنهم: القرطبى فى تفسيره: «الجامع لأحكام القرآن».

● ومن الأحاديث النبوية الشريفة:

ما رواه البيهقى – فى شعب الإيمان – بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم، والله يحب إغاثة اللهفان**».

وما رواه البيهقى – فى الشعب أيضًا – بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم**».

وما رواه البيهقى بسنده – فى الشعب أيضًا – عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعلموا القرآن وعلموه الناس، وتعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض**[1] **وعلموها الناس، فإنى امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض حتى يختلف الرجلان فى الفريضة لا يجدان من يخبرهما بها**».

– والفريضة فى الحديثين الأولين تعنى فريضة عينية لأنها تجب بنص الحديث على كل مسلم.

كما أن كلمة: «ولو بالصين» تعنى وجوب تعلم العلم مهما بعد مكان طلبه ولو كان بأقصى البلاد؛ الصين.

وما رواه الطبرانى – فى الكبير – بسنده عن جابر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ولا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله، ولا للعالم أن يسكت على علمه**».

وهذا الحديث الشريف يدعو من جهل شيئًا من أمور دينه أن يبادر بالعمل على إزالة هذا الجهل بالتعلم، ويدعو العالم إلى عدم السكوت على علمه، وإنما عليه أن يزداد علمًا يومًا بعد يوم، وأن يجيب عن كل سؤال يطرحه عليه سائل ما دام يعرف إجابته، حيث للسائل والمسئول أجر عند الله تعالى، فقد روى أبو نعيم بسنده عن على رضى الله عنه عن

---

(١) الفرائض لها معنيان: أحدهما جمع فريضة، والآخر: علم تقسيم المواريث الشرعية.

رسول الله ﷺ قال: **«العلم خزائن مفاتيحها السؤال، ألا فاسألوا؛ فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل والعالم والمستمع والمحب لهم»**.

● وفى مكانة التعلم وطلب العلم:

روى ابن ماجة بسنده عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«.. وأن تغدو فتتعلم بابًا من العلم، عمل أو لم يعمل، خير لك من أن تصلى ألف ركعة تطوعًا»**.

وروى ابن عبد البر بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ جاءه أجله وهو يطلب علمًا ليحيى به الإسلام لم تَفْضُلْه النبيون إلا بدرجة»**.

وروى الطبرانى – فى الأوسط – بسنده عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها»**.

والأحاديث النبوية فى شرف العلم ومكانة طالبه عند الله تعالى كثيرة[1] اكتفينا منها بهذا القدر.

ب- العلوم الكونية:

العلوم الكونية – فى مقابل العلوم الدينية – لا تقل أهمية فى نظر الإسلام عن العلوم الدينية، إذ بهما قوام الحضارة الإنسانية عمومًا.

وبالعلوم الكونية يتعامل الإنسان مع ما خلق الله فى السموات والأرض من مخلوقات سخرها سبحانه وتعالى للإنسان وطالبه بأن يحسن التعامل معها لتكون فى خدمة مصالحه فى الدنيا والآخرة.

إن مفردات الكون من سماء وأرض وبحار ومياه عذبة وجبال ووهاد وشمس وقمر ونجوم، ونبات وحيوان، كل هذه المفردات لو تعامل معها الإنسان بما جاء به منهج الإسلام من خلال العلم والتقنية لأمكنه أن يعيش حياة إنسانية راقية تدعم قيمه ومبادئه وحقوقه فى الحياتين الدنيا والآخرة.

وفى ضوء هدى الإسلام وتوجيهه فى التعامل مع العلم والتقنية ضرب المسلمون بسهم وافر فى العلم والكشف والتحضر والتمدن بكل معنى من معانى التحضر والتمدن.

---

(١) جمعنا عددًا كبيرًا من هذه الأحاديث النبوية فى كتابنا: «التربية العقلية» الحلقة الثالثة من هذه السلسلة.

ولقد شهد بذلك المنصفون من غير المسلمين، بل شهد به بعض الذين لا ينصفون؛ لأنهم لم يستطيعوا إنكار الشمس الساطعة ولا النجوم المتلألئة، فضلاً عن قدرتهم على طمس النجوم وحجب ضوء الشمس.

– وإن كان لابد من الاستشهاد ببعض أقوال غير المسلمين فى حضارة الإسلام، وفى النهضة العلمية والتقنية التى حققها المسلمون على مدى قرون عديدة، فإننا سوف نكتفى بالقليل[1].

● يقول: «هـ.ر. جب» فى كتابه: «الاتجاهات الحديثة فى الإسلام» وهو يتحدث عن المذهب العلمى التجريبى الذى أُسِّس عليه العلم الأوربى، فيؤكد أن هذا العلم الأوربى الحديث ومذهبه التجريدى هو تراثٌ إسلامى، يقول:

«أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعد على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة، وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبى إلى أوربا فى العصور الوسطى».

● ويؤكد هذا السبق العلمى العربى الإسلامى باحث غربى آخر هو: «بريفولت» فى كتابه: «تكوين الإنسانية» فيقول:

«العلم هو أعظم ما قدَّمت الحضارة العربية[2] إلى العالم الحديث، ومع أنه لا توجد ناحية واحدة من نواحى النمو الأوربى إلا ويلحظ فيها أثر الثقافة الإسلامية النافذ، إلا أن أعظم أثره وأخطره هو ذاك الذى أوجد القوة التى تؤلف العامل البارز الدائم فى العالم الحديث، والمصدر الأعلى لانتصاره؛ أعنى العلم الطبيعى والروح العلمية.

وهذه الحقائق مؤداها أن الإسلام دين بناء حضارى».

● ويقول «لين بول» فى كتابه: «العرب وأسبانيا»:

---

(١) نحيل من أراد أن يقرأ فى هذا المجال بتوسع على كتابنا: التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى وطرق التغلب عليه.

وعلى كتاب: أثر العرب فى النهضة الأوربية. لمجموعة من علماء الغرب.

(٢) الأصوب أن يقول: الحضارة الإسلامية بدل الحضارة العربية لأن نهضة المسلمين لم تكن على أيدى العرب وحدهم، بل كان كثير منها على أيدى غير العرب من المسلمين، ولكن كثيراً من الغربيين لا يحبون أن ينسبوا للإسلام والمسلمين فضلاً إلا مضطرين!!!

«... فكانت أوربا الأُمية تزخر بالجهل والحرمان، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم، وراية الثقافة».

– والذى أريده بهذه الاستشهادات الثلاثة أنْ أوضح أنّ الإسلام مع اهتمامه بالعلوم الدينية قد اهتم أيضًا بالعلوم الكونية على اعتبار أنها العلوم التى تقوم عليها النهضة وتسهم فى بناء الحضارة، وتطور حياة الإنسان إلى أحسن ما يمكن أن تصل إليه فى هذه الدنيا، وهى طريق إلى نيل الرضا والسعادة فى الحياة الأخرى.

● والخلاصة الجامعة هى أن المسلم من حقوقه أن يتعلم علوم الدين وعلوم الدنيا.

وذلك الحق واجب الحكومة المسلمة فى كل زمان ومكان، كما هو واجب الهيئات والجماعات والجمعيات المدنية فى كل مجتمع مسلم، كما أنه واجب كل مسلم قادر على ذلك أو على الإسهام فيه.

وهنا الواجب مستمر لا ينفك عَمَّن أُنيط به، كما لا يجوز لأحد أن يحول بين مسلم وبين حقه فى أن يتعلم علوم الدين والدنيا.

ثانيا: التثقف والثقافة:

– التثقف: طلب الثقافة.

– والثقافة: البيئة التى يسهم الإنسان فى صنعها، بما تحتوى عليه من منتجات مادية كالمسكن والأثاث والأدوات والملابس ونحوها، أو غير مادية كالمهارات والمعايير والقيم والمعتقدات والمعرفة واللغة، وكل ذلك ينتقل بين الناس من جيل إلى جيل حتى يتكون التراث الثقافى والسمة الثقافية.

● والثقافة – كما هو معروف – حق من حقوق الإنسان عمومًا، فإذا حرم من هذا الحق فَقَد من سماته الثقافية ما يضره فقده ،وما يسىء إليه الإهمال فيه، سواء أكانت الثقافة التى فقدها مادية أو غير مادية؛ لأن الإنسان بغير هذه الثقافة لا يستطيع أن يعيش قادرًا على الفعل والتفاعل مع الناس والأحداث والأشياء.

– والثقافة بنوعيها – مادية وغير مادية – تمكن الإنسان من أن يعرف من تاريخ الإنسانية ما يهديه إلى أن يشق طريقه فى حاضره، وأن يتوسم طريقه فى المستقبل.

• والتثقف والثقافة كالتعلم والعلم حق للإنسان وحاجة معنوية من حاجاته؛ لذلك كان لهما فى الإسلام وزن كبير وأهمية خاصة.

وسوف نتحدث فى التثقف والثقافة فى الإسلام عن نقطتين هما:

أهمية الثقافة فى الإسلام.

وتنوع الثقافات لديه.

أ - أهمية الثقافة للمسلم:

حرص الإسلام على أن يجعل من المسلمين مثقفين فى كل عصر بالثقافة المحيطة بهم.

وكان الهدى النبوى قائماً على تفضيل الاختلاط بالناس بل الصبر على ما قد تحدثه هذه المخالطة من أذى، واحتساب أجر هذا الصبر على الأذى عند الله تعالى:

وقد اتخذ الهدى النبوى أساليب لهذا التبادل الثقافى أو التزود والتزويد الثقافى، ومن هذه الأساليب:

- نشر الدعوة الإسلامية فى العالم بإرسال الدعاة، ومعرفة أحوال الناس وثقافاتهم لكى توجه الدعوة إليهم بالتى هى أحسن، مع الاستفادة من ثقافة هؤلاء المدعوين والتأثير فى هذه الثقافة بالحق الذى جاء به الدين الخاتم، والتأثر بما هو صالح فيها.

إن نشر الدعوة تزويد ثقافى للمدعو وتزود ثقافى للداعى إلى الله، وبهذا وذاك؛ يحدث التبادل الثقافى الذى لابد للإنسان منه.

- والأسلوب الثانى هو الحركة بالإسلام إلى كل مكان يستطيع المسلم أن يصل إليه، وفى هذه الحركة بالإسلام زادٌ ثقافى لكل من تصل إليه الحركة الإسلامية.

وفى هذه الحركة تزود بثقافات هؤلاء الذين ذهب إليهم الإسلام، كما حدث فى التحرك بالإسلام فى اليمن والشام والعراق وفارس ومصر والمغرب والأندلس، حيث انتشر الإسلام وثقافته، واطلع المسلمون على ثقافات أهل تلك البلدان وتزودوا منها بما لا يتعارض مع دينهم وقيمهم.

- الأسلوب الثالث من أساليب الإسلام فى التبادل الثقافى هو الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، ولتطهير البشرية من الوثنية والشرك وظلم الناس وقهرهم بأنظمة الحكم الفاسدة من قيصرية متعسفة عضوض، وكسروية ضارية تستعبد الناس وتقهر

إرادتهم، ومن أنظمة أخرى سياسية أو اجتماعية تفتات على الإنسان وتهدر حقوقه.

إن المجاهدين المسلمين وهم ينتقلون إلى بلاد ويجاهدون فيها إنما ينقلون معهم فكر الإسلام وثقافته مادية وغير مادية، فيؤثرون بها فى الناس، وينقلون من تلك البلاد ثقافتها فيتأثرون بالصالح منها.

– والأسلوب الرابع من أساليب الإسلام فى التبادل الثقافى هو تشجيع المسلمين على السعى فى الأرض والمشى فى مناكبها؛ يحملون إليها ويحملون منها كثيراً من سلعهم ومصنوعاتهم ومزروعاتهم ومنسوجاتهم، وكثيراً من احتياجات الحياة، والمسلمون فى هذه التنقلات يحملون معهم ثقافتهم وأفكارهم ومعارفهم وسائر مفردات ثقافتهم مادية وغير مادية، فتصل إلى أهل تلك البلاد،كما تصل ثقافة تلك البلاد إلى المسلمين، فى عمليات تبادل مقصودة أو غير مقصودة.

– والأسلوب الخامس هو أسلوب رد العدوان والدفاع عن بلدان العالم الإسلامى التى تتعرض لهجوم الأعداء، وخوض حروب ومعارك ضد هؤلاء الأعداء فى أطراف بلدان العالم الإسلامي أو فى بلدان هؤلاء الأعداء، ورؤية هؤلاء الأعداء عن قرب والتعرف على أسلحتهم وآلتهم الحربية وأنظمتهم فى الحرب، كل ذلك يزود المسلمين بثقافة هؤلاء الأعداء فى هذا المجال وينقل إليهم ثقافة المسلمين ونظمهم وآدابهم فى الحرب.

– والأسلوب السادس هو أسلوب نقل المؤلفات العلمية وغيرها من إقليم إلى إقليم فى رقعة العالم الإسلامى الفسيحة سواء كان الناقلون هم المسلمين أو غير المسلمين كما حدث فى نقل كثير من المولفات فى شتى فروع المعرفة، مما دعم التبادل الثقافى بين بلدان المسلمين وبلدان غيرهم، كما يشهد به تاريخ المعرفة فى العالم كله.

– والأسلوب السابع هو الترجمة من اللغات غير العربية إلى اللغة العربية، وكان ذلك يشبه السيل الزاخر، ويتناول كل فنون العلم والادب والمعرفة عموماً، وكانت أوسع أبواب الترجمة فى قرون الإسلام الأولى بين اللغات الفارسية والهندية والإغريقية والكلاسيكية واليونانية والإيطالية، والإسبانية، ثم الفرنسية والإنجليزية فيما بعد، بين هذه اللغات وغيرها وبين العربية، ثم بين العربية وهذه اللغات، وكان أكثر ما ترجم إلى العربية ما ترجم عن الفرس والهنود والروم، وكانت بداية الترجمة إلى العربية عن طريق السريان واللغة السريانية، ثم عن طريق اليونانية.

وقد بدأت الترجمة فى زمن مبكر من تاريخ الإسلام أيام الأمويين ثم نشطت أيام العباسيين نشاطًا ملحوظًا، وقد اشتهرت أسر بعينها بالترجمة فى عهد العباسيين.

● وما من شك فى أن الترجمة معبر جيد تعبر عليه الثقافات من بلد إلى آخر.

– والأسلوب الثامن من أساليب التبادل الثقافى هو رحلة كثير من أبناء أوربا إلى بلدان العالم الإسلامى يتلقون فيها العلم، ويعرفون مناهجه على مدى سنوات يقيمون فيها فى بلاد المسلمين، ويعرفون مناهجه على مدى سنوات يقيمون فيها فى بلاد المسلمين، فينقلون إلى المسلمين ثقافة بلادهم، وينقلون عن المسلمين ثقافتهم إلى البلاد التى جاءوا منها.

– والأسلوب التاسع هو السفارات بين المسلمين وغيرهم من بلدان العالم، إذ يحمل هؤلاء السفراء بأنفسهم وبكتبهم ورسائلهم ومشروعاتهم ومقترحاتهم، إلى نظرائهم فى البلدان التى يمثلون بلادهم فيها من أفكار وقيم وألوان وأنواع الثقافة كلها مادية وغير مادية، وما يحمله هؤلاء السفراء بأنفسهم وبكتاباتهم ورسائلهم إلى بلادهم من أفكار وقيم وأنواع الثقافة كلها مادية وغير مادية وهذا تبادل ثقافى بين كل بلد وآخر يتبادلان السفراء والممثلين والملحقين الثقافيين والتجاريين وغيرهم – بلغة عصرنا هذا.

– والأسلوب العاشر من أساليب التبادل الثقافى التى أجازها الإسلام هو انتقال المسلم للبلاد غير المعادية للإسلام لتحصيل العلم الذى لا يوجد فى بلده «وذلك ما سمى حديثًا بنظام الابتعاث للحصول على درجات علمية» وقد انتشر هذا النظام، ومن خلاله يحدث تبادل ثقافى بين بلدان العالم الإسلامى وتلك البلاد المبتعث إليها، تبادل ثقافى يتناول كل أنواع الثقافة، وإن كان يعيبه أن ينقل المسلمون عن بلاد الغرب ثقافات تتعارض مع القيم الإسلامية.

وبعد.. فإن هذه الأساليب التى أشرنا إليها بإيجاز ليست كل الأساليب ولكنها بعضها، وهذا يؤكد أن الإسلام اعتبر للمسلم حقًّا فى التثقف والثقافة، بل إن من واجب المسلم أن يتثقف، وعمدتنا فى هذا أن الثقافة نوع من العلم والمعرفة، والإسلام لا يعترف بحدود يقف عندها التعلم والعلم أو لا ينبغى أن تتخطاها المعرفة، انطلاقًا من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وما قدمناه من أحاديث نبوية تجعل طلب العلم أى التعلم فريضة على كل مسلم، وتجعل تحصيل العلم مطلبًا ولو كان بأقصى الأرض أى بالصين، وتلزم الحكومة المسلمة بأن تهيئ لمن تحكمهم فرصًا للتعلم والعلم والتثقف والثقافة.

ونحن اليوم نعيش عصر سرعة الاتصال وطىّ المسافات وانتشار الثقافة ويُسْر المعرفة، وما يستطيع مسلم اليوم أن يقعد عن التثقف والثقافة لعدم القدرة المادية أو الإمكانات التقنية، بعد انتشار الصحافة واتساع نطاق وسائل الإعلام، وتيسير الحصول على المعلومة وعلى الثقافة من شبكات المعلومات، ولا عذر لحكومة بعد هذا التقدم التقنى فى الاتصال وتبادل الثقافات فى أن تقصر فى تزويد من تحكمهم بعديد من الثقافات.

● ويخطئ من يظن أنه فى غير حاجة إلى ثقافة الآخرين وأشد خطأً منه ذلك الذى يتقوقع داخل ثقافة بعينها مهما تكن مكانتها بين الثقافات، متوهمًا أنه يستطيع أن يعطى ولا يأخذ.

● إن الثقافات فى العالم الذى أصبح قرية أو مدينة يطوف بها الإنسان من أقصاها إلى أقصاها، إن هذه الثقافات متنوعة، لابد أن يفيد بعضها بعضا.

ب - تنوع الثقافات:

الإسلام الدين الخاتم، وكتابه الكتاب الخاتم، ورسوله الرسول الخاتم ﷺ، فلابد أن يكون موجهًا إلى البشرية كلها من يوم جاء إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

وقد دلَّت آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية على أن الإسلام رسالة للعالم، بل للعالمين، لأن الله الذى أنزله هو رب العالمين، ورسوله الذى ختم الله به رسله، رسول إلى العالمين، إلى الناس جميعًا على تعدد أجناسهم وبلدانهم وألسنتهم[1]، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

● وما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن نبى قبلى - ولا أقوله فخراً -: بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود....**».

والعالم الذى جاء إليه الإسلام متعدد الثقافات متعدد اللغات، ولابد أن يصل إليه الدين الخاتم، ولا بد أن يعترف الإسلام بهذا التعدد فى الثقافات وفى اللغات؛ ومن أجل ذلك كان الرسول ﷺ يتحدث لبعض من دخلوا فى الإسلام من غير قريش وأهل الحجاز بلغاتهم، كما

---

(١) انظر لنا: عالمية الدعوة الإسلامية، كتاب موسع نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م لفوزه فى المسابقة العالمية فى موضوعه، ثم نشرته دار عكاظ بالسعودية، ثم دار الوفاء بمصر ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

سنستشهد على ذلك، وكان يدعو بعض أصحابه إلى تعلم لغات غير العربية، ليكتب بالإسلام لغير العرب يدعوهم إلى الإسلام وليرد عليهم إذا كتبوا له، وسنؤيد هذا بالشواهد أيضاً.

● أما أنه كان يعرف ألسنة غير القرشيين والحجازيين ويخاطبهم بها فذلك ثابت مقطوع به.

قال القاضي عياض اليحصبي[1] الأندلسي في كتابه: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»: «وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منهم بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها.. مَن تأمل حديثه وسِيَره علم ذلك وتحققه، وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونَجْد ككلامه مع: ذى المِشعار الهمذاني وطهفة النهدى، وقطن بن حارثة العليمي والأشعث بن قيس ووائل بن حجْر الكندى وغيرهم من أقيال حضرموت وملوك اليمن.

– وانظر كتابه إلى همدان: أن لكم فِراعَها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفَاءها، لنا من دفئهم وصرامهم ماسلَّموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقة الثِّلبُ والنَّاب والفصيل، والفارض الداجن، والكبش الحُوَّارى، وعليهم فيها الصالغ والقادح».

– ومن كتابه لوائل بن حُجْر: إلى الأقيال العباهلة، والأوراع المشابيب، فيه: فى التِّبعة شاةٌ لا مُقَوَّرة الألياط، والاضُناك، وأنطوا[2] الثبجة[3]، وفى السُّيوب الخُمس، ومَنْ زنى م[4] بكر فاصقعوه[5] مائة، واستوفضوه[6] عامًا، ومَنْ زنى م ثَيِّب فَضَرِّجوه بالأضاميم[7]، ولا توصيم[8] فى الدين ولا غَمَه فى فرائض الله، وكل مسكر حرام، ووائل بن حجر يترفَّل على الأقيال».

---

(١) ولد (٤٧٦هـ، وتوفى ٥٤٤هـ) وهو عالم المغرب وإمام أهل الحديث فى وقته، ولى قضاء سبتة وغرناطة وتوفى بمراكش، له مؤلفات فى الحديث الشريف وفى مذهب الإمام مالك.

(٢) أنطوا: أعطوا.

(٣) الثبجة: المتوسطة.

(٤) م: لغة فى: مِنْ.

(٥) اصعقوه: اضربوه.

(٦) استوفضوه: غربوه وابعدوه لينحسر شره.

(٧) الأضاميم: الحجارة.

(٨) التوصيم: الفتور والكسل أى لا فتور فى الدين ولا كسل فى اداء عباداته.

– وقوله ﷺ لعطية السَّعدى فى حديثه ﷺ إليه: «**فإن اليد العليا هى المنطية، واليد السفلى هى المنطاة**» قال: فكلمنا رسول الله ﷺ بلغتنا.

– وقوله ﷺ فى حديث العامرىّ حين سأله: فقال له النبى ﷺ: «**سَلْ عنك**» أى سل عما شِئتَ وهى لغة بنى عامر.

● واختلاف لغات العرب قرره العلماء ومثلوا له بقراءات فى القرآن الكريم.

قال ابن فارس فى «فقه اللغة»: اختلاف لغات العرب من وجوه:

أحدها: الاختلاف فى الحركات نحو: نَسْتعين، ونِسْتعين.

قال الفراء: هى مفتوحة فى لغة قريش وأسد، وغيرهم يكسرها.

والثانى: الاختلاف فى الحركة والسكون مثل: مَعَكُم ومَعْكم.

والثالث: الاختلاف فى إبدال الحروف مثل: أولئك وألائك.

والرابع: الاختلاف فى التقديم والتأخير مثل: صاعقة وصاقعة.

إلى غير ذلك من الاختلافات التى أحصى منها العلماء أكثر من عشرة أنواع[١].

● وأما أنه ﷺ كان يطالب بعض أصحابه بتعلم لغات غير العربية كالفارسية والسريانية، فذلك ثابت فى السنة الصحيحة.

– فقد روى الترمذى بسنده عن زيد بن ثابت قال: أمرنى رسول الله ﷺ أن أتعلم السوريانية[٢].

– وروى أبو داود بسنده عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمتُ له كتاب يهود، وقال: «**إنى ما آمَنُ يهود على كتابى**» فتعلمته فلم يمر بى إلا نصف شهر حتى حَذَقته، فكنت أكتب له إذا كَتَب، وأقرأ له إذا كُتِبَ إليه».

● وفى القرآن الكريم كلمات من غير العربية كالفارسية والرومية والسوريانية والحبشية وغيرها، ويسمون هذه الكلمات المُعرب أو الدخيل أى الذى نطق به العرب فعربوه وأدخلوه على لغتهم.

---

(١) السيوطى: المزهر فى علوم اللغة وأنوعها ١ / ١٥٢ ط الحلبى ١٨ ربيع الأول ١٣١٨هـ، حيث عَدَّ من أنواع الاختلاف فى اللغة العربية ستة عشر نوعاً. نقلها عن ابن فارس من كتابه: فقه اللغة.

(٢) السوريانية فرع من اللغة الآرامية.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «أما لغات العجم في القرآن فإن الناس اختلفوا فيها، فروى ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء[1] وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة: إنها بلغات العجم[2]، منها: قوله: طه واليَمّ والطور والربانيون، فيقال: إنها بالسوريانية، والصراط والقسطاس والفردوس، ويقال: إنها بالرومية، ومشكاة وكفلين يقال إنهما بالحبشية.

وهيت لك، يقال إنها بالحورانية.

قال: فهذا قول أهل العلم من الفقهاء.

قال: وزعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء، لقوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

قال أبو عبيد: والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعًا، وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب؛ فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: عجمية فهو صادق»[3].

ومن تنوع الثقافات التي أقرها الرسول ﷺ ما رواه البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: « . . وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فإما سألتُ رسول الله ﷺ، وإما قال: **تشتهين تنظرين**، قالت: نعم فأقامني وراءه خدي على خده، ويقول: **دونكم بني أرْفِدة**، حتى مللتُ، قال: **حسبك**؟ قلت: نعم، قال: **فاذهبي**».

وبعد: فقد رأينا أن التثقف والثقافة حق للمسلم، عليه أن يحصله بنفسه ما استطاع، فإن لم يستطع فإنه واجب الحكومة.

والإسلام يحبب في ذلك ويؤكد أهمية التثقف والثقافة بل يدعو إلى الأخذ من الثقافات

---

(١) مجاهد وابن جبير وعكرمة مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعطاء من علماء التابعين رحمهم الله تعالى.

(٢) العجم هم غير العرب، وليسوا الفُرْس وحدهم.

(٣) السيوطي: المزهر في علوم اللغة: ١/١٥٩ ط الحلبي القاهرة ١٣١٨هـ.

المتنوعة، وفيما قدمنا من آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة ومواقف السيرة النبوية الشريفة، ما يؤيد ذلك ولله الحمد.

كما أكدنا من قبل أن التعلم والعلم حق له أيضاً، ونجمل هنا القول بأن مفتاح التعلم والشقف كان من عند الله تعالى من يوم أبينا آدم عليه السلام إذ منّ الله تعالى عليه بأن علمه الأسماء كلها واختصه بذلك دون ملائكته الكرام البررة كما جاء في قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ.... ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣].

فهذه الآية الكريمة توحي بأن العلم الذى علمه الله تعالى لأبينا آدم عليه السلام علم يتصل بعيشه على الأرض التى أهبط إليها لكي يعيش على ظهرها ويتعامل مع ما أودع الله فيها من خيرات، وهذا العلم الذى علمه الله تعالى لآدم عليه السلام أوليات العلوم الكونية وأبجدياتها التى إن داوم الإنسان على التفكر والتدبر فيها ووالى البحث والتجارب استطاع أن يسخر عناصرها لصالحه فى دينه ودنياه.

ورحلة العلم وإن كان لها بداية، فإنها لا نهاية لها أبداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، والتعامل بالعلم مع مفردات هذا الكون حتى يوفر الإنسان لنفسه حاجاته الضرورية المادية والمعنوية، آمنًا من الخوف ومن الجهل ومن المرض ومن العدو، ومعنى ذلك أن غاية هذا العلم دينية دنيوية فى نفس الوقت.

- إن غاية العلم الدينية هى الاهتداء بدلالة هذا العلم الكونى على معرفة الله تبارك وتعالى عند رؤية هذا الكون منضبطًا خاضعًا لنواميس لا تتخلف، مما يؤكد قدرة الله تعالى المحيطة بجميع مخلوقاته، لأن ذلك يعزز إيمان الإنسان بخالقه العظيم سبحانه وتعالى، وبأن الأمر كله بيده، وأن سُنَنَه فى الكون حركته ونظامه لا تختل ولا تتوقف.

- وغاية العلم الدنيوية أن يتمكن به الإنسان من ربط حياته بمعطيات هذا الكون ونظمه وما فيه مما أنعم الله به على الإنسان ومما سخر له من مفرداته، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: **﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾**

[النحل: ١٢، ١٣].

● وغاية العلم دينيًا ودنيويًا أن يحافظ على حقوق الإنسان وييسر له الحصول عليها، وأن يؤمن له حياة آمنة سعيدة من خلال تأمين مطالب جسده المادية والمعنوية.

وإذا كان التعلم والعلم والتثقف والثقافة من مطالب الإنسان المعنوية، فإن التديُّن وعبادة الله تعالى على رأس هذه المطالب لجسد الإنسان روحه وعقله وخلقه.

٢ - حق الإنسان فى التَّديّن وعبادة الله وحده:

● التَّديُّن: الالتزام بالدين والتطبيق العملى لما جاء به.

والدِّين: هو الطاعة لله تعالى والانقياد لشريعة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ...**﴾ [النساء: ١٢٥]، أى: ومن أحسن طاعة وانقيادًا لشرع الله.

والدين الإسلامى الخاتم أوسط الأديان والأمة التى تحمله وتدعو إليه هى أوسط الأمم، قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...**﴾ [البقرة: ١٤٣]، أى أمة عدولاً خيارًا بما وفقكم الله إليه من الدين الصحيح.

وقد قضى الله ألا يقبل من أحد دينًا غير الدين الإسلامى بعد أن جاء خاتم الرسل محمد ﷺ، فليس لأحد أن يتدين بغير دين الإسلام إن أراد أن يقبل الله تدينه، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٨٥].

● والعبادة: هى إظهار غاية التذلل، ولا يستحقها إلا الله تبارك وتعالى لأنه وحده له غاية الإفضال على عباده.

- والعابد هو من عَبَدَ الله وحده، ويجمع العابد على: عُبَاد.

- والعبادة نوعان:

الأول: عبادة بالتسخير وتختص بالحيوان والنبات وسائر الجمادات، فهى تعبد الله تعالى وتسبحه مسخرة لذلك لا تملك الخروج عن هذه العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾ [الرعد: ١٥].

والثانى: عبادة بالتخيير، وتلك خاصة بالإنسان العاقل المكلف، فهو يؤمن أو يكفر باختياره، ويعبد الله تعالى باختياره كذلك، فعبادته لله تعالى ترجمة عن تدينه بدينه الخاتم.

وحديثنا عن ذلك التدين وتلك العبادة فى نقطتين:

التدين، والعبادة لله وحده.

أولاً: التَدَيُّن، عناصره ومفرداته:

التَّدين فطرة فى الإنسان فطره الله عليها، بمعنى أن كل إنسان سليم الروح والعقل مستقيم الفكر يرغب أن يتدين بدين، وعندما يعمل عقله فيفكر ويتدبر ويستقرىء الأديان المعروفة يجد نفسه فى حاجة إلى أن يتدين بالدين الخاتم أتم الأديان وأكملها وأرضاها لله تعالى.

وحاجة الإنسان ملحة إلى الدين الصحيح الخاتم لاشتماله على العقيدة الصحيحة والأخلاق المستقيمة.

- والعقيدة الصحيحة فى الدين الخاتم تعنى الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. والإسلام لله والإذعان لمنهجه ونظامه وعبادته وَفق هذا المنهج.

- والأخلاق القويمة فى هذا الدين الخاتم تعنى التَّحلى بكل فضيلة والتخلى عن كل رذيلة، وفى قمة هذه الفضائل حب الخير، وفى قمة هذه الرذائل الشرور.

- وقد كفل الإسلام للإنسان حرية التدين - مع سائر ما كفل له من حريات سنتحدث عنها بعد قليل - بل شرع له أن يقاتل من يحول بينه وبين التدين وعبادة الله تعالى، حين اعتبر فتنة الناس عن دينهم جريمة أكبر من جريمة قتلهم.

قال الله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٣].

وإذا كان ذلك شأن التدين فى الإسلام، فما هى عناصره أو مفرداته؟

- **من عناصر التدين ومفرداته:**

أ - معرفة الله تعالى: معرفة صحيحة من خلال ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مما وصف الله تعالى به نفسه؛ ذاته وأفعاله.

ومن شروط هذه المعرفة:

– حصول الهيبة من الله تعالى والرجاء له، لأن من عرف الله تعالى هابه ورجاه، وقد قال الأسلاف: من كان بالله أعرف كان له أخوف، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..﴾ [فاطر: ٢٨].

– وحصول الأنس بالله تعالى، أى أنَّ قلب من غرف الله يأنس بهذه المعرفة فيحس بقرب قلبه من الله تعالى، فيجده قريبًا منه.

– ومن عرف الله تعالى لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت، ويتسع أمامه كل ضيق، ويصفو له العيش وتطيب له الحياة، وتقر عينه بالله وبكل ما يجرى عليه من قدر الله تعالى.

وهذه المعرفة بالله تعالى هى حاجة روحية للإنسان لا يستطيع العيش الكريم إلا بها.

ب – والتوجه إلى الله تعالى بالعبادة: على النحو الذى أمر به وحده، لا كما يتخيلها بعض الناس، لأن الله تعالى هو وحده أدرى بما يصلح عباده من عبادات، ولذلك فرضها على النحو الذى فرضها عليه.

– وأنفع العبادة ما كان خالصًا لله تعالى، مطلوبًا به رضاه سبحانه وتعالى، مستهدفًا رحمته ومغفرته وجنته التى أعدها لعباده الذين اطمأنت نفوسهم إلى الله تعالى، فسلموا الأمر له واستهدفوا التوكل عليه موقنين بصدق ما وعد به عباده الصالحين.

– وأحسن العبادة الدعاء، إذ ليس شيء أكرم على الله من الدعاء، روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**الدعاء مخ العبادة**» وأنفع الدعاء طلب العون من الله تعالى على مرضاته.

– وأحسن الدعاء ما توجه به العبد إلى ربه وهو موقن أنه سوف يجيبه إلى ما سأل، ثقة بالله تعالى وحسن ظن به سبحانه، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه**».

جـ – والالتزام بالخلق الحسن:

الأخلاق القويمة حاجة من حاجات الإنسان النفسية والاجتماعية، فإذا تحلى بها تحققت له الراحة النفسية وتوفرت له العلاقات الاجتماعية الناجحة، لذلك أمر بها الإسلام وجعلها من واجبات الإنسان لصالح جسده؛ روحه وعقله وخلقه وسلوكه الاجتماعى.

روى أحمد بسنده عن أبى ذرّ الغفارى رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال له:

«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

ورواه الترمذى، والدارمى، وغيرهما.

– والاستجابة لأمر الرسول ﷺ استجابة لما يحيى الإسلام فى قلوب المسلمين وفى جوارحهم، وما يحيى الإنسان نفسه لأن أوامر الله ورسوله حياة لأرواح الناس وعقولهم وأجسامهم وما يأمر الله ورسوله إلا بكل خير، وبكل خلق حسن.

– والأخلاق القويمة تزكى النفس وتطهرها من نعيم الأخلاق ومساوئها، وإذا تطهرت نفس الإنسان من ذميم الأخلاق عاشت بين الناس راضية مرضيًا عنها ممن يحيطون، ثم نالت يوم القيامة رضا الله سبحانه وتعالى فادخلها الجنة، وتلك غاية يتمناها كل مسلم.

د – والتوسط والاعتدال:

وذانك من صميم التدين ومن أهم عناصره، التوسط فى كل الأمور والاعتدال فيها جميعًا، والتوسط من الوسط، والوسط من كل شيء يوحى بأنه نفيس عزيز خيِّر.

كما يطلق التوسط على الصفة الواقعة بين خُلُقين ذميمين أوحميدين فى أحدهما إفراط وفى الآخر تفريط مثل: الشجاعة بين طرفين ذميمين هما: الجبن والتهور، ومثل: العدالة بين طرفين هما: الرحمة والقسوة.

ووسط الأمر خيره، ووسط الأمم خيرها، وقد وصفت به أمة محمد ﷺ، وهو ثناء على تلك الأمة من رب الخلق سبحانه.

– والتوسط يعنى فى مجال التدين توسطًا بين المفْرِط والمفَرِّط، والغالى، والمقصر، وضُرب المثل بالغالين فى الدين بالنصارى حيث جعلوا المسيح ابن الله، وضرب المثل بالمقصرين فى الدين باليهود حيث بدلوا الكتب واستخفُّوا بالرسل.

– والاعتدال: من العدل وهو التقسيط على سواء، وهو التوسط بين حالين، كما يعنى الاستقامة، وبكل معنى من معانى الاعتدال فإنه من عناصر التدين الصحيح، إذ التدين الصحيح كما هو وارد فى السنة النبوية توسط واعتدال وتسديد ومقاربة، وبعد عن التشدد والتنطع، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه؛ فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».**

وروى الطبرانى – فى الأوسط – بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْر دينكم أيسره**».

وروى أحمد بسنده عن عروة التميمى رضى الله عنه قال: كنَّا ننتظر النبى ﷺ فخرج يقطر رأسه من وضوء أو غسل فصلىٰ، فلما قضى الصلاة جعل الناس يسألونه يا رسول الله أعلينا حرج فى كذا.. فقال رسول الله ﷺ: «**لا أيها الناس، إنَّ دِينَ الله عز وجلَّ فى يُسْر**» ثلاثًا يقولها.

وروى أحمد بسنده عن محجن بن الأدرع رضى الله عنه، قال: .... ثم أقبلنا حتى إذا كنا بباب المسجد، إذا رجل يصلى.. قلت: يا نبى الله، هذا فلان وهذا من أحسن أهل المدينة، أو قال: أكثر أهل المدينة صلاة، قال: «**لا تُسْمِعْه فتهلكه**» – مرتين أو ثلاثًا – **إنكم أمة أريد بكم اليسر**».

هـ – إجادة العلوم الكونية والتفوق فيها:

إجادة علوم الدنيا – مع معرفة علوم الدين – عنصر مهم من عناصر التدين الصحيح، بل إن التفوق فيها مطلب دينى قبل أن يكون مطلبًا دنيويًا، لأن الدين لا يتجاهل مصالح الدنيا، وإنما يدعو إلى الاهتمام بها وأخذ الأسباب العملية لكى يسخر الإنسان ما أودع الله فى هذه الدنيا من طاقات لتكون حياته الدنيا أسعد وأرضى لله تعالى.

وليس أضر على الإنسان من أن يتوهم أنَّ التدين يعنى الابتعاد عن علوم الحياة الدنيا، إنه توهم ممعن فى الخطأ فى فهم الدين والدنيا معًا.

إن كل تقدم فى هذه العلوم الكونية الدنيوية دعم للتدين الصحيح، وتيسير لعبادة الله تعالى، بل ليس من المبالغة فى شىء القول بأن التَّبحر فى علوم الدنيا هو من صميم عبادة الله تعالى – كما سنوضح هذا عند حديثنا عن العبادة بعد قليل – إذ لا حياة للإنسان دون أن يستعين بعقله على أن يتقدم فى هذه العلوم وأن يتبحر فيها ما وسعه التَّبحر.

– إن الله تعالى أمرنا بالسير فى الأرض والنظر فى ملكوت السموات والأرض، لأخذ العظة والعبرة، وإحسان السعى فى مجال العلم عن طريق العقل وسائر الحواس الإنسانية ومن لم يفعل فقد عمى قلبه وتعطل عقله وسائر جوارحه.

قال الله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦].

وقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ....﴾ [الأعراف: ١٨٥].

– ولقد ضرب المسلمون فى العلم بسهم وافر، وإذا كان المسلمون قد استطاعوا أن يقيموا حضارة ومدنية فى زمن مبكر من تاريخ الإسلام – القرن الرابع الهجرى، العاشر الميلادى تقريبًا – فكان ذلك دليلاً قاطعًا على أنهم امتلكوا ناصية العلم – كما اعترف بذلك غير المسلمين(١) – فقد تفوق المسلمون علميًا فى الإدارة والتجارة والعلم والفن والسياسة والاجتماع، بل إن أوربا فى عصر النهضة العلمية فيها أفادت فوائد عديدة وجليلة من علوم المسلمين، وتفوقهم ومكتشفاتهم، لا ينكر ذلك أحد من العارفين المنصفين.

● والعلم مجموعة من المعارف والمبادئ والكليات العامة التى تتعلق بحقيقة ظاهرة معينة.

وعماد العلم وأساسه الملاحظة والتجربة.

والتفكير العلمى من خصائصه دقة المفاهيم، والتعميم، وإمكان اختبار الصدق، وثبات الصدق، والموضوعية والبناء النسقى والتخلص من الميول الشخصية.

وللإسلام خطة ومنهج للعلم سبق بها كثيرًا من الأديان والنظم، وأتى فيها بكل جليل ودقيق فى منهج العلم وفي البحث والتحليل(٢).

ويرتب العلماء العلم ترتيبًا تنازليًا يبدأ بالأعم، ثم يتجه إلى الأخص على النحو التالى:

– علم المنطق.

– وعلم الحساب.

– وعلم الهندسة.

– وعلم الحركة.

– وعلم الميكانيكا.

– وعلم الطبيعة أو علومها.

---

(١) من هؤلاء: آدم متز فى كتابه: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام – نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة.ودار الكتاب العربى ببيروت ط ٤ عام ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

(٢) انظر لنا: نحو منهج بحوث إسلامى، نشر دار الوفاء بمصر ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

- وعلم الفلك.
- وعلم «الجيولوچيا»، طبقات الأرض.
- وعلم الكيمياء.
- وعلم الأحياء.
- وعلم الاجتماع.
- وعلم النفس.

وما يتفرع عن كل علم منها إلى عشرات العلوم التى تزداد يومًا بعد يوم كلما تقدم العلم وتطورت وسائل البحث والكشف.

والذى لا شك فيه أن الإسلام شجع على العلم وعلى التبحر فيه، ما دام ذلك يخدم صالح الإنسان فى دينه ودنياه، أو يدفع عنه ضررًا فى دينه أو دنياه، بل طالب به، وأوجبه كما أوضحنا ذلك آنفًا.

و - تحرير العقل من الوهم والخرافة:

لا تدين على وجه الحقيقة ما لم تكن هناك حرية للعقل وحرية للتفكير وحرية للإرادة والاختيار، فحرية التفكير دائمًا عنصر هام من عناصر التدين الصحيح؛ لأن فقد حرية الفكر يعنى أن التدين بالإكراه وبالقهر!!! وكيف يكون ذلك والله تعالى يقول: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...**﴾ [البقرة: ٢٥٦].

● وحرية الفكر تعنى بوصفها عنصرا من عناصر التدين الصحيح:

- تحرير العقل من الوهم والخرافة.
- وتعويد التفكير العلمي المنهجي.
- أما تحرير العقل من الوهم والخرافة فتعنى أن يكون العقل حرًا وهو يفكر، لا تسيطر عليه الأوهام ولا الخرافات، وهذه الحرية مقررة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف: ٢٩].

  وفى قوله تعالى: ﴿**قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا....**﴾ [الإسراء: ١٠٧].
- ولا تتم حرية الفكر للإنسان إلا إن تحرر عقله من الوهم والخرافة، ومن كل ما لا يقوم عليه برهان، أى يكون مجردًا من الهوى ومن الأحكام المسبقة ومن كل موروث فكرى

أو ثقافى لا يقبله العقل السليم، ومن كثير من الظنون التى لا تغنى عن الحق شيئًا، وكل ذلك مقرر فى آيات من القرآن الكريم، وفى كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، ومن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

[الجاثية: ١٨، ١٩]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٣٦].

وروى البزار بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منَّا من تَطيَّر أو تُطيِّرَ له، أو تكهَّن أم تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**.

إن كل هذه الأمور من الأوهام والخرافات التى حرص الإسلام على أن يحرر العقول منها.

● وأما تعويد العقل على التفكير العلمى المنطقى، فذلك هو منهج القرآن الكريم فى التعامل مع عقل الإنسان؛ يحترمه، ويعلم أنه بفطرته مجادل لا يسلم إلا إذا اقتنع، لذلك جاء القرآن الكريم يهدى للطريقة والخطة التى هى أقوم الطرق والخطط: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

- والقرآن الكريم يخاطب العقل ليقنعه بالحق الذى يدعو إليه، لذلك كان بعض الناس يدخل فى الإسلام مقتنعًا به عندما يسمع آيات من القرآن تخاطب عقله وتحترم قدرته على التفكير، ومن ذلك ما ذكره السيوطى[1]، قال: سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ فى صلاة المغرب بالطور، فلما بلغ رسول الله ﷺ هذه الآيات: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧]. قال: كاد قلبى يطير وذلك أول ما وقر الإسلام فى قلبى».

- وللقرآن الكريم فى إقناع العقل بالاستدلالات المنطقية أساليب عديدة تضمنتها آيات

(١) السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن: ج ٢/٢٠٧ ط المشهد الحسينى د.ت.

قرآنية عديدة أحصاها العلماء وأفاضوا فى الحديث عنها[١]. ومن ذلك قوله تعالى:

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]. وقوله جل شانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقوله عز وجل حاكياً سؤال رسوله إبراهيم عليه السلام حين أراد أن يقتنع ويطمئن إلى قدرة الله تعالى على إحياء الموتى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ففى هذه الآيات الكريمة وأمثالها تحشد الأدلة والبراهين وينظر كل طرف من أطراف الحوار أو الجدل إلى حجج الطرف الآخر وبراهينه، فيقبلها أو يردها، وهذا هو التفكير العلمى البعيد عن الأهواء والميول، المتجرد من الأحكام الجزافية المستبعد لكل تسرع أو عجلة.

ثانياً: العبادة، عناصرها ومفرداتها:

العبادة – كما قلنا آنفاً – هى إظهار غاية التذلل، ولا يستحق ذلك إلا الله تبارك وتعالى لأن له غاية الإفضال على الناس.

وهذه العبادة لله فطرة فى الإنسان وحاجة من حاجاته مثل سائر حاجاته المعنوية التى ذكرنا، فلا يصح جسد الإنسان وما يحتويه من روح وعقل وجوارح وحواس إلا إن حقق حاجته فى عبادة ربه مادام سوى الفطرة سليم الروح والعقل.

● وهذه العبادة لله تعالى أوسع بكثير مما يتصوره بعض الناس الذين يقصرونها على أداء ما فرض الله على الإنسان من فرائض.

ومن عناصر هذه العبادة ومفرداتها:

أ – عبادة التفكر فى خَلْق الله:

التفكر فى مخلوقات الله والتدبر فيها، وهدف التفكر التماس الغايات من بداياتها، إذ البداية الحقيقية لكل تفكر هى إعمال القلب الواعى والعقل الناضج للوصول إلى الغاية وهى إرضاء الله. ومن تفكر فى مخلوقات الله وتدبر حقق مصالح عديدة فى دينه ودنياه هى:

---

(١) منهم الإمام السيوطى فى كتابه الإتقان فى علوم القرآن الذى أشرنا إليه آنفاً.

أنه انتفع بالعظة بعدما تفكر.

وأنه استبصر ووعى العبرة.

وأنه ظفر بثمة هذا التفكر وذاك الاعتبار، فتمثلت هذه الثمرة فى معرفة حقيقة الدنيا وأنها قصيرة سريعة الانقضاء، وأصدق ما يكون عمر الإنسان فى الدنيا كما وصفه الله تعالى فى قوله الكريم: ﴿ **يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا** ﴾ [طه: ١٠٣، ١٠٤]. أى أنه مهما طال عمر الإنسان فى الدنيا فإنه فى الحقيقة يوم أو بعض يوم.

وروى ابن ماجة بسنده عن عبدالله بن عمر – رضى الله عنهما – قال: مَرَّ رسول الله ﷺ علينا ونحن نعالج خُصًّا لنا، فقال: «**ما هذا**»؟ فقلتُ: خص لنا وَهَى وها نحن نصلحه فقال رسول الله ﷺ: «**ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك**».

ب – وعبادة التَّدَبُّر فى القرآن الكريم:

وهى أجَلُّ العبادات وأنفعها للإنسان، والله تبارك وتعالى يخبر أنه أنزل القرآن ليتدبر عباده آياته، وليتذكر أصحاب العقول ما تدلهم عليه هذه الآيات من خير وما تحذرهم منه من شر، قال الله تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ [ص:٢٩]

ومن لم يتدبر القرآن الكريم فقد حرم الخير وحام حول الشر وكأنما وضع قفلا حول قلبه، قال الله تعالى فيمن لا يتدبرون القرآن الكريم: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ [محمد: ٢٤]

والقرآن الكريم ربيع قلوب المؤمنين وجلاء همهم وذهاب غمهم لمن تدبَّر ووعى، فهو كتاب الكون كله وكتاب الحق وكتاب الخير والبر، وهو مصدر العلم والثقافة، ومنبع الحكمة والمعرفة، ومرجع الشريعة وما فيها من حلال أو حرام، وهو كما قال عنه منزله سبحانه وتعالى: هدى للناس، وهدى للمتقين، وهدى للعالمين، وهدى وبشرى للمؤمنين، وهو الهدى ودين الحق، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وهو بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون.

وروى الدارمى بسنده عن علىّ رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ستكون فِتَن**» قلتُ: وما المخرج منها؟ قال: «**كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم،**

وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذى من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدَى فى غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجباً، هو الذى من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم».

- إن تلاوة القرآن الكريم والتدبر فى آياته عبادة لله تعالى بل من أفضل العبادات، وهى حاجة للإنسان لا يستقر إلا من حققها.

جـ - وعبادة الله بأداء ما فرضه على عباده:

ما فرض الله على عباده من فريضة إلا وكان صلاح الإنسان فى معاشه ومعاده فى أدائها.

وفرائض الله تعالى كثيرة تتناول كل ما له صلة بحياة الإنسان فى معاشه ومعاده: كالصلاة والذكر وتلاوة القرآن، والصيام، والحج، والزكاة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والعدل والإحسان، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وسائر ما فرض من فرائض تتصل بتحسين علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبأهله وذويه، وبغيره من الناس.

- وأداء هذه الفرائض على وجهها الصحيح يزكى الروح وينقيها ويقربها من الله تبارك وتعالى، ويباعد بين الإنسان والغفلة من جانب وبينه وبين المعصية والإثم من جانب آخر، ويورث الإنسان مكارم الأخلاق من جانب ثالث، ويحدث لجسد الإنسان نشاطاً وحيوية وقدرة على الحركة من جانب رابع، وهكذا تتعدد الفوائد بأداء ما فرض الله على عباده من فرائض، بحيث يجوز لنا أن نقول:

- إن كل خير يصيبه الإنسان فى حياتيه الدنيا والآخرة هو بسبب أدائه ما فرض الله عليه من فرائض.

- وإن كل شر ينجو منه الإنسان فى حياتيه الدنيا والآخرة هو بسبب أدائه لما فرض الله عليه من فرائض.

- وفرائض الله تعالى على عباده مصدرها القرآن الكريم، وسنة النبى ﷺ وسيرته.

ومن أهم أحكام هذه الفرائض ان جاحدها يحكم بكفره، وأن تاركها يستحق عقاب الله تعالى وعذابه.

ومن أحكامها أنها نوعان :

فرض عيني يلزم كل مسلم أداؤه مثل : الإيمان .

وفرض على سبيل الكفاية إذا قام بأدائه بعض المسلمين سقط عن سائرهم كالجهاد في سبيل الله وصلاة الجنازة ونحوهما .

- وأداء فرائض الله تعالى حاجة نفسية جسدية اجتماعية للإنسان، حتى إنها تعد من حقوقه، ولا يجوز لأحد أن يحول بينه وبين أدائها .

د - وعبادة الله بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم:

النصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهى عما فيه الفساد .

والنصح تحرِّى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه .

ونصحتُ له الوُدَّ أى أخلصته .

روى مسلم بسنده عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«الدين النصيحة» قلنا : لمن؟ قال : «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**.

- والنصيحة لله تعنى : الإيمان به ونفي الشرك عنه، وترك الإلحاد فى صفاته ووصفه بالكمال والجلال وتنزيهه عن النقص، كما تعنى : طاعته وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه، والحب فيه والبغض فيه .

- والنصيحة لكتابه تعنى : الإيمان بأنه كلام الله تعالى نزله على خاتم رسله محمد ﷺ، ولا يشبهه كلام أحد من خلقه، وتلاوته حق التلاوة، والوقوف مع أحكامه، والعمل بأمره واجتناب ما نهى عنه .

- والنصيحة لرسوله ﷺ تعنى : تصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته فى أمره ونهيه ونصرته حيًّا وميتًا، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وبث دعوته ونشر شريعته، واتخاذه ﷺ قدوة .

- والنصيحة لأئمة المسلمين تعنى : معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق، وإعلامهم بما غفلوا عنه من حقوق المسلمين، والصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج عليهم بالسيف .

- والنصيحة لعامة المسلمين تعنى: إرشادهم لمصالحهم فى آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم، وتعليمهم ما يجهلونه من دينهم وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتنشيط هممهم للطاعات وحبهم وحب الخير لهم، ومراعاة ما أمر الله تعالى به فى التعامل معهم.

● والنصيحة بهذه المعانى الإسلامية التى تحدث عنها الرسول ﷺ عبادة لله تعالى، بل من خير عباداته سبحانه وتعالى.

وهى بهذه المعانى حق لكل مسلم، بل حاجة من حاجاته لا يجوز لأحد أن يمنعه منها، وعند ممارسة النصيحة بهذه المعانى فإنها تحقق للإنسان؛ روحه وعقله وخلقه وما يحويه جسده راحة وشعوراً بالرضا، وبالقرب من الله تعالى لأنه امتثل أمره، واجتنب ما نهى عنه.

- والنصيحة بهذا المعانى دعم لأواصر المودة والوئام بين الناس، وما يحدثه هذا من استقرار اجتماعى فى حياة الناس، كما أن النصيحة بهذه المعانى تنفى عن المسلمين السلبية والتراخى وعدم الاهتمام بأمور المسلمين.

هـ- وعبادته بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا:

● الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ركن ركين من أركان الإسلام، وترجمة عملية للإيمان بالله ورسوله، ولولاه ما عَرَف الناس كثيراً من أنواع البرّ والخيّر ولا عرفوا عن كثير من أنواع الشر والإثم، وكثير مما يغضب الله تعالى.

وقد وجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام، بل إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - مع الإيمان بالله - هو الذى هيأ الأمة المسلمة لان تكون عند الله خير أمة أخرجت للناس.

- والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو الذى جعل للأمة المسلمة أعظم رسالة إصلاحية تصحيحية فى الحياة الإنسانية كلها؛ لأنه عند التحليل هو قمة الإصلاح لكل ما هو فاسد وقمة الصحيح لكل ما هو معوج.

- والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - كما يقول الإمام الغزالى فى كتابه الجامع: «إحياء

علوم الدين» - هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهم الذى ابتعث الله تعالى له النبيين أجمعين[1]. لهذا ولغيره فهو من أفضل عبادات الله تعالى.

- والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، بمختلف مراحله ومتعدد أنواعه، وهو عبادة فرضها الله على المسلمين إلى أن يقوم الناس لرب العالمين لا يعطله جور جائر ولا عدل عادل، وهو واجب على كل مسلم قادر عليه من أدنى درجاته وهى إنكار القلب إلى أعلى درجاته وهى القتال بكل آلياته.

- والجهاد فى سبيل الله واجب بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية وبسيرة المصطفى القدوة ﷺ، فقد كانت حياته جهاداً متواصلاً لم يتوقف أبداً[2].

- والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا عبادة لله تعالى، بل هو ذروة سنام الإسلام كله، وبالتالى فهو حق لكل مسلم لأنه يعبد الله من خلال ممارسته للجهاد.

- وبالجهاد يُؤَمِّن المسلمون للناس حرية الاعتقاد وحرية الإيمان دون إكراه لأحد على شىء من أمور العقيدة، ومن وسائل ذلك مقاومة الشرك وإبطال أسبابه، وبيان ما فيه من ضلال وتخبط وتنكب لطريق الحق، وهذه الأعمال وإن كانت مما أوجب الله على المسلمين إلا أنها حقوق لهم لا ينكرها عليهم إلا الظالمون الذين لا يخافون الله، ولا يجحدها إلا الكافرون بالله تعالى.

- إن ممارسة المسلم للجهاد فى سبيل الله عبادة لله تعالى تحقق للمسلم كثيراً من الفوائد لروحه وعقله وخلقه وسائر ما يحتوى عليه جسده، لذلك كان حقًّا له يجب أن يتمتع به ولا يحول بينه وبين التمتع به أحد.

و - وعبادة الله تعالى بإعداد القوة من أجل نصرة الدين الحق ونشره فى الناس والحركة به:

تلك عبادة لله تعالى يثاب فاعلها أجزل الثواب، ولا يعفى تاركها من المسئولية أمام الله تعالى، وهذا الإعداد للقوة من أجل مواجهة أعداء الله تعالى أعداء دينه عبادة فرضها الله تعالى على عباده بقوله عز وجل: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ**

(١) سوف نتحدث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بشىء من التفصيل فى الفصل الثالث من الباب الثانى من هذا الكتاب.

(٢) سنتحدث عن الجهاد بتوسع فى الفصل الثالث من هذا الباب.

عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

● وإعداد القوة من أجل نصرة الدين يتناول:

– إعداد القوة المعنوية التى تتمثل فى الإحساس بأن نصرة الدين واجب شرعى يجب أن تستعد للقيام به النفوس والعقول والمشاعر والأحاسيس، وأن ينتشر هذا الوعى فى الناس جميعًا.

– والإعداد العلمى لصد تيارات التشويه الموجهة ضد الإسلام، بإبطال هذه الشبهات وبيان وجه الحق فى قدرة الإسلام ومنهجه على حل مشكلات الإنسانية كلها فى أى زمان وأى مكان.

– والإعداد المادى لمواجهة أعداء الله أعداء دينه ومنهجه ونظامه، بحيث تصبح المواجهة للأعداء مأمونة النتائج ماديًا مع الاستعانة بالله تعالى والإيمان بأن النصر من عنده.

– وإعداد الآلة العسكرية الموازية لآلة العدو أو المتفوقة عليها علميًا وفنيًا وتقنيًا، مهما بلغت التضحيات بالمال والجهد والوقت، بل بالأنفس.

– وإعداد القوى المساندة للجيوش المسلمة المقاتلة، القوى المكونة من عامة المسلمين الذين لا ينتظمون فى سلك الجندية، لكى يساعدوا الجيوش النظامية المقاتلة معنويًا وماديًا بالمال والعتاد وتجهيز المقاتلين، وكفالة أسر الغائبين منهم فى ميادين القتال، بل مساندة الحكومات المسلمة بتوفير ما تحتاج إليه للقتال تبرعًا وتضحية وليس مجرد أموال تجبى منهم بقوة القوانين.

– وقمة هذا الإعداد وذروته إنما تكون بإحياء فقه الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، إحياء هذا الفقه فى نفوس المسلمين، بحيث يعرف عامة الناس حكم الإسلام فى الجهاد والمجاهدين، وشروط الجهاد وآدابه، وفقه التعامل الإسلامى مع الشهداء من المسلمين والقتلى من الأعداء أو الأسرى منهم، لأن للإسلام فى ذلك فقهًا إنسانيًا كريمًا يحترم فيه إنسانية الإنسان حتى لو كان قتيلاً، فضلاً عن أن يكون أسيرًا.

– والإيمان بأن من صميم فقه الجهاد فى سبيل الله، أن يكون نوع من الجهاد متوجهًا إلى مجال نشر الدين الحق فى الناس وبثه فيهم، والحركة به فى الناس والآفاق حتى يصل

الدين الحق إلى كل مكان يمكن أن يصل إليه، لأن هذا واجب كل مسلم قادر على بذل أى جهد فى سبيل الدعوة إلى الدين الحق لنشره فى الناس.

– ومن صميم فقه الجهاد العمل على إزالة العقبات والعراقيل من طريق نشر الدين الحق فى الناس، بكل الوسائل التى يبيحها الإسلام لإزالة هذه العراقيل، التى تبدأ من الردود العقلية ولا تنتهى إلا بإزالتها حتى لو كان ذلك يستدعى قتالاً.

وبعد: فهذا التدين بهذا المعنى وتلك العبادة بهذه المعانى، هذا وتلك حقوق للإنسان لابد أن يمارسها لتصح حياة الإنسان جسده وروحه وعقله وجوارحه، ويتطهر من الشوائب ومن عوائق الإيمان والإسلام والإحسان.

إن الإسلام يضمن لكل مسلم بل لكل إنسان يعيش فى كنف دولة مسلمة هذه الحقوق ويُحَرِّم إهدارها أو العدوان عليها، ويوجب حماية هذه الحقوق على الفرد نفسه وعلى من يلى أمره وعلى الحكومة التى يعيش فى كنفها.

٣ – حق الإنسان فى الحريات:

الحرية: الخلوص من العبودية، والحرّ: البرىء من العيب والنقص، والخالص من الشوائب.

والحرية: الخلوص من الرِّق ومن اللؤم، والخلوص من القيود.

وهذه الحرية بأنواعها – كما سنتحدث عنها بعد قليل – حق طبيعى لكل إنسان مؤمن أو كافر أو وثنى أو غير ذى دين، وهى حق تكفله له إنسانيته أمام سائر الناس.

وكل من يعتدى على حق الإنسان – فى حرياته كما سنوضحها – فهو قد اعتدى على إنسانية الإنسان، وما دام قد اعتدى على إنسانية غيره، فقد اعتدى على إنسانيته هو، مهما تسلط أو تعالى أو زعم أنه إنسان؛ إنه بهذا العدوان على حرية الإنسان قد اعتدى على إنسانيته هو، وشأن الأفراد فى العدوان على حرية الإنسان هو شأن الحكومات الظالمة المستبدة بل هو شأن الدول المغرورة بقوتها التى تحتل بلاد غيرها وتستوطن فيها، وتستغل خيراتها، مهما تطاولت فى ادعائها أنها تنمى هذا البلد أو ذاك أو تخلصه من حاكم ظالم مستبد، أو تجعل هذا البلد تحت وصايتها حتى يبلغ سن الرشد، أو تدير لهذه البلدة مقدراتها الاقتصادية أو تُحوِّل لها دفة السياسة من توجه إلى آخر[1]، وكل ذلك مزاعم لا تستند إلى شىء أدنى من المصداقية.

---

(١) الدول التى تمثل فيها هذا العدوان على حرية الإنسان فمارست معه القهر بل الرق والعبودية كثيرة من أشهرها: بريطانيا، وفرنسا، وبلجيكا، وهولندا، وإيطاليا، وإسبانيا، وألمانيا، والبرتغال، ثم جاءت أمريكا =

وسوف يكون حديثنا فى حق الإنسان فى الحريات شاملاً لثلاث نقاط :

أ – مفهوم الحرية .

ب – أنواع الحرية .

جـ- الحرية فى الإسلام .

ونسأل الله التوفيق والسداد .

أولاً : مفهوم الحرية :

للحرية مفاهيم عديدة فى مجالات الفكر الإنسانى، ونحاول هنا أن نستعرض بعض هذه المفاهيم، بعد أن أشرنا إلى مفهومها اللغوى بإيجاز .

● فمن مفاهيمها العامة، أنها : الخلوص من الضيق عمومًا، ومن ضيق الحجر والمنع، ومن التسلط .

– «وفى اصطلاح أهل الحقيقة : الخروج عن رِقّ الكائنات، وقطع جميع العلائق والأغيار» .

وهى على مراتب :

حرية العامة عن رِقّ الشهوات .

وحرية الخاصة عن رِقّ المرادات؛ لفناء إرادتهم فى إرادة الحق .

وحرية خاصة الخاصة عن رِقّ الرسوم والآثار؛ لانمحائهم فى تجلى نور الأنوار»[1] .

– «والحرية ضربان :

الأول : مَنْ لم يجر عليه حكم الشيء، نحو : «الحُر بالحرّ» .

والثانى : من لم تتملكه الصفات الذميمة من الحرص والشره على المقتنيات الدنيوية . . .

= ببدعة جديدة فى العدوان على حرية الإنسان فى عالمنا الإسلامى كما فعلت فى أفغانستان، والعراق حيث كونت جيوشًا من دول عديدة لتهاجم دولة صغيرة أو فقيرة لا تملك قدرة على مواجهة أمريكا . . والحديث ذو مرارة وشجن(!!)

(١) الجرجانى على بن محمد الشريف (٧٤٠ – ٨١٦هـ/ ١٣٤٠ – ١٤١٣م) التعريفات :(٩٠ –٩١)، ط مكتبة لبنان ١٩٧٨م، بدأ حياته العلمية متكلما من أهل النظر وختمها متصوفًا .

والتحرير: جعل الإنسان حُرًّا(١).

وحرّر القوم: أطلقهم وأعتقهم من أسر الحبس.

وفلان حُرُّ الوجه أى لم تسترقه الحاجة.

ـ وفى مصطلح علم الاجتماع:

الحرية هى: القدرة على الاختيار بين عدة أشياء، أى: حرية التصرف والعيش والسلوك حسب توجيه الإرادة العاقلة دون الإضرار بالغير، أو دون الخضوع لأى ضغط إلا ما فرضته القوانين العادلة الضرورية وما أوجبته الحياة الاجتماعية.

ـ وفى مصطلح علم السياسة:

الحرية هى: انعدام القيود القمعية أو الزجرية، وهى صفة للأعمال التى يقوم بها الإنسان دون ضغط أو إكراه، ويمارسها عن تصور سابق وقصد.

أو يدخل فيها الجانب الأخلاقى فتصبح الحرية هى ممارسة العمل الواجب عقلاً أو قانونًا أو عرفًا، والامتناع عن العمل الذى يحمل ضرراً للغير، أى إخضاع هذه الحرية للقيم.

والحرية فى مَفْهومها السياسى مرتبطة بتوفير عناصر ثلاثة:

ـ غياب الإكراه والقيود البشرية.

ـ وامتلاك وسائل القوة التى تحقق الأهداف المختارة إراديًا.

ـ وغياب العوامل الطبيعية التى تحول دون تحقيق القرار الحر مثل السلطات الجائرة المتسلطة، والقوى الغاشمة المستبدة.

● ومما يدخل فى مفهوم الحرية أنها غالبًا ما تكون معادية للسلطة الحاكمة، لأن السلطات الحاكمة فى المجتمعات الحديثة غالبًا ما تتلاعب بحق الإنسان في الحرية، بكثرة ما تفرض عليه من قيود قانونية نابعة من نظام حكم مستبد تدخل فى باب القمع والإكراه، مما لو تُرك ينسف الحرية من أساسها.

● ومن المؤكد أنه لن تتوافر للإنسان حرياته إلا إذا كان قويًا نفسيًا وعقليًا وجسديًا واجتماعيًا، ليستطيع توظيف طاقاته هذه فى نيل حريته أو انتزاعها، هذا واجب الإنسان.

---

(١) الراغب الأصبهانى (المتوفى ٥٠٢هـ): المفردات فى غريب القرآن ص ١١١ ط الحلبى بمصر ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

أما السلطة فإن عليها إذا أرادت تجنب الصدام مع الإنسان أن توفر له أساسيات حياته الإنسانية مثل:

- ما يؤمنه ضد البطالة.
- وما يؤمنه ضد الجهل.
- وما يؤمنه ضد المرض.
- وما يتيح له المشاركة في مستقبله السياسي، أي مشاركته في اتخاذ القرارات التي تتصل به من خلال قنوات شرعية بعيدة عن التزييف والخداع والمحاباة، سواء أكانت تلك القنوات مجالس نيابية أم مؤسسات أم جمعيات مدنية.

ومن النادر في المجتمعات الحديثة أن توافق سلطة حاكمة على توفير كل ذلك، وإن كانت تدعى هذا وتعلو به أصوات أجهزة الإعلام فيها وأبواق المنافقين والمنتفعين!!!

● إن الحريات اليوم لا تكاد توجد إلا إذا وجد نظام حكم عادل يقوم على الشورى والعدل واحترام حقوق الإنسان، أي ما يسمونه بلغة عصرنا هذا؛ ديمقراطية اجتماعية سياسية، فهل يوجد ذلك بصورته الصحيحة في المجتمع العالمي اليوم؟

ومن أجل ذلك يظل نضال الإنسان وجهاده في سبيل الحصول على حرياته مشروعًا، حتى يحصل عليها، ولا ينبغي أن ننخدع بدول ترفع شعار الحرية أو شعار المساواة والعدالة والإخاء، فإنها جميعًا مجرد شعارات تخفي وراءها عديداً من الانتهاكات لحقوق الإنسان عمومًا وحقه في الحرية على وجه الخصوص.

● ومما يدخل في مفهوم الحرية، تلك الحرية على مستوى الدول، وهي تعني - فيما يسمونه القانون الدولي[1] - استقلال كل دولة، وعدم تدخل دولة أخرى في شئونها، وتعني سيادة الدولة على أرضها ومياهها وأجوائها وملاحتها البحرية والجوية.

- ومما يخل بالسيادة والاستقلال ويقضي على حرية الدولة ما مارسه الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين وإلى اليوم من تسميات لاحتلال البلاد والعباد، تسميات ظاهرها

---

(١) القانون الدولي العام هو باختصار شديد القانون الذي يجمع النظم والقواعد التي إذا طبقت فإنها تمنع أي دولة من التصرف الأحادي دون اعتبار مصالح بقية الدول. واليوم أصبحت الدول القوية تنتهك القانون الدولي في تصرفاتها التي تضر بالدول الأخرى اقتصاديًا وسياسيًا. واوضح مثل على ذلك اليوم، الولايات المتحدة الأمريكية فقد انتهكت القانون الدولي عشرات المرات.

الرحمة والتعمير وحقيقته التخريب والإفساد والاستيلاء على خيرات البلاد وإساءة التعامل مع أهل البلاد، تلك التسميات المغالطة هى : الاستعمار والحماية والانتداب والوصاية، والتطوير، والتحضر، وأخيراً ما ابتكرته أمريكا بكل بجاحة ووقاحة وهو تحرير البلاد من الحكام المستبدين كما فعلت فى كثير من بلدان العالم، وكان من أقربها ما فعلته فى أفغانستان والعراق!!!

أما ما تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية على كثير من دول العالم النامى أو الثالث من عقوبات اقتصادية وسياسية فهو معول يهدم الحرية من أساسها ويحول الدول إلى دول تابعة ذليلة خائفة تتقرب ما وسعها إلى الولايات المتحدة الأمريكية القطب الأوحد والأقوى فى العالم، والأبعد عن احترام إنسانية الإنسان، والأكثر انتهاكاً لحقوقه وحرياته!!!

وبعد؛ فلعلى بهذا الإيجاز فى الحديث من مفهوم الحرية أكون قد قربته من ذهن القارئ، وهذا حسبى.

لكن الصورة عن الحرية لا تكتمل إلا بالحديث عن أنواعها.

ثانيًا : أنواع الحرية :

نقصد بأنواع الحرية أشكالها العديدة التى اصطلح المفكرون عليها قديمًا ووسيطًا وحديثًا، بل شغلتهم جميعًا، وكان حديثهم عنها فى مقدمة اهتمامهم بل من همومهم الملحّة عليهم؛ فجاءت الحرية عندهم تمثل حقًا أصيلاً للإنسان تضاف أو تجمع – فى بحوثهم ودراساتهم – إلى الحقوق العامة للإنسان، إذ نجد فى هذه البحوث والدراسات عنوانًا هو : «نظرية الحقوق والحريات العامة».

– وهذه الدراسات حول الحرية أو الحريات تتناول الإنسان من كل جوانب حياته، وإن كانت تهتم وتركز على أبعاد شخصيته أو جوانبها العديدة، وعلى سبيل المثال :

- شخصيته الجسدية وما يحويه هذا الجسد، وما يجب أن يكون له من حقوق وحريات تتصل بحياة هذا الجسد ونموّه، وسلامته، وصحته وحرية حركته وانتقاله.
- وشخصيته المعنوية وما يجب أن تتمتع به من حريات عقلية وشعورية وروحية، بحيث يعبر بها الإنسان عن طاقاته المعنوية كلها.
- وشخصيته الاجتماعية وما يجب أن تتمتع به من حريات وحقوق فى مجال العلاقات الأسرية، والعلاقات الاجتماعية العامة فى المجتمع، بل حقوقه فى مستوى معيشة يحفظ

عليه إنسانيته، التى كرمه بها الخالق سبحانه وتعالى، ويدخل تحت هذه الحقوق والحريات الاجتماعية عشرات الأنواع.

- وشخصيته السياسية، وما يجب أن تتمتع به من حقوق وحريات تكفل له الوعى والنضج السياسى الذى يمكنه من المشاركة فى قضايا السياسة ونظام الحكم، والخطط السياسية التى تضعها الحكومة لإدارة الحكومة ورعاية مصالح الناس، وحق تكوين الأحزاب وحق الانتخاب وحق الترشيح للمجالس النيابية وغيرها من مراكز اتخاذ القرار السياسى.
- ويمكن إجمال ذلك كله وأكثر منه تحت عنوان: «حقوق الإنسان» كما أحست بذلك أخيراً هيئة الأمم المتحدة فاعلنت وثيقتها فى حقوق الإنسان فى جمعيتها العامة التى أعلنت ذلك فى العاشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨م.
- وسوف أذكر من أنواع هذه الحريات ما يتسع له المجال فى هذا الموضوع من هذا الكتاب و الله المستعان.

أ - حرية الإرادة والاختيار:

يعنى هذا النوع من الحرية أن كل فرد له أن يتمتع بحرية إرادته واختياره فى جميع تصرفاته دون أى قوة ضاغطة عليه من خارجه، نعم قد تتدخل العوامل الثقافية والاجتماعية والنفسية والعضوية الخاصة به فتملى عليه تصرفا دون آخر، وذلك قد يحد من حريته، ولكنه حَدٌّ مقبول نابع من ذات الإنسان وليس من خارجه، فليست افتياتا ولا تعطيلاً لإرادته واختياره.

ب - حرية العقيدة والتدين والعبادة:

حرية العقيدة والتدين والعبادة تعنى: حرية الفرد فى اختيار العقيدة التى يقتنع بها ويؤمن بما فيها، ويتدين بما تطلبه منه من عبادات دون أن يفرض عليه ذلك فضلاً عن أن يكرهه أحد عليه، وله أن يعبر من معتقده وتدينه وعبادته بالقول أو العمل أو التعلم والتعليم.

وليس لحكومة أو جهة أو فرد أو جماعة أن يحول بين إنسان وبين حريته فى اعتقاده وتدينه وعبادته، وليس للحكومة أن تتدخل لتشجيع حركة دينية على أخرى.

جـ- الإحساس بالأمن أى التحرر من الخوف :

هذا الأمن نوعان :

- أمْن فردى : وهو جزء من حرية الإنسان بأن يأمن على نفسه من الحبس أو الاعتقال أو العقوبات الجسدية والتعذيب وتلفيق التهم، والمراقبة والتجسس على أموره كلها، أو إكراهه على القيام بعمل لا يرغب أن يقوم به، أو الاستبداد بأى حق من حقوقه.

- وأمن عام : وهو ما يجب أن تقوم به الحكومة من أعمال توفر للمواطن استقرار الأمن النفسى والاجتماعى والسياسى والاقتصادى، والأمن ضد الأخطار العارضة - وهو ما نسميه الدفاع المدنى - والأمن ضد اللصوص وغيرهم، وهذا الأمن العام والأمن الفردى من لوازم استقرار المجتمع لكى ينتج ويعيش رخاءً.

ومن حق كل إنسان أن يشعر بالأمن أى يتحرر من الخوف عمومًا ومن خوف الظالمين والباطشين والمستبدين من الحكام وغيرهم، فهذه حرية المواطن فى الإحساس بالأمن.

د - وحرية الاكتفاء أى التحرر من الحاجة :

الحاجة هى : كل ما يحتاج إليه الإنسان ليسد ما هو ضرورى من رغباته، أو لتوفير ما هو مفيد لعيشه الإنسانى الكريم.

وللإنسان حرية فى أن يحقق لنفسه الاكتفاء الذاتى لِسَدِّ هذه الحاجات دون أن يحرمه أحد من هذه الحرية.

إن هذه الحاجات هى الدوافع الطبيعية أو الميول الفطرية التى تدفع الإنسان إلى تحقيق غاياته النفسية أو الاجتماعية، وسواء أكانت هذه الحاجات أولية كالحاجة إلى الطعام والسكن والملبس والزوجة، أم كانت حاجات متولدة عن العيش فى جماعة كالحاجة إلى التعلم والقيادة والضبط الاجتماعى، أم كانت حاجات تكاملية من تلك التى تحقق انسجامًا اجتماعيًا، كل هذه الأنواع من الحاجات؛ للإنسان الحرية فى أن يحقق فيها اكتفاءه الذاتى، وأن تعاونه الحكومة على ذلك، ليتحرر من الوقوع فى أسر الحاجة وضررها.

والاكتفاء الذاتى والوصول إليه هدف الفرد وهدف المجتمع وهدف الدولة، لكن لا يعنى الاكتفاء الذاتى على مستوى الدولة أن تقطع علاقاتها بالدول الأخرى، وإنما يعنى التعاون وتبادل السلع والخدمات.

هـ - وحرية التعلم، أى التحرر من الجهل:

التعلم حق لكل مواطن، بل التربية بمفهومها الواسع الذى يتناول تربية الجسد والعقل والأخلاق والحس الاجتماعى والحس السياسى والحس الجمالى، هى أيضاً حق للمواطن على الدولة التى يعيش فيها، وليس من حق أحد أن يحول بينه وبين هذا الحق.

وما دام التعلم حقاً للمواطن فله الحرية فى الحصول عليه دون أن يضع له أحد قيداً على هذه الحرية؛ وذلك أن التعلم وما يترتب عليه من تثقف وثقافة يتسبب فى تعديل سلوك الإنسان ويكسبه خبرة ويزوده بالمعارف والمهارات التى هى من متطلبات حياته الإنسانية.

وهذا التعلم حق للمواطن متى بلغ سنَّ التعلم، وله الحرية الكاملة بعد أن ينال القدر الأساسى من التعليم أن يختار بملء حريته وكامل إرادته نوع التعلم الذى يرغب فيه، لا ينازعه فى تلك الحرية أحد.

و - حرية التفكير، أو حرية الفكر:

وتلك الحرية في التفكير أو الفكر علامة من علامات إنسانية الإنسان.

وحرية الفكر أو التفكير هى الطريق إلى حرية الإرادة والاختيار وإلى حرية العقيدة والتدين والعبادة، وإلى التحرر من الخوف والحاجة والجهل، فكل هذه الحريات نبعت من عقل يفكر ويدرك ما حوله من أحداث وناس وأشياء - وعندما نتحدث بعد قليل عن الحرية فى الإسلام سوف نؤكد أن الإسلام كفل حرية الفكر لكل إنسان ليختار الإيمان أو الكفر - وهنا نؤكد أن حرية التفكير أو الفكر للإنسان ضرورية لحياته كالهواء والماء والطعام، كما نؤكد أن أحداً من الناس لا يستطيع أن يحجر على فكر الإنسان حتى لو كان من أصحاب الحكم الشمولى المستبد الذى يحول الإنسان إلى ترس فى آلة يدور بإرادة الدولة لا بإرادته، وتلك أنظمة حكم أدانها التاريخ وحكم عليها بالفشل، وعمل الناس ولا يزالون يعملون وسيظلون يعملون على إسقاطها والقضاء عليها.

إنه فى الإمكان الحجر على حرية التعبير أما الحجر على حرية التفكير فلا، ولا، ولا.

وأيًا كان التفكير إبداعيًا أو مجردًا، أو منظمًا فإنه سواء فى صعوبة الحجر على حرية الإنسان في ممارسته.

إن من المؤكد أنه لا يمكن القضاء على حرية الإنسان فى فكره أو تفكيره إلا بقتله، فلينظر أعداء الحرية ماذا سوف يفعلون لو حجروا على حرية الفكر؟

ز - وحرية التعبير :

حرية التعبير تعنى الحرية فى إبداء الرأى و التعبير عنه دون تدخل من أحد، والإنسان حين يحال بينه وبين التعبير عما يريد فإنه يفقد أهم ما يميزه من وسائل التعبير عن فكره، وهو عندئذ شبيه بالسجين أو المعتقل فى أنظمة الحكم الشمولية التى تحظر التعبير إلا إن كان فى نفاقها.

وحرية التعبير تتناول عديداً من وسائل التعبير كالخطابة والكتابة والتعبير الفنى بمختلف أنواعه، كما يدخل فى حرية التعبير حرية البحث العلمى والكشف عن المعلومات، ونقل ذلك إلى الآخرين بأى وسيلة من وسائل النقل.

ويدخل فى حرية التعبير حرية الصحافة؛ إنشائها وجعلها وسيلة من وسائل التعبير، والحرية السياسية، والحرية الاقتصادية، وغيرها مما سنذكره بعد قليل.

وقد يتوهم بعض الناس أن الحرية مطلقة، وهو تَوَهُّمٌ خادع لأنها مهما تكن فلابد أن تتوقف عند حدود القيم السائدة فى المجتمع، وعند حدود ألا تضر أحداً من الناس أو تفتات على حق من حقوقه.

ح - وحرية التجمع والتنظيم وإنشاء الجماعات والجمعيات :

حق لكل مواطن أن يتجمع هو وغيره من المواطنين وأن ينظموا هذا التجمع، وأن يكوِّنوا جماعات أو جمعيات أو هيئات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، بعيداً عن سلطان الدولة وإشرافها.

وهذا الحق تنكره دائماً الدول ذوات الحكم الشمولى الاستبدادى، أو ما كان يسمى بنظام الحكم الاشتراكى أو الشيوعى، أو نظام الحزب الواحد أو غيرها من الأنظمة المشابهة لها، فهى جميعها تنكر هذا الحق لاعتقادها الراسخ بأن حكومتهم تحسن التفكير نيابة عن المواطنين، وهم ينهجون فى ذلك نهج سلفهم فرعون الغشوم الذى قال لقومه أنا أفكر لكم:
﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر : ٢٩].

إن هؤلاء المستبدين لا يعطون لأحد حرية القيام بعمل أى عمل إلا بعد الاستئذان من الفرعون، وويل لمن عمل دون إذن، إنه عندئذ يتآمر على أمن الدولة وله الويل والثبور وعظائم الأمور من سجن أو اعتقال، وتعذيب بقلع الأظفار ونتف للذقون والأشفار، وضرب مُبَرِّح للأبشار، ولهؤلاء الحكام الظلمة المستبدين مثل وقدوة فى سلفهم اللئيم فرعون الذى

عاصر موسى عليه السلام، كما حكى ذلك القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٠ - ١٢٤] إن فكرة اتهام المؤمنين بالتآمر على الدولة فكرة قديمة هدفها استئصال حرية الناس فى العمل، وفى التجمع وفى تأليف الجماعات والجمعيات، ليصبح الناس لا يرون إلا بعين فرعون ولا يعملون شيئًا قبل استئذانه، وقديمًا قال أجدادنا العرب: ما أشبه الليلة بالبارحة!!!

ط - وحرية إنشاء الأحزاب السياسية:

الحزب السياسى تجمع أو جماعة منظمة تشترك فى اتجاهات سياسية واحدة.

وأهداف الأحزاب السياسية تتراوح ما بين تحقيق مثل أعلى سياسى، وممارسة السلطة على وجه أحسن.

ومن المقرر أن الأنظمة الديمقراطية كلها تقوم على تعَدُّد الأحزاب، حيث تتناقش الأحزاب أو تتجادل حول تحديد السياسة التى يجب اتباعها، وفى بعض البلدان الديمقراطية يوجد حزبان فقط أحدهما يتولى السلطة والآخر يعارضه، كما هو حال الويالات المتحدة الأمريكية.

وفى معظم بلدان العالم الثالث يوجد حزب واحد هو حزب الحاكم، وبعضها تدعى التعددية الحزبية لكنها لا تعطى الأحزاب حق الإنشاء إلا بإذنها، وفى ظل ظروف تحد من حرية الحزب وحرية أعماله.

وحق المواطنين فى تكوين أحزاب سياسية حق أصيل ينبع من حرية الإرادة والاختيار وحرية الفكر وحرية التعبير.

ولا تنكر على المواطنين حرية تكوين الأحزاب السياسية إلا الدول التى يسودها نظام مستبد يستولى على السلطة بالقهر، ويظل متمسكًا بالبقاء فيها عشرات السنين، والأمثلة على ذلك فى العالم الثالث أكثر من أن تحصى، بل إن بعضهم ورَّث الحكم لابنه دون حياء!!! كأنما ورث الحكم وعليه أن يورثه!!!

وحرمان المواطنين من حريتهم فى تكوين حزب سياسى يحرم البلاد من الآراء السياسية

الناضجة ويعوق عملية التطور، ويحول دون منع الانحراف وإهدار المال العام، ولكن حكومات دول العالم الثالث معظمها ترغب فى ذلك وتحرص عليه فلا تسمح بإنشاء حزب سياسى!!!

ى – وحرية الانتماء:

الانتماء إلى جماعة أو جمعية أو ناد أو حزب سياسى أو إلى مذهب من المذاهب أو دين من الأديان رغبة قوية عند الإنسان يولدها فى نفسه رغبته فى أن يتقوى بهذه الجماعة أو الحزب أو المذهب أو الدين، وأن يجد تعاونًا وإخلاصًا من أفراد هذه الجماعة التى انتمى إليها، وهى رغبة مشروعة مادامت هذه الجماعة أو الجمعية أو الحزب الذى انتمى إليه المواطن لا يمارس عملاً محظوراً شرعًا ولا عرفًا.

ولكل إنسان الحرية فى أن ينتمى إلى أى جماعة أو تجمع لا يمس شرفه وكرامته أن ينتمى إليها، وهى حرية لا يحول بينه وبينها إلا ظالم معتسف يؤمن بانه استعبد الناس فحال بينهم وبين ما يريدون.

والعالم الثالث ملىء بالحكومات التى تحظر الانتماء إلى جماعة أو جمعية ما لم تكن موضع رضا الحاكم وحزبه، لذلك ترى الناس فى العالم الثالث وقد حيل بينهم وبين ما يريدون؛ ينتمون إلى أندية كرة القدم ويشتد انتماؤهم إلى ذلك وانتسابهم إليه حتى يختلف بعضهم مع بعض ويعتدى بعضهم على بعض فيفسدون بذلك الهدف من الرياضة، ولكن الحكام بذلك سعداء ما دام الناس بعدوا عن السياسة والأحزاب السياسية والدين والجماعات.

إن مقاومة الانتماء حظر على حرية الإنسان فيما يحب أن ينتمى إليه، وحرية الانتماء هى من حريات الإنسان التى تعود على الإنسان جسده وروحه وعقله وخلقه وجوارحه بما يحقق له الرضا والسعادة.

ك – وحرية الانتخاب والترشح للمجالس النيابية:

الانتخاب هو اختيار الناخبين للنواب عنهم أو اختيارهم لرؤسائهم، وهو الأصل فى تعيين الحكام فى جميع الأنظمة الديمقراطية.

والنظم السياسية أغلبها – ما عدا الاستبدادى منها – تعتبر الانتخاب حقًا للمواطن على اعتبار أنه جزء من النظام السياسى ومن سيادة الشعب، فله الحق فى المشاركة فى الشئون العامة، ولا يحرم من ذلك الحق إلا مَنْ فقد أهليته لمرض أو نحوه.

والانتخاب نوعان:

- مباشر: يختار فيه الناخبون نوابهم أو رؤساءهم.

- وغير مباشر: يختار فيه الناخبون مجموعة ناخبة للقيادات أى أنه على درجتين.

وهناك انتخاب بالقائمة المعدّلة التى يكون للناخب فيها حق التعديل فى المرشحين فيها، وقائمة مجمدة ليس للناخب فيها حق التعديل.

● وفى العالم الثالث معظمه تشوب الانتخابات محاولات تنسفها نسفًا ابتداء من العبث فى جداول المنتخبين ومرورًا بمنع الناخب من الإدلاء بصوته حيلة أو قهرًا، ومنع المرشح فى اختيار وكلاء عنه فى الدوائر الانتخابية وفى لجان الفرز، واعتقال المرشح حتى تنتهى الانتخابات، وتزوير عمليات الفرز وغير ذلك مما هو مشاهد ومعروف فى بلدان الحكم الشمولى المستبد، وتلك الأعمال المناقضة للنظام والقانون الناسفة لحقوق المواطن وحريته فى الإدلاء بصوته هى التى تأتى بنتائج مذهلة مضحكة مبكية تتراوح بين التسعة والتسعين بالمائة والمائة بالمائة إذا كان الترشيح للرياسة، وبين الخمسة والسبعين بالمائة والتسعين بالمائة لمرشحى حكومة الحزب الحاكم.

وهذا التلاعب بالانتخابات أصبح له خبراء وعلماء فى التزوير والتزييف والافتيات على حقوق المواطنين وحرياتهم.

ذلك شأن العالم الثالث منذ عشرات السنين التى تبلغ الآن نصف قرن من الزمان، ومع ذلك كله يتبجحون ويزعمون أنهم فى أزهى عصور الديمقراطية!!!

ألا كبُرَت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

ل - وحرية العمل والكسب و الإنفاق:

حرية العمل تعنى أمورًا هى:

- حق الإنسان البالغ فى الاختيار الحر للعمل، وحقه فى تغيير هذا العمل أو تركه أو الامتناع عنه فى الوقت الذى يريد.

وهذا الحق ينفى السخرة وينفى الإكراه، وينفى تشغيل غير البالغين أى الأطفال واستغلال حاجة ذويهم.

– وحق العامل في أخذ الأجر من عمله بعدالة ودون مماطلة أو انتقاص، لأن ذلك كسبه من عمله لا ينازعه فيه إلا ظالم مستبد يستحق عقاب الدنيا والآخرة.

– وحق العامل في إنفاق ما كسب من عمله في الوجهة التي يريد دون وصاية من صاحب العمل أو غيره، والعامل الراشد هو الذي ينفق كسبه فيما يعود عليه وعلى ذويه بالخير والفائدة، ورائده في هذا الإنفاق هو عدم الإسراف أو التقتير، وأداء ما يجب عليه في ماله من حقوق.

وحرية العامل في العمل والكسب والإنفاق حق أصيل له يؤمنه بنفسه إن استطاع، أو تؤمنه له الحكومة إن عجز عن تأمينه.

م – وحرية التملك والتصرف في ممتلكاته:

التملك أو الملكية هي: حق حيازة شيء ما، والانتفاع به والتصرف فيه، هذا من الناحية القانونية.

ومن الناحية الإنسانية، فإن الإنسان حر في أن يملك من المنقولات والمقتنيات ما يشاء ما دام يحصل على ذلك بوسيلة مشروعة، ومن حقه أن يملك ما يُؤول إليه بالميراث أو الهبة أو الوصية أو التجارة أو نحوها من وسائل الملكية لا يحول بينه وبين ذلك أحد أو جماعة أو هيئة أو حكومة.

● أما من الناحية الشرعية فإن الله تعالى جعل من حق الإنسان أن يتملك كل ما يريد بشرط أن يكون جائزاً شرعًا، والله تعالى قد خلق للإنسان كل ما في الأرض ليكون له بالوسائل المشروعة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ [البقرة: ٢٩].

– وكما للإنسان حرية التملك، فإن له حرية التصرف فيما ملك بالبيع أو بالهبة أو بالوقف أو بالوصية، بشرط أن يكون غير فاقد لأهلية هذه التصرفات، وبشرط أن يحسن التصرف فيها فلا يسرف ولا يظلم، ولا ينفق في حرام(١).

● تلك من حريات الإنسان لا يحرمه منها إلا ظالم أو مستبد.

---

(١) وهناك منع للملكية الخاصة في كل ما كان منفعة عامة للناس مثل: المعابد والمدارس والمستشفيات ومجاري المياه والطرق ومياه البحار والأجواء، والأوقاف الخيرية، وما في باطن الأرض من معادن وغيرها – وفي حظر ملكية ذلك ملكية خاصة آراء فقهية عديدة لكنها لا تخرج عن هذا الإطار الذي ذكرنا.

ن - وحرية الإعلام:

حرية الإعلام تعنى: حق المواطن وحق الرأى العام فى معرفة كل ما يتعلق بالمصلحة العامة، لا يستثنى من ذلك إلا الخصوصيات الشخصية، وما يتصل بالأمن العسكرى.

- والإعلام وظيفة من وظائف العلاقات العامة، والمقصود به؛ نشر الحقائق والأخبار والأفكار والآراء بين الناس من خلال وسائل الإعلام كالصحافة والإذاعة مسموعة أومرئية والسينما والمسرح والمعارض والندوات والمؤتمرات ونحوها.

وللإعلام أكثر من هدف، ومن ذلك:

- تنوير الرأى العام بالمعلومة الصحيحة الصادقة ليكون الناس على علم بما يجرى حولهم، ليتخذوا المواقف التى يرونها مناسبة ومحققة لمصالحهم.

- وكسب الرأى العام بعد إقناعه، لنيل تأييده للقضايا المطروحة.

- وتثقيف المواطن بالمعلومات التى لا تتوفر له إلا من خلال أجهزة الإعلام.

وشرط الإعلام أن يكون صادقًا شفافًا غير مسخر لمصالح الحكومة أو حزبها الحاكم، غير محجوب عن الناس[1].

وحق الإعلام أو حرية المواطن فى التعامل مع إعلام صادق شفاف غير معترف به فى أكثر البلدان التى تدعى الديمقراطية، أما دول العالم الثالث فإنها تنتهك هذا الحق وتدوس هذه الحرية، وتُعيِّن وزيراً للإعلام!!!

إن كثيراً من أجهزة الإعلام ووسائله فى العالم لا تبث إلا ما يسمح به الرقيب، وهى دائماً أبواق تردد ما يرغب الحزب الحاكم فى إذاعته ونشره!!!

س - وحرية الصحافة:

الصحافة إحدى وسائل الإعلام، وهى كالإعلام كله تستهدف تنوير المواطن وإحاطته بالقضايا المثارة فى بلده أو وطنه العربى أو وطنه الإسلامى الكبير، كما تستهدف تثقيف المواطن وتزويده بالمعارف والمعلومات والأخبار الداخلية والخارجية، ومناقشة كثير من

---

(١) صيغ حق الإعلام بوصفه حقًا فى النظام الديمقراطى فى الولايات المتحدة سنة ١٩٤٢م، ولكنها تسخر الإعلام لخدمة مصالحها وتحجب استخدامه عندما تريد بطرق غير مباشرة مثل الإيحاء لوسائل الإعلام وأجهزته ببث كذا وحجب كذا، وأقوى دليل على ذلك ما مارسه الإعلام الأمريكى فى الهجوم على مركز التجارة العالمى ووزارة الدفاع، وفى حربى أفغانستان والعراق!!!.

الأخبار وتحليلها بأقلام علماء متخصصين، كما تستهدف الصحافة تقديم الزاد الثقافى لقارئها، مع شيء من الترفيه والتسلية وملء الفراغ.

وبغض النظر عما يحيط بالصحافة من عيوب أهمها أنها -وبخاصة فى دول العالم الثالث- تتبنى وجهة نظر الحكومة وحزبها الحاكم، وتبرر لها كل تصرفاتها حتى القمعى غير الإنسانى منها، ولا غرابة فى ذلك فالعالم الثالث تملك فيه الحكومات الصحافة وتعين الصحفيين وتعزلهم على قدر ولائهم لها.

أقول بغض النظر عن ذلك وإن كان خطيراً إلا أن الصحافة يعيبها أيضًا أن تنشر ما لا تجيز القيم الخلقية نشره فى بعض الأحيان، وأنها تبتز أحيانًا بعض المنحرفين لتسكت عن فضحهم.

وكثيراً ما يتشدق رؤساء التحرير بالصدق والموضوعية ونقد الحكام فإنهم لا يفعلون ما يقولون، لأنهم موظفون عند الحاكم وكم خَلَعَهم أو خلع عليهم الأموال والمنح والمناصب على قدر ما يوالونه ويوالون حزبه، ويبررون له ما يريد أن يقوم به من عمل، حتى لو كان ضد الحرية وضد حقوق الإنسان، وأحيانًا ضد القانون كتعذيب المعتقلين وحرمانهم من حق الدفاع ومن حق مقاضاتهم أمام قاضيهم الطبيعي. والصحافة تسكت عن ذلك كله بل تبرره فى كثير من الأحيان!!!

- الذى أريد أن أقوله هنا هو أن الصحافة يجب أن تكون حرة، وأن المواطن يجب أن يجد فى وطنه صحافة حرة، وأن حرية الصحافة كسائر الحريات لا ينبغى أن تنتقص ولا أن تنتهك، ولا أن يكون عليها رقيب حكومى يقيدها ويلجمها بلجام الثواب إن أطاعت والعقاب إن عصت[1].

وبعد، فتلك أنواع الحرية التى يجب أن تؤمَّن للإنسان وهى حق أصيل من حقوقه، نرجو أن نكون قد أوضحناه.

فما هى الحرية فى الإسلام وما أنواعها؟

ذلك ما نرجو أن نوضحه فى الصفحات التالية، والله تعالى ولى التوفيق.

---

(١) للصحافة قصة طويلة فى العالم العربى الواقع كله فى العالم الثالث والمصطلى بحروب ضارية من الغرب وبقتال ضار من إسرائيل التى فرضها الغرب واقتطع لها فلسطين وسلحها وجعلها أقوى من العرب مجتمعين، وكان للصحافة العربية مواقف مشرفة من ذلك كله، لكنها كانت دائمًا رهن إرادة الحكام لأنهم مالكوها وبخاصة بعد تأميمها، إنها قصة طويلة تحتاج إلى كتاب كامل.

ثالثًا: الحرية في الإسلام:

يقيم الإسلام لحرية الإنسان أكبر وزن - كما يفعل ذلك مع سائر القيم الإنسانية - لكن ما ينبغي أن يفهم أحد أن الحرية في الإسلام بالنسبة للفرد أو للمجتمع أو للحاكم مطلقة بغير قيود؛ لأن الحرية المطلقة فوضى وضرر بالفرد وبالمجتمع؛ والإسلام دين نظام ومنهج دقيق وهو يرفض بل يحرم الضرر والضرار والإضرار.

وكل قيد يضعه الإسلام على الحرية إنما يستهدف حماية الفرد وحماية المجتمع، وهذا القيد الذي يضعه الإسلام على الحرية لكيلا تضر أحداً، مصدره إما القرآن الكريم وإما السنة النبوية، وإما ما يجمع عليه أهل العلم بالإسلام.

- فأما القرآن الكريم فقد أمر بالعدل وحظر الظلم وذاك قيدٌ على الحرية، فليس أحد حرًّا في أن يعطل العدل، ولا أن يظلم غيره أو نفسه.

- وأما السنة فما أكثر الأحاديث النبوية التي حرَّمت الظلم والعدوان والضرر والإضرار بالآخرين حتى لو كانوا غير مسلمين، وما أكثر الأحاديث النبوية التي حدَّتْ من حرية الإنسان في أن يأتي عملاً يخدش حياء الآخرين أو يتسبب في إحراجهم.

- وأما ما يجمع عليه علماء المسلمين من حظر سلوك بعينه أو وضع قيد على حرية الفرد أو المجتمع أو الحاكم، فذلك مصدر من مصادر التشريع في الإسلام في كل ما يستجد من أمور، لا يختلف في ذلك أحد من أهل العلم إلا إن شذ عن الجماعة، والشاذ - كما نعرف - لا حكم له.

وسوف نتحدث في الحرية أو الحريات في الإسلام في نقطتين:

- السبق الإسلامي تاريخيًا وإنسانيًا في مجال الحريات.

- وأنواع الحريات في الإسلام.

أ - السبق الإسلامي تاريخيًا وإنسانيًا في مجال الحريات:

الإسلام بوصفه الدين الخاتم للأديان السماوية، وبوصفه أتم الأديان وأكملها وأرضاها لله تعالى، فلابد أن يسبق سواه من الأديان أو النظم في تقرير كل ما هو صالح للإنسان، ومصلح لحياتيه الدنيا والآخرة، فالقرآن الكريم أمر بالخير والبر، ونهى عن الشر والمنكر، وكذلك فعل المعصوم ﷺ.

● والإسلام كرّم الإنسان وأقر له من الحقوق ما تستقيم به حياته الدنيا وحياته الآخرة، ومن تكريم الله تعالى للإنسان أن منحه العقل وأن أرسل إليه الرسل وأنزل على بعضهم الكتب.

● ولا يستطيع الإنسان أن يمارس حياته الإنسانية المكرَّمة إلا عندما يكون حر الإرادة والاختيار، حر العقل والفكر، حراً في أن يؤمن أو يكفر دون ضغط أو إكراه، حراً في الحركة والانتقال، حراً في نفسه وجسده، حراً في تقرير مصيره وفي اختيار أصدقائه ومن يواليهم أو يعاديهم.

وتلك الحريات التي فصلناها آنفًا هي حقوق للإنسان لا قوام لحياته إلا بها، لذلك كان الإسلام في نظمه الاجتماعية أسبق من كل نظم في تقرير حقوق الإنسان منذ بعث الله تعالى محمداً خاتم الرسل ﷺ، فلم يتحدث أحد عن حقوق الإنسان وحرياته قبل محمد ﷺ بهذا الشمول وهذا الوضوح، وهذا التأكيد، وهذا التوثيق، والدليل على ذلك:

- أن التشريعات المكتوبة التي تتصل بحقوق الإنسان وحرياته كان أقدمها ما عرف «بالماجناكرتا» في بريطانيا سنة ١٢١٥م أي سنة ٦١٢هـ أي بعد الإسلام بأكثر من ستة قرون، أي بعد إقرار الإسلام لحقوق الإنسان وحرياته كاملة غير منقوصة بهذه القرون.

ثم اشتهرت وثيقة خاصة بحقوق الإنسان وحرياته في حرب استقلال أمريكا عن بريطانيا سنة ١٧٧٥م، ثم اشتهرت كذلك وثيقة الثورة الفرنسية سنة ١٧٧٩م؛ فأي سبق تاريخي للإسلام في إقرار حقوق الإنسان وحرياته أكبر من ذلك؟ دعنا من وثيقة حقوق الإنسان التي أقرتها الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ١٠/١٢/١٩٤٨م فإنها بنت الأمس، وما بلغتْ سن الرشد حتى اليوم!!!

والرُشْد يعني أن تحترمها وتطبقها عمليًا دول العالم ما دامت صادرة عن هيئة الأمم المتحدة.

● إنه ليس مجرد سبق تاريخي، ولكنه بالإضافة إلى ذلك سبق إنساني، إذ قد رفع الإسلام من شأن الإنسان بتقرير حقوقه وحرياته بما لم يعرف له نظير حتى اليوم، لقد حرر الإسلام الإنسان من عبوديته لإنسان مثله، فدعا إلى عتقه وجعل عتقه عبادة لله رفيعة الشأن مبادرة وإحسانًا أو كفارة عن خطأ ارتكبه الإنسان.

فعل الإسلام ذلك منذ ذلك التاريخ في الوقت الذي استمر الغرب يخطف الأحرار ويسترقهم بقوة السلاح حتى وقت قريب من زمننا هذا!!!!

● **إن الحريات للإنسان لها شأن عظيم فى الإسلام؛ إذ هى مرتبطة أوثق الارتباط بالشخصية، فبغير الحرية لاشخصية للفرد الذى سُلبت حريته، بل لا إنسانية له؛ لأن أهم ما يميز الإنسان عن سائر مخلوقات الله هو أنه سبحانه وتعالى نفخ فى هذا الإنسان من روحه سبحانه وتعالى، وخلق له ومن أجله ما فى السموات والأرض، فهل تتجاهل حرية الإنسان وهذا شأنه عند الله أو تنتقص؟**

ب- أنواع الحريات فى الإسلام:

تتنوع الحريات فى الإسلام تنوعا كبيرا على قدر ما أتاح الله تعالى للإنسان من حركة مادية أو معنوية ليحافظ بهذه الحركة على حياته الإنسانية التى كرمها الله تعالى.

● ولقد ذكرنا ونحن نتحدث عن أنواع الحرية عموما، حتى عند غير المسلمين خمسة عشر نوعا من أنواع الحرية، وعرفنا كل نوع منها بكلمات وجيزة.

● ونؤكد هنا أن هذه الأنواع جميعا أقرها الإسلام، بل زاد عليها كل حرية تجلب ممارستها للإنسان خيرا ونفعا أو تدفع عنه شراً وأذى، وكل حرية تمكنه من أداء وظيفته فى الحياة على النحو الذى شرعه الله تعالى، وأخبر به رسوله الخاتم ﷺ، ووظيفة الإنسان فى الحياة هى عبادة الله تعالى، وكل قول أو عمل يعين على أداء هذه الوظيفة فهو عبادة لله تعالى، والإنسان حر فى ممارسته ما دام فى غير ما حرَّم الله تعالى.

● وسنة رسول الله ﷺ وسيرته أوسع كتاب فى الإسلام وأوثقه وأولاه بالاتباع لقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا..**﴾ [الحشر: ٧]، وإنما كانت السنة أوسع كتاب فى الإسلام وأشمله وأوثقه لأن الله تعالى آتى نبيه ﷺ الكتاب وما يعدله أى مثل الكتاب فى كل ما يشتمل عليه القرآن، فقد روى البيهقى - فى السنن الكبرى - بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**أُوتيتُ الكتابَ وما يعدله** - يعنى مثله ...».

وروى البيهقى - فى السنن الكبرى - بسنده عن المطلب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما تركت شيئا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه**».

والسنة النبوية على سعتها وشمولها لا يمكن إحصاء ما تتيحه للمسلم من حريات فى قوله وعمله.

● غير أننا نكتفى هنا بالحديث عن أنواع ثلاثة من الحرية فى الإسلام هى:

حرية النفوس والأجساد.

وحرية العقول والإرادة.

وحرية العلم والبحث والاختراع.

النوع الأول: حرية النفوس والأجساد:

حرية النفوس وأوعيتها التى هى الأجساد، فرضها الإسلام فرضا، وحرّم تقييدها أو إهدارها أو انتقاص شيء منها. وحرية النفوس فى الإسلام تعنى أمورا أربعة:

- تحرير النفوس والأجساد من ذل العبودية لغير الله من حكام وأصحاب سلطة ونفوذ والتخلص من قيودهم وقهرهم لإنسانية الإنسان، ليتجه الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له بمطلق إرادتهم واختيارهم.

- وتحرير النفوس والأجساد من التبعية والخوف أو الرهبة من أصحاب النفوذ والجاه والمال، ليتجه الناس إلى الاقتناع بأن التبعية إنما تكون لمنهج الله ونظامه، وأن الخوف والرهبة إنما يكونان عند الوقوع فى مخالفة للمنهج، لأن الله وحده هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

- وتحرير النفوس والأجساد مِنْ وهْم يسيطر على بعض الناس حيث يتصورون أن أصحاب السلطة والنفوذ يملكون لهم نفعا أو ضرا غير ما كتب الله لهم أو عليهم، لأن ذلك لله وحده فهو النافع الضار الذى يثبت النفع ويكشف الضر إذا شاء، قال تعالى: ﴿ **قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾ [الفتح: ١١].

- وتحرير النفوس والأجساد من الامتناع عن إبداء الرأى وممارسة الحوار حتى لو كان ذلك مع رسول الله ﷺ، فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه، فقال تعالى: ﴿ ..**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**... ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وصارت المشاورة والحق سنة يرثها خلف الأمة المسلمة عن سلفها، وقدوتهم فى ذلك النبى ﷺ القائل فيما رواه أحمد بسنده عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: فى عمرة الحديبية: **«أشيروا علىّ، أترون أن نميل إلى ذرارى هؤلاء... أو نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه...»**.

والنوع الثانى : حرية العقول والإرادة :

كفل الإسلام للعقول حريتها فى التفكير والتعبير، وضمن لها حرية الإرادة والاختيار دون ضغوط، فضلا عن إكراه وقد تمثلت هذه الحرية فى أمور بالغة الأهمية منها :

- إطلاق حرية التفكير دون قيود، التفكير فى كل شيء من ملكوت السموات والأرض والنفس وسائر خلق الله، بل جعل الإسلام الفكر والنظر أساسًا للاعتقاد الصحيح.

طولب الرسول ﷺ بأن يعرض ما أوحاه الله إليه من حق، ثم يكون للإنسان أن يختار الحق أو الباطل، الإيمان أو الكفر، قال الله تعالى : ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...** ﴾ [الكهف : ٢٩].

وأطلق الإسلام للإنسان حرية اختيار الهدى أو الضلال وشكر الله تعالى على نعمه أو كفرها، قال الله تعالى عن الإنسان : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ [الإنسان : ٣].

- وأطلق الإسلام للعقل حرية التأمل والتدبر والاستنتاج، وجعل القرآن الكريم مجالاً لتدبر آياته ومعانيه وقصصه وأمره ونهيه، بل إن الله تبارك وتعالى يخبر أنه أنزل هذا الكتاب الخاتم ليتدبر الناس آياته، فقال تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [ص : ٢٩] وقال جل شأنه : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [الروم : ٢٤].

- وحرر الإسلام العقل من الخرافة والأسطورة والشعوذة والدَّجل، وحرَّم الذهاب إلى الكهان والعرافين، واعتبر تصديقهم فيما يقولون كفرًا بالله وبما أُنزل على محمد النبى الخاتم ﷺ.

روى البزار - فى مسنده - بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« ليْس منَّا مَنْ تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكَهَّن أو تكُهِّن له، أو سَحَر أوسُحِر له، ومن أتَى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد »** ﷺ.

- بل سمح الإسلام للمسلم أن يستعمل عقله فيجتهد فى أمور الدين بل فى الدين نفسه، إذ أعطاه الحق فى الاجتهاد ليصل إلى بعض الأحكام التى لم يرد فيها نص من الكتاب أو السنة، واعتبر أن ما يتوصل إليه علماء المسلمين من الأحكام الشرعية، بشرط أن يكون هذا المجتهد مستجمعا لشروط الاجتهاد، كعلمه بالقرآن الكريم والسنة النبوية وعلوم

اللغة العربية مفتاح الكتاب والسنة، وغيرها مما أوضحه العلماء فى كتب أصول الفقه الإسلامى ونحوها.

● ولم يقبل الإسلام أن يحتكر أحد تفسير النصوص الإسلامية فيدعى أنه وحده أو معه غيره صاحب الحق فى هذا التفسير مهما يكن منصبه أو مكانته الدينية، وإنما ذلك التفسير حق لكل مؤهل له.

● ولم يقبل الإسلام أن يكون لكتاب الله باطن وظاهر، فرفض كل تفسير للقرآن يزعم مفسره أنه فسر المعانى الباطنة الخفية، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢].

● ولم يقبل الإسلام التقليد وتعطيل العقل، للسعى وراء تقليد أناس بعينهم.

وفى هذه القضايا يقول الإمام ابن حزم: «واعلموا أن رسول الله ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كتم شيئا لما بلَّغ كما أُمر، ومن قال هذا فهو كافر...»

وقال ابن حزم عن التفسير الباطنى للقرآن الكريم: «واعلموا أن دين الله ظاهر لا باطن فيه، وجهر لا سرَّ تحته، كله برهان لا مشاحة فيه.. فإياكم وكل قول لم يبن سبيله ولا وضح دليله، ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه...»[1].

● ولقد اجتهد علماء المسلمين فى أمور كثيرة، وأعملوا فيها عقولهم فخرجوا من ذلك الاجتهاد بقوانين أقرها علماء المسلمين بعدهم، ومن ذلك قولهم:

- اليُسْر مفضَّل على الحظر فى أوامر الشرع ونواهيه.
- وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن[2].
- والمعروف عرفا كالمشروط شرطا.
- والضرورات تبيح المحظورات.
- واختيار أخف الضررين مصلحة.

---

(١) الإمام على بن أحمد بن حزم (٣٨٤-٤٥٦ هـ): الإحكام فى أصول الأحكام. الباب السادس والثلاثون.

(٢) تنسب هذه الكلمة إلى الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود رضى الله عنه، نسبها إليه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده: ١/ ٣٧٩، ط مؤسسة قرطبة - القاهرة دون تاريخ.

– ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

فأى حرية للعقل أوسع من ذلك، بل أى اهتمام وتقدير للعقل أكبر من ذلك؟ وأى نظام عرفته البشرية قد أعطى كل هذه الحرية للعقل؟

والنوع الثالث: حرية العلم والبحث والاختراع:

عندما منح الإسلام الإنسان حرية العقل والتفكير، فتح له الباب على مصراعيه ليمارس حرية العلم والبحث والكشف لشدة الارتباط بين حرية العقل وحرية العلم.

وقد أقر الإسلام فى مجال حرية العقل والعلم عددا من الحقائق من أهمها:

– أنَّ كل علم يصل إليه العقل بعد التفكير العلمى المنظم، نعمة من الله تعالى فتح بها على صاحب العقل المنظم الذى فكر وتعمق واتبع الوسائل الصحيحة للبحث العلمى.

وكل ما حظره الإسلام فى مجال العلم والكشف والاختراع هو العلم الذى يجلب ضررا للناس، سواء أكان هذا الضرر فى دينهم أو دنياهم.

– وأن باب العلم واسع ومجاله بغير حدود ولا أبعاد، وأن الإنسان كلما تبحر فى العلم أيقن أنه يجهل أكثر مما يعلم، وأن عليه أن يواصل السير فى طريق العلم، حتى يتمكن بالعلم من أن يطور حياته وأن يستفيد مما أودع الله تعالى له فى الأرض والبحر والجو من خيرات تحتاج إلى الكشف عنها وتسخيرها لصالح دنياه وآخرته.

– وأنّ حرية العقل والعلم والبحث والكشف والاختراع، يجب أن تخضع دائما للقيم الإسلامية، وألا تتجاهل شيئا منها بحال من الأحوال لأن قيم الإسلام ثابتة وملازمة لكل عمل يقوم به المسلم.

وحرية العلم والبحث فى الإسلام تقوم على ركيزة راسخة لا تفارق المسلم فى حياته كلها هى: الأمانة.

والأمانة ما يؤمن عليه الإنسان ليؤديه على أحسن وجه، والعلم والبحث والكشف والاختراع فى الإسلام أمانة، ولو فقد الباحث أو العالم الأمانة فى علمه وظف العلم توظيفا خاطئا فجلب الضرر وربما الدمار.

ولكى تكون الأمانة العلمية فى صورتها الصحيحة، فإنها ترتكز على ثلاثة مرتكزات هى:

الأول: التجرد من الميل والهوى:

فلا علم على وجه الحقيقة إلا أن يكون العقل الذى توصل إليه معزولا تماما عن الأهواء والميول الشخصية، يفهم ذلك من قول الله تعالى فى النعى على المشركين الذين لم يحسنوا الاستدلال لأنهم لم يتجردوا فى العلم من أهوائهم ﴿ **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ** ﴾ [النجم: ٢٣].

والمرتكز الثانى: التجرد من الأحكام الجزافية:

أى أن يكون التدقيق والتحرى فى إجراءات العلم والبحث العلمى هو الأصل وهو الأساس قبل الاستنتاج، وذلك يقتضى التبين من كل خطوة يخطوها البحث قبل الانتقال إلى ما يليها من الخطوات، ولن يكون هذا التثبت إلا بإطالة النظر فى موضوع البحث والصبر على متاعب هذا البحث.

والتخلص من الأحكام الجزافية يعنى التثبت والتبين بل التأكد؛ حتى يتبين الأمر بوضوح، علمنا ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...** ﴾ [فصلت: ٥٣].

والمرتكز الثالث للأمانة العلمية هو: البَعْدُ عن العجلة والتسرع:

ومعنى ذلك أن العقل وهو يبحث ويحاول الوصول إلى العلم يجب أن يكون متأنيا بعيدا عن التعجل والتَّسرُّع لأن تلك من الآفات التى تحول بين الإنسان وبين الوصول إلى العلم، لابد إذن من طول التجربة وعمقها والصبر عليها، لأن العجلة مذمومة وهى من الصفات السيئة فى الإنسان، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ **...وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا** ﴾ [الإسراء: ١١] وقال جل ذكره: ﴿ **خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٣٧]

وروى الترمذى بسنده عن سهل بن سعد الساعدى عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الأناة من الله والعجلة من الشيطان»**.

وروى الترمذى بسنده عن عبدالله المزنى رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«السَّمْتُ الحَسَن، والتؤدة[1] والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة»**.

---

(١) التؤدة: التأنى والتمهل وترك العجلة.

وكل صفة فى الإنسان تدعوه إلى الأناة والتريث والتمهل وتنهاه عن العجلة والتعجل والتسرع فهى من الصفات المحمودة، وهى صفات لازمة لمن يعملون فى البحث العلمى أو الكشف أو الاختراع والإبداع.

٤ - وحق الإنسان فى الانتماء:

تحدثنا آنفا عن الانتماء بوصفه من الحريات التى يجب أن يتمتع بها الإنسان، وقلنا إنها حرية كفلتها له الأديان والنظم، ولم يحرمه منها إلا الظلمة والمستبدون.

ونتحدث الآن عن الانتماء بوصفه حقًّا من حقوق الإنسان، لا يجحده أو يحرمه منه إلا الظلمة والمستبدون أيضا.

● والانتماء من معانيه: الارتفاع، والصعود والانتساب. وعند علماء الاجتماع هو: «انتماء الفرد إلى الجماعة» حيث يرغب الفرد فى الانتماء إلى جماعة قوية يعتز بالانتساب إليها مثل: الأسرة والجماعة والجمعية والنادى المهنى أو الرياضى، والشركة أو المصنع لأنه يرى فى هذه مركزا ممتازا يجب أن يضفيه على نفسه.

وسوف نتحدث عن الانتماء بوصفه من حقوق الإنسان جسده وروحه وعقله وخلقه وجوارحه فى مجالات أربعة:

أ - معانى الانتماء فى الإسلام.

ب- الانتماء بعد الولاء.

ج- متى يجوز موالاة غير المسلمين؟

د- وجوب الانتماء إلى الأوطان.

أ- معانى الانتماء فى الإسلام:

لنا معشر المسلمين رؤية فى الانتماء من خلال فهمنا لديننا الخاتم، نشير إليها فى عدد من النقاط، هى:

- أشرف صور الانتماء وأعلاها منزلة هى الانتماء إلى الإسلام خاتم أديان الله تعالى وأتمها وأكملها، وذلك الانتماء نتيجة للولاء لهذا الدين الحق، ويجب أن يسبق كل انتماء إلى جماعة أو وطن محلى أو عربى أو إسلامى.

- والانتماء يعنى الولاء للإسلام؛ ولاء القلب والعقل والجوارح والسلوك، منهجًا وخلقًا وسلوكًا ووسيلة وغاية وأسلوب حياة، وهو بهذا المعنى فريضة إسلامية لا تقل أهمية عن سائر ما فرض الله تعالى على المسلمين، فمن كان ولاؤه لغير ما فرض الله من منهج ونظام وخلق فقد أخلَّ بما فرض الله تعالى عليه.

- ويأتى بعد الانتماء إلى الإسلام انتماءات أخرى تعزز هذا الانتماء وتقويه مثل الانتماء إلى الوطن المحلى الذى يعيش فيه الإنسان، والانتماء إلى الوطن العربى، والانتماء إلى الوطن الإسلامى.

والوطن العربى مفهوم سياسى قبل أن يكون مفهوما جغرافيا، ومن أجل ذلك يبذل الأعداء من الغرب واليهود جهودا ضخمة من أجل إذابة معنى الوطن العربى لسانا ومكانا وتراثا، ويحاولون إشهار مصطلح الشرق الأوسط الذى تدخل فيه إسرائيل ويختفى به العالم العربى!!

والوطن الإسلامى مفهوم سياسى أيضا يعنى تلك الرقعة التى يعيش فيها المسلمون ويمثلون أغلبية سكانها، وهو يضم قريبا من ستين دولة وما يقرب من ألف وخمسمائة مليون من المسلمين فى آسيا وأفريقيا وبعض أوربا، وأعداء الإسلام يعملون جادين على إثارة الفتن والقلاقل فيه، ويحاصرونه سياسيا وثقافيا واقتصاديا، مع تعمد الكذب فى الإحصاءات التى تخص عدد المسلمين، لمحاولة إخمال أو طمس هذه التسمية «العالم الإسلامى أو الوطن الإسلامى» والذى يمثل قريبا من ربع سكان العالم اليوم.

- والانتماء للأوطان المحلية أو الإقليمية فطرة فطر الله الناس عليها، وأوجب عليهم حبها والولاء لها والعمل من أجل ما يصلحها ويرقيها ويدفع عنها أعداءها، حتى لقد جعل الإسلام الجهاد فى سبيلها فرضا عينيا عندما يحتل العدو جزءا منها وفرضا كفائيا فى حالة الأمن والسلام، وأوجب السهر عليها وحمايتها وحراسة حدودها وثغورها.

ب - الانتماء بعد الولاء:

إذا كان الانتماء إلى الإسلام يرتكز على الولاء للإسلام؛ فإن توضيح معنى الولاء أمر بالغ الأهمية؛ فماذا يعنى الولاء للإسلام؟

- الولاء هو: القُرْب أو النُّصرة، كما يفهم من قول الله تعالى: ﴿ ... **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ**

آمنُوا...﴾ [البقرة: ٢٥٧]، بمعنى قريب منهم وناصرهم، ومن قوله عز وجل: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ...﴾ [الأنعام: ١٤]، وقوله جل وعلا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

- والولاء للإسلام هو الولاء لله تعالى ولكتابه ولخاتم رسله ﷺ ولمنهجه ونظامه، وللمؤمنين جميعا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٧].

وهي ثلاث آيات كريمة جامعة في معنى الولاء:

- فالآية الكريمة الأولى: تحدد لمن يكون ولاء المسلم، فتجعله لله تعالى أي القرب منه ونصره بامتثال أمره واجتناب ما نهى عنه أي طاعته.

  ولرسوله باتباع ما جاء به وحُبِّه واتخاذه قدوة وأسوة لما منحه الله من نبوة وعصمة.

  وللمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويركعون خضوعا لله تعالى.

- والآية الكريمة الثانية: تقرر حقيقة ما ينبغي أن تغيب عن أحد من المؤمنين؛ وهي أَنَّ مَنْ والى الله ورسوله والمؤمنين فقد صار بهذا الولاء من حزب الله(١)، وحزب الله هم المنتصرون الفائزون كما قضى الله تعالى بذلك.

- والآية الكريمة الثالثة: تمنع اتخاذ الأولياء والنصراء من أعداء الإسلام الذين اتخذوا دين الإسلام هزوا وسخرية ولهوا، وهم:

  اليهود، والنصارى، والمشركون.

  وتطالب المسلمين بخوف الله وتقواه في امتثال ما أمر به إن كانوا صادقي الإيمان.

---

(١) حزب الله: الحزب الجماعة فيها قوة وغلظ، وحزب الله جماعته، وكثيرا ما يستعمل تعبير حزب الله في القرآن الكريم في مقابل حزب الشيطان.

- ويترتب على هذا الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، أن يكتفى المؤمن بهذا الولاء وأن يعده شرفا له، وأن يكتفى به عن أى ولاء آخر مهما كان هذا الولاء لغير الله ورسوله والمؤمنين يجلب على المسلم من مصالح مادية دنيوية، لأنه سوف يكون ولاء لأعداء الله من المشركين والكفار والملحدين والفاسدين والمفسدين أى سيكون ولاءً للشيطان، والله تعالى ينهى عن اتخاذ الشيطان وحزبه أولياء، ويخبر سبحانه بأن من والى هؤلاء فقد ناله الفساد في الدنيا والعذاب في الآخرة وذلك هو الخسران المبين: قال الله تعالى: ﴿ ...وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩].

جـ - متى يجوز موالاة غير المسلمين؟

لا يجوز للمسلم أن يوالى غير المسلم إلا فى حالة الاضطرار والضرورة، وهذه الحالة الاضطرارية قد أوسعها علماء المسلمين بحثًا، وفصلوا فيها القول تفصيلا.

- والآية الكريمة الأم فى هذا الباب «باب الولاء والبراء» هى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزول هذه الآية: إنها نزلت فى عبادة بن الصامت رضى الله عنه، وكان نقيبا بدريا، وكان له حلفاء من اليهود فاستأذن النبى ﷺ أن يخرجوا معه ليستظهر بهم فى يوم الأحزاب، فأنزل الله تعالى هذه الآية للنهى عن ذلك.

- وقد فصَّل العلماء القول فى موالاة الكفار، وتحدثوا عن الأحوال التى يجوز للمسلمين أن يوالوا فيها الكفار، فذكروا للولاء لهم والبراء منهم أحوالاً ثمانية هى:

الحالة الأولى:

أن يتخذ المسلم جماعة الكفر أو طائفته أولياء فى باطن أمره؛ ميلا إلى كفرهم ومناوأة لأهل الإسلام.

- وهذه الحالة كفر عند جميع العلماء، إذ يجب البراء منهم.

والحالة الثانية:

أن يركن بعض المسلمين إلى طوائف الكفر ومظاهرتهم، لأجل قربة أو محبة دون الميل إلى دينهم، فى وقت يكون فيه الكفار مجاهرين بعداوة المسلمين والاستهزاء بهم وأذاه، كما كان حال الكفار عند ظهور الإسلام، ومع عدم الانقطاع عن موالاة المسلمين.

- وهذه الحالة لا توجب كفر صاحبها، إلا أن ارتكابها إثم عظيم، لأن صاحب هذه الحالة يوشك أن يوالى الكفار على مضرة الإسلام.

والحالة الثالثة:

الركون إلى طوائف الكفر دون أن يكون هؤلاء الكفار مجاهرين ببغض المسلمين، ولا بأذاهم، كما كان نصارى العرب عند ظهور الإسلام.

- وهذه الحالة لا توجب كفر صاحبها، إلا أنه منهى عن ذلك، لما قد يجر إليه من استحسان ما هم عليه وانطلاء مكائدهم على المسلمين.

والحالة الرابعة:

موالاة طائفة من الكفار لأجل الإضرار بطائفة معينة من المسلمين، مثل: الانتصار بالكفار على جماعة من المسلمين.

- وهذه الحالة أحكامها متفاوتة بين العلماء على النحو التالى:

- قال الإمام مالك صاحب المذهب: يوكل أمر هؤلاء إلى اجتهاد الإمام، وهم فى حكم الجاسوس.
- وقال ابن القاسم[1]: تلك زندقة لا توبة منها ويقتل صاحبها كما يقتل الزنديق.
- وقال ابن وهب[2]: تلك رِدَّة ويستتاب صاحبها.

وأرجح الأقوال لدى العلماء هو قول الإمام مالك رحمه الله.

والحالة الخامسة:

أن يتخذ المسلمون طائفة من الكفار أولياء لنصر المسلمين على أعدائهم، فى حين إظهار هؤلاء الكفار حماية المسلمين ونصرتهم.

- وقد اختلف العلماء فى هذه الحالة أيضا.

- قال ابن القاسم - فى المدونة -: لا يستعان بالمشركين فى القتال لقول النبى ﷺ لكافر تبعه يوم بدر: «**ارجع فلن أستعين بمشرك**».

---

(١) ابن القاسم (١٣٢-١٩١ هـ) من علماء المالكية المبرزين، وهو مؤلف: «المدونة» فى مذهب الإمام مالك.

(٢) ابن وهب (١٢٥ - ١٩٧هـ) فقيه الفقهاء من أصحاب مالك رحمه الله.

– وقال مالك: لا بأس بذلك عند الحاجة.

– وذهب إلى مثل قول مالك:

أبو حنيفة، والشافعى، والأوزاعى(1)، والليث بن سعد(2).

– وقال جماعة من العلماء: لا نطلب منهم المعونة، وإذا استأذنونا لا نأذن لهم، وإذا خرجوا معنا لم نمنعهم.

– وأجاز أبو حنيفة الاستعانة بأهل الكتاب دون المشركين.

والحالة السادسة:

أن يتخذ واحد من المسلمين واحداً من الكافرين بعينه وَلِيًا له فى حسن المعاشرة أو القرابة من غير أن يكون فى ذلك إضرار بالمسلمين.

● وحكم ذلك أنه جائز – كما استأذنت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما رسول الله ﷺ فى برّ أمها الكافرة فأذن لها ﷺ.

والحالة السابعة:

حالة المعاملات الدنيوية كالتجارات والعهود والمصالحات.

● وأحكام هذه الحالات عديدة تختلف باختلاف كل منها، وتفصيل أحكام تلك الحالات تلتمس فى كتب الفقه الإسلامى، وهى كتب كثيرة بفضل الله تعالى.

والحالة الثامنة:

حالة إظهار الولاء لهم اتقاء ضررهم وشرهم.

● وهذه الحالة هى المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ ... **إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ... ﴾ [آل عمران: ٢٨] والاتقاء تجنب المكروه، وهذه التُّقاة أو التقية جائزة كالحالة التى كان عليها المستضعفون من المؤمنين الذين لم يجدوا سبيلا إلى الهجرة، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ... **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ﴾ [النحل: ١٠٦].

ويشبه ذلك ما لقيه المسلمون فى الأندلس عندما أكرههم النصارى على الكفر، فتظاهروا بذلك إلى أن تمكنوا من الفرار بدينهم، أو استأذنوا الكفار فى الهجرة.

---

(١) الأوزاعى (٨٨–١٥٧ هـ) إمام أهل الشام فى الفقه.

(٢) الليث بن سعد (٩٤–١٧٥ هـ) إمام أهل مصر فى عصره فى الحديث والفقه.

● وفى مسألة التقية قرر فيها العلماء شروطا حتى يعمل بها، من هذه الشروط:

الا تكون دائمة.

وألا تطول فترتها أو مدتها.

وإنما شرطوا ذلك خشية أن يدخل الكفر فى نفوس الذرارى والأجيال اللاحقة.

ولذلك ختم الله تعالى الآية الكريمة بقوله: ﴿ ... **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾[آل عمران: ٢٨] أى يحذركم من المخالفة لأى شىء من أمر الله، ومن التساهل فى موضوع التقية باستمرارها أو طول زمنها، لأن المصير إلى الله تعالى ليحاسب كلاً بما عمل.

د - ووجوب الانتماء إلى الأوطان المحلية والعربية والإسلامية:

أوجب الإسلام الدفاع عن الوطن والأرض والمال والعِرْض وما ذلك الدفاع إلا نتيجة للانتماء إلى الأرض والوطن، حتى إن من قُتِل دون ماله كان شهيدا، فقد روى أحمد بسنده عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**». ورواه ابن حبان فى صحيحه بسنده عن سعيد بن زيد رضى الله عنه.

- إن تعزيز الانتماء للوطن المحلى جزء من الدين، لأن الدين قد أمر المسلم أن يدفع عن وطنه كل خطر أو شر يتهدده أو عدو يبث فيه الفتنة وينتقصه، فالمسلم مطالب شرعًا بأن يحافظ على وطنه؛ أرضه وسمائه ومياهه، وخيراته وكل مقدراته، وكرامته.

والمسلم مطالب بأن يعمر الأرض ووطنه جزء منها، ولا يستطيع المسلم أن يفعل ذلك دون أن يعتز بانتمائه إلى وطنه.

ولقد كان النبى ﷺ يحب وطنه ومكان نشأته مكة المكرمة حبا شديدا، فلقد روى ابن ماجة بسنده عن عبدالله بن عدى بن الحمراء قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته واقف بالحَزْوَرة[1] يقول: «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلىّ، والله لولا أنى أُخرجتُ منك ما خرجت**».

ورواه الترمذى والدارمى أيضا.

- وتعزيز الانتماء للوطن العربى تعزيز للانتماء للغة القرآن الكريم، فهى لسان العرب،

(١) موضع بمكة.

ولغة السنة النبوية المطهرة، والاعتزاز بالكتاب والسنة من صميم التدين بدين الإسلام، الدين الحق الخاتم للأديان.

وأستطيع أن أسمى الوطن العربى وطن لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، ومحاولات أعداء الإسلام لإخمال اللسان العربى فى وطنه محاولات جادة مدروسة يقوم عليها دهاقين من الأعداء، وتدعمهم مؤسسات علمية ومالية وسياسية عديدة فى مقدمتها اليهود أو الصهاينة.

ومن عجب أن تزاحم اللغة العربية فى موطنها الأصلى بعدد من اللغات الأجنبية ولا يتحرك غيور على لسانه أو على قرآنه وسنة نبيه ﷺ!!

وما رأيت فى بلدان أعداء الإسلام فى الغرب أو أمريكا لغة تزاحم لغة الوطن ابتداء، من السنة الأولى الابتدائية إلا فى بلدان العالم العربى!!

ولا رأيت فى بلد من بلدان الأعداء للإسلام والمسلمين بلداً تسىء أو تجهل استخدام لغتها القومية كما يشاهد ذلك ويسمع فى أجهزة الإعلام فى العالم العربى!!

والهدف من مزاحمة لغة الكتاب والسنة بلغات أجنبية أو لهجات عامية، هدف واضح هو أن يستغلق فهم القرآن الكريم والسنة النبوية!! ليعزل القرآن الكريم والسنة النبوية عن ساحة الثقافة ولغة التخاطب فيصبحان كالآثار والعاديّات!!

- ماذا على المسئولين عن التعليم فى العالم العربى لو أخروا اللغة أو اللغات الأجنبية إلى أن تتمكن العربية لغة الوطن فى ألسنة المتعلمين؟

وفى النفس والعقل هموم عديدة تتصل باللغة العربية فى العالم العربى.

لا أقول بمنع تعلم لغة أجنبية أو أكثر، لأن ذلك تزود بثقافات وعلوم نحن فى أمس الحاجة إليها، وإنما أقول: يجب أن تتاح للعربية فرصة تعلم أحسن ووسائل إعلام تجيد لغة الوطن الذى تبث فيه، وهو وطن عربى تاريخا وتراثا وحضارة وعلما ومعرفة ورقعة جغرافية، وإطاراً سياسيا يسمى: «الجامعة العربية» وجامعة علمية عريقة تحمى لغة القرآن وعلوم الإسلام هى جامعة الأزهر[1].

---

(١) الحديث فى ذلك ذو شجون، وسوف نناقشه فى كتاب لنا بعد الآن هو: «التربية الإسلامية فى المدرسة».

– وتعزيز الانتماء للوطن الإسلامى، وتعبير الوطن الإسلامى تعبير يلذع أعداء الإسلام ويوجعهم ويقض مضاجعهم ويسهم فى إحباط مخططاتهم فى تذويب العالم الإسلامى وتفريقه وملئه بالفتن والخلافات والحروب العرقية والطائفية للقضاء على اتحاده أو وحدته؛ ليصير كما هو عليه الآن مِزَقًا وأجزاء ودويلات أو دولا تقارب فى عددها السِّتين دولة أو دويلة!!

إن الانتماء للوطن الإسلامى والاعتزاز بهذا الانتماء هو اللبنة الأولى فى بناء وطن إسلامى متحد أو موحد.

● إن الاعتزاز بالانتماء للوطن الإسلامى واجب شرعى لأن المسلمين جميعا – فى كل أنحاء الأرض – أمة واحدة، تعبد إلها واحدا، وتدين بدين واحد، وتهتدى بهدى كتاب واحد هو القرآن الكريم، ومنهج واحد هو سنة خاتم المرسلين محمد ﷺ، والمسلمون جميعا يد على من سواهم.

روى أبو داود بسنده عن على رضى الله عنه عندما سئل هل عهد إليك رسول الله شيئا لم يعهده إلى الناس عامة؟ قال: لا؛ إلا ما فى كتابى هذا، فأخرج كتابا فإذا فيه: «**المؤمنون تكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم...**».

وأعداء الأمة الإسلامية متحدون عليها وإن كانوا مختلفين فيما بينهم، فهم صهيونيون يهود وصليبيون وعلمانيون وملحدون ومنتمون إلى النظام العالمى الأمريكى الجديد، وهو نظام ورث ما كان يعرف بالاستعمار فى القرنين الماضيين، فبدأ يبسط نفوذه السياسى والاقتصادى، ثم ثنى بالحرب الاقتصادية والسياسية والحصار، ثم كشف عن وجهه القبيح فأخذ يغزو بلدان المسلمين ويحتل أرضها ويحتكر خيراتها ومقدراتها الاقتصادية ضاربا بكل قيمة خلقية أو شرعية دولية أو منظمة هيئة الأمم المتحدة عرض الجبل لا عرض الحائط، إنه الإجرام الحديث والانتهاك المزرى بحقوق الإنسان، والقتل والإبادة والإرهاب الذى يحمل دول العالم على أن تستثنى جنود أمريكا من المحاكمة والمساءلة حين يرتكبون جرائم حرب، أو يعطلون الاتفاقيات الدولية فى التعامل مع الأسرى والمعتقلين ثم يملأون الدنيا صياحا وتهما لأى دولة بأنها تنتهك حقوق الإنسان!!

إن أمريكا اليوم تنفرد بالعالم، تفعل بدوله ما تشاء، وتغالط وتضلل وتبتز ثم تغزو وتحتل البلاد والعباد.

وقد نال العالم الإسلامى من ظلم الولايات المتحدة الأمريكية ما لم يعانه فى فترات

الحروب الصليبية ولا فى الاستعمار الأوروبى المستبد، ولا فى استيطان اليهود لفلسطين وطرد أهلها منها.

- إن مقاومة هؤلاء الأعداء إنما تبدأ بتعزيز الانتماء إلى العالم الإسلامى، فهذا هو الذى يفشل خططهم ويحول بينهم وبين ما يشتهون من شر للعالم الإسلامى.

- ومن نافلة القول التنبيه على أن أعداء الإسلام ما استطاعوا أن يكيدوا للإسلام والمسلمين إلا فى غيبة اعتزاز المسلمين بأوطانهم، سواء أكان الكيد ثقافيا كما فعل بعض المستشرقين، أم كان علميا كما حظر على بلدان العالم الثالث كله أن يصل إلى إنتاج سلاح متطور يدافع به عن نفسه، أم عسكريا تمثل فى بناء القواعد العسكرية، أم اقتصاديا تمثل فى السيطرة الاقتصادية والحصار الاقتصادى وحظر الطيران، أم كان استيطانيا وغزوا عسكريا واستيلاءً على النفط وعلى الأرض وعلى الحاضر والمستقبل.

إن أمريكا ألدُّ أعدائنا اليوم بموالاتها لعدونا التقليدى اليهود، وإن أمريكا قد توحشت وملكت من القوة والعتاد والمال وشهوة السطوة ما جعلها تضرب فى أكثر من مكان وتقاتل فى أكثر من ميدان!!

فهل يترك توحشها فينا اليأس أو يجعلنا نستسلم لها؟ إن ذلك لن يكون أبداً على المدى البعيد، لأن المتغيرات والمقاليد كلها بيد الله وحده، وهو وحده القادر على أن يغير من حال إلى حال. ولتسأل أمريكا نفسها، وليطرح نفس السؤال معها الذين انخدعوا فيها قائلين: أين إرم وعاد وأين الفراعنة الشداد؟ أين دولتا الفرس والروم وأين بريطانيا العظمى التى لا تغيب عن مملكتها الشمس، وأين نيرون وأين نابليون، وأين الاتحاد السوفيتى، وأين هتلر وأين سائر الطغاة؟ وما أكثرهم!! طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم الزمن بتطاوله، وذهبوا إلى حيث المصير المحتوم للمستبدين، تاركين أسوأ السيرة وأردأ الذكرى.

- إن المسلمين اليوم أقرب إلى مليار ونصف مليار مسلم، ولن يعدموا أن يجدوا الأسباب التى تجعل منهم أمة قوية قادرة على رد العدوان، وعلى قطع أرجل الأفعوان.

كل ما على المسلمين اليوم وغدا أن يكونوا مؤمنين صادقين ملتزمين بمنهج الله ونظامه، منتظرين وعد الله بنصر المؤمنين لأن الله تعالى الزم نفسه بذلك **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الروم: ٤٧]، **﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾** [الروم: ٤، ٥].

ولكن النصر يحتاج إلى الإيمان والعمل والصبر والاستمرار فى الإعداد والاستعداد والأخذ بكافة الأسباب: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]، إن الله تعالى: ﴿أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٠-٥٥]، ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢].

افبعد هذا يشك أحد فى أن النصر للمؤمنين وأن الخذلان للظالمين؟

٥- وحق الإنسان فى الإعلام:

تحدثنا آنفا عن الإعلام بوصفه حرية من حريات الإنسان ما ينبغى لأحد فرداً أو جماعة أو دولة أن تحرمه منها.

ونتحدث الآن عن الإعلام بوصفه حقا من حقوق الإنسان تسهم ممارسته فى بناء إنسانية الإنسان.

والإعلام هو نشر الحقائق والأخبار والأفكار والآراء بين الناس من خلال وسائل الإعلام المتعددة مثل: الصحافة والإذاعة بنوعيها والمسرح والسينما والمعرض وشبكات المعلومات.

- وإنما كان الإعلام حقا لكل مواطن، لأن أهدافه تدخل فى صميم حقوق الإنسان من جانب أن الإنسان لا يمكن أن يعيش بمعزل عما يجرى حوله من أحداث.

- وأهداف الإعلام إنسانية نبيلة لا يختلف عليها الناس عموما فضلا عن المثقفين والمفكرين والعلماء، ومن هذه الأهداف:

– تعريف المتلقى بالحقائق والأخبار والأفكار والآراء ليفكر فيها ويقتنع أو لا يقتنع، حسبما تشتمل عليه من قدرة على الإقناع.

ويمكن إيجاز هذا الهدف فى كلمة هى تثقيف المواطن.

– وكسب تأييد المتلقى لما تتضمنه المادة الإعلامية من رأى، والنجاح فى كسب هذا

التأييد يتوقف دائما على ما تشتمل عليه المادة الإعلامية من حقائق ومعلومات صادقة مؤيدة بالبراهين.

– وتوجيه أفكار الناس ومعتقداتهم – بذكاء وموضوعية – نحو تبنى القيم السائدة فى المجتمع، لأن الإعلام الحق هو ما يعكس روح الأمة وقيمها ومعتقداتها.

● الإعلام بهذه الأهداف حق للمواطن على كل من يملك وسيلة من وسائل الإعلام فى الوطن المحلى أو العربى أو الإسلامى، وأغلب بلدان العالم الإسلامى تسيطر الدولة فيها على وسائل الإعلام وتوجهها وتفرض عليها ما تقوله وما تسكت عنه.

فالإعلام إذن حق للمواطن على الدولة.

● والإعلام فى العالمين العربى والإسلامى تملكه الدولة وتملك وسائله وتفرض عليه رقابة يقوم عليها وزير يضع خطة إعلامية تضمن للدولة البقاء فى الحكم أطول فترة ممكنة، ولذلك كان الإعلام فى العالمين العربى والإسلامى مفتقدا لصفات أساسية يعرفها كل من يستقبل المادة الإعلامية، مثل:

– المصداقية بالبعد عن المغالطات والأكاذيب(١).

– وتعمده إخفاء بعض الأخبار، والتعمية على بعض الأفكار التى قد تسيء معرفتها للسلطة الحاكمة أو تكشف شيئا من عيوبها.

– والخلط بين الإعلام والدعاية لأعمال الحكومة وتمجيد أفراد الحزب الحاكم، ووصفهم بصفات الأبرار الأطهار.

– وفقد فرصة التفاهم والحوار بين الناس والحكومة، من منطلق أن الحكومة دائما على حق، وأن الناس عاجزون عن الارتفاع إلى مستواها، فما عليهم إلا أن يقبلوا ما تقوله.

● والفرق بين الإعلام والدعاية فرق كبير يعرفه كل من له صلة بالإعلام، فالإعلام يستهدف إحقاق الحق ونشره فى الناس، وإبطال الباطل بتعريته وكشف خداعه للناس، بينما الدعاية تقوم فى الغالب على التضليل، وإن كانت فى أحيان قليلة تستهدف الخير والحق.

● ووسائل الإعلام عند المسلمين – قبل هذا العصر الذى نعيشه – العصر الذى ازدحم

(١) اصبحت الأكاذيب اليوم صفة ملازمة للإعلام الأمريكى وبخاصة بعد احداث ١١ من سبتمبر المؤسفة.

بوسائل إعلام عديدة متطورة سريعة تطوف الأرض فى ثوان قليلة، المسلمون من يوم ظهر الإسلام كانت لهم وسائل إعلام ناجحة هى:

- القرآن الكريم تلاوته وشرحه وأخذ العبرة منه.

- والسنة النبوية المطهرة وهى بحر زاخر بالقيم الرفيعة.

- وسيرة الرسول ﷺ بكل تفاصيلها، وهى سيرة هادية.

- وحروب الرسول ﷺ ومسالماته.

- وكتبه إلى الرؤساء والملوك يدعوهم إلى الإسلام.

- وبعوثه إلى الملوك والرؤساء، وسراياه.

وكل هذه الوسائل - بلغتنا المعاصرة - من صميم الإعلام.

بعد هذه المقدمة نتحدث فى حق الإعلام عن نقطتين:

إحداهما: حق المواطن فى الإعلام الصادق الشفاف.

والأخرى: أهمية حق الإعلام فى بناء شخصية المسلم.

أ- حق المواطن فى الإعلام الصادق الشفاف:

على الرغم من أن علم الإعلام حديث بل حديث جداً إذا قورن بالعلوم الاجتماعية أو العلوم السياسية، وعلى الرغم من اختلاطه السريع بالدعاية[(١)]، وعلى الرغم من سيطرة كثير من الحكام المستبدين على الإعلام والدعاية معا وتسخيرهما لفرض سيطرتهم على المواطنين، وعلى الرغم من بروز أجهزة إعلام ودعاية طاغية التأثير فى ظل أنظمة حكم شمولية مستبدة، وعلى رأس هذه الأجهزة أجهزة رهيبة مثل الإعلام والدعاية النازية والفاشية والبلشفية والشيوعية والاشتراكية، وحكومات التسلط باسم الدين أو باسم النخبة من الأشراف - كما يسمون أنفسهم - أو باسم العائلات والأسر.

على الرغم من انتشار ذلك كله، فإن كثيرا منه ذهب إلى غير رجعة وما بقى منه لابد أن يدركه هذا المصير، ثم يظل ما ينفع الناس ثابتا راسخا يطاول الزمان وحكام الاستبداد

---

(١) الإعلام والدعاية كلاهما من فروع علم الاتصال بالجماهير، وعلم الاتصال بالجماهير فرع من دراسة الاتصال الإنسانى.

وسوف يلجئهم إلى الانزواء أو الانتحار، لأن دول الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، ولأن الزبد سوف يذهب جُفاءً وأن ما ينفع الناس سيمكث فى الأرض.

● إن كل مواطن له الحق فى إعلام صادق شفاف يعكس الحقائق ويحيط المواطن علما بما يجرى حوله من أحداث وأنباء وأحوال، ليكون على علم بذلك ويتخذ لنفسه الموقف الملائم لحاضره ولمستقبله.

– فإذا كان المواطن مسلما يعيش فى دولة مسلمة فإنه يأثم إن تنازل عن حقه فى الإعلام الصادق الشفاف خوفا من حاكم ظالم مستبد، كما يأثم هذا الحاكم المسلم لأنه ضيع حقا للمواطنين، يستحق عليه عقاب الله يوم القيامة، ويستوجب لعنة الناس وبغضاءهم، وتلبثهم به حتى يعزلوه دون فتنة أو ضرر أشد من إهدار حقهم فى الإعلام الصادق الشفاف، إذ الأصل أن الناس هم الذين اختاروا الحاكم، فهم الذين لهم حق عزله إن أخل بواجباته، هذه قضية من القضايا المسلَّم بها فى التاريخ الإنسانى كله، لأن الحاكم خادم للناس وليس سيدهم أو المتسلط عليهم.

– وإنما كان المواطن المسلم ذا حق فى إعلام صادق شفاف ، لأن هذا الحق يقابله واجب ضخم إزاء ما عَرَفَه مما يحيط به، فهو مطالب دائما بتغيير ما يضره، والبحث عما ينفعه بوصفه عضوا فى مجتمع إنسانى يطمح دائما إلى الوصول إلى مستوى معيشى أحسن وأرضى لله تعالى.

– وإن ما يحيط بالمسلم من ظرف ومتغيرات تحتاج منه دائما إلى عمل أو علم، أو مال، أو جهاد، أو هذه مجتمعة لكى يغير فيما يحيط به كل ما يغضب الله ويخالف الدين، ولا يستطيع أن يتنصل من ذلك وإلا وقع فى الإثم إذ أخَلّ بما أوجب الله عليه.

– والمسلم لا يستطيع أن يقوم بواجباته فى التغيير إلا إذا عرف ما يحيط به مما يقتضى التغيير، ولا سبيل إلى ذلك إلا بإعلام صادق شفاف.

● وللإعلام الصادق الشفاف وظائف هامة فى التثقيف والتعليم والتربية، وتكوين الحس الاجتماعى والسياسى والدينى والجهادى والجمالى، وظائف لا ينكرها أحد، ولا يقلل من شأنها أحد؛ فمن خلال وسائل الإعلام وأجهزته العديدة، فإن المواطن يستطيع أن يجنى أعظم الثمرات الثقافية والعلمية والأدبية والفنية والجمالية من خلال: الصحافة والإذاعة مسموعة ومرئية والسينما والمسرح، وشبكات المعلومات وغيرها من الكتب والنشرات

والندوات، فهى آلات ووسائل فاعلة تسهم فى التربية عموما، وتعين المدارس والجامعات على أداء وظائفها، هذا لو كان الإعلام صادقا شفافا.

- إن الإعلام الصادق الشفاف يغذى روح المواطن وعقله ويعمق إيمانه بالقيم الرفيعة، ويجعله متلائما مع ما يدعو إليه الدين الحق من ضرورة توفير الأسباب للحياة الإنسانية الكريمة القويمة التى يتمتع فيها الإنسان روحه وعقله وجسده بكل ما له من حقوق ويؤدى ما عليه من واجبات.

- الإعلام الصادق الشفاف حق لكل مواطن مسلم؛ لأنه ينمى فيه ما زرعه الدين الحق فى نفسه من حب الخير لنفسه وللناس، ومن كراهية الشر والأذى، وحب الخير وبغض الشر من علامات الصحة النفسية والعقلية والجسدية والاجتماعية، وهو مرضاة لله تعالى، لأنه لا يكمل إيمان المؤمن حتى يحب الخير ويبغض الشر، وليس كالإعلام الصادق وسيلة إلى الوصول إلى هذه الغاية.

- وإذا كان الإعلام إسلاميا فإن أبرز ما يميزه الصدق والشفافية. الصدق واجب إسلامى لا يتخلى عنه المسلم بحال من الأحوال حتى فى أصعب الظروف، فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ [الأنعام: ١٤٤] وقال جل شأنه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٢-٣٥].

وروى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا».**

وروى أحمد بسنده عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة».**

ومعنى ذلك ان الإعلام الصادق يحدث فى النفس طمأنينة ويباعد بينها وبين الريب والشكوك والهواجس.

وقمة الإعلام الصادق الشفاف الذى يقتلع من النفس كل مثقال ذرة من الريبة ما علمنا إياه رسول الله ﷺ فى موقفه مع رجلين من الأنصار رأياه يودع زوجته صفية بنت حيى رضى الله عنها.

فقد روى البخارى بسنده عن على بن الحسين[1] أن صفية[2] رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أخبرته أنها جاءت النبى ﷺ تزوره فى اعتكافه فى المسجد فى العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبى ﷺ معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مَرَّ رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله ﷺ فقال لهما: «على رِسْلكما؛ إنما هى صفية بنت حيى» فقالا: سبحان الله يا رسول الله وكَبُر عليهما، فقال النبى ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مُبْلَغ الدم، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئًا».

وذلك الذى فعله الرسول ﷺ ينبغى أن يكون الأسوة للمسلمين جميعا، يتحرون الصدق والشفافية ولا يَدَعون لأحد أن يظن بهم غير الخير.

وأقول: إن هذين الصحابيين الأنصاريين رضى الله عنهما لم يستريبا أبدا فى موقف رسول الله ﷺ مع امرأة على باب المسجد، ولا خطر ببالهما شىء من سوء ظن، ولكن الرسول ﷺ رأى أنّ من حقهما أن يعلما حقيقة الموقف فخاطبهما ذلك الخطاب الشافى، النافى لكل شك، الطارد لكل وسوسة من الشيطان.

- وهذا بلغة عصرنا حقهما فى الإعلام الصادق الشفاف، فهل يفعل حكامنا اليوم ما فعله الرسول ﷺ من صدق وشفافية، ليزيلوا من النفوس الشكوك والأوهام؟ أم تراهم لا يعنيهم ذلك فى شىء ما دامت السلطة فى أيديهم والقدرة على القمع والبطش فى سلطانهم ورهن إشارتهم؟ وما داموا هم من الراغبين فى البقاء فى السلطة قائلين لأنفسهم: فليستريب من أراد، ولن نعطى من الإعلام إلا ما نريد!!

إنهم بذلك يؤكدون أنهم طغاة، ويجهلون أن الطغاة جميعا مخدوعون مطموسوا البصائر.

---

(١) هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب ولد فى خلافة عثمان رضى الله عنه وتوفى سنة ٦١ هـ وهو يذود عن والده الحسين رضى الله عنه فى معركة الطف (كربلاء) التى استشهد فيها الحسين رضى الله عنه.

(٢) توفيت سنة ٥٠ هـ وهى بنت حيى بن أخطب، أسلمت بعد خيبر وتزوجها رسول الله ﷺ.

إنهم لو قرأوا تاريخ الطغاة قبلهم لأيقنوا بما ينتظرهم من مصير، لأن الطغاة الذين سبقوهم مضوا إلى مصائرهم، وهؤلاء الطغاة لابد أن يكون لهم نفس المصير، سنة الله فى كل الطغاة على مر التاريخ.

ب- أهمية حق الإعلام فى بناء الشخصية المسلمة:

حق الإعلام للمسلم كغيره من حقوقه يسهم فى بناء شخصيته الإنسانية على النحو الأفضل والأكرم للإنسان، لأن هذه الحقوق جميعا قد أقرها الله تعالى بل فرضها لعلمه بأنها لصالح الإنسان فى دنياه وآخرته، إذ هو سبحانه وتعالى خالقه الذى يعلم ما يصلحه.

- وعند التدبر فى أى حق من حقوق الإنسان عموما والإنسان المسلم على وجه الخصوص، نجد أن تجريده منه يوقع بشخصيته الاجتماعية أبلغ الضرر؛ لذلك يخطئ من يتنازل عن حقوقه التى شرعها الله له، كما يخطئ من ينتقص هذه الحقوق أو يهدرها، ويجرم فى حق نفسه وحق المجتمع وحق الإنسانية كلها من يجمد هذه الحقوق.

وفى مقابل ذلك نقول: إن كل تمسك بممارسة هذه الحقوق وكل رعاية لها وكل عمل من أجل إيصالها إلى أصحابها يُعَدّ إسهاما حقيقيا فى بناء شخصيته وتكوينها تكويناً صحيحا.

- وللشخصية المسلمة جوانب عديدة مترابطة متكاملة ذكرنا منها فى هذه السلسلة «مفردات التربية الإسلامية» عشرة جوانب بدأناها بالتربية الروحية، وأنهيناها بهذه الحلقة «التربية الجسدية» وأكدنا أهمية كل جانب منها ونحن نتحدث عن مفرداتها، ونؤكد الآن أنه لا تستقيم حياة الإنسان إلا بممارسة كل حقوقه بل إصراره على ممارستها.

- وقد أوضحنا أن الإسلام – وهو يربى هذه الجوانب كلها – إنما يعتمد فى تربيته لها على أمرين أساسيين:

الأول منها: هو إقرار الحقوق لهذا الجانب من شخصيته، والأمر بممارسته واعتبار هذه الممارسة طاعة لله تعالى، لأنها امتثال لأمره واجتناب لما نهى عنه.

والآخر: هو إقرار الواجبات على هذا الجانب من شخصيته، وإلزامه بأدائها، طلبا لرضا الله تبارك وتعالى، وطمعا فى الحصول على ثوابه فى الدنيا والآخرة.

- ومن خلال ممارسة الحقوق وأداء الواجبات فى ظل المساواة التى جاء بها الإسلام بين الناس

رجالا ونساء، عرباً وغير عرب، شعوباً وقبائل، بحيث لا يُحَابَى أحدٌ دون أحد، ولا يُجار على أحد؛ تكون التربية الإسلامية المستوعبة لكل احتياجات الإنسان، المؤيدة بوحى الله، وهَدْى خاتم رسله ﷺ فى سنته وسيرته.

● وإن أبرز ما يميز التربية الإسلامية لجوانب شخصية المسلم هو: إقرار الحقوق والإلزام بأداء الواجبات فى ظل تلك المساواة بين الناس.

● وإنّ ما ميزها أيضا ذلك التوازن الذى أحدثه الإسلام بين جوانب الشخصية، بحيث لا يُعَدُّ جانب أهم من جانب، وإنما تتكامل الجوانب كلها وفق منهج محكم البناء كما أشرنا إلى ذلك أكثر من مرة(١).

وليس غريبا على خاتم الأديان وعلى منهجه ونظامه التربوى أن يهتم بكل جانب من جوانب الشخصية؛ وذلك أن المسلم عضو فى أسرة له فيها حقوق، وعليه نحوها واجبات، وعضو فى مجتمع مسلم له فيه حقوق، وعليه نحوه واجبات، وعضو فى وطن محلى ووطن عربى ووطن إسلامى ومجتمع إنسانى له فيها حقوق، وعليه نحوها واجبات.

● وما بين هذه الحقوق وتلك الواجبات ممارسة وأداء تتضح الشخصية ويتكامل بناؤها، ليستطيع الإنسان أن يؤدى وظائفه فى الحياة الدنيا، فيزرع فيها ما يحصد أطيب ثمره فى الحياة الآخرة، وما لم يفعل فقد خسر الحياتين معا.

- الشخصية المسلمة المتكاملة البناء هى التى تعمر دنياها بالعمل الصالح وبإعمار الأرض، والاستفادة بما أنعم الله على الناس من تسخير الدنيا وما فيها للإنسان، وفى ذلك تعمير للآخرة بما قدم من عمل صالح.

- الشخصية المسلمة المتكاملة هى الشخصية الاجتماعية بكل ما تحمله كلمة الاجتماعية من دلالات، وبكل ما جاءت به التربية الاجتماعية الإسلامية من قيم وما استهدفته من أهداف، نذكر بمجملها(٢) فى النقاط التالية:

١- إحياء سنة التعارف بين الناس، والاختلاط بهم لتشجيعهم على طاعة الله تعالى،

---

(١) جاء ذلك مجملا فى مقدمة كل حلقة تحت عنوان: بين يَدَىْ هذه السلسلة، وجاء مفصلا فى ثنايا الحديث عن كل جانب منها فى كتاب خاص بهذا الجانب مثل: التربية الروحية، التربية الخلقية، التربية الدينية.. إلى التربية الجسدية آخر الحلقات.

(٢) تحدثنا عن ذلك بالتفصيل فى «التربية الاجتماعية الإسلامية» الحلقة السادسة. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

وتبصيرهم بقضاياهم الاجتماعية، والتعاون معهم على دفع المفاسد وجلب المصالح وإقناعهم بوجوب أن يكونوا دعاة لهذا الدين، كل فيما يستطيع.

٢- ومقاومة وساوس الشياطين للناس إذ يحببون إلى الناس العزلة عن الناس، فيستجيب بعض الغافلين لهذه الوسوسة، فيخسرون بذلك أنهم خير أمة أخرجت للناس لاختلاطهم بالناس والصبر على أذاهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

٣- واحترام الحقوق والواجبات على مستوى الفرد والمجتمع، مع التبصير بذلك والتوعية به، وتربية الفرد على الفاعلية والمشاركة فى فعل الخير والتعاون على البر والتقوى.

٤- وإعلاء شأن الأسرة فى المجتمع واعتبار الزواج هو الوسيلة الوحيدة لتكوين الأسرة، وتوضيح حقوقها وواجباتها، وتحديد وظائفها والتشجيع على أدائها.

٥- والعمل على إخلاء النظم الاجتماعية من كل ما يخالف شرع الله ونظامه، والتعريف بالوسائل التى تجعل المجتمع خاليا مما يخالف منهج الله ونظامه، وبخاصة التعليم والإعلام، والإعداد بكل أنواعه الروحى والخلقى والعقلى والعلمى والتقنى والاقتصادى والسياسى.

٦- والوصول بالمجتمع المسلم إلى التضامن والتكافل.

٧- والعمل على استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع.

كل ذلك إنما يبصر به ويساعد على استيعابه والعمل من أجله؛ إعلام صادق شفاف يستهدف خير الناس فى دنياهم وأخراهم.

- وإذا كان الجانب الاجتماعى فى شخصية المسلم على هذا القدر من الأهمية وعلى هذه الدرجة من الاحتياج إلى الإعلام الصادق الشفاف؛ فإن الجانب السياسى فى شخصية المسلم لا يقل أهمية عن الجانب الاجتماعى.

وبالتالى فإن الجانب السياسى فى شخصية المسلم يحتاج إلى إعلام صادق شفاف، لتحقق التربية السياسية الإسلامية أهدافها العديدة التى ذكرناها مفصلة[1] ونعيد التذكير بمجملها فى النقاط التالية:

١- تكوين الإنسان المسلم تكويناً سياسياً، بتعريفه على التيارات المعادية للإسلام المعروفة

---

(١) فصلنا ذلك فى كتاب التربية السياسية الإسلامية وهو الحلقة الخامسة من سلسلة مفردات التربية الإسلامية نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

من صهيونية يهودية وصليبية وإلحادية واشتراكية وشيوعية ونظام عالمى جديد وعولمة، ومذهب أو تيار يعرف بأنه التحدى لكل ما هو إسلامى من ناس ونظم وسياسات، وذلك سائد فى عدد من بلدان الغرب وفى بعض البلدان المسلمة!!

ومحاضن التربية التى تُحَصِّن من ذلك هى: البيت والمسجد والمدرسة والمجتمع.

٢- وتكوين البيت المسلم الذى يشارك سياسياً فى قضايا المجتمع كلها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجهادية والثقافية والتعليمية والعلمية والإعلامية.

٣- وتوظيف المسجد واستثمار أنشطته لتكوين المسلم السياسى.

٤- وتكوين الرأى العام الإسلامى وتوظيفه سياسيا على مستوى الوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى، بل على مستوى الأقليات المسلمة، وتأهيل هذا الرأى العام الإسلامى لمناقشة القضايا الهامة فى تلك الأوطان، وهى كثيرة تحتاج إلى مزيد من التوعية والإعداد والاستعداد مثل:

- **ممالأة إسرائيل** وتأييدها فى عدوانها المستمر على العرب واستيلائها على فلسطين.

- **والعدوان المسلح** على أفغانستان والعراق واحتلال أرضهما وتشكيل حكومات تطبق سياسة أمريكا فيهما.

- والعمل على تجزىء بل تفتيت كثير من دول العالم الإسلامى بإثارة الفتن والحروب الداخلية فيها، وأوضح مثال لذلك: السودان والصومال وأريتريا ونيجيريا وغيرها من البلدان المسلمة فى أفريقية، ومثل: أندونيسيا وباكستان وبانجلادش والجمهوريات الإسلامية فى اتحاد روسيا، والشيشان وغيرها من البلدان المسلمة فى آسيا، ومثل: البوسنة والهرسك وكوسوفو وألبانيا فى أوربا.

ومثل قضية العمل على تنصير المسلمين بسبل عديدة.

ومثل قضية الأقلام والأيدى الخبيثة التى يتعامل بها عدد من المستشرقين ومن يسمون أنفسهم «المبشرين».

ومثل قضية انتهاك الشرعية الدولية على يد أمريكا وقضية امتهان هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها، وضرب قراراته بعرض الحائط والأرض والبحر والسماء.

وقضية استبداد أمريكا بالعالم كله من منطق القوة الغاشمة والمبالغة فى انتهاك حقوق الإنسان.

الفصل الثالث

الحقوق الاجتماعية والنفسية للجسد

وتشمل:

١- حق المواطن فى الإحساس بالأمن.

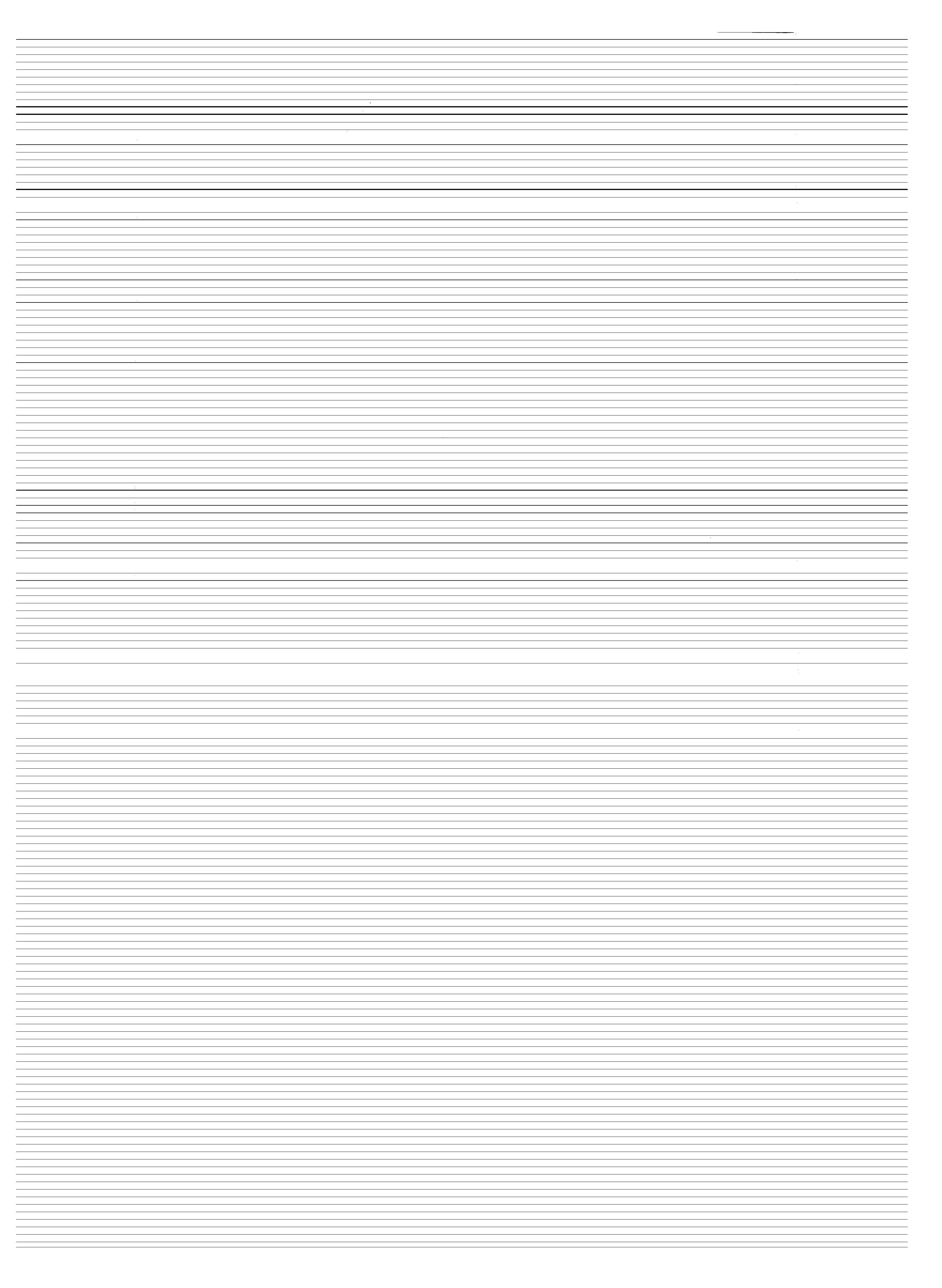
٢- وحقه فى الاندماج بالمجتمع والتكيف مع قيمه.

٣- وحقه فى ممارسة التفكير الحر والتعبير عنه.

٤- وحقه فى ممارسة الجهاد فى سبيل الله.

٥- وحقه فى المشاركة فى قضايا المجتمع الذى يعيش فيه.

٦- وحقه فى التَّرشُّح للمجالس النيابية.



الحقوق الاجتماعية والنفسية للجسد

نحاول - بإذن الله - فى هذا الفصل أن نركز على الحقوق الاجتماعية والنفسية للجسد الإنسانى الذى هو وعاء الروح والعقل والجوارح، وسائر مكونات الإنسان المادية والمعنوية، لما لهذه الحقوق الاجتماعية والنفسية من صلة وثيقة بنجاح الإنسان فى حياته إن توفرت له هذه الحقوق، ولما لهذه الحقوق إن ضُيِّعت من صلة وثيقة أيضا بفشل الإنسان وتعاسته.

ولابد لنا من طرح سؤالين فى التمهيد لهذا الفصل:

أولهما:

ما هذه الحقوق أو الاحتياجات الاجتماعية والنفسية لهذا الإنسان؟

والآخر:

من المسئول عن توفير هذه الحقوق أو الاحتياجات؟

- وللإجابة عن السؤال الأول نقول:

إن هذه الحقوق أو تلك الاحتياجات عديدة، نذكر منها ولا نستقصيها، مؤكدين أن الإنسان بغيرها لا يستطيع أن يمارس حياته فى المجتمع ممارسة صحيحة فاعلة محققة للغاية المرجوة منها وهى سعادة الإنسان فى دنياه وآخراه.

هذه الحقوق أو الاحتياجات من أهمها:

١- الإحساس بالأمن الاجتماعى ولا يكون ذلك إلا بالاحترام والتقدير له ممن يحيطون به من الناس ومن يقودونه من الحكام والمسئولين.

٢- والإندماج مع المجتمع، أى القدرة على التكيف معه ومع القيم السائدة فيه، وهى قيم إسلامية فى المجتمع المسلم.

٣- وممارسة التفكير الحر دون حظر مادى أو معنوى، وممارسة التعبير عن هذا التفكير دون قيود مجحفة.

٤- وممارسة الجهاد فى سبيل الله بكل أنواعه للوصول إلى نيل حقوق وطنه وجلب مصالحه ودفع المفاسد عنه.

٥- والمشاركة فى قضايا المجتمع الذى يعيش فيه مشاركة تلائم ثقافته ومكانته وقدراته

وطاقاته، وكل قضايا المجتمع دون استثناء، لأن فى المجتمع – بالضرورة – من يقدرون على مناقشة كثير من قضاياه، لتعدد تخصصاتهم، وقدراتهم، وأن ذلك من حقهم وواجبهم.

٦– وحق المواطنين فى الترشح للأعمال ذات الأهمية على مستوى الوطن، دون تحيز لأولياء الحكومة أومنافقيها أو الذين تعتمد عليهم فى ظلم الناس.

٧– وحقهم فى الترشح للمجالس النيابية دون تدخل حكومى ينحاز للحزب الحاكم، من خلال نتخابات نزيهة تفرز أعضاء مؤهلين لهذا العمل الخطير، حتى يتكون المجلس من مختارين بحرية ومرشحين بجدارة، وهذا هو الذى يؤدى إلى تداول السلطة وتعدد وجهات النظر فى الإصلاح.

● وللإجابة عن السؤال الثانى، نقول:

– أول المسئولين عن توفير هذه الحقوق والاحتياجات:

هو الإنسان نفسه، حين يصر على التمسك بحقوقه ويرفض التفريط فيها خوف حاكم ظالم أو مستبد، وإنما يكون منه هذا التمسك بحقوقه على قدر فقهه لدينه ومعرفة ما أمره الله به وما نهاه عنه؛ لأن الإسلام يطالبه دائمًا بالعمل على جلب المصالح ودفع المفاسد والتعاون مع الآخرين على البر والتقوى ويسمِّى الإسلام المتهاون فى حقوقه ظالما لنفسه وبالتالى فهو ظالم للمجتمع الذى يعيش فيه.

– وثانى هؤلاء المسئولين عن توفير هذه الحقوق هو:

الحكومة التى بيدها السلطات، فهى تملك إزالة العقبات من طريق ممارسة المواطن لحقوقه وتأمين احتياجاته، بل تملك توفير هذه الحقوق والاحتياجات إن كانت غير متوفرة، وهى كذلك التى تنتقص هذه الحقوق أو تهدرها فى المجتمع.

– وثالث المسئولين عن توفير هذه الحقوق هو:

النظام السائد فى المجتمع، والأصل فى هذا النظام أن يكون إسلاميا فى كل بلد مسلم، لأن النظام الإسلامى يشتمل منهجه على كل ما يحقق صالح الإنسان فى دنياه وآخرته، وعلى حلٍّ مناسب لكل مشكلة تقوم فى المجتمع، لأن هذه المشكلات لا توجد إلافى غيبة المنهج الإسلامى وهذا النظام يجب أن تدعمه كل حكومة مسلمة.

– ورابع المسئولين عن هذه الحقوق هو:

الأسرة، ابتداء بالأبوين، وامتدادا مع كل سلطة فى الأسرة تتحمل مسئوليتها نحو أفراد

الأسرة، إذ من واجبها أن توعى أبناءها منذ قدرتهم على الإدراك أن لهم حقوقا وتشجعهم على ممارستها داخل الأسرة، وتحذرهم من مَغَبّة التفريط فى هذه الحقوق، إن الأسرة محضن تدريب على ممارسة الحقوق وعلى أداء الواجبات، لتدفع بأبنائها وذويها إلى المجتمع وقد فقهوا ما لهم وما عليهم.

– وخامس المسئولين عن هذه الحقوق؛ هو :

المسجد، وهو فى الإسلام أهم مؤسسة تربوية، لما يتم فيه من عبادة الله بالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله وتدارس العلم، وهو بذلك مؤسسة قادرة على توفير كثير من احتياجات الإنسان النفسية والاجتماعية، إن المسجد يسهم فى بث الطمأنينة والأمن فى المجتمع من منطلق أنه مكان للصلاة، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتعود المسلمين الانضباط فى التوقيت والنظام والنظافة، وتَفَقُّد الغائب والسؤال عنه، وما لا أحصى من احتياجات الإنسان النفسية والاجتماعية[1].

– وسادس هؤلاء المسئولين عن توفير الحقوق والاحتياجات هو : المدرسة أو أماكن التعليم بجميع مراحله، فهو الذى يمكّن الإنسان من ممارسة حقوقه، وتدريبه على تلك الممارسة ، لما فى ذلك من صحة نفسية واجتماعية.

إن المدرسة وبخاصة عندما تكون إسلامية المنهج والمدرس والمرافق والخدمات التعليمية والإدارة، بهذه المدرسة يصبح الإنسان فى المجتمع مُعَدًّا إعدادًا جيدًا، ليمارس حقوقه فى المجتمع ويحظى بالاحترام والتقدير أمام نفسه فلا يشعر بإحباط، وأمام المجتمع، فلا يشعر نحوه بأى تجاهل له، وبالتالى فلن يُكنَّ للمجتمع أى عداء.

– وسابع هؤلاء المسئولين عن توفير هذه الحقوق والاحتياجات هو : المؤسسات الاجتماعية الأهلية، مثل الجمعيات والجماعات والأندية بمختلف أنواعها، وجميع أنواع الجمعيات الأهلية، ثقافية وعلمية وأدبية وخيرية، بل جميع الأحزاب السياسية بمختلف انتماءاتها وتوجهاتها، كل هذه المؤسسات مسئولة فى حدود صلاحيتها وإمكاناتها عن توفير حقوق المواطنين، وكثير من احتياجاتهم، مسئولية مباشرة من خلال أنشطتها التى تنص عليها قوانينها ولوائحها.

وهذا الإجمال هو ما نأمل توضيحه فى هذا الفصل الثالث الأخير من هذا الباب، بعون من الله وتوفيق.

---

(١) منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما ألفت كتابا عن المسجد وأثره فى المجتمع نشرته فى طبعته الأولى دار المعارف بمصر سنة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م ثم توالت طبعاته.

١ – حق المواطن فى الإحساس بالأمن فى المجتمع :

الإحساس بالأمن حاجة نفسية اجتماعية لا يفقدها الإنسان إلا وتصاب حياته بالاضطراب، أو بالجنوح، وقد تصل به الحال إلى حد ارتكاب الجرائم.

– والإحساس بالأمن مطلب نفسي اجتماعي اعتبره كذلك رب العالمين سبحانه وتعالى، وعدَّه من بين النعم التى ينعم الله بها على عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات كنعمة استخلافهم والتمكين لدينهم في الأرض، قال الله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...** ﴾ [النور: ٥٥].

– وجعل الله تعالى الأمن جزاءً للذين آمنوا ولم يخلطوا بين إيمانهم والظلم – أى الشرك ونحوه – فقال جل وعلا: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢].

● والرسول ﷺ جعل طلب الأمْن والرغبة فى الحصول عليه مطلبا وهدفا للمؤمن يلوذ به فينجو من العذاب.

– روى أحمد بسنده عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«العبد آمِنٌ من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل»**.

● واعتبر رسول الله ﷺ الأمن على الأهل والمال والطريق والوجهة – أى الأمْن فى السِّرب – من أكبر نعم الله على عبده، بل هو نعمة موازية لنعمة الصحة والعافية، ولنعمة الرزق.

– روى ابن ماجة بسنده عن عبيد الله بن محصن الأنصارى رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«مَنْ أصبح منكم مُعَافًى فى جسده، آمنا فى سربه[١]، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»**.

فالأمن فى هذا الحديث الشريف أمْن نفسى اجتماعى.

● إن الإسلام ضمن للمسلم إحساسه بالأمن فى أحواله جميعا، فنهى الرسول ﷺ عن

---

(١) من معانى السِّرْب: النفس، والقلب، والأمن على الأهل والمال، ومن معانيه الأمن فى الطريق والوجهة، وكل ذلك من الأمن النفسى الاجتماعى.

ترويع المسلم هزلاً أو جداً، ونهى عن إخافته أو الإشارة إليه بسلاح أو نحوه، بل نهاه عن التعرض للأخطار لأن هذا يفقده الإحساس بالأمن.

– روى أحمد بسنده عن عبدالرحمن بن أبى ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون معه فى مسيرة، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نَبْل معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع فضحك القوم، فقال رسول الله ﷺ: «ما يضحككم؟» قالوا: لا، إلاَّ أنَّا أخذنَا نَبْل هذا ففزع، فقال ﷺ: «لا يَحلُّ لمسلم أنْ يُرَوِّع مسلما».

– وروى الترمذى بسنده تحت عنوان: «باب ما جاء لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا» عن عبدالله بن السائب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعبًا أو جادًا، فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه»[1].

– وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة» وفى رواية: «وإن كان أخاه لأبيه وأمه».

– وروى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولا».

– وروى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ أن ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه».

وهذا الأمن الذى تحدث عنه الرسول ﷺ هو حق للمسلم بل للإنسان فى المجتمع المسلم، وهو أمْن نفسى اجتماعى لا تستقيم حياة الإنسان إلا إن تحقق له.

● فهل يستطيع المواطن المسلم فى معظم أوطان المسلمين أن يحس بالأمن، فيشعر أنه محترم مُقدَّر اجتماعيا؟

● الجواب عن هذا السؤال يعرفه تماما كل مواطن فى أى وطن من تلك الأوطان الإسلامية التى يرزح معظمها تحت نظم عسكرية قاسية غاشمة فى كثير من الأحيان، ليس أسوأها نظام صدام حسين غير المأسوف عليه فى العراق، وإنما يشاركه فى السوء عشرات الأنظمة العسكرية المستبدة التى لا يأمن الإنسان فى ظلها على نفسه أو أهله أو ولده أو ماله أو عرضه أو عمله، لأنه يؤخذ بالشبهة، وقد يموت فى التعذيب ثم تظهر براءته!!

(١) السائب والد عبدالله، هو السائب بن يزيد بن السائب، له صحبة، سمع من الرسول ﷺ أحاديث وهو غلام.

إنها أنظمة قهر اجتماعى ونفسى وسياسى، قهر بالفقر، والبطالة، والاعتقال والسجن والتعذيب حتى الموت، بل الموت الجماعى دون تمييز، وقهر بالأحكام العرفية والمحاكم الاستثنائية عسكرية أو أمن دولة أو غيرها!!

إن الإنسان يفقد الإحساس بالأمن حتى لو كان وزيرا يشارك فى هذا النظام، لأنه كثيرا ما تَحَوَّل الوزير من مكتب وزارته إلى «زنزانة» فى سجن بقرار من الحاكم العسكرى!!

إن الإنسان يفقد الأمن حينما يفقد حرية التفكير وحرية التعبير إلا أنْ فكَّر وعبَّر عن إعجابه بالحاكم العسكرى البطل المغوار المهاب الموهوب الذى يفهم فى كل تخصص ويفتى فى كل قضية، ويدير كل مؤسسة حكومية أو من مؤسسات المجتمع المدنى التى حظيت بنعمة الإنشاء والتكوين فى الإطار الذى حُدد لها!!

- وكل متابع لهذه الأنظمة يوقن بأن تلك مخططات دبرها أعداء الإسلام بدهاء ومكر من خلال مستشارين تقطر قلوبهم حقدا على كل ما هو إسلامى، دبروها ليعيشها الوطن الإسلامى والوطن العربى أولا، والأوطان المحلية بعد ذلك.

إن الأنظمة العسكرية تجعل كل شىء وكل مؤسسة فى المجتمع تحت السيطرة، حتى الزلازل والبراكين والجوائح، لأن ذلك تعبير عسكرى يستعمل فى القتال!!

- ومن العجب العجاب أن رؤساء الأنظمة العسكرية جميعا لا يخطئون ولا يجوز انتقاد أعمالهم ولا توجيه النصائح لهم، لأنهم ملهمون توحى إليهم الملائكة بما ينوون عمله وتباركه لهم حتى لو كان قهر المواطن وتبديد أمنه!!

- إن الحديث فى ذلك ذو شجون، وإن عداء أكثر هؤلاء الحكام للإسلام لا يحتاج إلى دليل غير المشاهدة، وإن بعض هذه الأوطان تكل إلى جيشها أن يخلع أى حكومة منتخبة وممثلة للأغلبية الساحقة إذا كان لها أدنى توجه إسلامى!!

وإن ما حدث فى الجزائر ليس بعيداً عن الأذهان وإن إقصاء الإسلاميين الذى نجحوا فى الانتخابات هدف لدول الغرب وفى مقدمتها فرنسا، وإن إقصاء الإسلاميين بل إبادتهم بعد نجاحهم فى الانتخابات تم بتخطيط غربى فرنسى وبأيدى جزائرية.

وإن ما تكرر حدوثه فى تركيا من إقصاء الإسلاميين هو نفس ما خطط له فى الجزائر!!

- إن الإنسان فى ظل هذه النظم محروم من أبسط حقوقه فى الأمن النفسى والاجتماعى، ومن لم يصدق ما أقول فليجب عن هذه الأسئلة – وهو يعرف الإجابة بكل تأكيد :

- لماذا يهاجر أو يهرب كثير من أبناء الوطن الإسلامى إلى الغرب وبخاصة أمريكا واستراليا؟ ولماذا يرحب هذان البلدان بذلك؟

- ولماذا يبدع المهاجرون والهاربون فى بلاد الغرب، ويصبح بعضهم من أكبر علماء الأرض فى تخصصات بالغة الدقة والعمق والجدة والابتكار؟

- ولماذا لا ينفق على التعليم فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ما ينبغى أن ينفق؟

- ولماذا زاد الفقر والبطالة فى الأوطان الإسلامية هذه الزيادة الفاحشة؟

- ولماذا يقبل الناس على الانزواء والانطواء، وعدم المبالاة بشىء؟

- ولماذا لا يوجد اعتزاز بالانتماء إلى الوطن العربى والوطن الإسلامى؟

● إن الإجابة عن تلك الأسئلة وأمثالها يعرفها معظم من يعرفون ويتدبرون الأمور؛ وخلاصة هذه الإجابات هى أن الناس لا يشعرون بالأمن ولا يجدون من أنظمة الحكم التى يعيشون فيها شيئا من الاحترام أو التقدير.

٢- وحق المواطن فى الاندماج بمجتمعه والتكيف مع قيمه:

الإنسان كائن اجتماعى لا يعيش إلا فى مجتمع، وليس هناك من مجتمع إنسانى إلا وله نظام تربوى، وذلك يؤكد أنه لا مجتمع بلا تربية، وبالتالى فلا تربية إلا فى مجتمع.

● ومن المقرر لدى علماء التربية أن الهدف الأكبر للتربية هو تكوين الإنسان تكوينا متكاملا روحيا وخلقيا وعقليا ودينيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وجهاديا وجماليا وجسديا، وأن هذا الهدف أو تلك الأهداف لا يمكن تحقيقها إلا فى المجتمع وبالمجتمع.

وليس من الغالاة القول بأن الحياة الاجتماعية للإنسان، بل التربية الاجتماعية له أوسع وأشمل أنواع التربية، ولذلك كانت وسيلة من وسائل تربيته الروحية والخلقية والعقلية والدينية.. إلخ فكل تربية للإنسان هى تربية اجتماعية.

وليس من المبالغة القول بأن الإنسان فى أعلى مستوياته التربوية هو الإنسان الاجتماعى، ولو افترضنا أن نعزل الإنسان عن المجتمع فإنه بعد زمن يطول أو يقصر يفقد إنسانيته شيئا وراء شىء.

● إن من حق الإنسان جسداً وروحًا وعقلاً أن يندمج فى جماعة أو زمرة يأخذ منها

ويعطيها، يتأثر بها ويؤثر فيها، يتقوى بها ويقويها، ولا ينكر عليه هذا الحق دين أو نظام، ولا يهون من شأن هذا الحق عاقل ذو معرفة بالإنسان.

• والمجتمع كما نعرف[1] جماعة من الناس يعيشون معًا فى منطقة ما، تجمع بينهم ثقافة مشتركة، ويضم بعضهم إلى بعض شعور بالوحدة والكيان المتميز عن سواه.

والمجتمع يحوى دائما جميع الأشكال التنظيمية الضرورية لبنائه، مع تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتى فى اقتصاده وسياسته وتربية أفراده وجماعاته.

• فالمجتمع المصرى مثلا مطالب بأن يهتم فى تربية أبنائه على أنهم جزء من المجتمع العربى، فينمى فيهم الإحساس بذلك والثقافة التى تخدم هذا الانتماء العربى وتقويه، مع ضرورة احتفاظه بخصوصياته المصرية.

• والمجتمع العربى مطالب بأن يهتم فى تربيته لأبنائه بوصفهم جزءا من العالم الإسلامى، فينمى فيهم الإحساس بذلك ويغذيهم بالثقافة والمعرفة والعلم الذى يخدم هذا الانتماء الإسلامى ويقويه، مع ضرورة احتفاظه بخصوصيات العالم العربى، وما تستأهله لغة القرآن من اهتمام.

• والمجتمع الإسلامى مطالب بأن ينمى فى أبنائه انتماءهم للإسلام، ولا يتجاهل أنهم جزء من العالم الإنسانى، ينمى فيه هذا الإحساس بما لا يتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه.

• على أن المجتمع الإسلامى قد صاغه الإسلام من خلال القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ وسيرته، صياغة لها خصائص معينة منها:

• إن أهم روابط هذا المجتمع هى العقيدة القائمة على توحيد الله تعالى إلها وربا خالقا رازقا باعثا محاسبا مجازيا، وذلك التوحيد يتمثل فى عبادة الله تعالى وفق ما جاء به خاتم المرسلين ﷺ من منهج ونظام.

• وأنه مجتمع تسوده قيم لا يسيطر عليها تراث الآباء والأجداد وما كانوا يدينون به من قيم، ولكنها قيم جاء بها الوحى فنقاها من العيوب وبرأها من الخطايا، وجعلها ثابتة مستقرة، وجعل مصدرها كتاب الله الخاتم وسنة رسوله الخاتم ﷺ وسيرته.

• وأنه مجتمع تسود فيه المعايير القائمة على العدل والشورى والمساواة بين الناس فى

---

(١) انظر كتابنا: التربية الاجتماعية الإسلامية - سبقت الإشارة إليه فيما سبق.

الحقوق والواجبات، وأن التفاضل بينهم إنما يكون بتقوى الله وطاعته، أى بالبر والعمل الصالح، وأن كل أنواع التفاضل بين الناس بالعرق أواللون أو الثروة أو الجاه إنما هى – عند الأخذ بها – انتكاس عن الحق والعدل وإهانة وازدراء لإنسانية الإنسان.

● وأنه مجتمع يستهدف فى جميع أنظمته وتشريعاته صالح الإنسان فى دنياه وآخرته، بحيث لا يجيز لأحد من المسلمين أن يهمل الدنيا من أجل الآخرة وإنما يأخذ منها بنصيب تصلح به حياته، ويتمكن بهذا النصيب من الدنيا أن يتصدر موكبها بالعلم والإيمان والعمل الصالح، كما لا يجيز لأحد من المسلمين أن ينسى آخرته ومعاده لأن نصيبه من الدنيا شغله عنها.

● وأنه مجتمع توجب نظمه على كل أحد فيه أن يندمج معه، يأخذ منه ويعطيه، وينتمى إليها ويتأثر به ويؤثر فيه، ولا يجيز له أن يعتزل المجتمع وينزوى عنه إلا فى الفتن. فماذا يعنى الاندماج فى المجتمع من الناحية السلوكية؟

إنه يعنى الكثير، مثل:

– إقناع نفسه بأنه جزء من هذا المجتمع، عليه أن يؤدى وظيفة الجزء نحو الكل مسدداً مقارباً لا يدخر من وسعه شيئا إلا قدمه لمجتمعه.

– واحترام القيم السائدة فى المجتمع المسلم، لأن فى ذلك سيادة للأمن والاستقرار النفسى والاجتماعى للفرد والمجتمع.

– والالتزام بتطبيق منهج الإسلام فى الحياة، فى كل شعبة من شعبها، يطبقه على نفسه وعلى ذويه وكل من هو فى ولايته، مع اليقين بأن تطبيق هذا المنهج هو الحل الأمثل لكل مشكلة من مشكلات الحياة الإنسانية.

– والدعوة إلى هذا الدين الحق، ونشره فى الناس، لأنه لا نجاة للناس من كل خطر يتهددهم إلا بتمكن هذا الدين منهم ومن حياتهم لأنه الطب الذى وصفه الله تعالى لعلاج أمراض البشرية كلها.

– والحركة بهذا الدين فى كل مكان يمكن الوصول إليه، وإلى كل إنسان يمكن التخاطب معه، وأهم ما فى هذه الحركة هو إعطاء الأنموذج الحى للإسلام المتمثل فى السلوك الإنسانى، إذ بهذه النماذج والتعامل معها دخل الناس فى دين الله أفواجا، ووصل الإسلام إلى ما يقرب من نصف العالم فى أقل من نصف قرن من الزمان.

● ولابد أن نتساءل: ما هذه القيم الإسلامية التي جعلت الإسلام ينتشر بل يتغلغل في الناس بهذه السرعة؟![1].

● وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

– إن التمسك بهذه القيم – وهي كلها تدعو إلى الخير وتدين الشر – يحدث راحة نفسية للمتمسك بها، وتحدث أمانا واطمئنانا للمجتمع الذي يسود فيه التمسك بها.

– ومن مميزات هذه القيم الإسلامية أنها عامة يصلح التمسك بها لكل أحد، فليس فيها – على سبيل المثال – قيم خاصة بالحكام أو أصحاب الجاه وأخرى لسواهم، ولا قيم تخص الرجال وأخرى تخص النساء.

– والقيم الإسلامية في مجملها هي: كل فضيلة أو خلق حسن أو معروف أو بر أو خير مما أمر الإسلام بالتحلي به أو التخلي عما يناقضه أو يخالفه.

● والخلاصة: أن كل ما يحول بين الإنسان والاندماج في المجتمع والتكيف مع قيمه والتمسك بها، كل ما يحول بين المسلم وبين ذلك، أو كل من يحول بينه وبين ذلك يرتكب جريمة في حق الإنسان وفي حق المجتمع.

٣- وحقه في ممارسة التفكير الحر والتعبير عنه:

خلق الله العقل للإنسان ليكفر به فيتغلب على مشاكله، ويخرج منها، وأعطى العقل قدرة على التفكير والتنظير والتحليل والتركيب والاستدلال والاستنتاج، والاقتناع والإقناع، وكل ذلك من نعم الله تعالى على الإنسان ومن دلائل تكريم الله تعالى له.

عقل الإنسان ميزه الله تعالى به عن كثير من مخلوقاته التي عجزت عن حمل أمانة التكاليف، فكان الإنسان بالعقل أهلا لحمل هذه الأمانة.

● عقل الإنسان – بحكم خلقته وفطرته – له الحق في التفكير بحرية في كل شيء، حتى في اختيار الإيمان أو الكفر – كما أوضحنا ذلك آنفا – وفي سائر ما يعرض له من قضايا وأمور تتصل بحياته، ليفكر في ذلك بحرية ويتخذ في ذلك قراراً حرًّا بعد اقتناع.

– وكل قيد على حرية الإنسان في تفكيره، هو انتقاص من شأنه واستهانة بإنسانيته

---

(١) مما يلحظ اليوم في مطلع القرن الحادي والعشرين أن الغرب وأمريكا بالذات يحرصون كل الحرص على محاربة القيم الإسلامية وتحريم التمسك بكثير منها، كما صرح بذلك كثير من كبار مسئوليهم.

وكرامته، بل انتكاس بالإنسان وعودة به إلى الفوضى وعدم الإحساس بالمسئولية، وعدم التقدير لتبعات الحياة، بل إن حرمان الإنسان من حرية التفكير عودة به إلى الظلم والعدوان الذى كان شائعا لدى بعض الأديان السماوية التى دخلها التحريف والتبديل، وذائعا مشهورا فى بعض الحضارات والثقافات والنظم.

- إن حرية التفكير للإنسان حق أساسى لا ينبغي أن يكون منحة من أحد حاكمًا أو صاحب جاه أو سلطانًا، حتى لو كان هذا المانح حاكمًا منتخبًا انتخاباً حرًّا صادقًا شفافًا، لأن الحق لا ينبغى أن يكون منحة من أحد، وهذا الحق فى حرية التفكير كفله الله تعالى للإنسان فى كل زمان ومكان، وما قرره الله حقا لعباده هو منحة منه سبحانه وليس منحة من سواه.

- ولقد قرر الإسلام هذا الحق للإنسان، كما قرر سائر حقوق الإنسان، حتى تستقيم حياة الإنسان، وحقوق الإنسان أو حرياته كثيرة أشرنا إليها آنفا، ونركز هنا على حرية التفكير والتعبير من خلال شرعية لا تحمل ضرراً لأحد، هذا الحق الذى كفله الإسلام قد أكدته آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية ومواقف السيرة النبوية العطرة.

سبق الإسلام فى إقرار حقوق الإنسان – كما قلنا آنفا – بأكثر من ستمائة عام، على اعتبار أن أقدم وثيقة لحقوق الإنسان هى وثيقة «الماجناكرتا» التى أصدرها ملك انجلترا يوحنا عام ١٢١٥م تحت ضغط عدد من البارونات، ثم أعاد إعلان الوثيقة مرة ثانية الملك هنرى الثالث بعد أن انتقص عددا من الضمانات المتعلقة بحماية الحريات.

ثم أعلنت وثيقة لحقوق الإنسان سنة ١٦٨٩م.

ثم أعلنت وثيقة فرنسية لحقوق الإنسان عقب الثورة الفرنسية سنة ١٧٧٩م.

ثم أصدرت هيئة الأمم المتحدة وثيقة حقوق الإنسان فى العاشر من ديسمبر سنة ١٩٤٨م.

غير أن ما لوحظ من يوم صدور هذه الوثيقة حتى اليوم أن حقوق الإنسان لا تحترمها ولا تعمل بمقتضاها الدول الكبرى التى انتصرت فى الحرب العالمية الثانية، وإنما تدوسها وتنتهكها فى كل مكان فى العالم حتى فى بلادها ما دام فى هذا الانتهاك أدنى مصلحة لها.

وتحمل وزر هذه الانتهاكات الولايات المتحدة الأمريكية أولا ثم اتحاد روسيا وانجلترا وفرنسا، والدول الأذناب لتلك الدول التى تقود نظام حكم عسكريًا أو عائليًا، أو جمهوريًا أو ملكيا وراثيًا، كالذى ابتكر فى بعض دول العالم الثالث!!

ولسنا بحاجة إلى دليل على انتهاك حقوق الإنسان فى هذه الدول وحسبنا ما رآه الناس معاينة فى « جوانتامو » حديثا، وفى أسر الأفارقة من سواحل غرب أفريقيا قديما ليكونوا أقنان الأرض فى بلاد الحرية - مما اعتذر عنه الرئيس بوش فى زيارته لأفريقيا فى شهر يوليو من عام ٢٠٠٣م - وما فعلته وتفعله روسيا فى الشيشان، وما فعلته وتفعله فرنسا فى الصين وفى الجزائر وفى سائر ما كانت تحتله من بلاد فى آسيا وأفريقيا، وأما ما فعلته بريطانيا فى العالم بوصفها أم القوى الاستيطانية العنصرية فى عالم انتهاك حقوق الإنسان فهو أشهر من أن يذكر!!

- أما دول العالم الثالث؛ فإنها تدخل بهذه التسمية فى ممارسة انتهاك حقوق الإنسان، وبخاصة أن كثيرا من هذه الدول ذات أنظمة حكم عسكرية طاغية مستبدة تهدد حياة الإنسان ولا تكتفى بمجرد انتهاك حقوقه السياسية.

والدول الكبرى الاستعمارية وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية تشجع على إيجاد أنظمة حكم مستبدة لتقضى بها على روح الطموح والتقدم فى تلك البلاد من جانب، ولتجبر بعض مواطنيها على الهجرة منها إلى بلدان الغرب، وبخاصة النوابغ منهم لتفيد منهم فى بلادها ولتحرم منهم بلادهم من جانب آخر.

ومما يلفت النظر فى ذلك أن هذه السياسة الظالمة المتحدية لحقوق الإنسان تمارس فى معظم بلدان العالم الإسلامى.

- والذى أصبحنا نعرفه معرفة اليقين لكثرة ما شاهدناه؛ أنّ دول العالم الغربى التى ترفع شعار الديمقراطية وحقوق الإنسان تشترك جميعا فى أن لها أجهزة استخبارات وتجسس، وأنّ لهذه الأجهزة سلطات واسعة تمارس بها أسوأ أنواع قمع حقوق الإنسان وخصوصياته، فضلا عن التخلص من الإنسان بالقتل فى أحيان كثيرة، وليس يحتاج ذلك إلى دليل، فهم يقولون ذلك ولا يستحون.

- أما دول العالم الثالث فى مجال انتهاك حقوق الإنسان فقد فاقت كثيرا من الدول الاستعمارية الاستيطانية الحديثة لأن ما يحدث فيها أكبر مما نقول وأكثر، وحسبك بمن يموتون فى التعذيب فى معتقلات السجون الحربية وأمثالها التى فاقت فى وحشيتها سجن « الباستيل » فى فرنسا، فمن نهش الكلاب لأجسام المعتقلين إلى حرقهم بالنار إلى العدوان على أعراضهم إلى نفخهم من أدبارهم إلى تركهم جرحى دون علاج إلى

تعليقهم من أرجلهم ورءوسهم إلى أسفل إلى العبث أو الضرب على أعضائهم التناسلية إلى أمر الابن بضرب أبيه وتعذيبه[1].

● وإذا كان حق الإنسان روحا وعقلا وجسدا فى حرية التفكير والتعبير، من أهم حقوقه الاجتماعية والسياسية؛ فإن ممارسته لهذه الحقوق تدعم كل القيم الاجتماعية والسياسية وتعززها، ومع أن هذه القيم الإسلامية جاءت كلها من طريق الوحى غير أنها كغيرها من القيم بحاجة إلى أن تجد وجودا عمليا فى المجتمع يتمثل فى التمسك بها، وإلا صارت قيما تجريدية لا علاقة لها بسلوك الإنسان.

● وبهذا الحق الإنسانى فى حرية الفكر وحرية التعبير عنه، وبممارسته يحدث التوازن الاجتماعى والنفسى، وذلك بدوره يحدث الصحة النفسية والعقلية، والإنسان فى هذه الظروف الصحية تتعاظم قدرته على الإبداع والاختراع، والاكتشاف، وفى هذا ثراء للمجتمع كله.

● ولسنا نبالغ إن قلنا: إن ممارسة حرية الفكر والإبداع تعود على الفرد والمجتمع بجليل الفوائد وعظيم الآثار مما نسجل بعضه فى النقاط التالية:

- ضبط السلوك الاجتماعى على مستوى الفرد والمجتمع، وذلك أن الفرد الذى يمارس حرية التفكير والتعبير، يقدر هذا الحق لغيره من الناس، فلا يصادر عليه شيئا من ذلك، والآخر يبادله نفس الشعور ونفس الموقف، ومن هنا يحدث الضبط للسلوك الاجتماعى للطرفين كليهما، أى للمجتمع كله.

- والوصول إلى النضج الاجتماعى، لأن هذا النضج الاجتماعى يعكس دائما اتجاهات الأفراد، ودرجة استقرارهم العقلى والعاطفى، بل يعكس بصدق قدرة الأفراد على التكيف مع غيرهم ومع المجتمع وقيمه، وليس كمن يمارس حرية الفكر وحرية التعبير وحرية الإبداع قُربًا وتجاوبا مع النضج الاجتماعى فى سلوكه كله، لقد علمته حرية الفكر وحرية التعبير والإبداع أن يكون دائما أكثر نضجا اجتماعيا من سواه، ممن صودرت حريتهم فى الفكر والتعبير والإبداع.

---

(١) حدث ذلك فى السجن الحربي بمصر ايام حكم عبدالناصر - مشئوم العرب - الذى افتخر يوما - وهو فى قبلته الثانية موسكو - بانه اعتقل فى ليلة واحدة ثمانية عشر الفا من المسلمين، وجعل هذا الانتهاك لحقوق الإنسان سنة نُقلت عنه على يد صدام حسين وحافظ الأسد وغيرهما من الطواغيت، ومن عجيب الأكاذيب ان هؤلاء جميعا كانوا يزعمون انهم دعاة حرية وديمقراطية واحترام لحقوق الإنسان!!

– والإسهام فى تحقيق العدالة الاجتماعية فى المجتمع؛ وذلك أن العدالة الاجتماعية فى جوهرها تعنى تعاون الأفراد والجماعات فى مجتمع مًّا، على أن يحصل كل فرد منهم على فرصة متساوية مع غيره، فرصة فى ممارسة حقوقهم كلها، ابتداء من حقهم فى الإحساس بالأمن إلى حقهم فى الاندماج فى المجتمع، وحقهم فى حرية التفكير وحرية التعبير والإبداع.

– والتدرب على التعاون مع الآخرين على البر والتقوى وهذا باب واسع من أبواب العدالة الاجتماعية تسهم فيه حرية التفكير والتعبير ما دامت تمارس بغير قيود ظالمة ولا حدود معتسفة، ودون وعيد أو تهديد يقضى على هذه الحرية من الحكام الظالمين المستبدين الذين بلى بهم العالم الثالث، فخسر من تقدمه وحريته وإبداع المبدعين فيه، ما حال بينه وبين التقدم والنهوض.

إن حكام العالم الثالث يفكرون للمحكومين متأسين فى ذلك بزعيمهم التليد فرعون مصر الذى قال لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ...﴾ [غافر: ٢٩] فهو يفكر لهم والويل لمن فكر وحده من الناس، وكل الويل لمن فكر سرًّا ثم حاول أن يعبر عن هذا التفكير!!

٤– وحقه فى الجهاد فى سبيل الله تعالى بكل أنواعه:

الجهاد فى سبيل الله هو بذل كل ما فى الوسع لتكون كلمة الله هى العليا، وهو الدعوة إلى الدين الحق خاتم الأديان.

وهو فريضة ماضية على المسلمين لا يعطلها جور جائر ولا عدل عادل، ماضية إلى يوم القيامة بحيث لا تسمى الأمة أمة إسلامية إلا أن كانت مجاهدة.

وهو واجب وجوبا عَيْنيًا على كل مسلم قادر عليه، أو وجوبا كفائيا إن قام به البعض وتحققت به الكفاية سقط وجوبه عن الآخرين.

● والجهاد فى سبيل الله تعالى حقٌ للمسلم كما هو واجب عليه، هو حق للمسلم ليعبر به عن رغبته فى تأييد الدين الحق ونشره فى الناس، والحركة به فى الناس والآفاق، ولا ينبغى أن يحال بين مسلم وبين الجهاد فى سبيل الله تعالى، لأن ذلك منع له من حق من حقوقه.

● والدعوة إلى الدين الحق – أى الجهاد فى ذلك – لا يقتضى دائما استعمال القوة فى جميع الأحوال، وإنما تستخدم القوة – القتال– بعد استنفاد الوسائل التى تسبقها بالضرورة وهى:

– وسيلة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

– ووسيلة الجدال بالتى هى أحسن.

– ووسيلة بذل المال والعلم والعمل مع الصبر.

– ووسيلة الدعاية.

– ووسيلة تخذيل الأعداء.

– ووسيلة إضعاف الأعداء بحرمانهم مما يحتاجون إليه.

● وكل مسلم من حقه أن يجاهد فى سبيل الله بالوسيلة التى يستطيع، وما مِنْ مسلم يَعْدَم إحدى وسائل الجهاد فى سبيل الله لتنوعها وتعددها.

وهذه الوسائل عند التدبر فيها نجدها نوعين:

نوع ثابت مستمر مستقر منه:

– الدعاء إلى الدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة.

– والدعاء إلى الدين الحق بالجدال بالتى هى أحسن.

– والدفاع عن الدين الحق ضد حملات التشويه.

– وتأمين طريق الدعاء إلى الحق.

– وجهاد أعداء الدين بالقوة.

والنوع الآخر متغير بتغير الزمان والمكان ومنه:

– الإعداد المعنوى والمادى للجهاد وللمجاهد.

– وإعداد الآلة العسكرية.

– وإعداد المجاهدين لخوض المعارك المناسبة لهم.

– وإعداد القوى المساندة بكل أنواعها.

– وإحياء فقه الجهاد فى سبيل الله.

● وكل مسلم يعلم تمام العلم أن من واجباته الإسلامية:

– تأمين حرية العقيدة للناس جميعا دون إكراه لهم على اعتناق عقيدة بعينها، وإنما تؤمن العقيدة بمقاومة أسباب الشرك والكفر والضلال والانحراف عن الحق.

– وتأمين حرية عبادة الله وحده، بمقاومة عبادة ما سواه من معبودات، وبخاصة عبادة العباد للعباد.

– وتأمين حرية التفكير وحرية التعبير والإبداع.

هذه واجبات كل مسلم، متى كان قادرا على أداء هذا الواجب وفى الوقت نفسه يعتبر الجهاد فى سبيل الله حقا من حقوقه الأصيلة الثابتة، وإنما جعل الإسلام ذلك كذلك لكى يسهم المسلم بما استطاع فى تأمين دينه ومنهجه ونظامه وأسلوب حياته.

- والتربية الجهادية الإسلامية[1] من مفردات التربية الإسلامية بل هى منها فى مكان الصدارة، كما أن الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام الإسلام، والقعود عنه مع القدرة عليه كبيرة من الكبائر تؤدى إلى أوخم العواقب الدنيوية والأخروية.

أما أوخم العواقب الدنيوية فقد كان للمسلمين تجربة مريرة فى ذلك حينما قعدوا عن الجهاد فضاعت الأندلس، وقعدوا عنه فاحتل الصليبيون الشام وبيت المقدس قرابة مائتى سنة، وقعدوا عن الجهاد فأسقطت دولة الخلافة العثمانية، وقعدوا عن الجهاد فتفككت دولتهم إلى مِزَقٍ وأشلاء، واحتلت بلادهم باسم الاستعمار[2] أو الوصاية أو الانتداب أو الحماية، وقعدوا عن الجهاد فاحتل اليهود فلسطين.

وأخيرا قعدوا عن الجهاد فبنيت فى بلدانهم القواعد العسكرية لأعدائهم، واحتلت أفغانستان واحتلت العراق، ودبرت المكائد وأثيرت الفتن الطائفية والعرقية فى بلدان عربية إسلامية عديدة، ابتداء من لبنان، ومرورا بالأردن ودول الخليج، والجزيرة العربية والصومال والسودان وأريتريا، وغيرها.

- ولقعود المسلمين عن الجهاد عجزوا عن تطوير صناعاتهم العسكرية وانصرفوا عن تربية أبنائهم تربية جهادية، مما ترتب عليه ضعف المسلمين وطمع أعدائهم فيهم.

- ولقعود المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله، وغياب الجهاد عنهم أو تغييبه قصة طويلة فصلنا القول فيها فى كتابنا التربية الجهادية الإسلامية، فذكرنا أسباب ذلك، وأهدافه، ورصدنا نتائجه واحدة واحدة.

---

(١) انظر كتابنا الموسَّع فى الجهاد: التربية الجهادية الإسلامية – نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) كلمة أصبحت من أسماء الأضداد إذ هى فى الواقع تخريب وتدمير.

● ولكى تتضح الصورة وتتحد ملامحها وأبعادها، نتحدث عن ثلاث نقاط ننهى بها كلامنا عن حق المواطن المسلم فى الجهاد فى سبيل الله تعالى.

تلك النقاط الثلاث هى:

- واقع العالم الإسلامى اليوم.
- وموقف حكومات العالم الإسلامى من الجهاد.
- وموقف القوى الخارجية المعادية للإسلام من الجهاد.

النقطة الأولى: واقع العالم الإسلامى اليوم:

العالم الإسلامى اليوم فى أخريات الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجرى يعيش واقعا مُرًّا تسيطر عليه الفرقة والانقسام الذى يبلغ أحيانا حدَّ التعادى وشن الحروب(١)، وهذه الفرقة والتعادى مما خطط له أعداء الإسلام ودبروه، وساعدوا على إيجاد أسبابه ودوافعه خلال مائة عام أو أكثر، كانوا يحتلون فيها معظم بلدان العالم الإسلامى احتلالا عسكريا أو اقتصاديا أو ثقافيا أو سياسيا، احتلالا منظورا حينًا وغير منظور فى كثير من الأحيان.

وقد أدَّتْ هذه الفرقة إلى كثير من التوتر والمشاحنات التى لا تليق ببلدان عالم واحد، كما أدّى الانقسام والتجزىء الذى صنعه الأعداء إلى أن يصبح العالم الإسلامى قريبا من ستين دولة تتبع كل منها سياسة دولة كانت محتلة لها حينا من الزمان فتخضع لنفوذها، ولا تستطيع الخروج عما رسم العدو لها من مخطط سياسى أو اقتصادى أو ثقافى، وإنما تسعى فى تنفيذ هذا المخطط مدركة لخطر السعى فيه أو متجاهلة لهذا الخطر(٢)، يحدث هذا الانقسام على الرغم من إطلاق شعارات الاتحاد والوحدة، وعلى الرغم من إنشاء الروابط والاتحادات والمنظمات التى توصف بأنها إسلامية ولكنها لا تفعل فى سبيل توحيد العالم الإسلامى أو وحدته شيئا ذا قيمة.

وكذلك الشأن فى العالم العربى قسمه الأعداء الطيبون الأبرياء إلى اثنتين وعشرين دولة،

---

(١) أقرب مثل لذلك حرب العراق وإيران التى امتدت ثمانى سنوات، واجتياح العراق للكويت، وغيرهما.

(٢) بعض الكتاب والمفكرين يرفضون هذا المنطق الواضح الصحيح ويقولون: إنه تفسير تآمرى متولد من سوء الظن فى الغرب البرىء الساذج الذى يريد الخير للإسلام والمسلمين، بينما المشاهد أنَّ يديْه ملوثتان بدماء الضحايا من المسلمين من أقصى العالم الإسلامى إلى أقصاه!! ونحن نرجو أن يكف الغرب عن ذلك لنتوقف عن هذا التفسير.

والأصل فيه أن يكون دولة واحدة، فإذا وصفنا هذا الواقع صاحوا بنا: إنه تفسير تآمرى، وإذا قلنا إن التفكير فى الجامعة العربية ووضع قانونها الأساسى كان بتخطيط من أعداء الأمة العربية وأذنابهم وأولياء ثقافتهم، قالوا: إنه تفسير تآمرى.

وإذا قلنا إن الجامعة العربية من يوم أنشئت عام ١٩٤٦م حتى اليوم لا تستطيع أن تتخذ قرارا حاسما ملزما لأعضائها بسبب اشتراط الإجماع على القرار، وهو اشتراط وضعه الشيطان لكى لا يكون للجامعة تأثير أو فاعلية كما هو مشاهد فى عجزها عن حل أى مشكلة بين بلدين عربيين، قالوا: إنه تفسير تآمرى.

وإذا بدا أى عمل أو توجه صحيح من جماعة أو هيئة مدنية - أى غير حكومية- فيه دعوة إلى وحدة أو اتحاد على مستوى العالم العربى أو الإسلامى، فإن الحكومات تحاربها وتعمل للقضاء عليها بَعْدَ اتهامها بكل نقيصة، بل قد تصل إلى أن تتهم بالخيانة، فتدفع الثمن باهظا من أرواح أعضائها وأموالهم وحرياتهم.

- إن براعة الأعداء تمثلت فى جعل دول العالم الإسلامى لا تتفق على رأى واحد فى أى قضية من قضايا العالم الإسلامى لتظل هذه القضية أو هذه المشكلة مستمرة لأكبر عدد من السنين، وليكون التعوق عن التقدم، ثم يكون التخلف السياسى والاقتصادى والتراجع الحضارى.
- وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن أهم قضايا العالم الإسلامى على مستوى القارة الآسيوية:

- قضية فلسطين
- وقضية أفغانستان.
- وقضية العراق.
- وقضية الشيشان.
- وقضية كشمير.
- وقضية باكستان وهويتها الإسلامية.
- وقضية فصل بنجلادش عن باكستان.
- وقضية إندونيسيا وانتقاص أطرافها.
- وقضية تحدى الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

– وقضية الجمهوريات الإسلامية واتحاد روسيا.

هذه القضايا وغيرها فى آسيا يحال فيها بين المسلمين وبين تكوين رأى موحد فيها فضلا عن عمل يعالج هذه القضايا!!

● وعلى مستوى القارة الأفريقية فإن القضايا أو المشكلات التى تعانى منها كثيرة، ومن أبرزها:

– قضية الصحراء المغربية والصراع مع الجزائر وجبهة «البلوساريو».

– وقضية الجزائر والأمازيغية.

– وقضية الجزائر وحظر العمل الإسلامى فيها حتى من خلال صناديق الانتخاب.

– وقضية إثارة الفتنة الطائفية فى نيجيريا.

– وقضايا غرب أفريقيا أو وسطها بدءا بليبيا وتشاد وموريتانيا، والسنغال، والنيجر والكاميرون، وهى قد بلغ فيها النفوذ الغربى المعادى حتى النخاع، ويوشك أن يخلعها من هويتها الإسلامية إن لم يكن فعل هذا فى بعضها!!

– وقضية السودان ومحاولة فصل جنوبه عن شماله، وتأييد المتمردين الجنوبيين على أهل شمال السودان وحكومته الشرعية.

– وقضية الصومال، وتمزيقه.

– وقضية أريتريا وتحدى استقلالها.

– وقضية مصر وحظر العمل السياسى على الإسلاميين فيها.

– وقضية ليبيا وتحديها للعرب وللجامعة العربية.

– وقضية إخمال الوجود الإسلامى فى إفريقيا بتزوير الإحصاءات التى تقوم بها الهيئات الدولية.

كل هذه القضايا لم يتكون حولها رأى عام إسلامى أو عربى، فضلا عن خطوة أو خطوات لحلها وتلافى تفاقماتها!!

والذين يقفون وراء ذلك الفشل هم الأعداء الغربيون السذَّج الأبرياء الذين يهيمون بالإسلام والمسلمين حبا وولاء!!

● وعلى مستوى القارة الأوروبية ، فإن لها قضايا ومشكلات تخص البلدان الإسلامية فى أوروبا، لم يستطع المسلمون ان يكونوا حولها رأيا موحدا، ولا أن يقدموا لها دَعما يعين على حل تلك القضايا أو المشكلات.

ومن هذه القضايا:

- قضية ألبانيا.
- وقضية البوسنة والهرسك.
- وقضية كوسوفو.
- وقضية المسلمين فى كرواتيا.
- وقضية بلغاريا والوجود الإسلامى فيها.
- وقضية قبرص.
- وقضية بعض جزر البحر المتوسط.
- وقضية المسلمين فى إسبانيا.

وغير ذلك من القضايا التى لم يتقدم العالم الإسلامى فيها خطوة واحدة.

● وعلى مستوى العالم كله، هناك قضايا ومشكلات كان ينبغى أن يكون لدول العالم الإسلامى موقف منها، لصلتها بالإسلام، ومن تلك القضايا:

- قضية الأقليات المسلمة المضطهدة فى كثير من بلدان العالم والتى يبلغ الخوف ببعضها إلى حد إخفاء تديّنها بالإسلام.
- وقضية تنصير المسلمين.
- وقضية تشويه الإسلام؛ منهجه وقادته ومصلحيه.
- وقضية الغزو الفكرى والثقافى للعالم الإسلامى.
- وقضية ضغط منظمة التجارة العالمية على معظم بلدان العالم الإسلامى.
- وقضية النظام العالمى الجديد، أو هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم.
- وقضية تحدى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب لكل ما هو إسلامى ابتداء من

الحجاب ومروراً بختان الإناث واعتبار الزواج وسيلة وحيدة لتكوين الأسرة، وتحريم الزنا واللواط وشرب الخمر، وغيْر ذلك مما حرَّم الإسلام من جرائم.

- وقضية فقد الثقة فى هيئة الأمم المتحدة وقرارات مجلس أمنها المنحاز ضد مصالح المسلمين، والمنحاز دائما لصالح إسرائيل!!

وبعد:

فهذه صورة مجملة لواقع العالم الإسلامى مع التأكيد بانه لا حلَّ لأى قضية أو مشكلة من ذلك كله إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى، إذ هو فى جوهره إعداد واستعداد لمواجهة أعداء الله ممن نعلمهم، ومن آخرين لا يعلمهم إلا الله سبحانه وتعالى

والنقطة الثانية: موقف حكومات العالم الإسلامى من الجهاد:

كثير من حكومات العالم الإسلامى تخلط بين الجهاد فى سبيل الله بوصفه من أعمال العبادة الإسلامية التى يتعبد بها المسلمون لصالح دنياهم ومواجهة أعدائهم وأعداء دينهم، وبين الخوف من أن يتوجه الجهاد فى سبيل الله ضد وجود هذه الحكومات، وهذا الخلط بين الجهاد بهذين المعنيين لابد أن يكون بإيحاء من أعدائهم أعداء الأمة الإسلامية العالميين، الصهيونية، والصليبية الحديثة، والصهيومسيحية التى ابتكرها اليهود حديثا، وقوى الاحتكار والهيمنة على العالم المتمثلة فى الولايات المتحدة الأمريكية.

وربما شجع حكومات بلدان العالم الإسلامى على اتخاذ موقف معادٍ من الجهاد أنها - بإيحاء من أعداء الإسلام - ربطت بين الجهاد وبين ما أطلقت عليه إرهاباً، وإن كان كثير منه ما ينبغى أن يسمى إرهابا، لأنه مقاومة للمحتل الغاصب الذى يستوطن الأرض ويطرد منها أهلها الشرعيين.

● على أن للإرهاب أسباباً عديدة؛ نذكر منها:

- ما تمارسه بعض الحكومات المستبدة من قهر واضطهاد للعمل الإسلامى والقائمين عليه يصل إلى حد القتل بعد التعذيب وإهدار كل حق للإنسان، مما يترتب عليه رد فعل من هذه العناصر عندما تتاح لها الفرصة، فتقوم بأعمال عنيفة لا يرضى عنها الإسلام.

- وأحيانا يكون الإرهاب نتيجة لسوء فهم بعض العناصر للإسلام، ولحق الدفاع عن النفس، وسوء فهم لما أباحه الإسلام وما حرمه.

- وكثيرا ما يكون لأعداء الإسلام يد في تشجيع بعض الحكومات على تصفية الإسلاميين لأنهم - كما يوهمونهم - أعداء للحكومات وللأمن والاستقرار.

● ومن أجل موقف هذه الحكومات من الجهاد، ومن أجل الحملة الإعلامية المضادة للجهاد التي يؤجج نارها أعداء الإسلام والمسلمين، وقصار النظر من بعض المسلمين، من أجل ذلك وغيره من الأسباب تشن هذه الحملات الضارية ضد الجهاد، وتلصق به تهمة الإرهاب.

- وكانت الحكومات في كثير من بلدان العالم الإسلامي قادرة على إعطاء الإسلاميين حقوقهم السياسية، وعدم اتخاذهم أعداء، وتوجيههم نحو ما يصلحهم ويصلح بهم، لكنها لم تفعل!!.

- وكانت هذه الحكومات قادرة على أن تجعل من هؤلاء الذين أطلقت عليهم إرهابيين قوة تواجه بها أعداء الأمة الإسلامية إلى جوار الجيوش، وقوات الدفاع حين تجعل منهم مساندين لهذه الجيوش، لكنها لم تفعل!!

- ولم يكن مستغربا من بعض هذه الحكومات أن ترفض أي تعامل عقلاني منصف مع المجاهدين، لأن كثيرا من هذه الحكومات تعلم علم اليقين أن موقفها العقلاني مع المجاهدين لن يرضي الدول الكبرى؛ المبالغة في عداء الإسلام والمسلمين وكل ما هو إسلامي من قول أو عمل، أليست هذه الدول الكبرى هي التي تحاول طمس تاريخ المسلمين من كتب التاريخ في المدارس والمعاهد في بلاد المسلمين!!

إن الولايات المتحدة الأمريكية تقود حملة ضارية للازراء بتاريخ الإسلام وثقافته، وتراثه، ولا تخفي ذلك عن أحد، بل تتبجح به وتجاهر دون حياء.

وإن ما فعلته أمريكا ودول الغرب في هذا المجال ونجحت فيه، وما تنوي أن تفعله وتنجح فيه في إحياء الطائفيات في العالم الإسلامي بدءاً بلبنان منذ ما يقرب من قرن من الزمان، على يد فرنسا أولا ثم أكثر دول الغرب، وما فعلته انجلترا في كثير من دول الخليج، وما تحاوله دول الغرب وأمريكا في مصر من إحياء نزعة فُرْقة دينية لا سبيل إلى إحيائها، وما فعلته أمريكا في أفغانستان، وما تفعله أمريكا وبريطانيا في العراق حينما شكلتا مجلس حكم طائفي للعراق تعمدوا فيه ألا يعدلوا بين الطوائف، على أمل أن تستشري هذه النزعات في العالم العربي الذي مُزِّق جغرافيا من قبل ما يقرب من قرن من الزمان على يد

بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا، وها هى أمريكا تمزقه طائفيا بهذا الذى تفعله فى العراق!!

ونأمل ألا تنطلى تلك الخدع على العالم العربى فتتنازع دوله أو دويلاته أكثر مما هى متنازعة؛ إذ لن يستفيد من ذلك أحد بمثل ما تستفيد إسرائيل العدو الألد الذى يتربص بالعرب وبالمسلمين الدوائر، ويستخدم بمهارة فى تحقيق أهدافه كل دول الغرب وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

وليس ذلك محتاجا إلى دليل أو برهان فقد صرحت به أمريكا أكثر من مرة على لسان كبار مسئوليها وبعض رؤسائها!!

والنقطة الثالثة: موقف القوى الخارجية المعادية للإسلام من الجهاد:

ألمحنا من قبل إلى موقف الدول الكبرى المعادية للإسلام والمسلمين من الجهاد ومن الإسلام كله، ونود هنا أن نذكر فى هذا المجال بعض الحقائق على النحو التالى:

● أعداء الإسلام عموما معروفون تحدثنا عنهم فى مناسبات عديدة فى هذا الكتاب، وفى معظم كتب هذه السلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» لكنَّ ذلك لا يمنعنا أن نشير إليهم على سبيل التذكير وهم:

- اليهود أو الصهيونيون أو الإسرائيليون؛ فكلهم سواء فى عداء الإسلام والمسلمين.
- والصليبيون القدامى والمحدثون الذين تمثلوا فى دول الغرب أوروبا قديما، وفى دول الغرب وأمريكا حديثًا.
- والاتحاد السوفيتى السابق واتحاد روسيا الآن.
- والذين يؤيدون اغتصاب اليهود لفلسطين، وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية.
- والصهيومسيحيون الذين لَبَّستْ عليهم الصهيونية الأمر وخدعتهم ونشرت فيهم الوهمَ على أنه مذهب، والضلال على أنه دين.
- والاستعماريون الجدد الذين يستهدفون السيطرة الاقتصادية والسياسية بإقامة القواعد العسكرية فى بلدان العالم الإسلامى واحتلاله عسكريا.
- والذين يرغبون فى أن يرتد المسلمون عن دينهم ليدخلوا فى دين غيره، وعلى رأس هؤلاء طائفة من المستشرقين وجميع المنصرين الذين يسمون أنفسهم مبشرين.

● هؤلاء وغيرهم لهم موقف من الإسلام ترتب عليه موقفهم من الجهاد فى سبيل الله، فهم

أعداء الإسلام كما أوضحنا؛ فلابد أن يكونوا أعداء لكل ما من شأنه أن يقوى الإسلام والمسلمين، والجهاد بوصفه إعداداً واستعداداً لمقاومتهم وردّ كيدهم إلى نحورهم وصدورهم، فلابد أن يكونوا أعداء لهذا الجهاد، حتى يحولوا بين المسلمين وبين واحدٍ من أهم أسباب قوتهم وهو الجهاد فى سبيل الله.

وسبيل الله هو الحق والعدل والخير للإنسانية كلها، بتحرير المسلمين والناس عموماً من الباطل والجور والشر، وكل من كان من أهل الباطل والجور والشر فهو عدو لمن يحاول أن يستأصله، هم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم، ولذلك يعادون الجهاد فى سبيل الله.

ووسائلهم فى معاداة الجهاد في سبيل الله عديدة؛ منها:

– اتهامهم الإسلام بأنه دين عنف وأنه انتشر بين الناس بالإكراه والقهر، وهى تهمة باطلة كذّبها الواقع الذى عاشه المسلمون وهم ينشرون الدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، وكذبها قول الله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

– ووصفهم الجهاد بأنه إرهاب وعدوان على الآمنين، مع أن الجهاد فى سبيل الله شرع لمقاومة المعتدين والدفاع عن الحقوق وإقرار الحق والعدل، ومطاردة الباطل والجور من يوم شرع الله للمسلمين الجهاد بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

– ويشوهون الجهاد فى سبيل الله بالخلط بينه وبين العنف والوحشية في التعامل مع الأعداء، وهو تشويه يستهدف تشويه الإسلام نفسه، ورميه بكل تهمة باطلة، وتجريده من قوته المادية المتمثلة فى المجاهدين وفيما معهم من آليات الجهاد فى سبيل الله وأدواته، وهدفهم فى ذلك معروف مكشوف.

– وزعمهم أن الجهاد فى سبيل الله حرب دينية لم يعد العالم المتحضر يستسيغها لأنه – فى زعمهم – عالم الحرية الدينية، بل التحرر من الأديان كما يرغبون.

الحرب الدينية هم الذين يشنونها على المسلمين ويسمونها الحرب المقدسة، ويتخذون

لها «الصليب» شعارا، ويبيحون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم شأن الطغاة والظالمين على مدى تاريخ الإنسانية!!

● ولقد مارس أعداء الإسلام ضد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها كل الوسائل غير المشروعة بل المحرمة دوليا فى حربهم للإسلام والمسلمين، بل ولغير المسلمين أحيانا..
وجرائم الغرب ضد الإنسانية مسجلة فى ذاكرة التاريخ لن تمحوها الليالى والأيام، من يوم بدأوا احتلال بلاد المسلمين وقهرهم واستعبادهم وإكراههم على خوض الحروب التى يعتدون بها على بلاد الآمنين، وإلى يومنا هذا الذين احتلوا فيه أفغانستان والعراق، وارتكبوا من الجرائم كل ما زعموا أنهم حرموه دوليا!!

إن العالم لن ينسى أكاذيبهم فى تبرير حروبهم وعدوانهم على بلدان العالم الإسلامى.

وإن لهم فى احتلال بلاد المسلمين خطة حديثة معروفة ذات حلقات:

- بدايتها اتهام هذا البلد أو ذاك بأنه يملك أسلحة دمار شامل أو يؤوى إرهابيين.

- ثم إكراه هذه البلاد المتهمة على أن تقبل المفتشين الذين يسمونهم دوليين - وإنما هم أمريكان ويهود - ثم يرى المفتشون نقاط الضعف التسلحى أو الدفاعى أو غير ذلك من نقاط الضعف ثم يكتبون تقاريرهم لترسم على أساسها خطة حرب هجومية على تلك البلاد.

- ثم شن الحرب وقد مهدوا واستعدوا، فاحتلال البلاد بقوات التحالف ضد المسلمين.

ولا يملك أحد أن يرفض شيئا مما يريدون، فإن رفض نُصح فإن أبى النصيحة لِيم ثم عوقب.

- والخطوة الأخيرة هى فى قرارات هيئة الأمم المتحدة التى أصبحت مؤسسة أمريكية تبرر لأمريكا كل ما تريد.

● وما أظن أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م إلا ضربة يائس عانى من التحيز والقهر والحصار، والتحدى لكل ما هو إسلامى، هذا إذا تعامينا عن أصابع اليهود وتآمرهم بمثل هذه الأحداث مرات ومرات فى تاريخهم المعروف بالإرهاب الدولى المتكرر.

● إن نتائج أحداث الحادى عشر من سبتمبر لم يدفع ثمنها سوى المسلمين وكثير من بلدان العالم الإسلامى، مما يعزز القول بأن وراءها إسرائيل أو «صهيومسيحيين» من أمريكا نفسها.

● وبعد :

فتلك هى الظروف المحيطة بالجهاد فى سبيل الله أوجزنا القول فيها فى هذه النقاط الثلاث.

فهل يفيق المسلمون من غفوتهم ليدركوا أن الجهاد فى سبيل الله هو الوسيلة المثلى لتحرير أوطانهم من المحتلين الغاصبين؟ الجهاد الذى هو عبادة لله تعالى بكل صوره وأشكاله، التى ليس منها بكل تأكيد القتل العشوائى للأبرياء.

إن الجهاد حق لكل مواطن مسلم فى أى وطن مسلم، وإنه لا يجوز أن يحال بين مسلم وبين الجهاد فى سبيل الله تعالى، كما لا يجوز لمسلم أن يقصر فى أداء واجب الجهاد فى سبيل الله إلا أن يكون صاحب عذر يقبله شرع الله.

● إن المجاهدين فى سبيل الله جيش احتياطى مدنى متطوع بما يقدمه من صنوف الجهاد، يساند الجيوش النظامية فى الدول الإسلامية كلها، ويكون عونا لها فى كثير من المهام التى يحتاج إليها فى ظروف الحرب كلها.

● والمجاهد قوة معنوية مادية، تصعب مقاومتها ويستحيل القضاء عليها، لأن المجاهد يحمل روحه على كفه ويتقرب إلى الله تعالى بالتضحية بجهده ووقته وماله ونفسه لأنه يخرج من بيته مجاهدا ينتظر إحدى الحسنيين الشهادة فى سبيل الله أو النصر على الأعداء.

فهل تستقيم بين المسلمين النظرة إلى الجهاد والمجاهدين، وتصبح هى النظرة الإسلامية، وتتخلص مما علق بها من تشويه أعداء الإسلام للجهاد والخلط بينه وبين الإرهاب؟

ذلك ما نرجو وما ندعو الله أن يصل المسلمون إليه.

٥- وحق المواطن فى المشاركة فى قضايا المجتمع الذى يعيش فيه:

المشاركة في قضايا المجتمع كلها، وبخاصة القضايا التى تتصل بحاضر المواطن أو بمستقبله حق أساسى له تقره جميع النظم والشرائع التى تحترم إنسانية الإنسان.

وليس كالدين الخاتم دين أو نظام يحترم الإنسان ويكرمه ويعترف بان الحياة وما فيها قد سخرها الله تعالى لتكون فى خدمته وفى تحقيق مصالحه الدنيوية والأخروية، ولن يتحقق ذلك إلا بان يشارك الإنسان برأيه وعلمه وجهده وماله فى القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية فى المجتمع الذى يعيش فيه.

وهذه المشاركة إنما كانت حقا للمواطن لأنها تسهم فى تطوير المجتمع وفى تحسين

الخدمات فيه، بل فى استمرار هذه الخدمات، وفى جعل الحياة أكثر ملاءمة لكرامة الإنسان، هذا من الناحية العملية فى حياة الإنسان.

أما من الناحية النفسية والجسدية والاجتماعية عموما، فإن هذه المشاركة تحدث راحة وطمانينة واستقرارا، وكل تلك مشاعر طيبة تنعكس آثارها الحسنة على الإنسان روحه وعقله وجسده وخلقه.

● والإنسان عندما يشارك فى ذلك يشارك طرفين:

أحدهما: المواطن الذى يعايشه.

والآخر: الحكومة التى تقود حركة الإصلاح فى المجتمع.

وهو مع الطرفين يبذل أقصى ما فى وسعه لأن هذا البذل واجبه، كما أن المشاركة حقه.

● وعزل الإنسان عن هذه المشاركة يؤدى إلى أنواع ثلاثة من الخسائر:

إحداهما: خسارة الوطن نفسه بحرمانه من القوى العاملة الفاعلة.

والأخرى: خسارة المواطن بحرمانه من خبرة وتجربة يفيده أن يخوضها.

والثالثة: خسارة حرمان الوطن والمواطن من ممارسة حقوقهما.

● وكل قضايا المجتمع داخلة فى الصميم من حق المواطن فى أن يشارك فيها بما يستطيع.

وقضايا المجتمع كثيرة يصعب حصرها فى هذا الجزء من هذا الكتاب، ولكننا نشير إلى أبرزها فيما يلى:

- قضية التعليم ومدى ملاءمته لحاجات المجتمع.
- وقضية القضاء على الأمية.
- وقضية الثقافة وتيسير المعرفة.
- وقضية الإعلام وأجهزته ووظيفته الصحيحة فى المجتمع.
- وقضية حرية الإعلام ومصداقيته وشفافيته.
- وقضية الأسرة، تكوينها ورعايتها وتأمين حاضرها ومستقبلها، وما يتفرع عنها من قضايا المرأة والطفل والمراهق.

– وقضية الشباب ومدى ما لهم على الدولة من حقوق وما عليهم نحوها من واجبات.

– وقضية دور العبادة وحقها في ممارسة أعمالها وأداء وظائفها، والتزام المجتمع والدولة بإنشائها وإصلاحها وتزويدها بما تحتاج إليه.

– وقضية الأندية الاجتماعية والرياضية والسياسية والأدبية ونشرها ودعمها وحرية إنشائها دون تسلط الحكومة وحزبها.

– وقضية الإسكان وما يتفرع عنها من عشرات القضايا.

– وقضية الزراعة وما يتفرع منها.

– وقضية الصناعة وفروعها العديدة المتشابكة.

– وقضية النفط والثروة المعدنية.

– وقضية صناعة السلاح والمعدات والآلات.

– وقضية العمل وقضايا العمال حقوقهم وواجباتهم.

– وقضية البطالة وما يتصل بها.

– وقضية السياحة وفروعها العديدة.

– وقضية التجارة تصديراً واستيراداً وما يتفرع عنها.

– وقضايا الاقتصاد العديدة.

– وقضية إنتاج الطاقة وكفايتها وتصديرها.

– وقضية الصحة وتامينها وقائيا وعلاجيا.

– وقضية تامين المجتمع ضد العجز والشيخوخة.

وغير ذلك من القضايا العديدة والمشكلات التى تحتاج فى حلها وعلاجها إلى أن يشارك الناس فيها ويقترحوا لها الحلول.

- وحق المواطن في المشاركة في قضايا وطنه حق أصيل لا ينازع فيه أحد، لأنها قضاياه الشخصية ما دامت قضايا المجتمع الذى يعيش فيه.

- والمشاركة فى حل قضايا المجتمع حق أصيل للجمعيات والجماعات المدنية فى المجتمع،

لأنهـا كـذلك جـزء من المجتـمـع، وهى بالمثل حق للأحـزاب السـيـاسـيـة، وحق للأندية الاجتماعية والثقافية والفنية والأدبية.

وهى بالمثل حق للنقابات المهنيـة، ونقابات العمال، بل من حق أى فئة فى المجتمع حتى لو كانت فئة إقليمية من أقاليم الوطن..

● وكل من يحـول بين المواطن وحـقـه فى المشـاركـة فى قضـايا مجـتـمـعـه من حكومات أو حاكم، فإنما يؤكد بذلك أنه ظالم جاهل مغرور.

أما ظلمـه فـلا يحتـاج إلى دليل لأن كل من يحـول بين إنسان وحق من حقـوقه ظالم بل مستبد.

وأما جهله فلأنه يتصور أن هذا المنع من ممارسة الحق هو فى صالح المجتمع، حتى لا تضيع على المجتمع مصالحه بهذه المناقشات والمحاورات التى حسمت الحكومة أو الحاكم فيها الموقف واختارت رأيا بعينه، إنها فلسفة فرعون فى قوله لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] وليس هناك أجهل ممن يتصور أنه يفكر للناس فيحظر عليهم التفكير.

وأما أنه مغرور، فلأنه يتصور أنه أذكى الناس وأقدرهم على التفكير وعلى اقتراح الحلول وحده دون سواه.

● ولقد أكَّد الإسلام هذه الحقوق، وجعل تعطيلها أو حرمان صاحبها منها جريمة لها عقوبة بدنية أو مالية أو حبس أو قصاص أو نحوه، إن كانت الجريمة تقع على الجسد أعضاء وجوارح، أو عقوبة أخروية أمام العادل سبحانه وتعالى.

● ومن المؤكّد أن المجتمعات الناهضة المتقدمة، بل المجتمعات الظافرة المنتصرة، ما نهضت ولا تقدمت ولا نجحت ولا انتصرت وسادت إلا بأنها مجتمعات أخذت بمبدأ المشاركة والحوار وتبادل الآراء، فى قضاياها كلها؛ لأن الرأى بالرأى ينضج، فما بالنا بآراء كثيرة؟

● ومما نؤكده هنا أن التخبط بل التخلف الذى تعانى منه أكثر أوطان المسلمين ليس خافيا على أحد، ولنأخذ التعليم مثلا ما دمنا نتحدث عن مفردات التربية الإسلامية:

إن العالم الإسلامى معظمه يعانى من مشكلات عديدة فى التعليم؛ سياسته وخططه وبرامجه ومدارسه، ومدرسيه ومدرساته، وتلاميذه، والسبب - عندى - فى هذه المعاناة فى

مشكلات التعليم تكمن في أن الحكومة دائما هي التي ترسم سياسة التعليم وخططه وبرامجه، ولا تقبل في ذلك رأيا يخالف ما تراه، وكان الطلاب والمدرسين وأولياء الأمور ليست قضية التعليم قضيتهم!!

إن مشاركة الطالب وولى أمره فى قضية التعليم لا تقل أهمية عما تطرحه الحكومة من آراء وتصورات.

● وإنّ ما ينفق على التعليم فى الدول الإسلامية لا يساوى شيئا إذا ما قورن بما هو مطلوب حقا لنهضة التعليم والعلم، ولا يساوى شيئا إذا قورن بما تنفقه دول العالم المتحضر على التعليم، ولا يساوى شيئا إذا قورن بما تنفقه دولة من دول العالم الإسلامى على أجهزة المخابرات وأمن الدولة – أى أمن الحاكم والحكومة – فيها!!

● وإن الذى لاشك فيه أن سياسة التعليم فى دول العالم الإسلامى عموما والعربى خصوصا تختص بأنها قلقة متخبطة تستجيب لمقترحات الأعداء وتتجاهل بل ترفض مقترحات المواطنين، بل تحظر عليهم التفكير فى قضايا التعليم، لما لهذه القضايا التعليمية من مساس بأمنْ الدولة إن تجرأ أحد فاقترح شيئا يخالف ما تراه الدولة!!

● يحدث هذا فى مجال التعليم والعدو المتربص مستمر فى إفساد التعليم وإفراغه من محتواه التربوى والعلمى من خلال نوعين من المستشارين الذى يشيرون على حكومات العالم الإسلامى بما يجب أن يكون عليه التعليم، هذا النوعان هما:

النوع الأول: طائفة من أبناء الوطن تعلموا وحصلوا على درجات علمية رفيعة من بلدان الأعداء، فتحول ولاؤهم إلى من علموهم، ومَنْ أعدُّوهم لتولى مناصب رفيعة في مجال تخصصهم عند عودتهم إلى أوطانهم الإسلامية.

والنوع الآخر: مستشارون أجانب يفرضهم النظام السياسى فى بلادهم المعادية على بلدان العالم الإسلامى ويشترطون لهم المكافآت المالية ونفوذ الكلمة والاستجابة لكل ما يطلبون.

● وعمل هذين النوعين من الخبراء لا يخرج في النهاية عن تحقيق هدفين:

أحدهما: تحقيق مصالح الأعداء على المدى البعيد، مصالحهم السياسية والاقتصادية والثقافية.

والآخر: تفريغ التعليم فى الأوطان الإسلامية من المحتوى الإسلامى عموما، ومن القيم الإسلامية على وجه الخصوص.

● يلحظ ذلك كل من يتأمل فى سياسة التعليم ويتدبر ما خطط له، حيث يرى رأى العين الظواهر والشواهد التالية:

– تفريغ مناهج التعليم من القيم الإسلامية، لتحل محلها قيم بديلة بعيدة بل معادية للقيم الإسلامية.

– وإخمال المناهج لسيرة النبى ﷺ ولتاريخ المصلحين المجددين المسلمين عبر القرون، لتحل محلها سير مفكرى الغرب وأعلامه.

– وتشويه تاريخ المسلمين والإسلام بنشر مفتريات عديدة مثل: حرق المسلمين لمكتبة الإسكندرية، ونشر الإسلام فى الناس بالسيف والإكراه، والوحشية فى إقامة حدود الله وتجاهل حقوق الإنسان والحجر على حريته. مع أن هذه التهم جميعا وأكثر منها يمارسه الغرب في التعامل مع المسلمين ومع الملونين كما سجل ذلك تاريخ الاستعمار، وبخاصة الاستعمار الأمريكى الحديث فى أفغانستان والعراق، وما تبذله أمريكا من جهود مضنية فى المحافظة على حقوق الإنسان فى «جوانتانامو» مع من تضن عليهم بتسميتهم أسرى حرب!! مما بثته أجهزة الإعلام وشاهده العالم، وجبن أن يقول لأمريكا: أين حقوق الإنسان؟

– وتقليص المقررات الدراسية التى لها علاقة بالإسلام دينًا ومنهجًا ونظامًا تقليصًا يشمل عدد الحصص الأسبوعية ودرجات الامتحان.

والتربية الدينية فى ذلك تشبه التاريخ الإسلامى إن وجد، والثقافة الإسلامية إن سمح لها بالظهور على مستوى التعليم قبل الجامعى، أما التعليم الجامعى فلا صلة له بذلك كله إلا فى أضيق نطاق وفى التخصص المحدود بمقرر دراسى بعينه.

– وإهمال لغة القرآن الكريم إهمالا متعدد الجوانب يشمل المقرر الدراسى الذى يُساء اختياره والدرجة الممنوحة له وسوء إعداد المعلم الذى يقوم بتدريسه، حتى عجز العرب عن نطق العربية نطقا صحيحا، واتهموها بالصعوبة والجمود والغلظة، وخلطوا بها العاميات الإقليمية فأصبحت مزيجا شاذا لا ينتمى إلى العربية الفصحى لغة القرآن، بل طعموها بكلمات أجنبية عنها على سبيل التفكه حينا ومواكبة الجديد حينا وادعاء الرقي باستعمال لغة أجنبية حينا، وهكذا..

- والاهتمام الزائد بتاريخ الأجانب عن الإسلام والعروبة، وبخاصة من البريطانيين والفرنسيين والألمان والأمريكان فضلا عن اليونان والروم، وكل ذلك على حساب تاريخنا الإسلامي والعربي، والقومي في سائر أوطان المسلمين. مع الإهمال المتعمد لتاريخ علماء المسلمين وعلماء العرب، في خطة معروفة الأهداف والغايات.

ومما يجيء على الهامش من تلك القضية أن انجلترا وفرنسا تتولى عبء هذا العمل ثم شاركت دولة الاتحاد السوفيتي السابق ثم آلت الزعامة إلى الولايات المتحدة الأمريكية!!

- وسوء تأليف الكتاب المدرسي وسوء طباعته وإخراجه عبء يضاف إلى الأعباء التي يرزح تحتها التعليم كله.

- وقضية سوء اختيار من يعدون ليكونوا معلمين، وسوء إعدادهم، وسوء معاملتهم المادية والمعنوية وبالتالي سوء مكانتهم الاجتماعية.

- وتفريغ المقررات الدراسية ومناهج التعليم من كل ما يتيح للمتعلم فرصة إبداع أو ابتكار أو نبوغ أو اكتشاف، وذلك من خلال سوء اختيار الموضوعات وحشدها وتكرارها وإملالها للدارس.

- وسوء بناء المدرسة ومرافقها وتعمد خلوها من الجمال والمزروعات الخضراء والأزهار، والمرافق المدرسية لا تشد اهتمام متعلم ولا تنمي عنده إحساسا بالراحة أو الجمال، وإنما إغراءً بالانصراف عن المدرسة، والتسرب من التعليم.

- كل تلك المشكلات المتعلقة بالتعليم هي قليل من كثير وهي تؤكد لكل من يطلع عليها أنه لو أخذ رأى أصحاب المصالح الحقيقية في التعليم وهم المواطنون أصحاب الحق في المشاركة في قضاياهم، لكانت مشكلات التعليم أدنى إلى الحل، وأقرب إلى تحقيق مصالح الإنسان.

٦- وحق المواطن في الترشح للمناصب وللمجالس النيابية:

كل مواطن سَوِيّ التكوين النفسي والجسدي، وله موهبة مًا في تخصص من التخصصات؛ من حقه أن يتشوف إلى المكان أو المنصب الذي يخدم فيه وطنه ويعبر عن موهبته ويمارس تخصصه، وبالتالي فله أن يرشح نفسه - دون تزكية لها - ليعرف بتخصصه ويكشف عن موهبته، لأنه في الغالب لن يجد من يرشحه في أي نظام حكم شمولي مستبد، وإن ادعى غير ذلك، لأن نظام الحكم الشمولي لا يرشح إلا منافقيه وأذنابه، بل يبعد أهل الكفاية والجد مهما كانوا أهل خبرة وتفوق، فهو لا يعيش إلا بالمنافقين ولا يعيش المنافقون إلا به.

● وممارسة المواطن لحقه هذا تحقق فائدتين كبيرتين إحداهما للوطن نفسه، والأخرى للمواطن.

– أما الوطن نفسه فيستفيد توسيد العمل لمن هو أهل له، وفي ذلك صيانة للأموال والأعمال الوطنية، ومحافظة على المؤسسات والجمعيات والجماعات المدنية، لأن الأمور موضوعة فى نصابها دون افتيات على الحق، ودون تجاوز لأصحاب الحقوق، ودون تجاهل لأهل التخصصات والخبرات والتجارب.

وعندما يتحقق للوطن ذلك فإنه يحقق نهضة اقتصادية وتقدما علميا وفنيا وثقافيا ويشق بذلك طريقه نحو المنافسة فى شتى مجالات التقدم والازدهار، بل إن الوطن عندما يوسد الأمور لأهلها يستفيد استقرارا، وسيادة للقيم الفاضلة فيه.

وبهذا يتجنب الوطن سلسلة من الأخطاء تعود عليه بالوبال والخسران، وتترك فى نفوس المواطنين أسوأ الآثار النفسية والاجتماعية وتصيب الوطن بالخلل السياسى والاقتصادى.

– وأما المواطن نفسه فإنه يستفيد من ممارسة حقه في تولي المنصب الذى يناسب مؤهلاته وقدراته أن يشعر بأنه مقدر ومحترم، وفى هذا ما فيه من ثقته بنفسه وثقته فى الوطن الذى يعيش فيه، واستقراره النفسي والاجتماعي.

على أن المواطن الذى يتوسَّد عملا هو أهل له، ثم لا يجد في نفسه قدرة على الأداء الجيد، فإن عليه أن ينسحب منه ويعلن عدم قدرته؛ لأن ذلك من صميم أخلاق الإسلام لأنه أمانة، والأمانة من أهم صفات المؤمن ومن أهم علامات الإيمان والإسلام والإحسان.

ومن أهم ما يفيد المواطن من ممارسته حقوقه فى تولى المناصب الهامة المتخصصة أنه يشعر بالولاء نحو وطنه مما ينعكس عليه بالإخلاص في عمله والجد والاجتهاد فيه، وهذا بدوره ينعكس على المجتمع تطورا ونموا وتقدما وتحضرا، وقدرة على التجاوب الإيجابى مع المتغيرات المستمرة فى حياة الإنسان، لتزداد حياته راحة وسعادة فى دنياه وآخرته.

– ومما يفيده الوطن والمواطن معًا من توسيد الأمور لأهلها القضاء على المحاباة والفساد بكل أشكاله، والقضاء على المنافقين والضعفاء والأذناب والذيول والمنحرفين الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وكل أولئك عوامل ضعف للمجتمع، بل عوامل تخلف، وتراجع حضارى.

● وأما حق المواطن فى الترشح للمجالس النيابية فذلك حق إنسانى أصيل فى كل مجتمع يحترم حقوق مواطنيه ولا يفتات على شيء من حرياتهم العديدة، التي منها الحرية السياسية التى تحدثنا عنها آنفا، وسنتحدث عنها عندما نتحدث عن الواجبات السياسية للمواطن فى الفصل الرابع من الباب الثاني من هذا الكتاب إذا أذن الله تعالى.

والمجالس النيابية يتكون كل منها من طائفة من الناس تنتخب لتمثل الأماكن التى تنتمى إليها، ويخصص المجلس للنظر فيما هو فى صالح الناس عموما، وفى دفع المفاسد والمضار عنهم.

- وللمجلس النيابى أسماء عديدة مثل: مجلس النواب أو مجلس الشورى، أو مجلس الأعيان، أو مجلس العموم، أو مجلس الشعب، أو مجلس الأمة، وقد شاعت تسمية مجلس الشعب عند من يزعمون أنهم اشتراكيون.

- والتسمية الأجنبية له هى: «البرلمان» وأول ما استعملت هذه بمعنى الاجتماع من أجل المناقشة والحوار فى القرن الثالث عشر الميلادى، وأطلقت كلمة «برلمان» على المكان الذى ينعقد فيه الاجتماع، كما أطلقت على الهيئة التشريعية.

ووظيفة البرلمان فى النظم السياسية «البرلمانية» هى: إقرار القوانين، والموازنة العامة للدولة، ومراقبة السلطة التنفيذية، ومنحها الثقة أو حجبها عنها.

- وهذه السلطة التشريعية هى إحدى سلطات ثلاث تمارسها الدولة، أما السلطتان الأخريان؛ فهما السلطة القضائية والسلطة التنفيذية.

وأعضاءالمجالس النيابية هم الذين ينتخبون انتخابا حرا نزيها لا تتدخل فيها الحكومة ولا حزبها الحاكم ولا سلطتها التنفيذية، وهذا أمر نادر الحدوث فى دول العالم الثالث وبخاصة من كان من بلدانه يرزح تحت نير نظام حكم شمولى أو مستبد أو حزب واحد هو الحزب الحاكم، أو نظام اشتراكى أو شيوعى، والعجيب أن معظم بلدان العالم الثالث تُزَوَّر فيها الانتخابات ولا يدخل مجالسها النيابية إلا أذناب الحزب، أو أتباع كل حزب حاكم، وأعجب من ذلك أن تدعى معظم هذه البلدان أنها تجرى انتخابات نزيهة، وبعض هذه البلدان يصرح كتبتها وموظفوها فى الصحف وأجهزة الإعلام؛ أنهم يعيشون أزهى عصور الحرية والديمقراطية والنزاهة!!

- ويدخل فى مفهوم الانتخاب أن يشارك المواطن فى انتخاب من يمثله فى المجالس النيابية، أو انتخابهم لرؤسائهم المباشرين فى العمل، أو انتخاب أعضاء هيئة التدريس لعمداء الكليات، أو انتخاب الحكام أنفسهم..

لكن ذلك كله محظور فى دول العالم الثالث على المواطنين وموقوف على رجال أمن الدولة والمخابرات والجيوش، حتى إن عمليات الترشيح لهذه المجالس لا تتم إلا بعد موافقة هؤلاء!!!

● وفى العالم الإسلامى - وكله مصنف فى العالم الثالث - تقع فى مجال الحريات السياسية واختيار الحكام والانتخابات النيابية أمور تمارسها جميع أنظمة الحكم الشمولية، وهى مناقضة لأبسط الحقوق السياسية، ومن هذه الأمور العجيبة:

– تزييف الانتخابات لصالح الحكومة الشمولية أو الحزب الحاكم أو لصالح الجيش المهيمن على كل شىء بالقوة المسلحة، ووسائل تزييف الانتخابات عندهم عديدة منها:

- العبث بجداول الانتخابات، وتلك الجداول بيد السلطة التنفيذية التابعة للحكومة الشمولية، بحيث يضاف إلى هذه الجداول أو يحذف منها ما تريده الحكومة بغض النظر عن الحق والواقع.
- ومنع من لا ترضى عنهم الحكومة من الترشح للمجالس النيابية بحجج واهية أو بغير حجج أو باعتقال المرشح حتى تفوت الفرصة، ما دام المرشح غير موالٍ للحكومة ، أو عنده استعداد للمعارضة!!!
- ومنع المرشح من توكيل من ينوبون عنه فى لجان الانتخابات أو لجان الفرز، سواء أكان هذا المنع بشكل مباشر أم بشكل غير مباشر!!!
- ومنع الناخب من الإدلاء بصوته بالاستيلاء على بطاقته الشخصية حينًا، وبتعويقه عن الإدلاء بصوته حينًا، أو باعتقاله آخر الأحيان!!!
- وإضافة صناديق انتخابات مغلقة على ما فيها من تزييف، أو إلغاء صناديق كاملة وعدم نقلها إلى لجان الفرز!!! أو العبث بهذه الصناديق ومحتواها أثناء النقل إلى لجان الفرز.
- وتزييف عمليات فرز الأصوات!!!
- أو تزييف النتائج نفسها!!!

وقد تسند بعض الدول فى العالم الإشراف على الانتخابات إلى رجال القضاء وتطنطن بحرية الانتخابات، لكن رجال القضاء لا يتدخلون فى إعداد جداول الانتخابات ، ولا يستطيعون القيام بعملهم إلا بمساعدة رجال السلطة التنفيذية، وهذه السلطة هى عين الحكومة الشمولية وأذنها وسائر حواسها وقرون استشعارها وعلى أيدى رجال هذه السلطة التابعين لأى حكومة تتم عملية الانتخابات بإشراف رجال القضاء!!

– وتزييف اختيار رؤساء العمل ومديريه بمنع انتخاب هؤلاء الرؤساء منعًا مطلقًا، وتعيين هؤلاء الرؤساء من قبل الحكومة الشمولية التى تملك كل شىء وتؤمم كل شىء، وتفرض ما تريد فى كل موقع مهما بدا صغيرًا لتسيطر بذلك على كل شىء.

وليس أعضاء مجالس الإدارات فى الشركات أو المصانع أو أى إدارة إلا ممن عينتهم الحكومة الشمولية.

– وان تجعل بعض الحكومات الشمولية اختيار رئيس البلاد عن طريق الاستفتاء دون طريق الانتخاب – من غير مقتض قانوني لذلك.

ونتيجة الاستفتاء على اختيار الرئيس معروفة مالوفة لا يختلف عليها أحد، لأنها على الدوام أكثر من تسعة وتسعين بالمائة، لأن الاستفتاء على رئيس واحد يعنى أن الناس يدلون بأصواتهم ليقولوا: إنهم يختارون الرئيس، أو يعيشون دون حاكم!!!

– والذى يرشح رئيس البلاد إلى أن يستفتى عليه أو ينتخب هو المجلس النيابى الذى أتت به الحكومة ليأتى بالرئيس ثم يأتى الرئيس من خلال السلطة التنفيذية بأعضاء هذا المجلس وهكذا تتوالى السلسلة غير النهائية، والتى استمرت أكثر من خمسين عامًا فى بعض بلدان العالم الإسلامى !!!

– وجميع المواطنين فى ظل هذه الأمور العجيبة يعلمون علم اليقين أن الانتخابات على كل مستوى مزيفة، ولكنهم لا يملكون أن يعترضوا على شىء من ذلك، ليقينهم أيضًا بمصير من يعارض ومصير ذويه وأقربائه حتى الدرجة الثالثة.

● وعندما يحدث – على الرغم من كل هذا التزييف للانتخابات – أن ينجح بعض الذين لا تريدهم الحكومة أو القوى العالمية المعادية للإسلام؛ فإن الجيش يتدخل لإلغاء الانتخابات أحيانًا ولإجبار رئيس الوزراء المنتخب صاحب الأغلبية فى «البرلمان» على الاستقالة، أو إلغاء المجلس النيابى كله، كما حدث ذلك فى الجزائر وفى تركيا (١).

وبعد: فإن حق المواطن فى الترشح للمناصب وللمجالس النيابية يقره الإسلام وتقره كل القيم الإنسانية فى العالم، وأن كل حرمان للمواطن من هذا الحق ظلم له، وتعويق لحركة النهوض بالمجتمع كله، وفى هذا ما يعوق الحياة الإنسانية الكريمة للإنسان تلك التى قررها الإسلام ونصت عليها آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة.

وإذا كان الباب الأول من هذا الكتاب قد تحدث عن حقوق الجسد الإنسانى – أى الإنسان – فإن الباب الثانى منه لا بد أن يكون فى واجبات هذا الجسد، وبذلك ننهى هذا الحديث عن التربية الجسدية الإسلامية بفضل من الله وتوفيق.

■■■■

(١) قد تعلل بعض الحكومات الشمولية او العسكرية بان ما تقوم به من أعمال حظر العمل الإسلامى والمشاركة الإسلامية السياسية هو مما نص عليه فى الدستور، ومن المعروف ان الدستور فى ظل الحكومات الشمولية أو العسكرية تضعه لجان تشكلها الحكومة الشمولية، فتصوغه تلك اللجان على النحو الذى ترغب فيه الحكومة، ثم يصبح هذا الدستور سلاحًا فى يد الحكومة، ترهب به كل معارض.

الباب الثانى

واجبات الجسد الإنسانى التى كلفه بها الإسلام

ويشمل:

الفصل الأول: الواجبات الفردية أو الشخصية:

١ - رعاية الجسد والأخذ بأسباب قوته.

٢ - والالتزام بما أمر الله به وما نهى عنه من أجل صحة الجسد.

٣ - والمشاركة فى الدعوة إلى الدين الحق.

الفصل الثانى: الواجبات الأسرية:

١- واجبات بناء الأسرة بالزواج.

٢ - واجبات الزوجين أحدهما نحو الآخر.

٣- واجبات الزوجين نحو الأبناء.

الفصل الثالث: الواجبات الاجتماعية:

١ - دفع الأسر والمجتمع لممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٢ - والمشاركة فى دفع الحاجة عن المحتاجين.

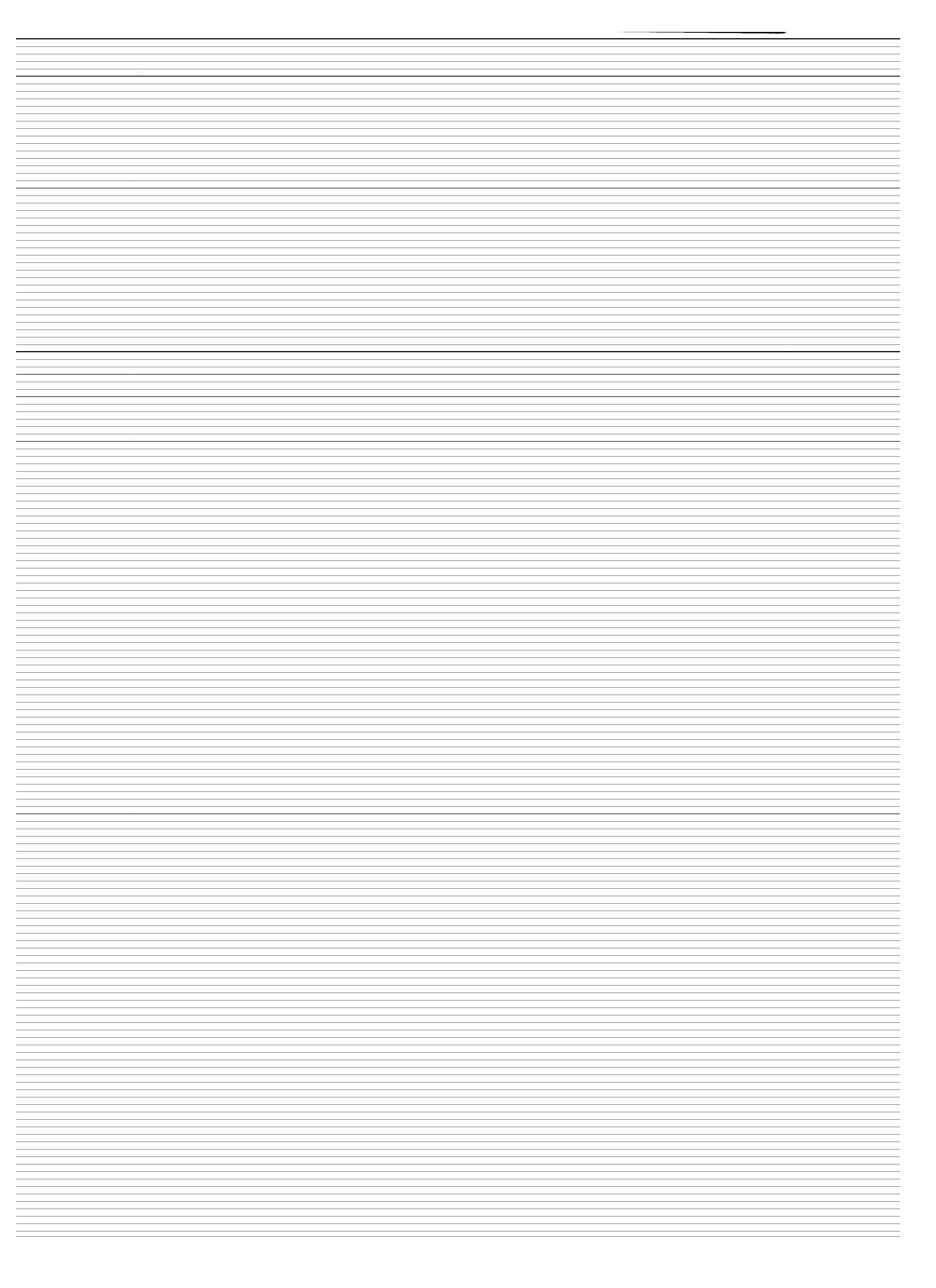
٣ - والمشاركة فى الجهاد فى سبيل الله تعالى.

الفصل الرابع: الواجبات السياسية:

١ - الإيجابية والمشاركة فى كل عمل سياسى.

٢ - ومقاومة الانحرافات السياسية.

٣ - والتمسك بالحقوق وأداء الواجبات.



واجبات الجسد الإنسانى التى كلفه بها الإسلام

لم يَدَعْ الإسلام وهو الدين الخاتم أحداً من الناس إلا كلفه وأوجب عليه من الواجبات ما فيه صالح دينه ودنياه، وتتعدد الواجبات بتعدد حركة الإنسان فى الحياة وجهاده فيها، وتعامله مع مرافقها وإسهامه فى أنشطتها.

وعلى الرغم من فساد الأجواء التعليمية والثقافية والاجتماعية، وفساد المناخ السياسى فى العالم الإسلامى من يوم قعد المسلمون حكامًا وحكومات عن الحكم بما انزل الله، والتقاضى إلى ما أوحى إلى رسوله الخاتم ﷺ، وإلى اليوم ، فإن الإسلام لا يوقف التكليف بالواجبات إلا لمن يعجز عنها.

- إنى لا أبالغ فى شىء عندما أقول إن تكليف المسلم بواجبات فيه حياة له وتكريم لإنسانيته، وإن تخلى المسلم عن أداء واجباته فيه موت له دنيويًا بأن عزل نفسه عن العمل، ودينيًا بأنه عصى الله تعالى فيما أمر به وفيما نهى عنه.
- ومن الواضح أن الجسد الإنسانى وعاء للروح والعقل وسائر الجوارح، وكل ما هو إنسانى من عواطف ومشاعر، وكل تكليف من الله تعالى للإنسان إنما يتوجه إلى الجسد وما يحوى أى يتوجه إلى الإنسان.

ولأن الله تعالى قد كرم الإنسان إذ كلفه، وحَمَّلَهُ أمانة أن يحيا فى ظل تشريعات الإسلام ونظمه، فإن هذه التكليفات لابد أن تتعدد وأن تتفرع إلى فروع تتبع كل شعبة من شعب الحياة التى لا تحصى من كثرتها ، والتى يتعامل معها الإنسان المسلم وفق منهج الله ونظامه وما شرَّع من تشريعات.

وقد حاولت أن أصنفها فى أصناف أربعة:

الواجبات الفردية أو الشخصية، وهى واجب كل أحد.

والواجبات الأسرية أو العائلية، وهى واجب الأسرة.

والواجبات الاجتماعية ، وتناط بالمجتمع كله.

والواجبات السياسية، وتناط بالحكام والمسئولين والمحكومين.

وجعلت لكل صنف منها فصلاً فى هذا الباب، فجاء فى أربعة فصول:

- غير أن كل صنف من هذه الأصناف الأربعة لا ترجى فائدته إلا إذا ساندته الأصناف الثلاثة، فهى أصناف يكمل كل منها غيره، ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن بعض.

- ولو كان يغنى بعض هذه الواجبات عن بعض لأغنت الشهادتان مثلاً عن أداء الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج، أو أغنى شيء من أركان الإسلام عن شيء، أو أغنت كل هذه العبادات عن نطق الشهادتين والعمل بمقتضاهما.

ولا قائل بذلك من عقلاء المسلمين فضلاً عن فقهائهم وعلمائهم .

- وإن كل التكاليف التى أوجبها الله على عباده يمثل كل منها أساساً من الأسس التى يقوم عليها الإيمان والإسلام والإحسان والعدل، وكل أساس منها يؤدى وظيفته التى لا غنى لحياة الإنسان عنها.

- ولأن الإنسان أكرم مخلوقات الله على الله لنفخه فيه من روحه، وتكريمه بإرسال الرسل إليه لتوجيهه وإعانته على الإقبال على الله تعالى، والتخلص من وسوسات الشياطين، ثم تمييزه بأن أرسل إليه خاتم رسله ﷺ، ومعه خاتم كتبه ومناهجه ، الإنسان بهذه المكانة، لابد أن تكون واجباته كثيرة ومتعددة؛ بعضها نحو ربه وخالقه، وبعضها نحو نفسه، وبعضها نحو غيره من الناس، وبعضها نحو سائر مخلوقات الله تعالى، لذلك جاءت الواجبات على النحو الذى ذكرنا من التنوع والتعدد.

- إن الإنسان قد ميزه الله تعالى بالعقل ، وتعَدُّد طاقاته وقدراته، وبالتالى تعددت وظائفه فى الحياة تبعاً لهذه المكانة فى الخَلق والتكوين ومنح الطاقات والقدرات، فكانت واجبات فردية، وأخرى أسرية وثالثة اجتماعية ورابعة سياسية.

- والإنسان الذى كرمه خالقه ورزقه من الطيبات وحمله فى البر والبحر، فضله على كثير ممن خلق، هذا الإنسان لابد أن يكون محور مخلوقات الله تعالى وأهمها، لذلك سخر الله تعالى له ولخدمته سائر ما خلق فى السموات والأرض إن هو أحسن التعامل مع هذه المخلوقات بطاعة الله ورسوله واتباع منهجه ونظامه.

- وكل تكاليف الله تعالى لعباده جعلها الله فى حدود طاقات الإنسان وقدراته، لأنه سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولأنه سبحانه وتعالى ما خلق الإنسان ليُشقيه أو يشق عليه، كما أنه سبحانه لم يخلقه عبثًا ولا تركه يعيش وفق ما تمليه عليه غرائزه كالحيوان، وإنما نظم له من خلال المنهج الخاتم أسلوب تعامله مع غرائزه وحاجات جسده، فإن اتبع المنهج سلمت له دنياه وأخراه، ونعم بالحياة الأبدية السعيدة، حيث الحياة عند الله تعالى بلا موت وأسباب النعيم والسعادة بلا فوْت.

وإلى الحديث عن فصول هذا الباب سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد.

الفصل الأول

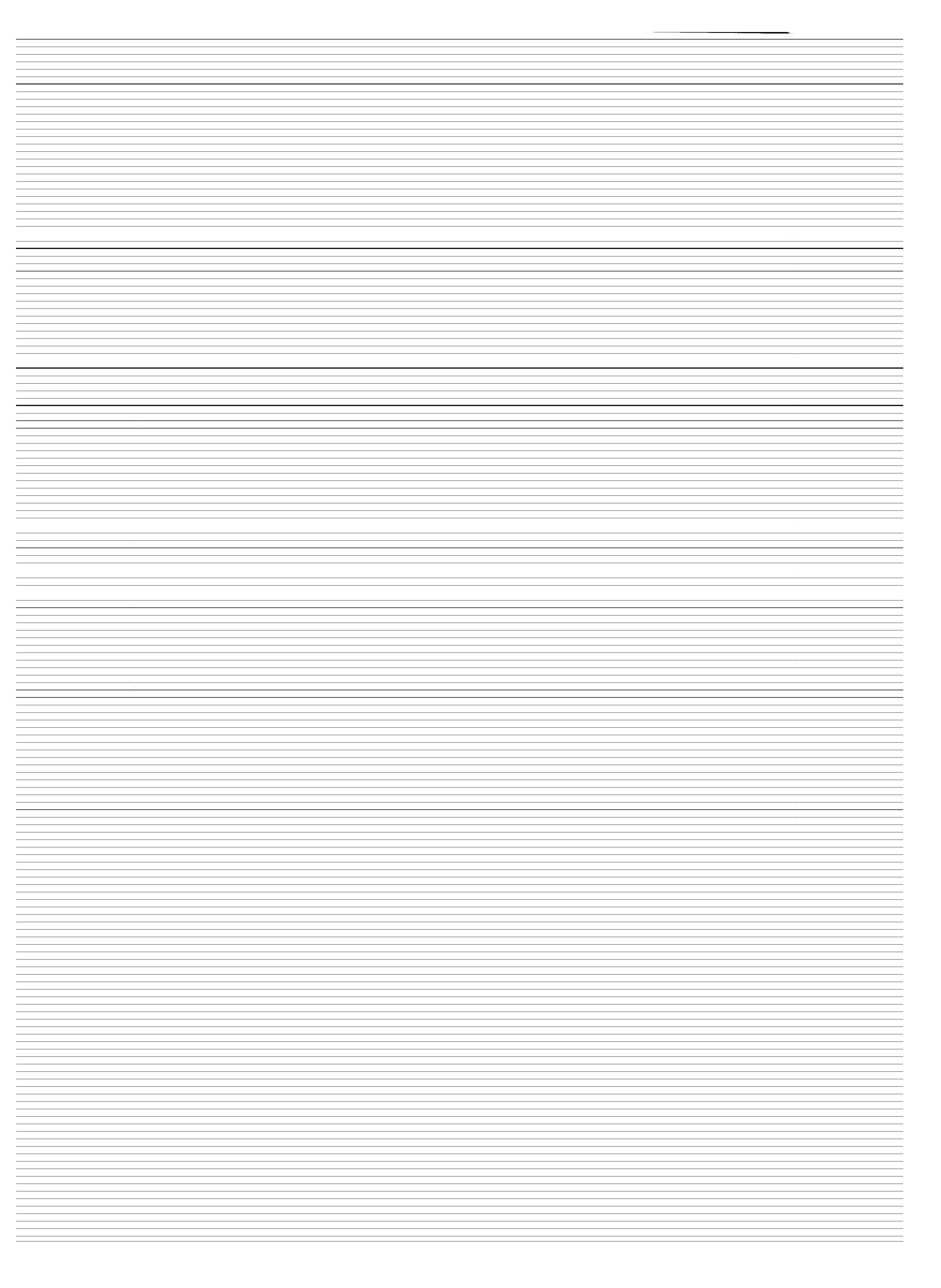
الواجبات الفردية أو الشخصية

وتشمل :

١ - رعاية الجسد والأخذ بأسباب قوته.

٢ - والالتزام بما أمر الله تعالى ، واجتناب ما نهى عنه.

٣ - والمشاركة فى الدعوة إلى الدين الحق، والحركة به فى الناس والآفاق.



الواجبات الفردية أو الشخصية

هى واجبات على الفرد فى ذاته أى جسده الذى هو وعاء روحه وعقله وجوارحه وحواسه، ولا يعفى أحد من أداء واجباته إلا أن يكون عاجزا عن أداء واجبه عجزاً يقدره الله تعالى ويعفو عنه ويتجاوز.

إنها واجبات شخصية تتمثل فى أمور هامة منها:

رعاية جسده بالأخذ بأسباب قوة الجسد والبعد عن أسباب ضعفه، وأن يلتزم من أجل ذلك بما أمر الله به، وأن يمتنع عما نهى الله عنه من أجل صحة الجسد وإقداره على أداء وظائفه، وأن يستغل طاقة جسده وإمكاناته فى المشاركة فى الدعوة إلى الدين الحق بكل وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، وأن يتحرك بهذا الدين إلى الناس وأن يجوب به الآفاق.

- ورعاية الجسد واجبة شرعا؛ لأن الجسد بما حوى وديعة من الله لدى الإنسان على وجه الحقيقة بدليل أنه سبحانه يسترد هذه الوديعة فى الوقت الذى يشاء.

ومن أجل تلك الحقيقة وجب على الإنسان المحافظة على هذا الجسد حتى يسترد الله تعالى وديعته سليمة معافاة من كل ضرر أو شر يتسبب فيه صاحب هذا الجسد.

١- رعاية الجسد والأخذ بأسباب قوته والبعد عن أسباب ضعفه:

هذه الرعاية - كما قلنا - واجب شرعى أمر بها الله تعالى وتضمنها المنهج الذى جاء به خاتم الأنبياء ﷺ، وتتناول هذه الرعاية للجسد أمورا ثلاثة هى:

أ- المحافظة على الجسد من الأضرار والأخطار:

وتلك المحافظة واجب إسلامى دلت على وجوبه آيات القرآن الكريم وكلمات الرسول الخاتم ﷺ، حيث حرَّم الله تعالى إلحاق الضرر أو الخطر بالجسد حتى لو كان من يلحق الضرر أو الخطر هو صاحب الجسد نفسه.

- فقد حرَّم الله تعالى إلحاق الضرر بالورثة فى الوصية، أو فى قسمة التركة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢].

- وحرم الإضرار بالمطلقة، وطالب بإقامة العدل معها وحسن صحبتها فى فترة بقائها ببيت

الزوجية فى حالة الطلاق الرجعى، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...﴾ [البقرة: ٢٣١].

– وحرّم سبحانه وتعالى الإضرار بالمعتدة أثناء عدتها فى مسكنها وفى نفقتها أثناء عدتها، فقال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ (٦) لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٦، ٧].

– وحرّم الله تعالى الإضرار بالأم المرضعة سواء أكان الإضرار فى الإنفاق عليها أو فى حضانتها لطفلها، فقال عز وجل: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ..﴾ [البقرة: ٢٣٣].

● والذى حرّم الله تعالى عليه أن يضر غيره، حرّم عليه كذلك أن يضر نفسه؛ لأن ذلك مقتضى العقل والشرع، فقد نهى الله تعالى نهيا صريحا عن أنْ يُلقى الإنسان نفسه فى التهلكة لأى سبب من أسباب الوقوع فى التهلكة حتى لو كان امتناعًا عن القيام بعمل نافع للمسلمين، كالامتناع عن الإنفاق فى سبيل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

هكذا فسَّر ابن عباس رضى الله عنهما التهلكة فى هذه الآية وتابعه فى هذا التفسير عكرمة وعطاء ومجاهد وجمهور المفسرين.

وفى الحق، إن الإمساك عن الإنفاق فى سبيل الله تهلكة للنفس بوقوعها فى آفة الشح، وتهلكة للوطن والأمة الإسلامية بإضعافها وتعجيزها عن أن تتقوى وتتسلح، لأن المال عصب حساس لابد منه فى العلم والبحث والكشف والتطوير لصناعة السلاح بما يلائم بل يتفوق على العدو فى أى عصر.

هذا عن آيات القرآن الكريم، أما ما ورد من الأحاديث النبوية المطهرة فى هذا المجال، فمنها:

– ما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ضررَ ولا ضرار» ورواه ابن ماجة بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه.

– وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«دينار أنفقته فى سبيل الله عز وجل، ودينار فى المساكين، ودينار فى رقبة[1]، ودينار فى أهلك؛ أعظمها أجرا الدينار الذى تنفقه على أهلك»**.

– وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كان لى مثل أُحُد ذهبا لسرَّنى أن لا يمر علىَّ ثلاث، وعندى منه شىء، إلا شىء أُرصده لدَيْن»** وفى هذا الحديث الشريف حث على الإنفاق فى سبيل الله تعالى.

وهذه الآيات وتلك الأحاديث تحرم الضرر والإضرار بالنفس وبالآخر، وكل ضرر من هذه الأضرار يلحق جسد الإنسان أى روحه وعقله وجوارحه وحواسه، وكل هذه الأضرار أخطار تحدث بالإنسان وتهدد حياته، لذلك نهى الله تعالى عنها.

ب– والحفاظ على الجسد من الأمراض المعدية ونحوها:

وذلك يقتضى نوعين من العمل، أحدهما وقائى، والآخر علاجى وكلا النوعين من العمل أمر بهما الإسلام، وكثرت الأحاديث النبوية فيها، ومن هذه الأحاديث الشريفة فى وجوب توقى الأمراض:

– ما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يُورِدنَّ[2] ممرض على مصح»**.

– وما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد»**.

ورواه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه.

– وما رواه مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنهما أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبى ﷺ: **«ارجع فقد بايعناك»**.

● ومن الأحاديث النبوية الشريفة فى وجوب التداوى والعلاج والأخذ بأسباب صحة الجسد:

– ما رواه النسائى بسنده عن أسامة بن شريك رضى الله عنه قال: كنت عند النبى ﷺ،

---

(١) أى فى فَكّ رقبة من الرق أى عتقها.

(٢) أى لا يفد ولا يقدم المريض على غير المريض.

وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «**نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً، غير داء واحد**» قالوا: ما هو؟ قال: «**الهرم**».

- وما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله: أرأيتَ رُقًى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتُقاةً نتقيها، هل ترد من قَدَر الله شيئا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هى من قدر الله**».

- وروى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**الشفاء فى ثلاثة: فى شَرْطة مِحْجَم، أو شربة عسل، أو كية نار، وأنهى أمتى عن الكَىّ**».

- وروى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعتُ النبى ﷺ يقول: «**إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السَّام**» قلت: وما السَّامُ؟ قال: «**الموت**».

- وروى البخارى بسنده عن عروة عن عائشة رضى الله عنهما أنها كانت تأمر بالتلبين[1] للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ التلبينة تُجم فؤاد المريض، وتذهب ببعض الحزن**».

- وروى البخارى بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه أنَّ رجلا أتى النبى ﷺ فقال: أخى يشتكى بطنه، فقال: **اسقه عَسَلاً**، ثم أتاه الثانية، فقال: **اسقه عسلاً**، ثم أتاه الثالثة فقال: **اسقه عسلاً**، ثم أتاه فقال: قد فعلتُ، فقال: «**صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلا**، فسقاه فبرأ»[2].

جـ- والحفاظ على الجسد من الإسراف فى الطعام والشراب.

وذلك واجب إسلامى دلت عليه آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ.

- الآية الكريمة الأم فى هذا هى قوله تعالى: ﴿ .. **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١].

وهذا الجزء من الآية الكريمة عند اتباع ما جاء فيه من أَمْرٍ، واجتناب ما جاء فيه من نهى هو الصحة الجسدية فى أحسن صورها، وفى الالتزام بأمره واجتناب نهيه أكمل أنواع الوقاية والحمية من كثير من الأمراض والأوجاع؛ لأن الإسراف فى الطعام والشراب هو باب الأمراض وسببها الرئيس فى أغلب الأحيان بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

---

(١) التَّلبينة: حساء يتخذ من نُخالة ولَبَن وعَسَل.

(٢) أى شفى من مرضه.

– وروى أحمد بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما ملأ ابن آدم وعاءً شرا من بطن، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة؛ فثلُثٌ لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لِنَفَسِه»**. ورواه الترمذى.

– وروى الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تشربوا واحداً كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسَمُّوا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا رفعتم»**.

– وروى البخارى بسنده عن أبى قتادة رضى الله عنه قال: **«نهى رسول الله ﷺ أن يُتَنَفَّس فى الإناء»**.

وبعد.. فإن المسلم مطالب دائما بأن يرعى جسده، وأن يأخذ بأسباب قوته، وأن يحافظ عليه من الأمراض، ويباعد بينه وبين أصحاب الأمراض المعدية، وأن يحميه من مضار الإسراف فى تناول الطعام والشراب.

إن ذلك كله من واجبات الجسد التى شرعها الإسلام وأوجب القيام بها على الإنسان صاحب هذا الجسد، لأن الجسد – كما قلنا آنفا – وديعة أو عارية عند الإنسان أودعها الله تعالى إياه، فلابد أن يحافظ على هذا الجسد، إرضاء لربه سبحانه وتعالى، مالك هذا الجسد على وجه الحقيقة.

٢– الالتزام بما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه من أجل صحة الجسد:

صحة الجسد وسلامته وقوته هدف أساسى ذو شأن عظيم فى حياة الإنسان؛ لأن الجسد كما قلنا هو وعاء الإنسان، لذلك كانت صحة الجسد وسلامته وقوته مطلبا لدى كل الديانات والنظم على مر التاريخ، حتى إن الباحث المنقب لا يستطيع أن يجد فى تاريخ الإنسانية من يهملون الاهتمام بصحة الجسد وسلامته وقوته، حتى أولئك الذين بدوا كأنهم يعذبون الجسد بمزيد من الجوع والعطش والعنف، إنما هم يستهدفون ترويض الجسد على أداء وظائفه بصورة مثالية تخدم ما اختاروه للجسد من وظائف.

- وكيف لا تكون صحة الجسد وسلامته وقوته هدفا والحياة الإنسانية لا يمكن ممارستها إلا بجسد صحيح سليم قوى؟ بل السعى على الرزق وتأمين المطعم والمشرب والمسكن والعمل، كل ذلك يحتاج إلى جسد صحيح قوى.

والحروب تحتاج إلى جسد صحيح سليم قوى مهما تطورت الآلة الحربية، لأن محركها هو الإنسان.

وعبادة الله تعالى – وهى أرقى أعمال الإنسان تحتاج إلى جسد قوى سليم صحيح يقوى على ممارستها.

● إذا كان ذلك كله – وهو حيوى ومهم للإنسان – يحتاج إلى الجسد الصحيح السليم القوى، فإن الدين الحق بوصفه خاتم الأديان وأكملها لابد أن يولى صحة الجسد وسلامته من الاهتمام ما يليق به ويمكنه من أداء وظيفته فى الحياة، وهذا الاهتمام الإسلامى بالجسد سنحاول توضيحه فى ثلاث نقاط هى:

أ- دعوة الإسلام إلى الصحة الجسدية العامة:

وإنما دعا الإسلام إلى الصحة الجسدية العامة لأنها مطلب أساسى لأسباب جوهرية عديدة، كل سبب منها تعززه النصوص الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومن هذه الأسباب:

– أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير.

قال الله تعالى فى قوة البدن: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا...﴾ [الكهف: ٩٥]، فالقوة هنا هى قوة البدن بدلالة أنه رغب عن القوة الخارجة.

وقال تعالى فى قوة القلب وهو جزء من الجسد: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾[مريم: ١٢] أى بقوة القلب.

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير**».

– وأن عبادة الله تعالى من صلاة وصوم وحج وجهاد فى سبيل الله تحتاج فى أدائها إلى جسد صحيح سليم قوى، لأن الجانب البدنى فى هذه العبادات أساسى وجوهرى، والله تعالى أمر بأداء هذه العبادات على وجهها الصحيح، ولا سبيل إلى هذا الأداء إلا بالجسد الصحيح السليم القوى، ولنا أن نتصور الجهد الجسدى الذى تتطلبه عبادة الحج أو عبادة الجهاد فى سبيل الله تعالى أو عبادة الصوم أو الصلاة.

– وأن القيام على الأسرة وأعبائها ومطالبها يحتاج إلى جسد صحيح سليم قوى، وبغيره لا يستطيع المسلم أن يؤدى واجبه نحو أسرته: زوجه وأولاده وأقربائه وأرحامه.

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...** ﴾ [التحريم: ٦].

وقال جل شانه: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ...** ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ** ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وروى الطبراني في الكبير بسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله: **«لأن يربى أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين»**.

وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من أحب أن يُبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»**.

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله: إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ، وأحلم عنهم ويجهلون علىّ، فقال: **«لئن كُنْتَ كما قلتَ فكأنما تُسِفُّهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمتَ على ذلك»** والملّ هو: الرماد أو التراب.

– وأن السعى على الرزق في المشى في مناكب الأرض التى ذللها الله تعالى لنا، قال الله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ...** ﴾ [الملك: ١٥].

وروى ابن ماجة بسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **« يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلّ ودعوا ما حرم»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا سَبَّب الله لأحدكم رزقًا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له»**.

ب- ودعوة الإسلام إلى التوسط والاعتدال :

الإسلام دين التوسط والاعتدال فى كل شىء، وذلك يعنى أنه ضد الإفراط والتفريط، وضد التشدد والتسيب، فهو دين التوسط والاعتدال حتى فى عبادة الله تعالى، فما بالنا بالتوسط فى أمور الحياة اليومية من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وغير ذلك؟

- فالدين الخاتم دين الوسط والاعتدال جاء بمبدأ: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾[البقرة: ٢٨٦] وبإعلان : «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق**» فيما رواه أحمد بسنده عن أنس رضى الله تعالى عنه.

- والأمة الإسلامية أمة الوسط : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ... ﴾ [البقرة: ١٤٣].

- والعبادات والمعاملات فى الإسلام تقوم على التوسط والاعتدال، فإن المُنْبَتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، ولا يمل الله حتى تملوا، وقد كتب الله الإحسان على كل شىء، والإحسان قيمة عليا فوق العدل وهو قمة التوسط والاعتدال.

- وفى هذا التوسط والاعتدال ما يضمن للجسد حسن سير أجهزته كلها، ابتداء من الجهاز الدورى إلى الجهاز التنفسى إلى الجهاز العضلى إلى الجهاز التناسيلى إلى جهاز الغدد الصُّم.

وفى هذا التوسط والاعتدال يحدث التوافق والتلاؤم والتنسيق بين هذه الأجهزة جميعا، بحيث يؤدى كل منها وظيفته على النحو الأكفأ والأمثل.

- وعلى سبيل المثال؛ فإن هذا التوسط والاعتدال بالنسبة للجهاز العضلى يعطيه الفرصة لأداء وظائفه أداء جيدا يضمن تنشيط جميع المبادلات التى تتم بين الجسد والبيئة الخارجية المحيطة به، من ضوء وشمس وحرارة وبرودة وهواء وماء وحركة وسكون.

- والنتيجة لهذا التوسط والاعتدال بين أجهزة الجسد هو الاستقرار بل الراحة النفسية، لأن هذا التوسط والاعتدال يجعل الجسد سليما صحيحا قويا، وذلك من شأنه أن يؤدى إلى الصحة النفسية، لأن الصحة النفسية مرتبطة إلى حد كبير بالصحة الجسدية، وكل إخلال بصحة الجسد وسلامته يؤدى إلى الإخلال بالصحة النفسية للإنسان.

- ومن فوائد التوسط والاعتدال فى التعامل مع الجسد :

- القدرة على المشاركة فى الأنشطة الاجتماعية، لأن الجسد إذا فقد الصحة والقوة لم

يستطع أن يشارك فى أى نشاط اجتماعى، وفى العجز عن هذه المشاركة تفويت لصالح الإنسان والمجتمع على السواء.

– والإقبال على العمل برضا وسعادة؛ لأن الجسد الصحيح السليم يجعل الجهاز العصبى للإنسان مرتاحا غير متوتر، بل يجعله بعيدا عن القلق والاضطراب.

– وضبط شهوات الجسد ورغباته، لأن الجسد القوى الصحيح يمكّن الإنسان من التحكم فى شهواته ورغباته، وإذا تحكم الإنسان فى شهواته ورغبات جسده فتناولها باعتدال وعبَّر عنها بتوسط، فإن هذا علامة من علامات نجاح الإنسان فى الحياة، وفى تعامله مع الناس والأشياء.

– وفى هذا التوسط والاعتدال فى التعامل مع شهوات الجسد ما يعود بالفائدة على الغدد فى الجسد كله، وخصوصا الغدد الصم، نظراً لما للغدد الصم من تأثير عظيم فى مد الجسد «بالهرمونات» بالمواد الكيماوية ذات التأثير الفاعل فى التحكم فى أعمال الجسد كلها، لأن هذه «الهرمونات» تحمل التعليمات إلى كل أعضاء الجسد وأجهزته، فضلا عن قدرة هذه الغدد الصم على تنبيه الإنسان إلى ما يتعرض له من أخطار.

– وأخيرا فإن التوسط والاعتدال فى التعامل مع مطالب الجسد وحاجاته يهيىء له أن يؤدى كل عضو من أعضائه وكل جهاز من أجهزته وظيفته على النحو الأفضل.

جـ- ودعوة الإسلام إلى ترويض الجسد على الصبر والاحتمال:

خير المؤمنين القوى الأمين، والقوة هنا قوة جسدية، والأمانة قوة روحية خلقية، والمؤمن مطالب بأن يكون جسده قويا صحيحا سليما ليستطيع أداء وظائفه.

وتقوية الجسد لها وسائل معروفة لدى علماء التربية الرياضية ولدى علماء وظائف الأعضاء، ومن هذه الوسائل:

– ممارسة الأنشطة الرياضية التى تناسب عمر المتريض مثل المشى والجرى والوثب والسباحة والرماية وركوب الخيل ونحوها، لأن هذه الأنشطة الرياضية تقوى الجسد، وقوة الجسد تعنى قوة قلب المتريض بزيادة عدد كريات الدم الحمراء فيه، وانضباط ضغط الدم، وسلامة الجهاز التنفسى وعمق التنفس، وهذا يعنى صحة الجسد وقوته.

– كما أن ممارسة الأنشطة الرياضية تقوى الجسد بمعنى أنها تزيد فى حجم العضلات وتزيد فى قوتها وسرعتها وكفاءتها وتقدر الجسد على الاستمرار فى العمل.

● ومن المسلَّم به لدى الأطباء والمتخصصين فى التربية الرياضية أن كل عضو فى الجسم ينمو ويقوى كلما استعمل، ويفتر وأحيانا يضمر إذا لم يستعمل.

– وبذل الجهد البدنى يزيد فى عدد الكريات الحمراء عمن لم يبذل جهدا بدنيا، وتعليل ذلك أن من لم يتعود بذل المجهود البدنى يستهلك عدداً أكبر من كريات الدم الحمراء عند بذل مجهود بدنى ولا يعوض ما استهلكه إلا فى زمن كبير، بينما من اعتاد بذل مجهود بدنى يستهلك عددا أقل من الكريات الحمراء ويستعيض ما استهلكه فى زمن أقل، هذا ما يؤكده المختصون.

– والذى يمارس نشاطًا رياضيا يستطيع أن يستمر فى أداء العمل مدة أطول ممن لم يمارس هذا النشاط، لأن من لم يمارس نشاطا رياضيا يكون أسرع إلى التعب من ممارس النشاط الرياضى لأن حمض «اللينيك» التعب يتكون عند غير الرياضى أسرع مما يتكون عند الرياضى.

● والتدريبات الرياضية فى جوهرها تعويد للجسد على الصبر والاحتمال، وقد دعا الإسلام إلى الصبر والاحتمال بكل صور الصبر، وإذا كان الصبر فى جوهره هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسهما عنه، فإن العقل والشرع يقتضيان حماية الجسد ووقايته من كل ما يضره، لذلك قنَّن الإسلام وسائل ممارسة الشهوات الجسدية، وجعل الصبر عنها فضيلة والإسراف فيها رذيلة، وسمى الصوم صبرا لكون الصوم نوعا من الصبر عن شهوتى البطن والفرج، روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«صوم شهر الصبر[1] وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر»**.

– وقد طالبنا القرآن الكريم بالصبر على العبادة والصبر فى جهاد أهواء النفس، فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [آل عمران: ٢٠٠].

– غير أن الصيام وإن كان صبرا واحتمالا للجوع والعطش والشهوة، فإن الوصال فيه محظور نهى عنه النبى ﷺ لما فيه من إضعاف الجسد بطول حرمانه من الطعام والشراب، روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إياكم والوصال»** أى

---

(١) شهر الصبر هو شهر رمضان.

مواصلة الصيام فى التطوع - قيل: إنك تواصل! قال: «**إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى فاكلفوا من العمل ما تطيقون**».

٣- والمشاركة فى الدعوة إلى الدين الحق والحركة به فى الناس والآفاق:

على كل مسلم عاقل أن يشارك بما يستطيع من قول أو عمل أو جهد أو مال أو علم فى الدعوة إلى الدين الحق، لأن الله تعالى أوجب عليه تلك المشاركة ما دام حيًّا متبعا للدين الخاتم مؤمنا به.

وسر هذا الواجب على المسلم وسببه أن الدعوة إلى الله هى سبيل محمد النبى الخاتم ﷺ وسبيل من اتبعه إلى يوم الدين، فقد قال الله تعالى مخاطبا خاتم رسله محمد ﷺ: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨][(١)].

وفى هذه المشاركة فى الدعوة للدين الحق والحركة به فى الناس والآفاق، نتحدث عن ثلاث نقاط:

أولاها: أن الدعوة إلى الدين الحق هى سبيل المؤمنين.

والثانية: عن وسائل الدعوة إلى الدين الحق.

والثالثة: عن نتائج القعود عن الدعوة إلى الدين الحق.

أ- الدعوة إلى الدين الحق هى سبيل المؤمنين:

السبيل هى الطريق الذى فيه سهولة وهو طريق الحق.

ولكل إنسان فى الحياة الدنيا سبيل يختارها بإرادته ويسعى فيه برغبته، وهذه السبيل إما أن تكون موصلة إلى خير أو شر.

- والمسلم عليه أن يختار طريق الخير ويسلكه، ويظل سالكا فيه حتى يلقى الله، ولكى يختار المسلم السبيل التى يسعى فيها عليه أن يستعين بالعقل والشرع معًا فهما دائما متعاونان لا تناقض بينهما بحال من الأحوال.

- ومقتضى العقل والشرع أن تكون سبيل المؤمن هى سبيل الرسول الخاتم القدوة محمد

---

(١) تحدثنا عن كل ما يتصل بالدعوة والدعاة والمدعوين فى كتابنا الموسع: فقه الدعوة إلى الله، فليعد إليه من أراد معرفة ذلك.

ﷺ، وسبيل النبى الخاتم كما أوضحتها الآية الكريمة هى الدعوة إلى الله، إلى الدين الحق على بصيرة، أى على علم ومعرفة بما يدعو إليه وعلى تثبت منه وتأكد لأن الله تعالى أوحاه إليه وختم به الأديان السماوية.

– وتلك السبيل هى سبيل كل من آمن بالله ربا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وهى سبيل يجب المضى فيها والاستمرار؛ لأنها سبيل الرسول الخاتم ﷺ وهى الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

– هذه السبيل هى الدعوة إلى الله على بصيرة، أى الدعوة إلى الحق وإلى الخير وإلى الجمال وإلى كل فضيلة وكل ما ينفع الناس فى دنياهم وأخراهم، وذلك هو الدين الحق الذى ختم الله تعالى به الأديان، وأراد به أن ينقذ البشرية من أمراضها ومتاعبها وظالميها والمتجبرين فيها؛ باتباعها هذا الدين ودعوتها إليه واتخاذه سبيلا.

– والبصيرة شرط فى الدعوة لدين الحق، وهى المعرفة لما يدعو إليه الداعى والتحقق منه، والبصيرة قوة للقلب المنوَّر بنور القدس، يرى بها صاحبها حقائق الأشياء، أى أن من يدعو إلى الدين الحق ويتحرك به فى الناس والآفاق لابد أن يجمع إلى المعرفة بما يدعو إليه الإيمان الذى يهديه وينور له هذه السبيل ليسعى فيها وقد أنيرت بالإيمان.

– والبصيرة وعى وفقه وعلم بما يدعو إليه الداعى إلى دين الحق، ووعى وفقه وعلم بظروف من توجه إليه الدعوة وأحواله، واختيار ما يلائمه من الفقه والعلم.

– والدعوة إلى الله على بصيرة أبعد ما تكون عن التعقيد والتقعر والمعاظلة، والتشدد والتطرف والتنطع ، لأن الدين يسر، ولأن الله تعالى يَسَّرَ القرآن [illegible] هذا الدين، ودعا الناس كل الناس إلى تلاوته وتدبر آياته، ونفى عنه أن يكون سببا فى شقاء الإنسان أو إحراجه أو التضييق عليه.

– وكل مسلم مهما كان حظه من العلم والمعرفة ضئيلا فإنه يستطيع الدعوة إلى الدين الحق والحركة به فى الناس والآفاق من خلال علمه ومعرفته ، وعلى سبيل المثال:

من كان يعلم من الدين الطهارة وضوءا وغسلا، أو الصلاة قراءة وقياما وركوعا وسجودا وقعودا وتشهدا ودعاء، فإنه يستطيع أن يدعو إلى الله بهذه البصيرة التى منحها الله تعالى له، وهكذا يشارك كل مسلم فى الدعوة إلى الدين الحق بما علمه الله، وليس له أن يتوقف عن اتباع سبيل رسول الله ﷺ وسبيل المؤمنين.

- ويتوهم بعض الناس أن الدعوة إلى الدين الحق والحركة به فى الناس والآفاق هى واجب علماء الإسلام المتخصصين فى علومه وحدهم، وأن سائر الناس معفون من هذا الواجب.

هذا وهم أوقعه فى قلوب الناس وعقولهم أعداء الإسلام الذين لا يحبون أن ينتشر الإسلام فى الناس والآفاق، لأن الدعوة إلى الله وإلى الدين الحق والحركة به واجب كل من آمن بالله واتبع محمدا ﷺ.

- أما علماء الإسلام المتفقهون فى علومه فهم أهل الفتيا والدعوة والحركة، وشرح العقيدة الإسلامية وتأصيلها وتفصيلها، وهم المفسرون المحللون لنصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهم المعلمون والمفقهون والمدافعون عن الدين أمام كل ملحد أو مضلل أو حاقد على الدين، لأنهم الذين نفروا ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

ب- وسائل الدعوة إلى الدين الحق والحركة به فى الناس والآفاق:

الدعوة إلى الدين الحق ليست مجرد كلمات تقال وعظات ترقق القلوب، وإن كان ذلك ضروريا، لأنه مدخل طبيعى للدعوة إلى الدين الحق، وإنما يوجد إلى جانب ذلك وسائل أخرى لا تقل أهمية عن القول والوعظ وتليين القلوب.

ومن ذلك:

- القدوة:

والقدوة تعنى أن يكون الداعى إلى الدين الحق أو المتحرك به فى الناس والآفاق قدوة ومثالا وأنموذجا حيًا لهذا الدين الحق الذى يدعو إليه، أنموذجًا فى قوله وعمله وسلوكه وسمته يتمثل فيه الدين أصدق تمثل، بمعنى أن من أراد من المدعوين أن يرى الدين الحق مُطبَّقًا عمليا فى إنسان رآه فى هذا الذى يدعو إلى الدين الحق ويتحرك به.

- والعلم:

وهو يعنى العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لأنهما مصدرا هذا الدين الحق، ومرجع كل من يدعو إليه أو يتحرك به فى الناس.

ومهما تعددت البحوث والدراسات الإسلامية، وتبحر فيها علماء الإسلام وجاءوا فيها بكل جديد ونافع للناس فى دنياهم وأخراهم، فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة -وقد تكفل الله بحفظهما إلى يوم الدين - هما الأصل والمنبع، وكل الدراسات والبحوث الجيدة

التى أعدها علماء المسلمين ينبغى ألا تختلف مع الكتاب والسنة فى شىء، فقد روى الحاكم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى، ولن يتفرقا حتى يردا علىّ الحوض»**.

- والعمل:

وهو أسلوب من أساليب الدعوة إلى الدين، ووسيلة من وسائل نشره فى الناس.

وأوضح ما يكون العمل بهذا الدين إنما يظهر بالحركة بالدين فى الناس والآفاق، فالدين الحق هو الأصل الأصيل الذى تنبثق عنه كل تفصيلات الحياة الإنسانية فى سيرة الداعى إلى الدين الحق، فهو داع إلى الله ويعمل تاجراً أو زارعًا أو صانعًا أو معلمًا أو طبيبًا أو مجاهداً فى سبيل الله أو مرابطًا فى ثغر من ثغور الدولة المسلمة، أو مديراً لعمل، مسئولاً عن العاملين فيه إنه يدعو إلى الدين الحق ويعمل عمله الذى تهيأ له.

وهكذا نشر أسلافنا من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم ومن جاءوا بعدهم من الدعاة إلى هذا الدين، نشروا الدين حيث دعوا إليه من خلال ما يمارسون من أعمال، فأصَّلوا لنا أن الدعوة إلى الدين الحق تكون من خلال أى عمل يقوم به المسلم، وتكون واجبة على كل حال وفى كل وقت.

● والحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتى هى أحسن:

وهذه وسائل ثلاث من وسائل الدعوة للدين الحق تضمنتها آية قرآنية كريمة واحدة هى قوله تبارك وتعالى: **﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [النحل: ١٢٥].

وهذه الآية الكريمة تعنى أن كل مؤمن بالله متبع لما جاء به محمد الخاتم ﷺ من منهج ونظام مطالب بأن يدعو إلى سبيل ربه وأن يستمر على مواصلة هذه الدعوة حتى يلقى الله.

وإنما جاءت الدعوة بأسلوب الأمر: «ادع» لتنبه على أنه لا ينبغى أن يكف الدعاة عن الدعوة مهما تحملوا من عناء؛ كتكذيب المدعوين لهم وسخريتهم منهم ومعاملتهم بالفحش والبذاء، وتحدى الظالمين لهم بتهديدهم وإيذائهم وتعذيبهم واعتقالهم وسجنهم وحرمانهم من حقوقهم السياسية، لأنه أمر صادر من الله الذى يعلم ما سوف يلقاه الدعاة إلى الدين الحق. ومع ذلك فقد وعد بنصرهم بل جعل ذلك النصر لزامًا عليه سبحانه إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد.

- **والحكمة:**

هى المعرفة المحكمة الصائبة المجردة من الخطأ، إذ هى معرفة حقائق الأشياء على ما هى عليه بحسب قدرة الإنسان وطاقته، وهى فى جانبها الدعوى اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحًا مستمراً.

وللحكمة علوم هى مجموع ما أرشد إليه هدى الهداة من أهل الوحى عليهم السلام ومن تمسكوا بسنتهم من بعدهم بهدف إصلاح عقول الناس وقلوبهم وجوارحهم وحواسهم.

- **والموعظة الحسنة:**

هى القول الليّن الذى يرقق نفس من يوجه إليه، ويهيئه إلى فعل الخير ويذكره وينصحه، ولو صحب ذلك زجر وتخويف وتحذير من لحاق ضرر فى العاقبة أو جلب نفع غفل عنه الناس، وعلى الداعى إلى الدين الحق أن يجعل الموعظة الحسنة أسلوبه فى التعامل مع من يدعوهم، وأن يتخذ من هدى الرسول ﷺ أسوة له؛ فقد كانت موعظته حسنة دائماً، روى الترمذى بسنده عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت لها العيون ووجلت منها القلوب[1] فقلنا: يارسول الله إن هذه موعظة مودّع، فماذا تَعْهَد إلينا؟ قال: **«قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشيًا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد».**

- **والجدال بالتى هى أحسن:**

والجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، والاحتجاج لتصويب رأى أو عمل، وإبطال ما يخالفه، وهذا الجدال وسيلة فاعلة للدخول فى حوار مع المدعوين يستهدف إظهار الحق، ويقوم على الإقناع وتوضيح الحجج والبراهين لكل من هو فى حاجة إليها.

والأمر فى الآية الكريمة موجه إلى النبى ﷺ وإلى كل من اتبعه وآمن بدينه، ليكون الجدال مع المدعوين إلى الدين الحق - مشركين أو من عصاة المؤمنين - بالطريقة التى هى أحسن ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) هكذا كانت مواعظ رسول الله ﷺ ترقق القلوب، ولا عجب فى ذلك فهى الموعظة الحسنة.

والمجادلة إنما تكون مع المعارضين، وهؤلاء المعارضون منهم من يجادل بلين ورفق فيُجادل برفق، ومنهم من يجادل بعنف وبغير منطق، ولكن الدعاة إلى الدين الحق يجب أن يجادلوه برفق ومنطق.

هذه وسائل الدعوة إلى الدين الحق ما ينبغي أن يتخلى عنها الدعاة إلى الله وإلى الدين الحق و إلى الطريق المستقيم.

وإذاكانت الدعوة إلى الدين الحق هي سبيل المؤمنين التي لا سبيل لهم سواها، وإذا كانت تلك وسائلها، فماذا يتوقع المسلمون لو قعدوا عن الدعوة لدين الحق؟ ذلك ما نوضح بعضه في الصفحات التالية، بعون من الله وتسديد.

جـ- نتائج القعود عن الدعوة إلى الدين الحق:

الدعوة إلى الدين الحق والحركة به في الناس والآفاق إرادة إلهية لا سبيل إلى توقفها تمامًا، وإنما السبيل إلى الفتور في القيام بأعبائها أو القعود عنها حينًا من الزمان لضعف في المسلمين أو لغلبة أعدائهم عليهم.

وهذه الإرادة الإلهية من سننه سبحانه التي لا تتوقف كسننه الكونية الدائمة المستمرة التي عليها مدار الحياة الدنيا، قرر الله تعالى هذه الإرادة في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة: ٣٣].

- والهُدَى: يعني كثرة الدلائل والمعجزات التي يهتدي الناس بها إلى الخير والبر والصلاح وموافقة المنفعة في الدنيا والآخرة، وهذا هو الدين الخاتم.
- ودين الحق: يعني كماله وتمامه ومطابقته لمصالح الناس في الدنيا والآخرة.
- ويظهره على الدين كله: أي يجعله مستعليًا على كل دين، لكثرة حججه وظهورها، ولغلبته على أعدائه.

وروى أبوداود بسنده عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن ربي زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ مازُوِي لي منها.. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»**.

- وظهور الدين الحق له مبررات أهمها:

أنه دين مُبَرَّأ من الظلم مطلقًا.

ومبرأ من الفساد كله.

ومبرأ من كل ما يناقض العقل كالخرافات والأباطيل، ومؤكد للأمن والطمأنينة.

● إذا كان هذا هو شأن الدين الحق فى الحياة الإنسانية، فكيف تكون نتائج التوقف عن الدعوة إلى الدين الحق أو القعود أو الفتور فى القيام بها؟

إن القعود عن الدعوة إلى الدين الحق له أضرار إنسانية عامة، وله أضرار تلحق بالمسلمين خصوصاً.

ونحاول هنا أن نلقى ضوءاً على كل من هذين الضررين.

– أما الأضرار الإنسانية فمنها:

● حرمان الإنسانية كلها من الهُدى الذى يأتى به دين الحق، أى حرمانه من الخير والبر والاستقامة والأمن والسلام والطمأنينة.

● وحرمان الإنسانية من التعاون والتواد والتراحم والتسامح وهى قيم جاء بها الدين الحق وقررها أسلوباً فى التعامل مع كل الناس الذين لا يعادون الإسلام.

● وحرمان الإنسانية من أن يسودها الحق والعدل والإحسان وهى قيم ثابتة مستقرة فى الدين الحق يتعامل بها مع كل الناس الذين لا يعادون الإسلام.

● وحرمان الإنسانية من الإحساس بالشر والرغبة فى إثارة المنازعات والخلافات، وما يؤدى إليه ذلك من فتن وحروب، وتوقف عن تحسين أساليب الحياة وتطويرها نحو الأحسن؛ لأن دين الحق هو دين حب الخير والتفاهم والوئام، والاهتمام بتحسين وسائل العيش.

لو قعد الدعاة عن الدعوة للدين الحق والحركة به فى الناس لحرمت الإنسانية كلها من هذا الخير العميم والأمن والسلام.

– وأما الأضرار التى تلحق بالمسلمين نتيجة للقعود عن الدعوة للدين الحق والحركة به فى الناس والآفاق فكثيرة منها:

● قلّة عدد الداخلين فى الإسلام، ومع قلة العدد يكون الضعف والعجز عن الوصول إلى الأهداف، والهزيمة فى مواجهة الأعداء؛ وذلك أن الكثرة مطلب دعا إليه الرسول ﷺ بل قال: إنه يباهى به يوم القيامة، فلقد روى أبوداود بسنده عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى أصبت امرأة ذات حسب وجمال،

وإنها لا تلد، أفاتزوجها؟ قال: «لا» ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال: **«تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»**.

• وتقصير البيت والمسجد والمدرسة والنادى والجمعية الأهلية المدنية والأحزاب السياسية فى أداء وظائفها؛ لأن الدعاة إلى الدين الحق هم الذين يذكرون مَنْ ينسى ويعينون مَنْ تذكر، وبهم تُسَدّ الثغور، وتُتَّقى المكاره وينحسم الشر وينتشر الخير، والمجتمع المسلم الذى تقَصُر فيه هذه المؤسسات فى أداء وظائفها مجتمع مُهَدَّد بالتراجع الحضارى، وما يحمله هذا التراجع من تخلف اجتماعى وسياسى واقتصادى وثقافى، ونكوص عن الحق وحيرة وضلال.

• وإضعاف الالتزام بقيم الإسلام ومبادئه فى نفوس المسلمين، وذلك أن عمل الدعاة إلى الدين الحق وحركتهم به فى الناس و الآفاق فيه تثبيت لقيم الإسلام ومبادئه بنشرها فى الناس، وفيه تشجيع لهم على الالتزام بها إذ يرونها ماثلة أمامهم حية متحركة فى هؤلاء الدعاة والحركيين فيسهل عليهم الالتزام بها.

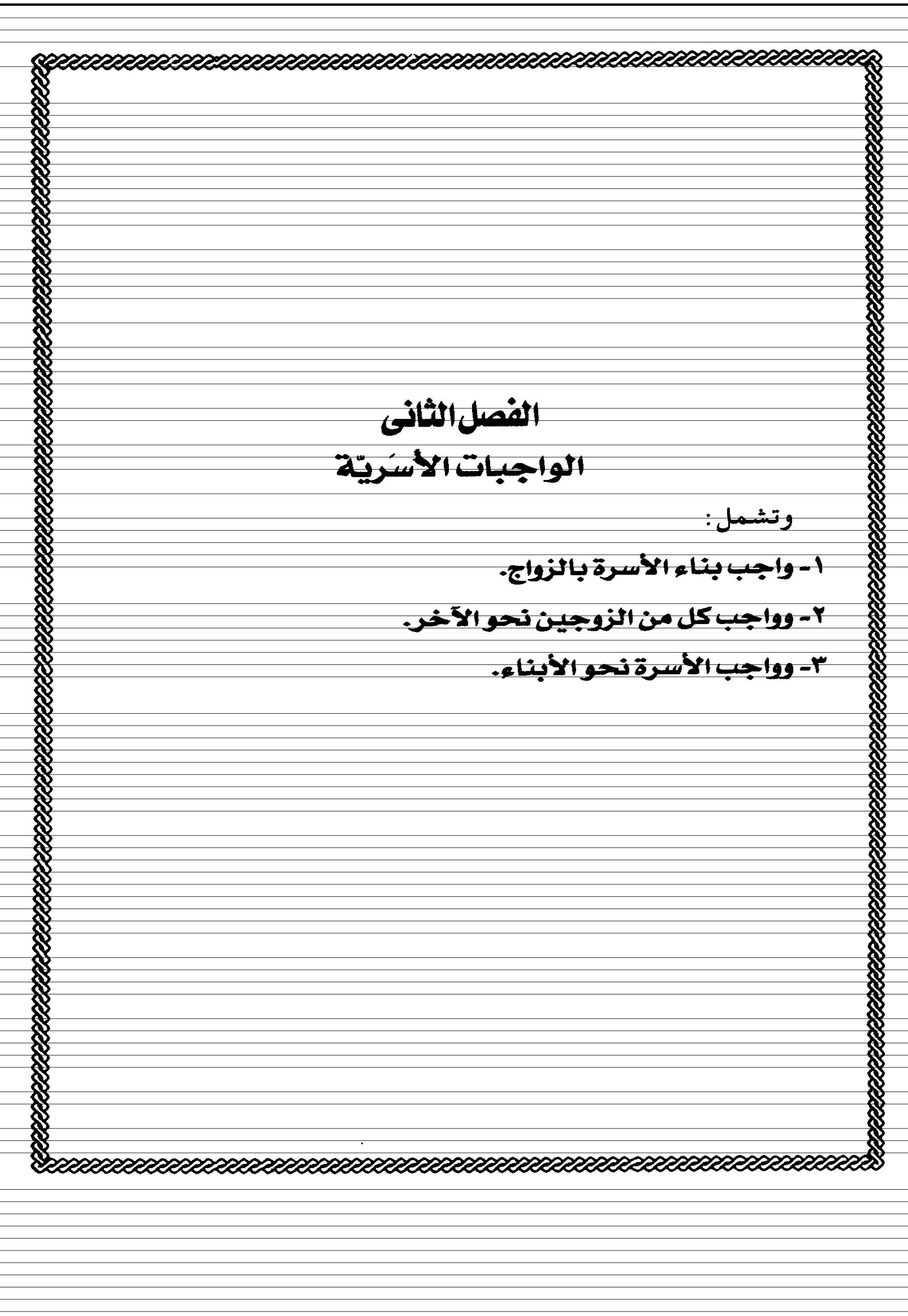
وعند فقد الالتزام بقيم الإسلام ومبادئه فى حياة الإنسان فإنه إلى الضياع والدمار يسير، وإلى أوخم العواقب يتجه.

• وإضعاف الاعتزاز بالإسلام والفخر بالانتماء إليه، فإذا ضعف هذا الاعتزاز وذلك الانتماء، فقد حدثت فى المجتمع المسلم ثغرات ينفذ إليهم منها الشر والفساد، وما يسد هذه الثغرات إلا استمرار الدعاة فى الدعوة إلى الدين الحق والحركة به فى الناس؛ لما أكدناه أكثر من مرة من أن الدين الحق يحسم الشر ويقضى عليه وينشر الخير ويحبب فيه، وطريق ذلك هو الاعتزاز بهذا الدين والفخر بالانتماء إليه، وذلك صميم عمل الدعاة إلى الدين الحق.

وبعد: فتلك صورة مجملة عن الواجبات الفردية أو الشخصية التى أوجبها الإسلام على الإنسان؛ جسده وروحه وعقله وخلقه وجوارحه ومشاعره.

وإلى الحديث عن صورة مجملة أخرى عن الواجبات الأسرية التى أوجبها الإسلام على الإنسان، والله ولى التوفيق.

■■■■



الفصل الثانى

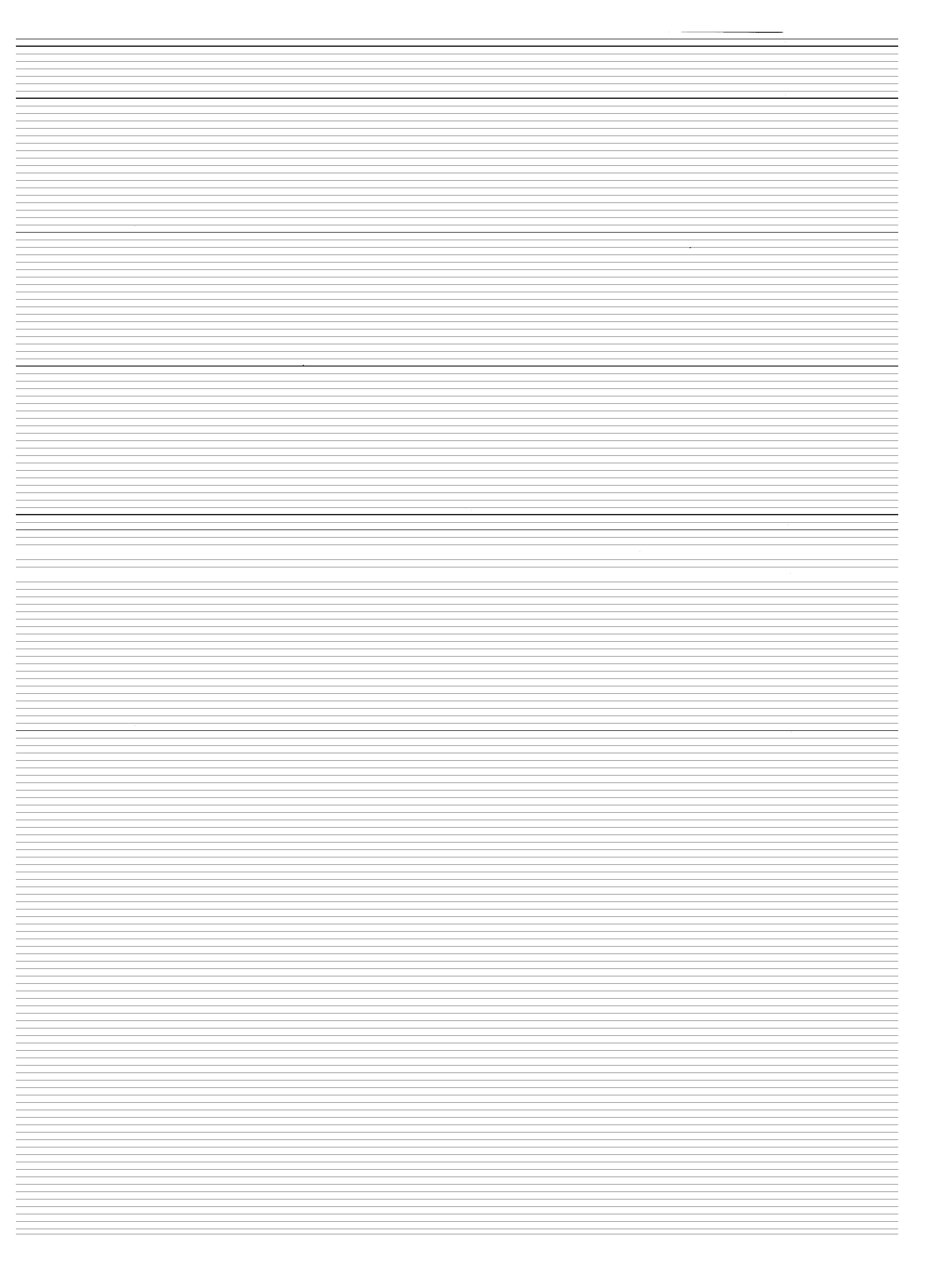
الواجبات الأسَريّة

وتشمل :

١- واجب بناء الأسرة بالزواج.

٢- وواجب كل من الزوجين نحو الآخر.

٣- وواجب الأسرة نحو الأبناء.



الواجبات الأسرية

من المسلم به لدى المجتمعات الإنسانية معظمها أن الأسرة هى البنية الأساسية أو الوحدة الأساسية للمجتمع، وأن الزواج بين رجل وامرأة هو الوسيلة الوحيدة لتكوين الأسرة.

– أما الذين يخرجون عن مقتضيات الفطرة الإنسانية فيمتنعون عن الزواج وبالتالى لا يسهمون فى بناء أسرة فهم شاذون نفسياً واجتماعياً، وهم منحرفون دينياً، مهما ادعوا أن عزوفهم عن الزواج أو بناء الأسرة يشغلهم عن عبادة الله بالنساء والأولاد.

أو دعواهم أنها رهبانية جاءهم بها الدين، فلقد كذبهم الله تعالى فى دعواهم فقال عنهم: ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا** ﴾ [الحديد: ٢٧].

ومعنى الآية أن الله تعالى لم يفرض عليهم الرهبانية ابتداء لما فى ذلك من مناقضة الفطرة التى فطرهم عليها، ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله – فى زعمهم – فكانوا بذلك مخطئين.

وروى الدارمى بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون رضى الله عنه الذى كان من ترك النساء؛ بعث إليه رسول الله ﷺ فقال: «**ياعثمان، إنى لم أومر بالرهبانية، أرغبتَ عن سنتى**»؟

قال: لا يارسول الله، قال: «**إن من سنتى أن أصلى وأنام، وأصوم وأطعم، وأنكح وأطلق؛ فمن رغب عن سنتى فليس منى، ياعثمان إن لأهلك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا**» قال سعد رضى الله عنه: فوالله لقد كان أَجْمَعَ رجال من المسلمين على أنْ رسول الله ﷺ، إنْ هو أَقَرَّ عثمان على ما هو عليه أن نختصى فنتبتَّل.

وروى أحمد بسنده عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال: «دَخَلَتْ امرأة عثمان بن مظعون أحسب اسمها خولة بنت حكيم على عائشة رضى الله عنها وهى باذَّة الهيئة فسألتها عائشة، ما شأنك؟ فقالت: زوجى يقوم الليل ويصوم النهار، فدخل النبى ﷺ، فذكرت عائشة ذلك له، فلقى رسول الله ﷺ عثمان فقال: «**ياعثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لَكَ فى أسوة؟ فوالله إنى أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده**».

والخلاصة أن الزواج مطلب جسدى نفسى اجتماعى فطرى يجب شرعًا على كل قادر عليه، وبالزواج تكون الأسرة ويكون الأبناء إذا أذن الله تعالى.

ولقد امتن الله علينا بنعمة الزواج وبنعمة الولد فى آيات قرآنية كثيرة، ولقد دعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى الزواج فى عشرات الأحاديث النبوية الشريفة(1).

فما هى الواجبات الأسرية كما شرعها وألزم بها خاتم الأديان؟ ذلك ما نحاول الإجابة عنه فى الصفحات التالية.

١- واجب بناء الأسرة:

يحرص الإسلام على أمر المسلمين بالزواج وبناء الأسرة حرصه على تحقيق صالح الإنسان فى دنياه وأخراه، وقد جاء الأمر بالزواج صريحًا فى قول الله تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ**(2) **مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[النور: ٣٢]. أى زوجوا من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم من أهل الصلاح من عبيدكم وإمائكم.

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».**

وروى ابن ماجة بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من كان ذا طول**(3) **فليتزوج».**

- والزواج وتكوين الأسرة فطرة جسدية نفسية اجتماعية، ومطلب إسلامى أصيل إذ يعتبره الإسلام إحدى سننه ونظمه الاجتماعية المستمرة لكى تعمر الحياة الدنيا.

- ولا يعرف الإسلام طريقًا لتكوين الأسرة زوجة وأطفالاً إلا طريق الزواج الشرعى بين رجل وامرأة يختار كل منهما صاحبه وفق معايير وضعها الإسلام فى كل طرف من الطرفين.

---

(1) انظر ذلك إن شئت التوسع فى كتابنا: التربية الاجتماعية الإسلامية، وهو الحلقة السادسة من هذه السلسلة «مفردات التربية الإسلامية» نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(2) الأيامى: جمع أيِّم وهو من لا زوج له من النساء ويوصف به الرجل كذلك.

(3) الطَّول: اليُسر والغنى والفضل.

والهدف من الأسرة هو الأبناء، ولذلك لم يوافق النبى ﷺ على الزواج ممن لا تلد، وفضل عليها الودود الولود، ولذلك حظر الإسلام منع الحمل وحرم الإجهاض إلا لضرورة صحية يحددها طبيب مسلم حاذق.

والتوق إلى الأبناء بعد الزواج والشوق إليهم شعور فطرى عند كل إنسان، إذ هم الامتداد الطبيعى للأسرة وهم عماد المجتمع، لذلك شرع الإسلام لهم تشريعات تحميهم وتوفر لهم الرعاية والتربية حتى قبل أن يولدوا، بحسن اختيار الأم أو الأب وحسن اختيار الاسم و...

● والزواج واجب شرعى وعقلى واجتماعى، وهو فى الوقت نفسه رغبة نفسية جسدية اجتماعية، يلائم الفطرة ويحقق بهذه الملاءمة عدداً من الفوائد التى تكمل فى الإنسان المعنى الصحيح لإنسانيته، ومن هذه الفوائد:

- الفائدة النفسية، حيث تستقر الحالة النفسية للرجل والمرأة بالزواج إذ يشعر كل منهما أنه محبوب من الآخر، وأنه عون له على ممارسة الحياة السوية المستقرة، وأنه يشبع حاجته الجنسية للجنس الآخر بشكل مشروع يحترمه الناس جميعًا ويباركونه.

فمع الزواج والإشباع المترتب عليه تزول الأسباب التى تؤدى إلى عدد من الأمراض النفسية إذا لم يتم الزواج فى ظل الشرعية التى يقرها الدين والعقل والعرف.

- والفائدة الجسدية الصحية؛ لأن التعبير عن الغريزة الجنسية فى ظل هذه الشرعية يعطى الجسد عند كل من الزوجين حقه فى التعبير عن حاجاته، ويهيئ له فرصة أداء وظائفه على وجهها الصحيح، ويحول بين الجسد وبين الإحساس بالقصور أو العجز أو الفشل، لأن الزواج مَكَّنَ الجسد من التعبير عن طاقاته وقدراته الجنسية التى تمس الرجولة والأنوثة إذا لم يعبر عنها الجسد بالزواج تعبيراً سليماً.

- والفائدة الاجتماعية: إذ يجد كل من الزوجين فى زوجة سكنًا وسنداً وعونًا على كل ما يعترض حياته من قضايا ومشكلات إذ أصبحا بالزواج كيانًا واحداً يتأثر بما يصيب الطرف الآخر من خير أو شر، كما يشعر الزوجان بأنهما مظلة تحمى أبناءهما من هجير الحياة ومشكلاتها ومتاعبها، وعلى قدر ما يبذل الزوجان من رعاية لأبنائهما تكلفهما جهداً ووقتًا ومالاً فإن أحدهما لا يضن على أولاده بهذا البذل ولا يضيق باستمراره فى البذل حتى ينتقل الأولاد إلى الزواج والبيوت المستقلة، ومن لم يفعل ذلك منهما فهو مريض يحتاج إلى علاج، لأنه يتصرف ضد الفطرة التى فطره الله عليها.

وأرقى الفوائد الاجتماعية فى الزواج أن يجد الإنسان ولده قد نما واكتسب الخبرة وأصبح قادراً على استئناف حياة مستقلة والإسهام فى بناء أسرة جديدة.

– وفائدة خُلُقية، إذ يسود المجتمع خلق العفة والطهارة، والمحافظة على الأعراض والأنساب، فمن المسلم به أن المجتمع الذى ييسر الزواج مجتمع مسلم يعرف ما طالبه به الإسلام فى تشجيع الناس على الزواج؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**خير النكاح أيسره**» فيما رواه أبوداود بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه.

وروى الطبرانى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير النساء مَنْ تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرتَ، وتحفظ غيبتك فى نفسها ومالك**».

– وفائدة دينية، بل فوائد دينية عديدة منها:

«كسر الشهوة، والتحصن من الشيطان، وغض البصر وحفظ الفرج، وإليه الإشارة فيما رواه الطبرانى – فى الأوسط – بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان** – وفى رواية نصف دينه – **فليتق الله فى النصف الباقى**».

● وكف الجوارح عن كل ما يغضب الله، والشهوة الجنسية باب واسع أمام الجوارح لتقع فى معصية الله كالعين والأذن واليد والرجل فضلاً عن الفرج، والزواج يكف هذه الجوارح كلها عما يغضب الله من الزنى ودواعيه ومقدماته، وفى كلمات المعصوم ﷺ ما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**».

بل إن الزنا ينفى الإيمان ويهدر أثره، فقد روى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن...**»

● أما الفوائد المتعلقة بالزواج فأهمها بناء الأسرة وطلب الولد، إذ طلب الولد وتحمل أعباء تربيته ورعايته، له أعظم الفوائد وأجلها فى الدنيا والآخرة ومن ذلك:

– أنه أسهم وتسبب فى إنجاب نفس تعبد الله تعالى، وهذا إبقاء للنسل وإكثار من الإنس الذين يعبدون الله عز وجل، وهذا شرف عظيم ومكانة عند الله عظيمة، وإنما كان ذلك

كذلك لأن طلب الولد بالزواج موافقة لمحبة الله تعالى لأنه سبحانه خلق الذكر والأنثى ليكون منهما الولد والنسل، ولأن الرسول ﷺ صرح بذلك فى قوله: **«تناكحوا تناسلوا...»** وفى قوله ﷺ: **«تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم....»**

– وأنه – أى قاصد الولد الحاصل عليه بالزواج – ساع فى محبة رسول الله ﷺ بتكثير ما يتباهى به رسول الله ﷺ.

– وأنه يحظى بعد موته بدعاء ولده الصالح، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**.

– وأنه إن مات ولده قبله إن كان طفلاً، فقد روى ابن ماجة بسنده عن علىّ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة»**.

● ومن فوائد بناء الأسرة المسلمة أنها تنتج للمجتمع رجالاً ونساء يثرونه ويزيدون من قوته، وتكون منهم القوى الفاعلة التى تسهم فى بناء المجتمع وفى تنميته وتطويره وتقدمه، وإقداره على مواجهة أعدائه، وحراسة ثغوره، والإسهام فى إعداده وفق منهج الإسلام ونظامه.

ولو ذهبنا نستقصى فوائد الزواج وبناء الأسرة وإنجاب الأبناء ما وسعتنا الصفحات العديدة من هذا الكتاب، وحسبنا أن نؤكد أن الله تعالى أوجب بناء الأسرة عن طريق الزواج تجاوباً مع حاجات الجسد النفسية والاجتماعية والصحية، وما يوجب الله على الإنسان إلا ما هو نافع له فى دنياه وأخراه.

٢- واجب كل من الزوجين نحو الآخر:

الزوجان هما الأسرة فى بداية تكوينها، ومنذ جمع بينهما عقد الزواج على شرع الله وسنة رسوله الخاتم ﷺ، والمجتمع المسلم من يوم أقامه الرسول ﷺ ما جمع بين زوجين إلا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفى ذلك إشارة قوية إلى أن العلاقة بين الزوجين يجب أن تسودها قيم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأن يحتكم إليها الزوجان فى كل ما يتصل بحياتهما الأسرية فى كل ظروف الأسرة ومع جميع أعضائها، بل مع أقربائها وجيرانها؛ لأنها القيم الصحيحة العادلة التى تعطى كل طرف حقه وتلزمه بواجبه.

وظروف الزوجين – وئاماً أو خصاماً، واستمراراً أو فراقاً وطلاقاً – يجب أن تحتكم إلى

قيم القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ، ففى الاحتكام إلى هذه القيم ما يضمن للزوجين حياة زوجية أسرية سعيدة قادرة على الاستمرار وعلى أداء وظائفهما فى الأسرة.

والقيم التى جاء بها الإسلام فى الكتاب والسنة صالحة دائمًا لبناء الحياة الأسرية بالعدل والمساواة، لأنها قيم من صنع الله تعالى الذى لا يحابى أحداً على حساب أحد.

ومن خلال هذه القيم والمبادئ يعرف كل من الزوجين حقوقه وواجباته نحو الطرف الآخر، ويعتبر أداءه لواجباته وممارسته حقوقه استجابة لأوامر الإسلام ونواهيه، وفرصة للحصول على ثواب الطاعة، وعند ذاك تستقر حياة الأسرة وتنجح فتمارس بذلك حياة إنسانية رشيدة ترضى الله تعالى.

- ومن أهم وظائف الأسرة المسلمة؛ المحافظة على حسن العشرة بين الزوجين؛ بمعنى أن يرعى كل من الزوجين زوجه ويهيئ له أسباب الراحة والسعادة فى هذه المملكة الصغيرة، فيتبادلان المحافظة على المشاعر والمودة والرحمة وسرعة الاستجابة لما هو مشروع من المطالب والاحتياجات، والمعيار الصحيح لذلك كله هو: أن يتقى الله كل طرف منهما فى الطرف الآخر فيؤدى نحوه واجباته ويمارس حقوقه.

وحسن العشرة بين الطرفين مطلب شرعى يلتزم به كل منهما ، ولكن القرآن الكريم وجه الخطاب فى طلب حسن العشرة إلى الرجل، لأنه الذى بيده عقدة النكاح وله القوامة، فقال تعالى مخاطبًا الأزواج: ﴿ ... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ..... ﴾ [النساء: ١٩]. والعشرة بالمعروف تقتضى إنفاق الرجل على زوجه وطلاقة وجهه معها ومراعاة مشاعرها. روى أحمد بسنده عن أبى حَرَّة الرقاشى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ – من حديث طويل جاء فيه: «... فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله....».

والمرأة أيضاً مطالبة بحسن عشرة زوجها، فقد قال الله تعالى فى توجيه النساء إلى حسن عشرة أزواجهن: ﴿ ..فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ.. ﴾ [النساء: ٣٤].

فقد وصف الله تعالى المرأة الصالحة بصفتين ، مطالبًا كل زوجة بأن تتحلى بهاتين الصفتين وهما:

– القنوت: أى الطاعة: طاعة الله تعالى وطاعة الزوج فى غير معصية لله فيما طلب من زوجته.

– وحفظ الغيب: وحفظ الغيب يتناول أمرين:

- حفظ نفسها من الزنا ودواعيه..

- وحفظ مال زوجها من الضياع والإسراف أو التصرف فيه بغير إذنه، وحفظ بيته وعياله.

المرأة الصالحة تفعل ذلك لأن الله تعالى طالب به وحبب فيه وارتضاه صفات للزوجة الصالحة، وذلك هو حسن عشرتها لزوجها.

● وفي حسن العشرة بين الزوجين دعم للحياة الاجتماعية في المجتمع كله، لأن حياة الزوجين السليمة الآمنة هي حياة الأسرة السليمة الآمنة، والأسرة الوحدة الأساسية واللبنة الأولى للمجتمع، وبهذه السلامة للأسرة والأمان يخلو المجتمع من كثير من المشكلات التي تترتب على سوء العشرة بين الزوجين.

● والسنة النبوية المطهرة أوضحت متى يكون الرجل من خير الأزواج، ومتى تكون المرأة من خير الزوجات.

- فالزوج يكون من خير الأزواج إذا كان مؤديًا واجباته نحو زوجته، فقد روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**خياركم خياركم لنسائهم**»، ولا يكون الزوج من الخيار إلا إن التزم في التعامل مع زوجته بما أمره الله به واجتنب معها كل ما نهاه الله عنه.

- والزوجة تكون من خير الزوجات مع زوجها إذا ائتمرت بما أمرها الله في التعامل مع زوجها، وانتهت عما نهاها الله عنه، وتمثلت ما جاء في السنة النبوية في التعامل مع زوجها، وهي كثيرة، ومن أهمها ما رواه الطبراني في الكبير بسنده عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك**».

وأي صفات في المرأة أحسن من هذه الصفات لتكون من خير الزوجات؛ تتفقد موضع بصر زوجها فلا يرى في شخصها أو بيتها أو في أولاده إلا ما يسره، وتطيعه إذا أمرها في غير معصية وتحفظ غيبته في نفسها وفي ماله؟

● إن الزوجين إذا أدى كل منهما واجبه نحو الآخر، ومارس حقوقه، عاشت الأسرة آمنة مطمئنة، قادرة على الإسهام في الخير، قادرة على كف الشر عن نفسها وعن كل ما يحيط بها، إن تلك هي الحياة الزوجية السعيدة التي يرجوها كل من الزوجين، وهي التي رسم معالمها وأوضح حدودها شرع الله تعالى ونظامه.

• ومن التجارب التى عرفها الإنسان فى حياته، ومن خلال تعرفه كثيراً من المشكلات التى تقع بين الزوجين، أيا كان نوع هذه المشكلات، نفسية أو خُلقية أو فى سلوك أحد الزوجين نحو الآخر سلوكًا لا يرضيه، أو كانت مشكلة مالية أو اجتماعية لها علاقة بالأولاد أو الأقارب أو الجيران، أو كانت مشكلة تسبب فيها نفور أحد الزوجين من الآخر..

فإنى بفضل الله أنظر إليها وأتفحصها واستمع إلى كل طرف فيها ثم أصل بفضل الله وباقتناع كامل أن سبب هذه المشكلة بين الزوجين أن أحدهما أو كليهما لا يتقى الله فى الآخر، وعندما تفارق الإنسان تقوى الله فإنه يقع فى الخلل والخطأ وسوء التعامل، فيغضب الله تعالى بعصيانه فيما أمر به من تقواه سبحانه وتعالى(١).

• ولكم جَرَّبت -والفضل لله تعالى فى نجاح التجربة- أن الحل الأمثل لأى مشكلة من هذه المشكلات مهما تصاعدت ولعب فيها الشيطان فوسوس وزين الشر، ووصل بالمشكلة إلى حافة الطلاق، أن الحل الأمثل هو تقوى الله فى الطرف الآخر.

• ولكم استجاب بفضل الله بعض المتنازعين إلى أن الخلل والخطأ جاء من عدم تقوى الله، فعاد إلى تقوى الله فى الطرف الآخر، فكان الوئام وكان التراضى، وانصرف الشيطان عنهما وقد ذكرا الله واتقياه، وانصرف الشيطان وله ضراط كما وصفه الرسول ﷺ، والحمد لله على انهزام الشيطان.

٣- واجب الأسرة نحو الأبناء:

الأسرة هى المحضن الطبيعى الصحيح الصالح للأبناء منذ مولدهم وإلى أن يستقل كل منهم بحياته الخاصة.

إن الأبناء مسئولية الأبوين مسئولية دنيوية بالرعاية والتربية والتوجيه والتسديد، والمساندة والعون حتى يبلغوا درجة الاستقلال فى حياة خاصة.

كما أن الأبناء مسئولية الأبوين مسئولية دينية أخروية؛ بتبصيرهم بأمور دينهم، وحثهم بل إلزامهم بالتمسك بمبادئ هذا الدين الحق، وقيمه ومبادئه وآدابه.

---

(١) ورد الأمر بالتقوى فى القرآن الكريم اثنتين وثمانين مرة موجهًا إلى الفرد وإلى الجماعة ذكوراً وإناثًا، حتى إن سورة البقرة وحدها اشتملت على ثلاثة عشر أمراً بتقوى الله وسورة المائدة وحدها اشتملت على اثنى عشر أمرًا بتقوى الله.

● ولكل من الأبوين واجبات نحو الأبناء، تلائم ما فطر الله عليه الرجل والمرأة من استعدادات وإمكانات، فكل منهما يتحمل نحو الأبناء المسئولية التى تلائمه.

– فالأم؛ تبدأ مسئوليتها عن أبنائها من يوم تشعر بالحمل خفيفا إلى أن تثقل به، ثم تلده.

وعليها فى هذه الفترة واجبات متنوعة هى:

● أن تشعر بالسعادة والفرح بالحمل، وأن ترحب به، لأن ذلك من أسباب راحة الجنين، ومن أسباب استقراره فى رحم أمه، ومن أسباب استفادته القصوى مما يصل إليه من غذاء، كما يؤكد ذلك علماء طب الأطفال وعلماء النفس.

● ثم تتنوع مسئوليتها بتقدم شهور الحمل ونمو الجنين، حيث يجب عليها رعاية حركتها وجهدها، وامتناعها عن حمل أثقال تجهدها، وربما أدَّت إلى سقوط حملها.

● وعليها أن تحسن تغذية نفسها وأن تهتم بنوعية طعامها وتنويعه كلما أمكنها ذلك؛ لأن ذلك ينعكس على صحة الجنين ونموه وسلامته، كما أكد ذلك علماء طب الأطفال وعلماء التغذية.

● ثم تمتد رعاية الأم لوليدها بمجرد ولادته، تلك الرعاية التى تؤمن له الرضاعة الطبيعية، والتغذية الملائمة كلما تقدم به العمر، حتى يستطيع تناول طعامه بنفسه، وعليها عندئذ أن تختار له من الطعام ما يلائمه مما ينصح به علماء التغذية، مع فطامه فى السن المناسبة.

● ومن رعايتها لوليدها أن تحسن حضانته وتحقق له بهذه الحضانة الإشباع النفسى والجسدى، وتشعره بالأمن والاطمئنان وتغرس فى نفسه الراحة والأمان والثقة.

● وعلى الأم أن تؤهل وليدها للمدرسة وتحببه فيها قبل الذهاب إليها، فيرتاح إلى مدرسته نفسيًا، ويحس نحوها بأنها كأمه فى رعايته والاهتمام به، وربما كان عقد صداقة بالمدرسات فى المدرسة وبإدارة المدرسة عملا بالغ الأهمية حتى لا يشعر الطفل بفجوة بين البيت والمدرسة.

● وعلى الأم أن تؤهل ابنها لأن يصحب أباه فى الذهاب إلى المسجد عندما يستطيع أن يضبط نفسه فى سلوكه وحركاته، ولن يكون هذا التأهيل بشىء أهم من أن تحدثه أمه عن بعض الأنبياء وقصصهم، وأى يرى امه تصلى خاشعة فى صلاتها، وذلك لأن المسجد

عالم مختلف عن البيت، حيث يرى الطفل وجوها عديدة وصفوف صلاة منتظمة وسكونًا وخشوعًا ونظامًا والتزامًا.

ويتعلم من المسجد كيف تكون صلاة الجماعة وماذا يعنى الأذان، وماذا تعنى الإقامة، وماذا تعنى تسوية الصفوف قبل الدخول فى الصلاة، وجعل الصفوف الأولى للرجال ثم الصبيان، ثم النساء إذا لم تكن لهن شرفة خاصة بهن.

ويتعلم الطفل من ذلك ما لا يمكن أن يتعلمه فى البيت أو فى المدرسة، ويتأهل بذلك إلى أن يؤدى ما عليه نحو ربه ونحو نفسه ونحو أهله وجيرانه وزملائه فى المدرسة أو النادى أو أى تجمع يذهب إليه.

هذا واجب الأم نحو ابنها، فإن كانت بنتًا فإن لأمها نحوها واجبات أخرى تناسب أنوثتها، وتطور هذه الأنوثة فى مراحل عمرها وتوعيها فى المحافظة على نفسها، وليس أحسن فى هذه التوعية من ربطها بقيم الإسلام ومبادئه وأخلاقه وآدابه، وليس على الأم فى هذا من مشقة، لأن هذه القيم الإسلامية متلائمة مع فطرة الإنسان وليس فى التمسك بها ما يحرجه أو يشق عليه، ويمتد واجب الأم نحو ابنتها إلى أن تعلمها كيف تستقل بحياتها فى بيت الزوجية لتؤدى ما عليها فيه وتمارس حقوقها فى ظل شرع الله ونظامه.

– وأما الأب فعليه أن يرعى ولده نوعين من الرعاية:

أحدهما:

أن يحسن اختيار أمه فيظفر بذات الدين أولا، فإن كان مع الدين جمال أو مال أو حسب فهذا من فضل الله، وإلا فذات الدين نِعْمَ الأم لولده، وأن يحسن اختيار اسمه.

والآخر:

أن يتعهده بالتوجيه والتسديد والتربية على قيم الإسلام ومبادئه، وأن يحببه فى الخير ويبغضه فى الشر، ولن ينجح فى ذلك ما لم تتمثل فيه قيم الإسلام وفضائله خلقًا وسلوكًا.

والإسلام حافل بالقيم التربوية[١] التى تتناول كل جوانب الشخصية فى الإنسان.

فإذا بلغ الإبناء سبعًا من السنين دربوا على أداء الصلوات وأمروا بها، فإذا بلغوا عشرًا

---

(١) سلسلتنا هذه «مفردات التربية الإسلامية» ذات الحلقات العشر فيها جميع مفردات التربية الإسلامية.

ضربوا إذا تركوا أداءها، وفرق بينهم فى المضاجع، وهكذا تستمر رعاية الوالد لأبنائه حتى يستقلوا عنه.

● وإن مجمل مايجب على الوالدين نحوأبنائهما أن ينشئوهم تنشئة إسلامية، ويجعلوهم مسلمين صالحين.

وعلامات صلاح الأبناء كثيرة منها:

– أن يؤدوا ما فرض الله عليهم، وأن يحسنوا أداء تلك الفروض.

– وأن يلتزموا بالتمسك بالقيم الإسلامية فى كل المواقف.

–وأن يعتزوا بالانتماء إلى الإسلام بعقيدته وعباداته وأخلاقه وألا يتحولوا عن ذلك لأى سبب من الأسباب.

– وأن يشاركوا في الدعوة إلى الدين الحق وأن يتحركوا به في الناس.

– وأن يمارسوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، آمرين أنفسهم ناهينها أولا.

– وأن يعتادوا الجد فى حياتهم الخاصة والأسرية والعامة.

– وأن يعتادوا التضحية من أجل دينهم بكل ما يستطيعون التضحية به من وقت وجهد ومال وعلم ونفس.

– وأن يحرصوا على التعارف والتآلف مع إخوانهم فى العقيدة.

– وأن يهتموا ويشاركوا فى قضايا وطنهم المحلى، ووطنهم العربى ووطنهم الإسلامى، كل بما يستطيع أن يسهم به.

– وأن يهتموا بقضايا إخوانهم فى العقيدة الذين يعيشون أقليات فى كثير من بلدان العالم.

– وأن يعدوا أنفسهم للجهاد فى سبيل الله، كل أنواع الإعداد الذى يقدرون عليه.

– وأن يفتحوا عقولهم وقلوبهم على العالم الموالى لهم، والآخر المعادى لدينهم، ليسلكوا مع كل وفق ما أمرهم الإسلام.

● الأسرة المسلمة عليها أن تربى أبناء هذه صفاتهم وتلك علامات صلاحهم والتزامهم

بدينهم، إنهم جيل النصر الموعود به من رب العالمين، ووعده الحق، ولابد ان يكون، اليوم أو غداً.

ومهما تكاثر أعداء المسلمين وتعاظمت قوتهم، فإن المسلمين منصورون عليهم يومًا غير بعيد، ذلك منطق الإيمان، وما كان له أن يتخلف أبداً ما دامت السموات والأرض، ولنا على ذلك من التاريخ شواهد وأدلة وبراهين، وعلينا أن نتذكر ونتدبر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

وبعد: فإن كل واجبات الأسرة نحو المجتمع داخلة تحت عنوان: «الواجبات الاجتماعية» فما هذه الواجبات؟

ذلك ما نتحدث عنه في الفصل الثالث من هذا الباب، والله سبحانه المُسدِّد المعين.

■■■■

الفصل الثالث

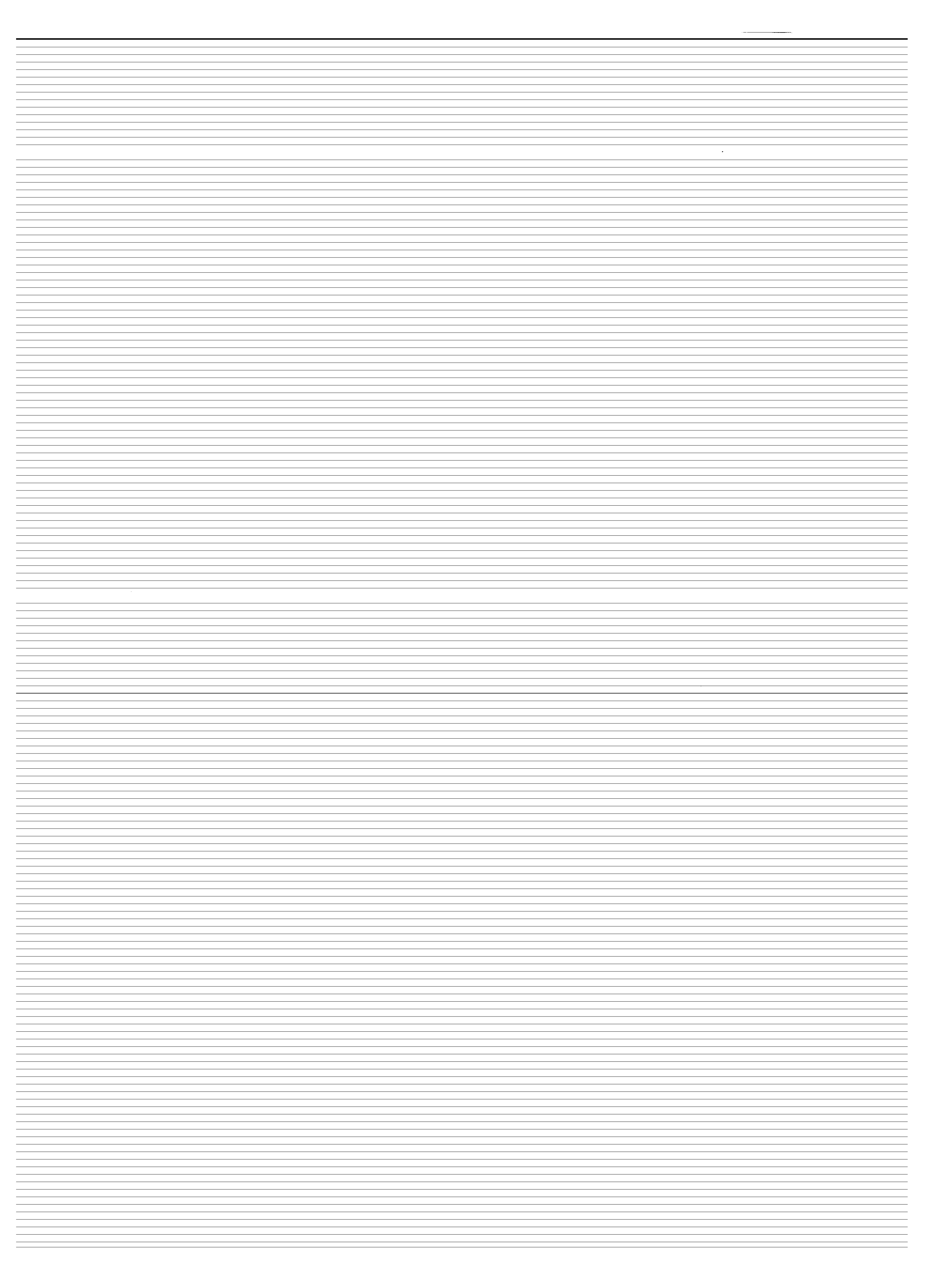
الواجبات الاجتماعية

وتشمل:

١- دفع الأسر والمجتمع إلى ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٢- والمشاركة فى دفع الحاجة عن المحتاجين.

٣- والمشاركة فى الجهاد فى سبيل الله تعالى.



الواجبات الاجتماعية

الواجبات الاجتماعية فى الإسلام كثيرة ومتشعبة، ولها وجود وزخم فى كل مرفق من مرافق التجمع الإنسانى، ولدى كل قبيل من الناس، وفى كل مكان وزمان؛ وذلك أن منهج الإسلام ونظامه لم يَدَعْ مجالا اجتماعيًا فى حياة الناس إلا وكان له فيه رأى وتوجيه وغاية ووسيلة.

● وعلى تعدد مجالات الحياة الاجتماعية وتنوعها فإن الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية لم يترك مجالا منها إلا حدد له هدفًا وغاية يؤدى الوصول إليها إلى استقرار الإنسان فى حياته الاجتماعية وأمنه وتحقيق مصالحه، ودفع الأضرار عنه.

ولا أدعى هنا أنى سأرصد جميع هذه المجالات وأهدافها، فإن ذلك فوق طاقتى وفوق قدرة هذا الكتاب(١)، وإنما حسبى أن أرصد منها أهدافا سبعة لمجالات سبعة، أدَّعى أنها أهم هذه المجالات وأهم هذه الأهداف وهى:

– إحياء سنة التعارف بين الناس، والاختلاط بهم والصبر عليهم، والإسهام فى حل مشكلاتهم وتأمين احتياجاتهم.

– ومقاومة العزلة عن الناس أيا كان سببها، إذ لا مبرر لها شرعًا إلا فى أحوال الفتن.

– واحترام الحقوق التى للآخر، والقيام بالواجبات نحو كل من له واجب نحو الإنسان، بالنسبة للفرد أو المجتمع.

– وإعلاء شأن الأسرة والمجتمع، على اعتبار أن الحياة الإنسانية الراشدة الكريمة تبدأ من الأسرة، وتستمر إلى المجتمع كله.

– والعمل على إخلاء النظم الاجتماعية من كل ما يخالف شرع الله تعالى، لأن هذا هو الأمن الاجتماعى الحقيقى.

– والوصول بالمجتمع المسلم إلى التضامن والتكافل، وما يؤدى إليه ذلك من وئام اجتماعى.

– والعمل على استقرار القيم الإسلامية الاجتماعية فى المجتمع، فإذا استقرت هذه القيم فإن الناس جميعًا يعيشون آمنين متعاونين متضامنين متكافلين، وهذا أقصى ما يطمح إليه مجتمع إنسانى.

---

(١) أفردنا للتربية الاجتماعية الإسلامية كتابًا فى هذه السلسلة هو: التربية الاجتماعية الإسلامية.

● وهذه الأهداف السبعة تمثل تكاملا فيما بينها، بحيث لا يغنى بعضها عن بعض ولا يغنى سواها عنها، وإنما تتشابك وتتضافر وتمثل منظومة دقيقة مستوعبة لكل حاجات المجتمع، بل تعالج كل مشكلات المجتمع.

وما كان لهذه المنظومة أن تتكامل ولا أن تتعاضد إلا لأنها قد جاء بها الدين الحق خاتم الأديان ليطب بها لأمراض البشرية كلها، لأنه الدين التام الكامل الذى رضيه الله للبشرية كلها ديناً ومنهجاً ونظاماً.

● وعند التأمل والتدبر فى هذه الأهداف واحداً واحداً، أو نتدبرها مجتمعة متكاملة نجد الوصول إليها يعني أن يطبق منهج الإسلام على الناس بحذافيره، بل نجد أن تطبيق هذا المنهج واجب شرعاً؛ لأنه قد أمر الله به، ولأنه يجلب للناس مصالح الدنيا والآخرة، ويدفع عنهم مضار الدنيا والآخرة كذلك، ولاغرابة فى أن جعل الله تعالى الالتزام بهذا المنهج واجباً على كل مسلم فرداً أو جماعة، وعلى كل حاكم وكل حكومة، وفى كل زمان وفى كل مكان، لأن الله تعالى لا يوجب إلا ما هو فى صالح الإنسان حاضره ومستقبله ودنياه وآخرته.

بعد هذا التمهيد لهذا الفصل نتساءل قائلين: ما هذه الواجبات الاجتماعية التى فرضها الإسلام فرضاً على المسلمين أفراداً وجماعات وحكاماً وحكومات؟

وما هى تلك الواجبات التى يأثم تاركها إذا كان قادراً على أدائها؟

إنها واجبات اجتماعية عديدة أمكن أن أحصرها فى ثلاثة أعمال لها أهميتها فى الحياة الاجتماعية، فى تصورى، وهى:

- دفع الأسرة والمجتمع إلى ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فذلك تثبيت للخير والفضيلة، ومقاومة للشر والرذيلة، وهذا أكبر إسهام فى بناء المجتمع الصالح.
- والمشاركة الفعالة المعنوية والمادية فى دفع الحاجة عن المحتاجين فى المجتمع المسلم المحلى أو العربى أو الإسلامى، وبذلك يثبت التآخى والمودة بين الناس، ويزول التحاسد والتباغض فيما بينهم.
- والمشاركة فى الجهاد فى سبيل الله تعالى لتكون كلمة الله هى العليا بنشر فقه الجهاد فى المجتمع، والدعوة إليه وإقناع الناس به، وإزالة الشُبه والمفتريات من طريقه، والاستعداد للتضحية من أجله بكل شيء، حتى بالنفس إن دعت إلى ذلك الظروف.

وإلى تفصيل ذلك والله ولى التوفيق.

١ - دفع الأسرة والمجتمع لممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

الإسلام دين إيجابى فاعل مؤثر بمبادئه وبأفراده وجماعاته وحكومته، فالمبدأ فيه يقوم على الحق والعدل، والإحسان، والفرد فيه أو الجماعة أو الحكومة لا يستطيع أن يقف مكتوفًا أو غير مُبالٍ بما يجرى حوله من أعمال وأحداث، وإنما يجد لزامًا عليه أن يعمل ما فى وسعه وأن يتعامل مع هذه الأحداث على مستويين من هذا التعامل :

أحدهما : أن يقر من هذه الأحداث ما هو صحيح، وعلامة صحته أن يحقق للناس مصلحة مشروعة فى الدنيا أو الآخرة، بل عليه أن يشجع على الاستمرار فى هذه الأعمال والتمسك بها.

والآخر : أن يقاوم ما يجرى حوله من أعمال وأحداث لا تتفق مع مبادئ الدين وقيمه، فيغيرها ما استطاع إلى هذا التغيير سبيلاً، فيحاول أن يغيرها بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومقاله، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان.

هذا شأن كل مسلم فى المجتمع الذى يدين بدين الإسلام، ولم يختلف على وجوب ذلك على الأفراد والجماعات والحكومة أحد ممن يعرفون الإسلام ويدينون به.

- وعند التدقيق والتدبر فى هذا الواجب، واجب التغيير نحو الأحسن والأصلح وفق مبادئ الإسلام وقيمه؛ نجد التطبيق العملى لذلك التغيير هو : ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ أى إشاعة الخير فى الناس وتحبيبهم فى فعله وتنفيرهم من الشر، وتشجيعهم على تركه، ومقاومة وجوده فيهم. أى : أطْرهم على الحق -الخير- أطْرًا، ومنعهم من ممارسة أى باطل -شر- قَسْرًا.

وإنما كان ذلك من صميم مبادئ الإسلام وقيمه لكى يعيش الناس آمنين موفورى الكرامة الإنسانية التى كرمهم الله تعالى بها، وأوجب على كل قادر -من حاكم ومحكوم- العمل على توفيرها.

وهذا الدفع والتشجيع للأسرة المسلمة والمجتمع المسلم إلى ممارسة ركن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إنما أوجبه الله لتطهير المجتمع من الشرور وتامينه من الاشرار، ولغرس بذور الخير فى الناس وفى المجتمع، وتشجيع الأخيار.

ونحاول أن نوضح ذلك فى نقاط ثلاث هى :

– توضيح مكانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين أمور الإسلام ومقتضيات الإيمان وشروطه.

– وتحديد توجهات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأهدافهما.

– وبيان آثار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع.

والله تعالى هو المستعان به فى كل أمر.

أ- مكانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإسلام مكانة عظمى بين أركانه وأعماله، لأنه التطبيق العملى لمبادئ الإسلام وقيمه، فهى جميعًا مجموعة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

بل إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ترجمة حقيقية للإيمان والإسلام والعدل والإحسان والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

● ومن الناحية التاريخية عند التحليل والتدبر، نجد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المرتكز على الإيمان بالله ورسوله؛ هو الذى جعل من الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، كما أخبر الله تعالى فى قوله: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...** ﴾ [آل عمران: ١١٠]

فهذه الآية الكريمة تقرر أن الأمة الإسلامية كانت ومازالت خير أمة أخرجت للناس، لا لذاتها ولا لموقعها من الزمان والمكان، ولا لكونها أمة خاتم المرسلين ﷺ، ولكن لتوافر ثلاث صفات فيها هى:

– أن تمارس الأمر بالمعروف فى الناس.

– وأن تمارس النهى عن المنكر فيهم.

– وأن تكون مؤمنة بالله تعالى أى بما انزل على محمد ﷺ.

● هذه الصفات الثلاث توافرت فى أصحاب رسول الله ﷺ فكانوا بها خير أمة أخرجت للناس؛ تأمرهم بالخير وتنهاهم عن الشر، منطلقة فى هذا الأمر والنهى من الإيمان بالله ومنهجه ونظامه.

● والأمة الإسلامية تستطيع دائماً وفى أى زمان ومكان أن تكون خير أمة أخرجت للناس إذا هى اتصفت بهذه الصفات الثلاث.

وفى تفسير هذه الآية ما يؤكد ذلك، فقد ذكر علماء التفسير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله فى تفسير الآية الكريمة: «إن هذه الآية فى خاصة الصحابة ومن صنع صنيعهم».

وعلل بعض العلماء هذه الخيرية للأمة بقولهم: إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة؛ لأن المسلمين منهم أكثر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم أفْشَى.

● والذى نحب أن نؤكده من خلال الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة أن الأمة الإسلامية -بهذا الوصف- لها رسالة إصلاحية تصحيحية فى الحياة الإنسانية كلها،وأنها رسالة ملازمة لها ومستمرة معها مادامت إسلامية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مؤمنة بالله تعالى؛ وذلك أن ذروة الإصلاح لكل ما هو فاسد، وقمة التصحيح لكل ما هو منحرف عن الحق هو ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ لأن ذلك يعنى توصيل الخير للناس وتحبيبهم فيه وحملهم على ذلك كما يعنى كف الشر عن الناس، وتنفيرهم منه، بل منعهم من ممارسته.

ودائرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا حدود لاتساعها ولا وقوف عند مدى تنتهى إليه، حتى إن الأسلاف من العلماء قالوا فى ذلك: يجب أن تأمر بكل معروف كل أحد، ويجب أن تنهى عن كل منكرٍ كل أحد.

● ومن الآيات القرآنية الكريمة التى توضح مكانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإسلام قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فأى مكانة تلك التى يستأهلها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بعد أن أوجبه الله إيجاباً على جماعة قادرة على ممارسته بل فرضه عليها، وهذه الجماعة غير محددة بزمان ولا بمكان ولا بشروط أكثر من الفهم للدين الحق والقدرة على ممارسة هذا العمل.

وتلك الجماعة إن قامت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فائتمر الناس بالمعروف وانتهوا عن المنكر سقط فرض الكفاية عن الآخرين، فإن لم يحدث ذلك ظل الفرض قائماً لازماً لكل قادر على ممارسته، ولن يستطيع المسلمون أن يصلوا إلى الفلاح إلا إذا توافرت فيهم صفات ثلاث حددتها هذه الآية الكريمة، وهى:

– الدعوة إلى كل ما فيه صلاح دينى أو دنيوى للناس.

– والأمر بطاعة الله تعالى وذلك قمة المعروف.

– والنهى عن معصيته سبحانه وتعالى.

إن توافر هذه الصفات فيهم هى التى توصلهم إلى الفلاح أى الفوز وإدراك البُغْية والهدف، وهذا الهدف نوعان:

دنيوى يعنى الظفر بالسعادات التى تطيب بها الحياة الدنيا وهى البقاء والغنى والعز والعلم، وكلها نسبية فى الدنيا.

وأخروى يعنى: بقاءً بلا فناء، وغنىً بلا فقر، وعزًا بلا ذل، وعلمًا بلا جهل، وكلها مطلقة كاملة فى الآخرة.

● ومما يدعم ويؤكد مكانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قوله سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [الحج: ٤١].

وفى الآية الكريمة بيان لمكانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبشارة للمسلمين بأن الله سيمكنهم فى الأرض، وتعليم لهم بأسباب هذا التمكين، وهى أسباب أربعة:

– إقام الصلاة وهى عماد الدين وتنهى عن الفحشاء والمنكر.

– وإيتاء الزكاة وهى تضامن وتكافل بين المسلمين وتطهير للمال ولصاحبه.

– والأمر بالمعروف وهو بذر الخير وجلب المصلحة الدنيوية والأخروية.

– والنهى عن المنكر، وهى درء المفاسد والشرور والقضاء عليهما.

وهذه الأربعة هى شروط التمكين لدين الله فى الأرض، وتوسيد المسلمين المسئولية فى الأرض ليملأوها بمنهج الله ونظامه عدلاً ورحمة ومعانى إنسانية كريمة.

● وإذا تعطل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خسر المسلمون كثيراً وكان من خسارتهم:

– عدم طاعة الله تعالى فيما أمر به من المعروف وما نهى عنه من المنكر.

– وعدم استجابة الله تعالى لدعاء من دعاه ممن ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعدم نصرهم.

- والتعرض لغضب الله ولعنته، كما لعن بنى إسرائيل إذ لم يمتثلوا بآدب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وشروطه، فقد وردت فى ذلك أحاديث نبوية كثيرة منها:

● ما رواه الترمذى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»**.

● وما رواه البيهقى - فى السنن الكبرى- بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ يومًا فعرفتُ فى وجهه أن قد حضره شىء فتوضأ وخرج وما يكلم أحداً، فلصقتُ بالحجرات أسمع ما يقول فقعد على المنبر ثم قال: **«أيها الناس: إن الله عز وجل يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من قبل أن تدعونى فلا أجيبكم، وتسألونى فلا أعطيكم، وتستنصرونى فلا أنصركم»**.

● وما رواه أبو داود بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل؛ كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ..﴾ إلى قوله: ﴿فَاسِقُونَ﴾ ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً»**.

● إن مكانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإسلام تجعله وسيلة من أنجع الوسائل فى التغيير نحو الأحسن والأفضل؛ فقد روى مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**.

وفى رواية أخرى: **«ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**.

● ومن مكانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأهميته، أن القعود عنه وعن ممارسته يستوجب عقابًا عامًا غير قاصر على خاصة من قصر فيه وقعد عنه، فقد روى أحمد بسنده عن عدى بن عميرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذّب الله الخاصة والعامة»**.

وأختم الحديث عن مكانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بكلمة للإمام الغزالى أبى حامد فى موسوعته الإسلامية: «إحياء علوم الدين» حيث يقول: «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة، وهلك العباد...»[1]

وبعد: فهذه مكانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين أعمال الإسلام، وقد تبين لنا أنها أعظم مكانة، فما هى توجهات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأهدافهما؟ ذلك ما نجيب عنه فى الصفحات التالية، والله المستعان.

ب- توجهات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأهدافهما:

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع المسلم لهما توجهات خاصة أو أهداف لا يشاركهما فيها سواهما من أعمال الإسلام، كما اتضح لنا ذلك فى حديثنا عن مكانته.

- فمن توجهات الأمر بالمعروف وأهدافه وشروطه:

- أنه لا يمارسه إلامؤمن مكلف قادر على الأمر والنهى؛ لأنه نصر للدين الحق، ولا ينصر الدين إلا من توافرت فيه هذه الصفات.

- وأنه عمل متدرج يبدأ بالتعريف، ثم بالوعظ، ثم بالكلام اللطيف، ثم التعنيف، ثم المنع بالقهر، ثم الضرب حتى يمتنع.

- وأنه أمر بالخير والبر والصلاح والإصلاح، وكل ما فيه مصلحة دنيوية أو أخروية.

- وألا يؤدى الأمر بالمعروف إلى منكر أو إلى فتنة بين الناس لأنه حينئذ يخرج عن أنه معروف لما يجلبه من ضرر.

- ومن توجهات النهى عن المنكر وأهدافه وشروطه:

- أن يكون الشيء أو الموقف المنكر، منكراً حقًا أى حذر الشرع من الوقوع فيه، ولم يتركه لاجتهاد المجتهدين.

- وأن يكون المنكر موجوداً وقت إنكاره، فلا نهى عن منكر مضى زمن وقوعه، ولا نهى عن منكر لم يقع بعد.

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين ٢/٢٦٩ ط الحلبي - القاهرة دون تاريخ.

– وأن يكون المنكر ظاهراً من غير تجسس، لأن كل من ستر معصيته في داره وأغلق بابه لا يجوز لأحد أن يتجسس عليه.

● والحكم الشرعي في ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد فُصِّل القول فيه، وسوف نوجزه في هذه السطور:

– يرى العلماء بشريعة الإسلام أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكونان فرضاً عينيا –أي كل أحد قادر عليه– في أحوال بعينها، منها:

● أن يرى المنكر من زوجته وأولاه ومن هم في ولايته، فالنهي عن المنكر حينئذ فرض عين عليه.

● وأن يرى الإخلال بواجب شرعي، فعندئذ عليه أن ينهى عنه لأنه منكر بل منكر شديد.

● وأن يرى منكراً لا يراه سواه وهو قادر على منعه أو إزالته.

● وأن يكون الناهي عن المنكر هو والي الحسبة المنوط به النهي عن المنكر.

– وبعض العلماء يضعون قاعدة عامة تشتمل على حكمه فيقولون:

● هو واجب في كل ما يجب فعله، أو يجب تركه، ومندوب في كل ما هو مندوب في فعله أو تركه.

● وأن الأمر بالواجب واجب، والأمر بالنافلة نافلة.

● وأما النهي عن المنكر فكله واجب.

● وللنهي عن المنكر أهداف وتوجهات تؤكد فاعليته في تنقية المجتمع من الشرور والآثام، وفي حصار الأشرار والآثمين في أضيق إطار، وتحديد بل تقييد تحركهم بالشر والإثم، تمهيداً للقضاء على شرورهم وآثامهم.

وتلك الأهداف هي:

– أن يزول المنكر بالنهي عنه، ويخلفه المعروف، وهذا مطلب شرعي.

– وأن يقلّ المنكر إن لم يزل بجملته، وهذا أيضاً من مطالب الإسلام ومن صميم الفضائل.

– أما إن كان النهي عن المنكر يؤدي إلى أن يخلفه منكر مثله، فإن هذا موضوع اجتهاد بين العلماء، بعضهم يراه مطلباً لأن ا لمنكر تغير وإن حل محله منكر ربما كان أقل منه، أو كان ممارسوه أقل عدداً من ممارسي المنكر الذي أزيل، ومنهم من يقول بغير ذلك...

– أما أن يؤدى النهى عن المنكر إلى منكر أشدَّ منه، فهنا يجب التوقف عن النهى عن المنكر بل يعتبر الاستمرار فى النهى عنه حرام لأنه أدى إلى ما أشر منه.

– وبعض العلماء يرون أن النهى عن المنكر مقدم على الأمر بالمعروف وحجتهم فى ذلك أن النهى عن المنكر يدفع مضرة ومفسدة، والأمر بالمعروف يجلب مصلحة، وقد اتفق العلماء على أن دفع المفسدة عن المسلمين أولى من جلب المصلحة لهم.

ومن أجل هذا نجد النهى عن المنكر يتوجه إلى أمور لو حدثت عَمّ ضررها المسلمين مثل:

● احتكار الطعام وغيره من حاجات الناس، وهذا الاحتكار منكر نهى عنه النبى ﷺ، فقد روى ابن ماجه بسنده عن معمر بن عبد الله بن فضلة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحتكر إلا خاطئ»** والاحتكار حبس الطعام ونحوه انتظاراً لارتفاع ثمنه ليكون الربح فيه فاحشاً، والخاطئ هنا هو الآثم العاصى لله، لأنه يستغل حاجة الناس ويلحق بهم الضرر بحبسها عنهم بسعرها المناسب.

وروى ابن ماجة بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ احتكر على المسلمين طعاماً، يضربه الله بالجذام[1] والإفلاس»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الجالب[2] مرزوق والمحتكر ملعون»**.

● ومما يعم به الضرر؛ ترويج ما هو زائف من العملات، فذلك ضرر يحمل غشاً وظلماً وإهدارا للقيمة الحقيقية للعملات وللأشياء وكل ذلك مما حرّم الإسلام، وفى ذلك التحريم للغش وردت نصوص إسلامية عديدة، منها ذلك الحديث الشريف الذى رواه أئمة الحديث وعلماؤه وهو: فى رواية مسلم له بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ غشنا فليس منا»**[3].

---

(١) الجذام: مرض تتآكل منه الأعضاء فى الجسم البشرى وتسقطه.

(٢) أي الذي يجلب الطعام.

(٣) ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجة والدارمى وأحمد مع اختلاف فى الألفاظ لا يغير المعنى. وقد حرم الإسلام الغش على كل المستويات: غش الراعى للرعية، وغش الناس لله تعالى ولكتابه وسنة رسوله، وغش الزوجة لزوجها أو الزوج لزوجته، والغش فى البيوع، وغش القلوب، وقد ورد فى السنة عطف الغش على الخيانة، وورد النهى عن غش القلوب.

● ومما هو منكر يعم ضرره كذلك؛ تطفيف الكيل والميزان، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾

[المطففين: ١-٦]

● ومن المنكر الذى يعم ضرره؛ كتمان عيب فى السلعة عند عرضها للبيع، فقد روى الحاكم بسنده عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل لأحد يبيع بيعًا إلا أن يبين آفته**[1]**، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تنبيهه**».

● ومن المنكر الذى يعم ضرره؛ الثناء على السلعة بما ليس فيها، لما فى ذلك من ظلم وكذب وغش، وكل ذلك مما حرمه الله ورسوله، فقد روى مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة؛ المنَّان**[2]**، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**».

● ومن المنكر الذى يعم ضرره؛ تَلَقِّى الركبان -أى أن يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع، ويكذب فى السعر السائد بالبلد قبل أن يصل البائعون إلى البلد ويعرفوا السعر الحقيقى؛ فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن: التَّلَقِّى وأن يبيع حاضر لباد».

أى نهى عن أن يبيع أحد من سكان الحضر -المدن والقرى- لأحد من أهل البوادى -أى يكون سمسارًا- لما فى ذلك من الغش.

● ومن المنكر الذى يعم ضرره الظلم[3] عمومًا على كل مستوى من مستوياته وكل نوع من أنواعه، ومن أنواع الظلم؛ ظلم بين الإنسان وربه، وأعظمه الشرك والنفاق والكفر، وظلم بينه وبين الناس، وظلم بينه وبين نفسه، وكل هذه الأنواع جاءت فيها آيات قرآنية تحرمها[4]، ومن الأحاديث النبوية فى ذلك، ما رواه البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**».

---

(١) الآفة: العيب.

(٢) المنَّان: الذى يمن على الناس بما قدم إليهم من خدمة.

(٣) الظلم: وضع الشىء فى غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن ثمنه أو مكانه، ومن معانى الظلم مجاوزة الحق فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز.

(٤) من النوع الأول جاء قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣]. ومن الثانى: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [الشورى: ٤٢]. ومن الثالث: ﴿**.. فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ..**﴾ [فاطر: ٣٢].

وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أيها الناس إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»**.

وروى أحمد بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: **«إنى حرمت على نفسى الظلم وعلى عبادى، ألا فلا تظالموا.....»**

وأبلغ الضرر وأعظمه وأفسده للناس وللمجتمعات الإنسانية الظلم بكل أنواعه وعلى كل مستوياته، لذلك كان من المنكر الذى يعم ضرره أكبر عدد من الناس، ما لم يُنْه عنه، بل إن اعتبار الظلم أشد أنواع المنكر ضرراً ليس فيه من المبالغة شيء.

جـ- أثر ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع:

ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عمليًا، تترك أحسن الآثار فى الناس جميعًا، الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، والمامورين بالمعروف المنهيين عن المنكر، أى فى المجتمع كله.

بل إن هذه الممارسة تترك أحسن الآثار فى الدين نفسه، إذ هى: إحياءٌ لفروض الدين وواجباته وآدابه، وإخراج لها من النظرية إلى مجال التطبيق.

وفى هذا وذاك ما فيه من غرس الخير والبر فى الناس، وما فيه من دفع للشر والأذى عنهم، وما فيه من تطهير المجتمع كله من الشرور والآثام.

- وسوف نتحدث عن آثار ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الآمرين الناهين، وفى المامورين المنهيين، وفى المجتمع عمومًا، سائلين الله التوفيق.

أولاً: أثر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الآمرين الناهين:

- عظيم الأجر الذى يحصلون عليه من الله تعالى:

روى أبو داود بسنده عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قول الله تعالى: ﴿..لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ..﴾ [المائدة:١٠٥] فقال: **«يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر، فإذا رأيت شحا مطاعًا وهوى متَّبَعا، ودُنْيا مُؤْثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام، إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم، للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم»** قيل: بل منهم يا رسول الله؟ قال: **«لا، بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانًا ولا يجدون عليه أعوانًا»**. ورواه الترمذى، وابن ماجة.

وفى هذا الحديث الشريف يجعل رسول الله ﷺ للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر فى أى زمان وأى مكان أجْرَ خمسين من الصحابة رضى الله عنه، ويعلل عظم هذا الأجر بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يجدون أعوانًا على ذلك.

- والشجاعة فى إعلان الحق:

الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر مع علمه بما قد يتعرض له من متاعب يواجهه بها الظلمة الذين لا يحبون المعروف ويؤثرون العيش مع شهواتهم وشياطينهم وهم كُثُر. ومع ذلك يمضى الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر غير خائف على رزق أو أجل، فيضرب بذلك المثل فى الشجاعة والقوة فى إحقاق الحق، وفى الامتثال لهدى الرسول الخاتم ﷺ.

فقد روى البيهقى -فى شعب الإيمان- بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ينبغى لامرئ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به، فإنه لن يقدم أجله، ولن يحرمه رزقًا هو له»**.

وروى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بعث الله عز وجل نبيًا إلا وله حواريّون، فيمكث النبى بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره، حتى إذا قَبض الله نبيه؛ مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وسنة نبيهم؛ فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رءوس المنابر، يقولون ما لا يعرفون، ويعملون ما ينكرون، فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وليس وراء ذلك إسلام»**.

- ونيل الشهادة فى سبيل الله تعالى:

الشهادة فى سبيل الله تعالى أعلى درجة ينالها مسلم، وحسبها فضلا أن من نالها غفر له ما تقدم من ذنبه إلا الدَّيْن، وهى كما وصفها الله تعالى: إحدى الحسنيين، إذ يعادلها النصر على أعداء الله تعالى.

هذه الشهادة فى سبيل الله ينالها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتعرض من أجل ذلك للقتل، فكان بذلك من أفضل الشهداء.

روى الحاكم -فى المستدرك- بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل شهداء أمتى رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك، فذلك الشهيد؛ منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر»**[1].

---

(١) يقصد ﷺ حمزة بن عبد المطلب عمّه شهيد أحد، وجعفر بن ابى طالب ابن عمه شهيد مؤتة.

ثانيًا: أثر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المأمورين المنهيين:

- الحصول على خير الدنيا والآخرة عند استجابتهم.

من أُمر بالمعروف فاستجاب لما أُمر به، وامتنع عما نُهى عنه، فهو بهذه الاستجابة قد أطاع الله ورسوله، وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ تعنى الفوز بخير الدنيا والآخرة وهو الفوز العظيم، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٧١].

بل إن طاعة الله ورسوله تلحق الطائع بالنبيين والصديقين والشهداء فى الدرجة والمكانة عند الله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩]، وذلك خير الدنيا والآخرة.

- ومن لم يستجب لما أُمر به من معروف وما نهى عنه من منكر فقد عصى الله ورسوله، ومن عصى الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبينًا، ويدخله الله تعالى نار جهنم ليخلد فيها، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال جل شأنه: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ [الجن: ٢٣].

ومن عصى الله ورسوله خسر دنياه وآخرته، أما خسرانه الدنيا، فذلك أنه بمعصية الله ورسوله سيصبح ضعيفا ذليلاً منكسراً يطمع فيه عدوه ويجتنبه وليه، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [يونس: ٢٧].

وروى أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعثتُ بين يدى الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقى تحت ظل رمحى، وجُعل الذل والصغار على من خالف أمرى، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم**».

ثالثًا: أثر السكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

إذا قعد المسلمون عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كانوا عرضة لعذاب الله تعالى فى الدنيا بهلاكهم وفتنتهم، فقد روى البزار بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله، أتهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال: «**نعم**» قيل: بم يا رسول الله؟ قال: «**بتهاونهم وسكوتهم على معاصى الله تعالى**».

وروى البيهقى - فى شعب الإيمان- بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ : **«أوحى الله تعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها، فقال: يا رب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين، قال: اقلبها عليه وعليهم؛ فإن وجهه لم يتمعَّر فيَّ ساعة قَطُّ».**

وروى ابن حبان بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بئس القوم قومٌ لا يأمرون بالقسط، وبئس القوم قومٌ لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر».**

وروى أحمد بسنده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتَدعُنَّه فلا يستجيب لكم».**

رابعًا: أثر ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع عمومًا:

إن ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يغرس فى المجتمع بذور الخير والبر والتعاون والتضامن والتكافل؛ لأن جوهر الأمر بالمعروف هو كل ما فيه صالح الإنسان، وليس من صالح الإنسان ألا يتعاون على البر والخير والتقوى، وليس من صالحه أن يتضامن ويتكافل مع مَنْ به حاجة؛ لأن ذلك أمان للمجتمع كله وضمان له ضد آفات اجتماعية عديدة.

كما أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ينزع ويخلع عن المجتمع الشرور والآفات والآثام، ويحاصر الأشرار والآثمين؛ وبذلك يتطهر المجتمع من كل ما يعوق تقدمه وارتقاءه ونهوضه وقدرته على ممارسة الحياة الإنسانية الكريمة.

- ولقد أشار الرسول الخاتم ﷺ إلى كثير من الآثار الإيجابية لممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع، كما أشار إلى الآثار السلبية لترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيه، أشار إلى ذلك فى عديد من الأحاديث النبوية الشريفة، نذكر منها:

– روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إياكم والجلوس على الطرقات»** قالوا: مالنا بُدّ، إنما هى مجالسنا نتحدث فيها، قال: **«فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقها»** قالوا: وما حق الطريق؟ قال: **«غض البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر».**

فأى خير للمجتمع أعظم من أن تسوده هذه القيم الفاضلة التى شرح فيها الرسول ﷺ حق الطريق، أو حقوقه وهى:

- غض بصر الناس عن كل ما يغضب الله من العورات، وعن كل ما لا يحب الإنسان أن يطلع عليه غيره من الناس، هل هناك احترام للخصوصية أحسن من ذلك؟

- وكفُّ الأذى وهذا مسئولية الجالسين على الطرقات كما ألزمهم بها الحديث الشريف، وهو عمل إيجابى يحمى الناس من شرور الناس ويؤمنهم فى مغداهم ومراحهم.

- وردّ السلام وذلك أن البدء بالسلام مندوب إليه، أما رد السلام فواجب شرعى، والمعنى ألا ينشغل الجالسون على الطرقات بأحاديثهم عن ردّ السلام وإشاعته بين الناس.

- والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو أكثر حقوق الطريق إيجابية وأقدر هذه الحقوق على إشاعة الخير والبر، وعلى مقاومة الشر والأذى.

- فأى خير للمجتمع أعظم من ذلك.

– وروى الترمذى بسنده عن أم حبيبة رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«كلام ابن آدم كلُّه عَلَيْه لا لَهُ؛ إلاَّ أمراً بالمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو ذكر الله عز وجل».**

والمعنى أن الإنسان محاسب على كل كلمة يقولها، ومدان بها إلا الكلام الذى يعود عليه وعلى المجتمع بالخير والنفع، أو يدفع عنه وعن المجتمع الأذى والشر، فما ذلك الكلام؟

إنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهل هناك أعظم من هذا وأهم عند الله تعالى لمن يجلسون فى الطرقات فيمارسون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

– وروى أحمد بسنده عن عدى بن عميرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة؛ حتى يُرى المنكر بين أظهرهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه».**

وذلك يعنى أن ترك المنكر دون مقاومة ومنع؛ مع القدرة على ذلك جريمة كبيرة تستوجب عقاب الله تعالى ذلك العقاب الذى يتناول الخاصة والعامة الذين مارسوا المنكر والذين سكتوا عنهم فلم يمنعوهم وهم قادرون على ذلك، وهو عقاب واسع الأثر فى المجتمع كله، لأن القادرين تركوا واجبًا أوجبه الله تعالى وهو النهى عن المنكر.

– وروى ابن أبى الدنيا[1] –فى الفرج بعد الشدة– بسنده عن أبى أمامة الباهلى رضى الله

---

(١) هو عبد الله بن محمد عبيد بن أبى الدنيا القرشى الأموى –مولاهم– ولد سنة ٢٠٨هـ وتوفى سنة ٢٨١هـ، حافظ للحديث مكثر من التصنيف، أدب الخليفة المعتضد فى حداثته ثم أدب ابنه المكتفى، كان من خيار الوعاظ وأعرفهم بطبائع الناس، كان مولده ووفاته ببغداد.

عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم»**؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال: **«نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون»** قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: **«كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر»**؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: **«نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون»**! قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: **«كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفًا»**؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: **«نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون، يقول الله تعالى: بى حلفتُ لأتيحنّ لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران»**.

وخلاصة هذا الدرة النبوية الهادية أن ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، يؤدى إلى فتنة تدع الحليم حيران.

وبعد: فتلك آثار ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع كله، وتلك آثار ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع أيضًا.

٢- والمشاركة فى دفع الحاجة عن المحتاجين:

من واجبات المسلم التى أوجبها الله تعالى عليه فلا يجوز له التوقف عن أدائها ولا التقصير فيها، طالما هو حىّ له جسد وجوارح وقدرة على العمل والأداء.

ومن هذه الواجبات أن يشارك غيره فى دفع الحاجة عن المحتاجين، لأن ذلك من قيم الإسلام ومبادئه وأركانه وأسسه، وقد دلت على ذلك آيات القرآن وكلمات السنة النبوية المطهرة.

● فمن آيات القرآن الكريم:

- قوله تبارك وتعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢١٥].

- وقوله تعالى: ﴿ **..وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...** ﴾

[البقرة: ١٧٧]

- وقوله عز وجل: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦].

- وقوله جل شأنه: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]

فهذه الآيات الكريمة وغيرها تتحدث عن الإنفاق في غير الزكاة المفروضة فرضًا، أي الإنفاق للعون والغوث لمن سأل ولمن تعفف عن السؤال من ذوي الحاجة وهم كثرة.

وتلك الآيات تحمل دلالة قوية على أن المسلم لايستطيع أن يعيش سلبيا يتجاهل حاجة المحتاجين من إخوانه في الدين، فإن لم يشارك في دفع حاجة المحتاجين فقد عصى الله تعالى وتنكب طريق الهدى.

● ومن الأحاديث النبوية في هذا المجال:

- روى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ وَسَّع على مكروب كُربة في الدنيا، وسَّع الله عليه كربة في الآخرة، ومَنْ ستر عورة مسلم في الدنيا ستر الله عورته في الآخرة، والله في عون العبد ما كان في عون أخيه».**

- وروى ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة كلهم حقٌ على الله عونه؛ الغازي في سبيل الله، والمكاتب الذي يرد الأداء، والناكح الذي يريد التعفف».**

وإذا كان الله تعالى قد ألزم نفسه عون كل واحد من هؤلاء الثلاثة وأمثالهم، فكيف بالمسلمين الذين يؤمنون بالله تعالى ويعلمون أن العبادات لله باب واسع يقربهم إلى الله تعالى وإلى رضوانه؟

- وروى أحمد بسنده عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«على كل مسلم صدقة»** قال: أفرأيت إن لم يجد؟ قال: **«يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق»** قال: أفرأيت إن لم يستطع أن يفعل؟ قال: **«يأمر بالخير أو بالعدل»** قال: أفرأيت إن لم يستطع أن يفعل؟ قال: **«يمسك عن الشر فإنه له صدقة».**

وغير هذه الأحاديث النبوية كثير مما يحث على التعاون على البر والتقوى، وعلى دفع

الحاجة عن المحتاج، وعلى غوث المستغيث واللهيف، بحيث قد حفلت بها كتب السنة والسيرة النبوية المطهرة.

وبعد: فكل هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تؤكد أن مشاركة المسلم لغيره فى دفع الحاجة عن المحتاجين هى من صميم قيم الإسلام ومبادئه، وهى المجال الخصيب للعمل الذى يرضى الله تبارك وتعالى.

ومجالات المشاركة فى دفع الحاجة عن المحتاجين، فى تصورى ثلاثة مجالات:

- دفع الحاجات المادية والمعنوية عن كل مسلم محتاج.
- ورعاية اليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل.
- والإسهام فى دفع الحاجة عن المسلمين فى الوطن الإسلامى.

وهذا ما نحاول توضيحه سائلين الله العون والتوفيق.

أ- دفع الحاجات المادية والمعنوية عن المسلمين:

ربما كانت الحاجات المعنوية النفسية للإنسان جسده وروحه وعقله وجوارحه موازية للحاجات المادية له.

وفى كثير من الأحيان يكون دفع الحاجة المادية للإنسان أيسر من دفع الحاجة المعنوية النفسية له؛ من أجل ذلك يلزم الإسلام كل من سُئل عن أمرٍ وكان من أهل العلم فيه أن يجيب السائل إذا سُئل، ويحرم عليه أن يكتم علمه، ويهدد من يكتم العلم بأن يلجمه الله بلجام من النار، فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**» غير أن الإجابة عن سؤال السائل وإن كانت واجبة؛ إلاَّ أن الإخلاص فى الإجابة والصدق فيها وصوابها مطلوب شرعًا، ومن لم يفعل ذلك فقد خان سائله وعصى ما أمر به الرسول ﷺ، والخيانة إثم عظيم كالمعصية سواء بسواء.

روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أُفْتِىَ بغير علم كان إثمه على من أفتاه**» وزاد سليمان المهدى فى حديثه: «**ومَنْ أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد فى غيره فقد خانه**».

ومن أجل دفع هذه الحاجة المعنوية -السؤال- عن الإنسان جعل الإسلام نشر العلم واجبًا

على العلماء من المسلمين، حتى يدفع الجهل عنهم وحتى تُقدم إليهم المعرفة وتُيسر لهم الهداية إلى الحق وإلى الصواب.

إن هذه الهداية إلى الحق وإلى الصواب هى العلاج لكل إحساس بالحاجات المعنوية النفسية، لما تحدثه فى نفس الإنسان من طمأنينة ورضا.

روى أبو داود بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«تسمعون ويُسْمع منكم، ويُسْمَع ممن سمع منكم»**.

والمعنى الذى يستهدفه الحديث الشريف هو ضرورة مواصلة نشر العلم بين الناس، سألوا أم لم يسألوا؛ فما بالنا بمن يسأل عن العلم؟ هل يجوز كتمانه عنه؟

وروى أبو داود بسنده عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«نضر الله أمْرأً سمع منا حديثًا فحفظه حتى بلّغه، فربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربَّ حامل فقه ليس بفقيه»**.

وروى أبو داود بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«والله لأن يهدى الله بهداك رجلا واحداً خير لك من حُمُر النَّعم»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذر، لأن تغدو فتُعلِّم آية من كتاب الله؛ خير لك من أن تصلى مائة ركعة، ولأن تغدو فتُعلِّم بابا من العلم يُعمل به أو لم يُعمل خير لك من أن تصلى مائة ركعة»**.

- وكما ألزم الإسلام من يعلم أن يجيب إذا سئل؛ فإنه ألزم من يجهل شيئًا أن يسأل عنه، فجعل طلب العلم لإزالة الجهل فريضة على كل مسلم.

روى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله..»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ من بعض حجره، فدخل المسجد؛ فإذا بحلقتين، إحداهما يقرءون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويُعلِّمون، فقال النبى ﷺ: **«كل على خير؛ هؤلاء يقرءون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويُعلِّمون، وإنما بعثت معلماً، فجلس معهم»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ يوم النحر؛ فقال: «**ليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رُبَّ مبلغ أوعى من سامع**».

وبعد: فهذه حاجات معنوية نفسية وعقلية، وعلى المسلم القادر أن يسد هذه الحاجات عند أخيه وأن يزيل أسبابها، لأنه بذلك يدفع عنه كثيراً من حاجاته المعنوية التى تعترض روحه وعقله وحالته النفسية، وهذا واجبه الذى أوجبه عليه دينه دين الحق خاتم الأديان وأكملها وأتمها.

أما الحاجات المادية التى تعترى حياة المسلم من طعام وشراب ولباس ومأوى، وعُدَّة وسلاح للجهاد فى سبيل الله تعالى؛ فإن مشاركة المسلم فى دفع هذه الحاجات المادية قد أوجبها الإسلام على الفرد والجماعة والمجتمع وحكومة المسلمين، بل جعل ذلك واجب الحكومة على كل حال..

وقد أوجب الإسلام ذلك حماية للمجتمع وتأميناً له من الجريمة بكل أنواعها لأن من يعانى حاجات مادية يكون أقرب إلى الخطأ والجريمة ممن يعانى من حاجة معنوية نفسية، لأن الصبر عن الحاجات المادية أشق وأصعب وأجدر أن يخرج الإنسان عن صوابه.

وقد أوجب الإسلام دفع الحاجات المادية عن الإنسان بما جاء فيه من آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ.

- وما وجبت استجابة المسلم لدفع الحاجة عن أخيه المسلم، إلا لأن بين المسلمين أخوة أوجدها الإسلام وغذاها ودعمها ورعاها، وذلك يفهم من قول الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فبالإسلام صار المسلمون إخواناً فى الدين.

- وتفهم هذه الأخوة بين المسلمين بل يفهم وجوبها والالتزام بها من قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [الحجرات: ١٠].

- ولهذه الأخوة فى الدين حقوق وعليها واجبات.

ومن أوائل هذه الحقوق:

حق المسلم على أخيه المسلم فى أن يكون فى حاجته، أى فى سبيل دفعها وتخليصه

منها، فقد روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»**.

وروى مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين فى توادّهم، وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**.

وروى مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**.

و روى أحمد بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما فى الرأس»**.

وروى البيهقى -فى شعب الإيمان- بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بَسْطُ الوجه وحسن الخُلق»**. ورواه الحاكم وصححه، ورواه الطبرانى فى مكارم الأخلاق.

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أُهْدِى إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: أخى فلان أحوج منى إليه فبعث به إليه، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر، فلم يزل يَبْعَث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة.

وروى أن مسروقًا [1] ادَّان دَيْنًا ثقيلا، وكان على أخيه خيثمة[2] دَيْن، فذهب مسروق فقضى دَيْن خيثمة وهو لا يعلم، وذهب خيثمة فقضى دَيْن مسروق وهو لا يعلم.

● وقد أجمع السلف الصالح رحمهم الله على الحض على المساعدة والسعى فى حاجة

---

(١) هو: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى توفى عام ٦٣هـ. كان من التابعين الثقات من أهل اليمن، وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر بالقضاء منه.

(٢) هو: خيثمة بن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى توفى حوالى سنة ٨٢هـ. قبل ابى وائل الذى توفى سنة ٨٣هـ ولما توفى خيثمة خرج أبو وائل فى جنازته على حمار يبكى واضعا يده على راسه وهو يقول: واعيشاه، واعيشاه.

المسلم دون أن يسأل صاحب الحاجة أحداً ليسد حاجته، واعتبروا ذلك حقًا من حقوق الأخوة فى الدين.

قال أبو سليمان الدارانى[1]: كان لى أخ بالعراق وكنت أجيئه فى النوائب فأقول: أعطنى من مالك شيئًا فكان يلقى إلىّ كيسه فآخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم فقلت: أحتاج إلى شيء، فقال: كم تريد؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبى.

● بل إن الإسلام طالب المسلم بأن يصنع المعروف حتى لو لم يصادف المعروف أهله. فما بالنا بالمعروف يقع من أخيك فى مجال دفع الحاجة عنه؟

روى الدارقطنى بسنده عن على بن الحسين عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: **«اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله، فإن أصبت أهله فهو أهله، وإن لم تصب أهله فأنت أهله»**.

ب- ورعاية اليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل:

وتلك من أهم الواجبات الاجتماعية التى تؤكد حرص الإسلام دين الرحمة على عون كل محتاج أو عاجز عن العمل والكسب، وما من مسلم يمتنع عن دفع الحاجة عن اليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل إلا كان مخالفًا لهدى الإسلام فى العلاقات الاجتماعية الصحيحة بين المسلمين، بل هو بهذا الامتناع معطل لكثير من قيم الإسلام ومبادئه.

إن الإسلام دين الرحمة ونبيه الخاتم نبى الرحمة وهو القائل عن نفسه: **«...وإنما بعثنى الله رحمة للعالمين..»**[2] والقائل: **«أنا محمد وأحمد... ونبى الرحمة..»**[3]

والإسلام دين التعاون والتضامن والتكافل - كما أكدت ذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الخاتم ﷺ - وليس أدل على هذا التكافل من رعاية اليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل.

إن المجتمع المسلم تربط أفراده أخوة فى الدين، وهذه الأخوة -كما أوضحنا لها حقوق وعليها واجبات- ومن حق اليتيم والأرملة والعاجز عن العمل على إخوانه فى الدين وعلى

---

(١) هو: سليمان بن صهيب المحاربى الدارانى توفى سنة ١٢٠هـ ينسب إلى داريا بغوطة دمشق. تابعى ثقة من أهل دمشق ظل قاضيًا ثلاثين سنة.

(٢) جزء من حديث شريف رواه أبو داود بسنده عن سلمان الفارسى رضى الله عنه.

(٣) جزء من حديث شريف رواه مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه.

المجتمع وحكومته، أن يعيش حياة إنسانية كريمة، ومن واجب إخوانه نحوه أن يكفلوه فيدفعوا عنه حاجته.

وقضية الحقوق والواجبات من أهم القضايا التى عنى بها منهج الإسلام وساوى فيها بين الناس، ولم يسمح بنظمه وتشريعاته لمسلم قادر على دفع الحاجة أن ينسحب من أداء هذا الواجب، كما أعطى لصاحب الحاجة الحق فى أن يطالب بسد حاجته، يطالب الحكومة المسلمة أولاً ويطالب المجتمع، بل أباح لصاحب الحاجة عند تعمد إهدار حاجاته أن يقاتل ويكافح، لأنه بذلك القتال يدافع عن إنسانيته وحقه فى الحياة الذى هو حق لا يجوز لحكومة أن تحرمه منه أو تنتقصه.

واليتيم أحد أصحاب هذه الحقوق، والأرملة وكل مسكين، والعاجز عن العمل والكسب، كل أولئك أصحاب حق فى أن يعيشوا آمنين يجدون ما يسد حاجتهم.

أما اليتامى: فإن الإسلام أوصى بهم وأوجب رعايتهم، والبر بهم والإحسان إليهم، وتعظيم حقهم ورفع مكانة من يعولهم، وجزاء من يمسح رأس يتيم هو مرافقة النبى ﷺ فى الجنة.

بكل ذلك وردت آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة نذكر منها:

– قال الله تعالى: ﴿ ..وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ.. ﴾ [البقرة:١٧٧].

– وقال جل وعلا: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ... ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

– وقال عز وجل: ﴿ ...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ.. ﴾ [النساء:٣٦].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة:

– روى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم إنى أحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**».

– وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يُحْسَن إليه، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه**».

– وروى ابن ماجة بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عال**

ثلاثة أيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره، وغدا وراح شاهراً سيفه فى سبيل الله، وكنت أنا وهو فى الجنة أخوين كهاتين أختان وألصق أصبعيه السبَّابة والوسطى».

– وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق، وأكل الربا،وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

وأما الأرامل والمساكين –الذين لا يجدون ما يكفيهم– فإن الإسلام جعل دفع الحاجة عنهم سبباً فى الحصول على الأجر العظيم عند الله تبارك وتعالى.

دلَّت على ذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ ومنها:

– قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٢– ١٦].

– وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨].

– وقوله جل وعلا: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

– وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ..﴾ [البقرة: ٢١٥].

– وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»

– وروى أحمد بسنده عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن الفَرَع[1] قال: «حق، فإن تركته حتى يكون بكراً، فتحمل عليه فى سبيل الله أو تعطيه أرملة خير من أن تذبحه...».

– وروى مالك بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطوَّاف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان» قالوا:

---

(١) الفَرَع اول نتاج الإبل والغنم وكانوا فى الجاهلية يذبحونه لآلهتهم، فنهاهم الإسلام عنه ووجههم إلى تركه للجهاد عليه أو إعطائه للأرملة.

فما المسكين يا رسول الله؟ قال: **«الذى لا يجد غنىً ولا يفطن الناس له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»**.

- وروى أحمد بسنده عن أبى ذرٍّ رضى الله عنه قال: أمرنى خليلى ﷺ بسبع: **أمرنى بحب** المساكين والدنوّ منهم وأمرنى......»

- وروى ابن ماجة بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: أحبوا المساكين فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى دعائه: **«اللهم أحينى مسكينًا وأمتنى مسكينًا، واحشرنى فى زمرة المساكين»**.

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان يدفع الحاجة عن أهل الصدقة وهم أضياف رسول الله ﷺ فى مسجده، فقد كان يرعاهم ويأمر المسلمين برعايتهم، وهم لا يجد الواحد منهم ما يكفيه، وأحيانًا لا يجد قوت يومه.

وكان ﷺ يدفع الحاجة عن بعض المسلمين من فقراء الصحابة ممن كانوا عبيدًا أو مغتربين عن ديارهم أو أهلهم، لأنهم آثروا الهجرة إلى الرسول ﷺ وهجروا ما وراءهم فى ديار الشرك من أهل ومال.

وبعد: فإن دفع الحاجة عن المحتاجين من خلق الإسلام ومن قيمه الثابتة، وقد أوجبها الله على كل مسلم يدفع الحاجة عن أخيه المسلم بكل وسيلة يستطيعها بجسده وجوارحه وعقله وماله وجهده وعمله، أيًا كانت الحاجة مادية أو معنوية.

- ثم إن دفع الحاجة عن المسلمين تقع دائرتها من الأقربين والجيران واليتامى والأرامل، والمساكين، لتشمل كل ذى حاجة فى الوطن الإسلامى كله.

وذلك ما نحاول توضيحه فى الصفحات التالية بعون من الله وتوفيق.

جـ- والإسهام فى دفع الحاجة عن المسلمين فى الوطن الإسلامى، وفى ذلك نقطتان نتحدث عنهما:

الوطن الإسلامى مصطلح يحاول الأعداء أن يطمسوه، وأن يضعوا فى مكانه أى مصطلح إقليمى أو قومى، المهم ألا تظهر كلمة إسلامى، لأن لهم فى ذلك مآرب عدائية وعنصرية واستيطانية تقوم عليها عشرات الأدلة والبراهين، ولا يستطيع إنكارها إلا مغمض العينين عما يكتب بصراحة، أو أصم الأذنين عما يذاع بأصوات عالية.

ومن مبادئ ديننا الخاتم أن المسلمين أمة واحدة؛ ربهم واحد ودينهم واحد ونبيهم واحد هو الخاتم ﷺ، وهم يدٌ واحدة على من سواهم، وتتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم بدخولهم فى الإسلام إخوة فى الدين، ومتساوون فى الحقوق والواجبات.

هذه مسلَّمات بين المسلمين فى كل عصر ومصر، لا ينكرها أو يمارى فيها إلا جاهل بالإسلام، أو مسلم يجهل من دينه ما لابد له أن يعلمه، أو يعلم ولكنه مقصر فى القيام بواجباته، داخل فى مجال معصية الله ورسوله.

ولنتحدث هنا عن نقطتين هامتين:

الأولى: واقع العالم الإسلامى اليوم:

فالوطن الإسلامى اليوم أوسع رقعة منه فى أى وقت مضى، وذلك بفضل الله، ودخول الناس فى دين الله أفواجا، دون قهر أو إكراه، لأنه ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [البقرة:٢٥٦]، والمسلمون اليوم (حسب إحصاء منظمة المؤتمر الإسلامى) سبع وخمسون دولة حتى سنة ٢٠٠١م. وعددهم يربو على ألف ومائتى مليون إنسان -أى خمس سكان العالم-.

والأعداء يحولون بينهم وبين أى اتحاد أو وحدة، ويمنعونهم من التقدم العلمى بأساليب عديدة، ويزرعون فى أوطانهم كل أسباب الفرقة والانقسام والجهل والفقر والتخلف العلمى والتقنى، ولا يستحون أن يحتلوا بعض بلادهم احتلالاً عسكريًا فى عصر يزعم قادته ورؤساؤه أنه قد قضى فيه على الاستعمار البغيض والمستعمرات.

ومن شك فى ذلك فأمامه نماذج عديدة قديمة ووسيطة وحديثة، ولينظر ماذا فعلت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وبلجيكا وما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى فى أوطان المسلمين؟ ولينظر ما فعلته إسرائيل ومن ورائها الغرب والشرق فى فلسطين، وما تفعله فى الضفة الغربية وقطاع غزة اليوم.

ولينظر مافعلته أمريكا فى أفغانستان والعراق، وما تفعله فى السودان والصومال ونيجيريا ومالى وتشاد والنيجر والسنغال والجزائر وتونس ومصر من بلدان إفريقية، وما فعله الغرب كله فى ألبانيا والبوسنة والهرسك وكوسوفو ليرى الإصرار على تفتيت العالم الإسلامى وإفقاره.

● ومن فضل الله تعالى أن خيرات العالم الإسلامى كثيرة ومتنوعة، ومن أبرز هذه النعم الماء العذب والمزروعات والمعادن والنفط، والماس والذهب والنحاس وغير ذلك من المعادن.

غير أن الأعداء خططوا واستعملوا الحيلة حينًا والقوة أحيانًا لتكون هذه الخيرات فى أيديهم وليمنعوا أصحابها منها أويمنحوهم فتاتها، ووقف المسلمون عاجزين عن أن يقاوموا ذلك لأنهم قد أضعفوا فضعفوا، وقد أبعدوا عن التمسك بدينهم فابتعدوا ففقدوا عزة، المسلمين، فطمع فيهم عدوهم المتربص بهم، ففرض عليهم تبعية له فى الاقتصاد والزراعة والصناعة والتعدين واستنباط النفط والمعادن، والسياسة والتعليم، والتقنية والكشف والاختراع[١]، وبخاصة فى مجال صناعة الأسلحة وإنتاجها وامتلاكها، إن الأعداء يعيشون عنصرية بغيضة وتمييزًا لأنفسهم على غيرهم بأسلوب غير إنسانى وغير متحضر، ومن شك فى ذلك فلينظر حوله أيًا كان موقعه من العالم الإسلامى.

إن العالم الإسلامى يبدو – على الرغم من ثروته – كما لو كان يعانى احتياجات عديدة، والحقيقة أنه زاخر بكل ما يسد كل احتياجاته، ولكن تحكم الأعداء فى خيراته هو الذى جعله يبدو كذلك.

● ومن الحقائق أن العالم الإسلامى غنى بالثروات المتعددة وغنى بالعلماء الذين بلغ بعضهم شأنًا عظيمًا على مستوى العالم، غير أن العدو يتحكم فى هذه الثروات، ويتدخل بحيث يجعلها غير كافية للمسلمين ليلجأوا إليه فى القمح والقطن والزيوت والدهون وغيرها، كما يتدخل لدى العلماء فيغريهم بالهجرة إلى الأوطان الغربية، وأولى خطواته فى ذلك أن يضيق عليهم فى أوطانهم الإسلامية ليهاجروا منها، ولا يحتاج ذلك إلى دليل.

ووراء هذا التخطيط وذلك الكيد للمسلمين حكومات ظالمة مستبدة فى معظم بلدان العالم الإسلامى، حكومات يبارك الأعداء ظلمها واستبدادها وأنظمة حكمها الشمولى غير الإنسانى فى كثير من نظمه.

● ولقد كان الوطن الإسلامى على هذا الوضع منذ عقود عشرة أو تزيد، وربما يستمر على ذلك عقودًا أخرى على الرغم من الدعاوى الجوفاء بأن بعض بلدانه تنعم بالحرية

---

(١) أعلم أن عددًا غير قليل من الكتاب يرون فيما أقول تفسيرًا تآمريًا لكل ما يحيط بالعالم الإسلامى!!! لكن عليهم أن يتجردوا من الهوى ثم ينظرون ما يفعل بالمسلمين.

وتعيش أزهى عصور الديمقراطية، وأصحاب هذه الدعاوى يكذبون على أنفسهم لأنهم أعلم الناس بفقد الحرية وفقد الديمقراطية فى ظل هذه الأنظمة الشمولية الغاشمة.

● ولقد عانت الأوطان الإسلامية من سيطرة القوى العالمية على مقدراته كلها يوم كان العالم يتقاسم فيه النفوذ قطبان، أحدهما: ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى الذى انهار والآخر: عالم الغرب أوروبا وأمريكا.

واليوم وقد أصبح العالم بين يدى قطب واحد هو أمريكا فإن معاناته لابد أن تكون أشد، لأن القطب الأوحد لا منافس له، فلابد أن يكون أشد ضراوة وأعنف استبداداً، وهذا الذى تمارسه أمريكا اليوم، فسياستها عنصرية استيطانية تقوم على عداء العالم العربى وتحديه من أجل إسرائيل ولا تستحى أن تصرح بذلك، وعداء العالم الإسلامى الذى اتخذته عدواً تقليدياً، خشية أن يعين العالم العربى على إسرائيل!!!

ولقد اخترقت أمريكا العالمين العربى والإسلامى بقواعدها العسكرية وجيوشها وأسلحتها التدميرية، فخربت أفغانستان والعراق تخريباً أبشع مما فعل التتار، إن الأمريكان اليوم أو إدارة بلادهم وحكومتهم تتار القرن الحادى والعشرين.

إن أمريكا كما دمرت العراق وأفغانستان دمرت هيئة الأمم المتحدة ودمرت مجلس الأمن ودمرت الأعراف والمواثيق الدولية وتحدت الشرعية الدولية وسكان العالم!!!.

● وكلما استيقظت أمة من أمم المسلمين أو حدثت صحوة فى وطن من أوطانه تجمع الأعداء فوقفوا له بالمرصاد يحولون دونها ودون تحقيق أهدافها، وحاصروها سياسياً واقتصادياً وحرموا عليها الطيران فى أجوائها أو الإبحار فى مياهها، فإن انصرفت عن أهدافها فذلك ما يريدون وإلا شنت عليها حرباً بأسلحة الدمار الشامل التى تحرمها على سائر دول العالم وتبيحها لنفسها ولإسرائيل!!!![1].

● وساحة الوطن الإسلامى اليوم[2] مليئة بعشرات الأدلة والبراهين على صحة ما أقول، لا ينكر ذلك إلا الذى يتعامى عن الحق رغباً أو رَهَبًا.

---

(١) إن إجرام أمريكا وتحديها لشعوب العالم عموماً والعالم الإسلامى على وجه الخصوص، قد أُلِّفَتْ فيه الكتب ولكنها لم تستوعبه، ثم يقولون: لماذا يكرهنا العالم؟

(٢) أى فى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجرى ١٤٢٤هـ الموافق للسنوات الأولى من العقد الأول من القرن الحادى والعشرين الميلادى ٢٠٠٣هـ.

– ولدى أكثر من سؤال أطرحه وأعلم أن الإجابة عنه يعرفها كل من يراقب الأحداث والسياسات التى تفرض على الأوطان الإسلامية.

هذه الأسئلة هى:

– ماذا جرى وماذا يجرى اليوم فى الأوطان الإسلامية، أندونيسيا وماليزيا وباكستان وبنجلادش، وأفغانستان والجمهوريات الإسلامية فى آسيا؟

– وماذا جرى وماذا يجرى فى العراق ودول الخليج وشبه الجزيرة العربية واليمن، وسوريا والأردن وفلسطين؟

– وماذا يُدَبَّر للجمهورية الإسلامية فى إيران؟ وسائر البلدان الإسلامية فى آسيا؟

– وماذا جرى وماذا يجرى فى مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا؟

– وماذا جرى وماذا يجرى فى السودان والصومال وأريتريا، والسنغال وتشاد ومالى والنيجر والكاميرون ونيجيريا وغينيا وغينيا بيساو وتوجو والجابون وسائر البلدان الإسلامية فى إفريقيا؟

● إن التزوير فى عدد المسلمين فى أوطانهم طال هيئة الأمم المتحدة، فقللت أعداء المسلمين وكثرت أعداد سواهم!!!.

● والذى يزور أفريقيا – كما فعلتُ – يرى بعينه كذب ما تدعى هيئة الأمم المتحدة فى إحصاءاتها، إن كثيراً من البلدان التى أحصى فيها المسلمون فجعلوهم أقل عدداً يهوله – كما هالنى – كثرة المساجد فى تلك البلاد، ويهوله عدد المصلين فى هذه المساجد نساء ورجالاً، ولقد كانت زيارتى لأفريقيا منذ أكثر من عشرين عامًا من وقتنا هذا، فما بالنا بما عليه تلك البلدان التى زوروا عدد المسلمين فيها بعد أكثر من عقدين من الزمان.

● هذا تصوير موجز لواقع العالم الإسلامى اليوم، وهو غير الذى يرغب فيه المسلمون، ولكنه على الرغم من ذلك، واقع واعد بالخير مع هذه الخيرات وتلك الأعداد التى تبلغ خمس سكان العالم، وليس الواقع السيئ إلا عند الذين تسيطر عليهم روح التشاؤم والاستسلام التى بثها فيهم الأعداء.

هؤلاء المتشائمون أو المستسلمون بعيدون عن الصواب شرعًا لأنه لا يجوز للمسلم أن يتشاءم ولا أن يستسلم لإرادة عدوه وعدو دينه، وبعيدون عن الصواب سياسيًا لأنهم لم يحسنوا قراءة تاريخ الإسلام والمسلمين، أو ربما قراوه من وجهة نظر الأعداء الذين يتعمدون الكذب والتضليل.

والنقطة الثانية: عدد من الحقائق المبشرة في العالم الإسلامي اليوم: وفي القراءة الصحيحة لتاريخ الإسلام والمسلمين لا يغيب عن المتدبر المستبصر عدد عن الحقائق تنفي التشاؤم وتطرد الاستسلام، ومن هذه الحقائق:

أولاً: أن الإسلام الدين الحق الذى ختم الله به الأديان، فقد تعهد سبحانه وتعالى أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ووعد الله تعالى حق وإخباره صدق، وقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [الصف: ٩]، وقال جل شأنه: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾ [الفتح: ٢٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٣].

فظهور الدين الحق الخاتم على سائر الأديان حقيقة قررها الخالق العظيم وشهد على صدقها، وقضى بها ولو كره أى كافر أو أى مشرك.

فكيف يتشاءم بعض المسلمين حين يرون العدو كسب جولة أو جولتين أو ثلاثا فى تاريخ مديد؟

كيف يتشاءم بعض المسلمين، وقد روى مسلم بسنده عن أبيٍّ بن كعب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بشِّر هذه الأمة بالسَّناء، والرفعة، والدين، والنصر، والتمكين فى الأرض؛ فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب»**.

ورواه أحمد وابن حبَّان والبيهقى – فى شعب الإيمان – وتلك بشارة أولى للمسلمين.

ثانياً: إن المسلمين بمقتضى إيمانهم بالله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر هم خير أمة أخرجت للناس، كما وصفهم الله تعالى فى قوله: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وروى ابن ماجة بسنده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنكم وَفَّيْتُم سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ يومًا صلاة فأطال فيها، فلما انصرف قلنا أو قالوا: يارسول الله أطلت اليوم الصلاة؛ قال: **«إنى صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت الله عز وجل لأمتى ثلاثا، فأعطانى اثنتين ورد على واحدة؛**

سألته ألا يُسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألته ألا يهلكهم غرقًا فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فردها عليّ».

فكيف تتشاءم هذه الأمة أو تستسلم لعدو من غير المسلمين؟ أو كيف تنتهى خير أمة أخرجت للناس وأكرم الأمم على الله سبحانه وتعالى؟

إن شيئًا من ذلك لن يكون لأن قول الله تعالى ورسوله ﷺ حق وصدق، وتلك بشارة ثانية.

ثالثًا: من المسلَّم به شرعًا الذى أيدته آيات القرآن الكريم وكلمات المعصوم ﷺ أن الأمة الإسلامية ظاهرة على عدوها منتصرة عليه بوعد الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

إنما أبشر المؤمنين بهذه الآية الكريمة، وأؤكد لهم أن أعداء الله أعداء الإسلام مهما سعوا بالفتنة بين المسلمين ومهما دبروا ومهما انتصروا فى جولة أو جولات فإنه بالقطع سوف يحبط الله تدبيرهم ويظهر الدين وينصر المؤمنين، فقد قال الله تبارك وتعالى عن أمثال هؤلاء الأعداء: ﴿ **لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ [التوبة: ٤٨].

وقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس».**

وروى مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير؛ تكرمة الله لهذه الأمة».**

ورواه أحمد فى مسنده.

وروى أبوداود بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدَّجَّال».** ورواه أحمد والحاكم، وتلك بشارة ثالثة.

رابعًا: إن اليأس من النصر على الأعداء مهما تكاثروا مخالف للإسلام لأن النصر من الله ما دمنا قد أخذنا بأسبابه، وما دام النصر من الله تعالى فإنه لا ييأس من روح الله إلا الكافرون – أعاذنا الله من ذلك – وهذا اليأس مناقض للثقة في الله تعالى أى مناقض للإيمان، وقد كتب الله النصر لعباده المؤمنين، فقال تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: ٤٧]. وقال جل شأنه: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾[غافر: ٥١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [آل عمران: ١٢٦].

ولابد أن يكون فى الأمة الإسلامية فى كل زمان مؤمنون مخلصون يحقق الله على أيديهم النصر ويجعلهم سببًا له، وما على المسلمين، الذين يجرى على أيديهم النصر إلا أن يأخذوا بأسباب النصر ويعدوا له، لقوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عروة البارقى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم**».

والخيل رمز للقوة، ووجوب اتخاذ الأسباب للتقدم العلمى والتقنى فى صناعة آلة الحرب التى تتطور من زمان إلى زمان، والتى لا ينبغى أن يتوقف من أجلها المسلمون عن الإعداد والاستعداد، وتلك بشارة رابعة.

خامسًا: إن المسلمين عندما ينحرف بعضهم أو كثير منهم عن الالتزام بشعب الإيمان، أو بأركان الإسلام وقواعده، فليس معنى ذلك أن الإسلام قد أضير، وإنما معناه أن المسلمين قد ضعفوا بسبب هذا الابتعاد عن الإسلام منهجه وقيمه، وقد أخبر الرسول الخاتم ﷺ بأن ذلك قد يحدث، وأخبر بأن الله تعالى سيدبر الأمر ويهيئ من يتصدى للدعوة إلى الدين الحق، فيجدد للناس ما درس فى نفوسهم من أمور دينهم.

فقد روى أبوداود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**» وذلك أن الأمة الإسلامية – بهذا الدين الحق التام الكامل – لا بد أن تكون ولادة للمصلحين المجددين لأمور الدين، الذين يمارسون الدعوة والحركة بهذا الدين ويجاهدون فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

والذى يحسن قراءة تاريخ الأمة الإسلامية يجده حافلاً بهؤلاء المصلحين المجددين فى كل قرن، ويدرك أن المسلمين فى ازدياد ونمو فى كل قرن عما كان قبله، وأنهم إن سُبقوا مرة فلابد أن يسبقوا مرات، وفى سبقهم ثراء للبشرية كلها فى علمها وفنها وحضارتها، وذلك ما اعترف به المنصفون من الباحثين الغربيين.

وما أُحب أن أؤكده – بعد تجول فى كثير من بلدان العالم الإسلامى – أن العصر الذى نعيشه الآن به كثير من المصلحين المجددين، وكثيرمن العلماء، وكثير من أهل البذل والتضحية والفداء، وهم بفضل من الله من أسباب النصر، فليطمئن أولئك المتشائمون وليدعوا التشاؤم، وليثق المستسلمون بنصر الله وتأييده، وليصبروا ويصابروا ويرابطوا ويتقوا الله.

وتلك بشارة خامسة.

سادسًا: إن إحسان قراءة التاريخ الإسلامى يؤكد للمتدبر الواعى أن أمل البشرية فى التخلص من أوجاعها وآلامها وتسلط الظالمين عليها، وسيطرة أصحاب الهوى والشهوات، ومنتجى أسلحة الدمار الشامل، والذين لم يتورعوا عن استعمال القنابل الذرية فى هيروشيما ونجازاكى، أمل البشرية فى التخلص من المستوطنين الجدد والعنصريين ومجرمى الحروب والذين تحتل جيوشهم البلاد والعباد، أمل البشرية فى ذلك لن يكون إلا من خلال تطبيق منهج الدين الحق الذى رضيه الله تعالى للبشرية كلها دينًا، ذلك المنهج الذى لا يسمح بأن يقع الظلم على أى أحد حتى لو كان مشركًا أو وثنيًا، لأن الله تعالى حرّم الظلم على نفسه وحرّمه على خلقه.

إنه المنهج الذى كرّم الإنسان وحافظ على حياته، وحرّم قتله إلا بالحق جزاء عادلاً على جرائم معينة ارتكبها، فما بالنا بالذين يمارسون التدمير للإنسان بأفتك أنواع الأسلحة؟

إنه المنهج الذى يؤثر حياة الإنسان لعله يهتدى إلى الدين الحق فيدخله طائعًا مختاراً فيصبح إضافة للمسلمين.

والرسول ﷺ وضع لهداية الناس الأساس الأصيل، واستبعد تمامًا قتلهم وإبادتهم.

روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أَشَدَّ عليك من يوم أُحُد؟ قال: **«لقد لَقِيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن كُلال، فلم يجبنى إلى ما أردت**

فانطلقت - وأنا مهموم - على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب؛ فرفعتُ رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال: يامحمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1]، فقال النبى ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

ذلك هو الحرص على هداية الناس على الرغم مما أساءوا إلى النبى ﷺ!!! فلم يدع عليهم، ولم يوافق على أن يطبق ملك الجبال عليهم الأخشبين فيدمرهم كما تفعل أمريكا فى أفغانستان والعراق، وكما يفعل اتحاد روسيا فى الشيشان والجمهوريات الإسلامية فى آسيا، وكما يفعل كثير من بلدان أوروبا فى البلدان التى تستوطنها على الرغم من أهلها فى إفريقيا. وإنما حلم عليهم وصبر وتمنى أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى!!!

وروى أبوداود بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والله لأَنْ الله يُهدى بهداك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النَّعَم»**.

هذا هو الإسلام وتلك سماحته واحترامه وتقديره للإنسان، والدين الذى هذه صفاته لابد أن يسود وأن ينتصر أهله على السفاحين الذين يقتلون الناس بأسلحة الدمار الشامل.

إنهم منتصرون على هؤلاء الوحوش الأوغاد المخربين المدمرين للإنسان وللإنسانية، فى معركة مقبلة يعلم زمنها الخالق العظيم سبحانه وتعالى، لأنه وعد بذلك ووعده الحق.

وهذه بشارة سادسة.

سابعًا: وعند تدبر تاريخ المسلمين نستطيع أن نؤكد أن المسلمين الذين استطاعوا إخراج الصليبيين - كما سموا أنفسهم - من القدس وفلسطين ولبنان والشام بعد أن بقوا فى القدس تسعين عامًا وفى فلسطين والشام مائتى عام، أحفاد هؤلاء المسلمين يستطيعون بفضل الله إخراج إسرائيل من فلسطين، وتنحية أمريكا عن عرشها الظالم وسلطانها الغاشم وإخراجها من أفغانستان والعراق. وتلك سنة الله فى الذين خلوا من قبل، وكان وسيظل أمر الله قدراً مقدوراً.

وتلك بشارة سابعة، وما أكثر البشارات التى يحملها دين الحق فى ثناياه ومنهجه وقيمه.

---

(١) الأخشبان: جبلان يحيطان بمكة هما أبوقبيس والأحمر، وجبلان بمنى.

وبعد: فإن دفع الحاجة عن الوطن الإسلامى التى هى واجب كل مسلم قادر، إنما تكون بالإسهام فى إحداث نهضة علمية تقنية كل فيما يخصه، ويجيد فيه، ونهضة اقتصادية تتضافر فيها جهود أصحاب الأموال والتجارات والاستثمارات، وعلماء التربية كل فى تخصصه، ورجال الصناعة وخبراء الزراعة وعلماء التعدين والتعامل مع ما فى باطن الأرض، وعلماء المياه عذبها وملحها، وكل عالم أو خبير فى مجاله يسهم بما يستطيع أن يقدمه لأى وطن إسلامى.

وكل ذلك يحتاج إلى بحوث ودراسات وندوات ومؤتمرات للتعرف على ما يستطيع أن يقدمه الأفراد والجماعات والحكومات من خدمات علمية وفنية ومالية للوطن الإسلامى.

وهذا العمل واجب وإلا تساقطت الأوطان الإسلامية فى أيدى المرابين المخربين الذين يغالون فى إبادة الإنسان باسم الديمقراطية حينًا وباسم التحضر حينًا آخر!!!

وكل ذلك جهاد بل أنواع من الجهاد فرضها الله على المسلمين لحماية أنفسهم وأوطانهم من وحوش القرن الحادى والعشرين الطغاة المتجبرين الذين يتجاهلون مصائر فرعون وهامان وقارون، وكل طاغية مستبد غرته قوته فتعالى وتكبر وقال: إنما أوتيته على علم عندى متناسيًا ما قاله الله لقارون يوم قيل له: ﴿ **وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** (٧٧) **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [القصص: ٧٧، ٧٨].

ثم كانت النتيجة ما أخبر الله به فى قوله تعالى عن قارون: ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ** ﴾ [القصص: ٨١].

والقاعدة الإلهية العامة فى التعامل مع المفسدين الذين يدمرون بلاد الله بأسلحة الدمار الشامل هى قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [القصص: ٨٣].

ألا ليتهم يفيقون قبل فوات الأوان وقبل أن تطبق عليهم سنن الله فى الذين خلوا من قبلهم، فلو اهتدوا إلى الله وإلى الدين الحق لكان خيرًا لهم ولنا معشر المسلمين وللناس عمومًا، ولا ندعو عليهم وإنما ندعو الله لهم بالهداية، إنه على ما يشاء قدير.

فكيف يجاهد المسلمون مشاركين إخوانهم فى هذا الجهاد فى سبيل الله الذى لا يتوقف أبدًا، ولا يحول بين المسلمين وبينه جور جائر ولا عدل عادل.

إن الحقيقة الناصعة فى ممارسة الجهاد فى سبيل الله[1] هى:

إما أن يجاهد المسلمون فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وإما أن يضيعوا فيخسروا دنياهم وأخراهم.

٣- والمشاركة فى الجهاد فى سبيل الله تعالى:

الجهاد فى سبيل الله تعالى لتكون كلمة الله هى العليا فرضه الله على المسلمين جميعًا، كل قادر على نوع منه فهو فرض عليه سواء أكان فرضًا عينيًا أم كفائيًا.

والأمة الإسلامية أمة مجاهدة لا تتوقف عن الجهاد لأى سبب كان، تجاهد مع كل أمير برٍّ أو فاجر، وتجاهد كل أنواع الجهاد، وفى شتى ميادينه.

وقد أخبر المعصوم ﷺ عن أن سياحة أمته الجهاد فى سبيل الله، فقد روى أبوداود بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رجلاً قال: يارسول الله، ائذن لى فى السياحة. قال النبى ﷺ: «إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله تعالى».

وروى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ولكل نبى رهبانية، ورهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله عز وجل».

وحسب الجهاد شرفًا بين العبادات أنه ذروة سنام الإسلام كله، كما جاء ذلك فى سنة النبى ﷺ.

والحديث عن الجهاد فى سبيل الله تعالى قد أفردت له كتابًا قائمًا بذاته - كما ذكرت - آنفا، لكن حديثى عن الجهاد فى هذا المجال مقصور على وجوب المشاركة فى الجهاد فى سبيل الله تعالى.

وهذه المشاركة يتفرع الحديث فيها إلى ثلاث نقاط هى:

العمل على نشر فقه الجهاد فى المجتمع.

والإسهام فى الدعوة للجهاد والرباط فى سبيل الله.

والاستعداد للتضحية فى الجهاد فى سبيل الله.

---

(١) أفردنا للجهاد فى سبيل الله كتابًا من هذه السلسلة هو: التربية الجهادية الإسلامية. صدر عن دار التوزيع فى سنة ١٤٢٤هـ - الموافقة لسنة ٢٠٠٣م.

أ- العمل على نشر فقه الجهاد فى المجتمع:

الأمة المسلمة أمة مجاهدة، والأسرة المسلمة أسرة مجاهدة، والفرد المسلم مجاهد بجسده وعقله وجوارحه، وكل أنواع الجهاد واجبة على هؤلاء جميعًا - كما أوضحنا - ولكى يشارك المسلم فى الجهاد يجب أن يكون على علم بالجهاد؛ أحكامه وشروطه وآدابه، ومن هنا كان لابد من نشر فقه الجهاد فى الناس.

● وإنما كان الجهاد فى سبيل الله على هذا القدر من المنزلة العالية الرفيعة لأنه حياة الأمة الإسلامية وإحدى وسائل التعبير عن إحقاق الحق وإبطال الباطل بحيث لا يعبد إلا الله تعالى وحده لا شريك له.

وحياة الأمة الإسلامية تتكامل بعملين عظيمين:

أحدهما: رد أى عدوان يقع على الإسلام أو المسلمين، والعدوان على الإسلام له صور عديدة من أبرزها تشويه منهجه ونظامه، واتهامه ووصفه بما لا يليق، والعدوان على المسلمين يشمل العدوان على أنفسهم وذويهم وأعراضهم وأموالهم وأوطانهم وما يملكون.

والآخر: تأمين طريق الدعوة إلى الله والحركة بالدين ليصل الدين إلى جميع ما يمكن الوصول إليه من جهات وما يمكن الوصول إليهم من ناس.

● أما ردّ العدوان الذى يقع على الإسلام أو المسلمين أفراداً وأوطانًا ومصالح، فإنه يحتاج إلى أنواع عديدة من الجهاد، جهاد بالكلمة واللسان والبحث العلمى الذى يفند مزاعم الأعداء ضد الإسلام؛ كتابه وسنته ومنهجه ونظامه وقيمه وآدابه.

- وجهاد بالمال والعتاد لسد احتياجات المجاهدين من سلاح وآلة عسكرية تمكن المقاتلين من النصر.

- وجهاد بتخذيل العدو، وإبطال خططه، وكشف مؤامراته وإفشال أعماله وتشتيت أهدافه.

- وجهاد بالنفس والقوة الجسدية أى القتال كرًّا وفرًّا واشتباكًا فى كل زمان بما يلائمه من آلة وعتاد، وهذا النوع من الجهاد يحتاج أكثر من غيره من الأنواع إلى إعداد واستعداد وأخذ بكل الأسباب المتاحة.

● وبكل هذه الأنواع من الجهاد جاءت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، وقد

جمعت معظم هذه الأنواع فى حديث نبوى واحد، فقد روى أبوداود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»** وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التى طالبت المسلمين بإعداد القوة وإرهاب العدو، وأخذ الحذر والصبر والثبات أمام العدو، وانتقاء أنسب الآلات الحربية وأجداها وأكثرها تطوراً، وطاعة القيادة فى غير معصية لله، واليقين بأن التولى عن العدو من أكبر الكبائر، بل سماه الرسول ﷺ من الموبقات ما لم يكن المتولى متحرفًا لقتال أو متحيزاً لفئة من المسلمين.

- وكل ذلك لن يؤدى على وجهه الصحيح ما لم ينتشر فقه الجهاد فى الناس وتعرف أحكام الجهاد وشروطه وآدابه وإن إشاعة هذا الفقه عن الجهاد مكملة للجهاد، فهى واجب كوجوب الجهاد.

- وإحياء فقه الجهاد فى المجتمع يقتضى أن ينشر رب الأسرة هذا الفقه فى أسرته، وأن يتحدث فيه مع جيرانه وزملائه وشركائه فى أى عمل.

وعدته فى ذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ الواردة فى الجهاد[١].

فآيات القرآن الكريم معروفة، بل مجموعة فى كثير من الكتب القديمة والحديثة، وأحاديث النبى ﷺ فى الجهاد أرشح لها كتاب «سنن أبى داود» فقد جاء فيه تحت عنوان: «كتاب الجهاد» مائة واثنان وثمانون باباً، جمع فيها ثلاثمائة حديث وأحد عشر حديثًا، وهو أيسر تناولاً من سواه من كتب السنة النبوية المطهرة[٢].

وسنن أبى داود قال عنه أبو سليمان الخطابى (٣١٩ - ٣٨٨هـ)[٣]: «كتاب السنن لأبى داود كتاب شريف لم يصنف فى علم الدين كتاب مثله».

وقال عنه ابن القيم (٦٩١ - ٧٥١هـ): «إنه جمع شمل أحاديث الأحكام ورتبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام مع انتقائها أحسن انتقاء، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء».

---

(١) جميع كتب السنة مدون فيها كتاب أو باب للجهاد فى سبيل الله، وكذلك كتب الفقه الإسلامى فى كل مذهب من المذاهب المعروفة.

(٢) نشر بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد بتحقيق وتعليق ط السعادة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

(٣) الخطابى هو حمد بن محمد أبوسليمان فقيه محدث مؤلف من بست من بلاد كابل.

ب- والإسهام فى الدعوة للجهاد والرباط فى سبيل الله :

الجهاد فى سبيل الله - كما قلنا آنفًا - عبادة يتقرب بها إلى الله وينال بها ثوابه، وله فى الإسلام فضله، وللشهداء فى الجهاد أعلى منزلة وأرفع مكانة، ولأن ترك الجهاد إثم ومعصية بل كبيرة من الكبائر؛ لذلك كانت الدعوة إلى الجهاد كالدعوة إلى سائر فروض الإسلام.

ولولا الدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله والمرابطة فى الثغور والحدود لقعد الناس عن ذلك، ولترتب على هذا القعود ذهاب ريح المسلمين وضياع دولتهم وطمع أعدائهم فيهم، وكل ذلك يلحق أبلغ الضرر بالمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم.

- والدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله والمرابطة فى الحدود وحراستها أى حماية المسلين من عدوان متوقع واجب شرعى كذلك، لأن الرباط قد لا يحدث فيه قتال إذا لم يعتد أحد على المسلمين وبلدانهم ومع ذلك فهو جهاد وهو واجب.

روى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من رابط ليلة فى سبيل الله سبحانه كانت كألف ليلة صيامها وقيامها»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ مات مرابطًا فى سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح الذى كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمنًا من الفزع»**.

وروى الترمذى بسنده عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«كل ميِّت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطًا فى سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر»**.

- والحراسة فى سبيل الله جهاد وعمل قد حبب فيه الرسول ﷺ، وهى واجبة فى الحرب وفى السلم على السواء؛ لما فيه من تأمين المسلمين وحمايتهم من أعدائهم.

ومن أجل هذه الحراسة شرعت فى الحرب صلاة الخوف بحيث يصلى نصف الجيش خلف الإمام نصف الصلاة، بينما النصف الآخر من الجيش يحرس المسلمين، ثم يأتى النصف الذى كان يحرس فيصلى ويحرس النصف الذى صلى، وهكذا، حتى لا يؤخذ المسلمون من عدوهم وهم يصلون.

وأما فى السلم فإن أوطان المسلمين لها حدود يجب أن تحمى ولهم أعداء يجب أن يُحذروا وألا يؤتى المسلمون من قبلهم.

● والحراسة حربًا وسلمًا داخلة فى الجهاد فى سبيل الله، ولها فضل لا يقل عن فضله، وفيها وفى فضلها وفى ثواب من يحرس فى سبيل الله وردت أحاديث نبوية عديدة نذكر منها:

– ما رواه الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«عينان لا تمسهما النار؛ عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله»**.

– وروى أبوداود بسنده عن سهل بن الحنظلية رضى الله عنه أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فاطنبوا السير، حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس، فقال يارسول الله: إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: **«تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله»** ثم قال: **«مَن يحرسنا الليلة؟»** قال أنس بن أبى مرثد الغنوى – رضى الله عنه –: أنا يارسول الله، قال: **«فاركب»** فركب فرسًا له، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه، ولا نُغَرَنَّ من قبلك الليلة»** فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مُصلاه فركع ركعتين ثم قال: **«هل أحسستم فارسكم؟»** فقالوا: يارسول الله ما أحسسناه، فُثّوب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يُصلى وهو يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته سلم، قال: **«أبشروا فقد جاءكم فارسكم»** فجعلنا ننظر من خلال الشجر فى الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: إنى انطلقت حتى كنت فى أعلى هذا الشعب حيث أمرنى رسول الله ﷺ، فلما أصبحتُ اطلعتُ الشعبين (كليهما) فنظرت فلم أجد أحداً، فقال له رسول الله ﷺ: **«هل نزلت الليلة؟»** قال: لا، إلا مصليًا أو قاضيًا حاجة، فقال له رسول الله ﷺ: **«قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها»**.

● إن تامين الوطن الإسلامى عمومًا وحراسته وتامين حدوده وثغوره واجب كل مسلم، يقوم به بنفسه أو بغيره، أو يدعو إليه، ويقنع سواه بضرورته وأهميته.

جـ- والاستعداد للتضحية فى الجهاد فى سبيل الله:

على كل مسلم ان يكون مستعداً للتضحية بروحه وجسده وجوارحه وجهده من أجل المشاركة فى الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وذلك ان المسلمين جميعًا يؤمنون بعدد من المسلّمات فى هذا المجال الجهادى، وهى:

- لا جهاد فى سبيل الله بغير نية وإخلاص.

- ولا جهاد بغير تضحية، وعلى قدر الجهاد تكون التضحية.

- والتضحية هى بذل النفس والمال والجهد والوقت وكل شئ فى سبيل الدين الحق لتكون كلمة الله هى العليا.

- وبالتضحية والجهاد يفتدى كل غال عزيز، الدين والوطن والأهل والولد والمال والعرض.

- وبغير التضحية لا يستطيع المسلمون أن يدافعوا عن دينهم أو يدفعوا أى عدوان يقع عليهم من أعدائهم.

● والاستعداد للتضحية يعنى: تهيئة الروح والعقل والجسد للقيام بكل عمل يتطلبه الجهاد فى سبيل الله تعالي؛ فالتضحية مطلب دينى وطنى سياسى اجتماعى ثقافى حضارى لا حياة كريمة للإنسان إلا بها.

● وقد طالب الإسلام فى الجهاد بالتضحية بالنفس والمال فى آيات قرآنية عديدة منها:

- قوله تبارك وتعالي: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١].

- وقوله تعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٤].

- وقوله عز وجل: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٧، ١٥٨].

● وطالب الإسلام بعد التضحية بالمال والنفس - وهى أهم أنواع التضحية - بالتضحية بالعلاقات الاجتماعية قرابة أو صداقة أو ولاء، من أجل هذا الدين الحق والجهاد فى سبيله.

● ففى التضحية بالعلاقات الاجتماعية الحميمة من أجل الدين الحق؛ قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ

اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾
[التوبة: ٢٣، ٢٤].

● وفى التضحية بالصداقات والولاءات من أجل الدين الحق؛ قال الله تعالى: **﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾** [المجادلة: ٢٢].

● والتضحية بكل أنواعها التى ذكرنا والتى لم نذكر هى سخاء وكرم من المضحى وتقرب بذلك إلى الله تعالى، وهى تضحية من أجل الدين، والدين لا يصلح له شئ كما يصلح السخاء وحسن الخلق.

والدين الحق مفهوم شامل يتناول كل عزيز مقدَّر فى حياة الإنسان من: وطن وأهل وولد وعشيرة وعرض ومال، وكل عزيز وغال، وقد بصَّرنا الله تعالى بأن هذا الدين الحق هو أغلى ما يجب أن يعتز به الإنسان، فقد روى البيهقى - فى شعب الإيمان - بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: إن هذا الدين أرتضيه لنفسى، ولن يصلح له إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه»** والسخاء تضحية، وحسن الخلق دعم للتضحية وتعزيز لها عند التأمل والتدبر.

● والتضحية بكل أنواعها تحتاج الإخلاص لله تعالى وحسن التوجه بالعمل الصالح إلى وجهه الكريم، كما تحتاج صبراً على البذل والعطاء، ومقاومة للشيطان الذى يدعو إلى البخل والشح ويخوف الناس من الفقر لو بذلوا وضحوا، وصدق الله العظيم: **﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾**
[البقرة: ٢٦٨].

والناس مع هذا الإخلاص فى التضحية أصناف ثلاثة تحدث عنهم المعصوم ﷺ فى حديث جامع؛ فقد روى البيهقى - فى السنن الكبرى - بسنده عن عتبة بن عبد السلمى رضى الله عنه - وكانت له صحبة - أن رسول الله ﷺ قال: **«القتلى ثلاثة:**

رجل مؤمن خرج بنفسه وماله، فلقى العدو فقاتل، حتى يقتل، فذلك الممتحن فى خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة.

ورجل مؤمن فَرِق[1] على نفسه من الذنوب والخطايا، لقى العدو فقاتل حتى يقتل فتلك مصمصة[2] تحت ذنوبه وخطاياه، إن السيف مَحَّاء للخطايا، وقيل له: ادخل من أى أبواب الجنة الثمانية شئت، فإنها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب بعضها أفضل من بعض - يعنى أبواب الجنة-.

ورجل منافق خرج بنفسه وماله، فقاتل حتى يقتل فذاك فى النار، وإن السيف لا يمحو النفاق»[3].

وبعد: فأرجو أن أكون قد أوضحت فى هذا الفصل الثالث الواجبات الاجتماعية الإسلامية التى أوجبها الإسلام على الإنسان روحًا وعقلاً وجسداً وجوارح، من أجل هذا الدين الحق.

ولا تكتمل هذه الواجبات الإسلامية إلا بتوضيح الواجبات السياسية على المسلم روحه وعقله وجسده وجوارحه، وذلك ما نتحدث عنه فى الفصل الرابع الأخير من هذا الباب، وبه ننهى الحديث فى هذا الكتاب، والله المستعان.

■■■■

---

(١) الفرق: الخوف.

(٢) مصمصة: أى تمتص ذنوبه وتسقطها عنه.

(٣) والمعنى: أن الموت بالسيف لا يمحو النفاق عن المنافق.

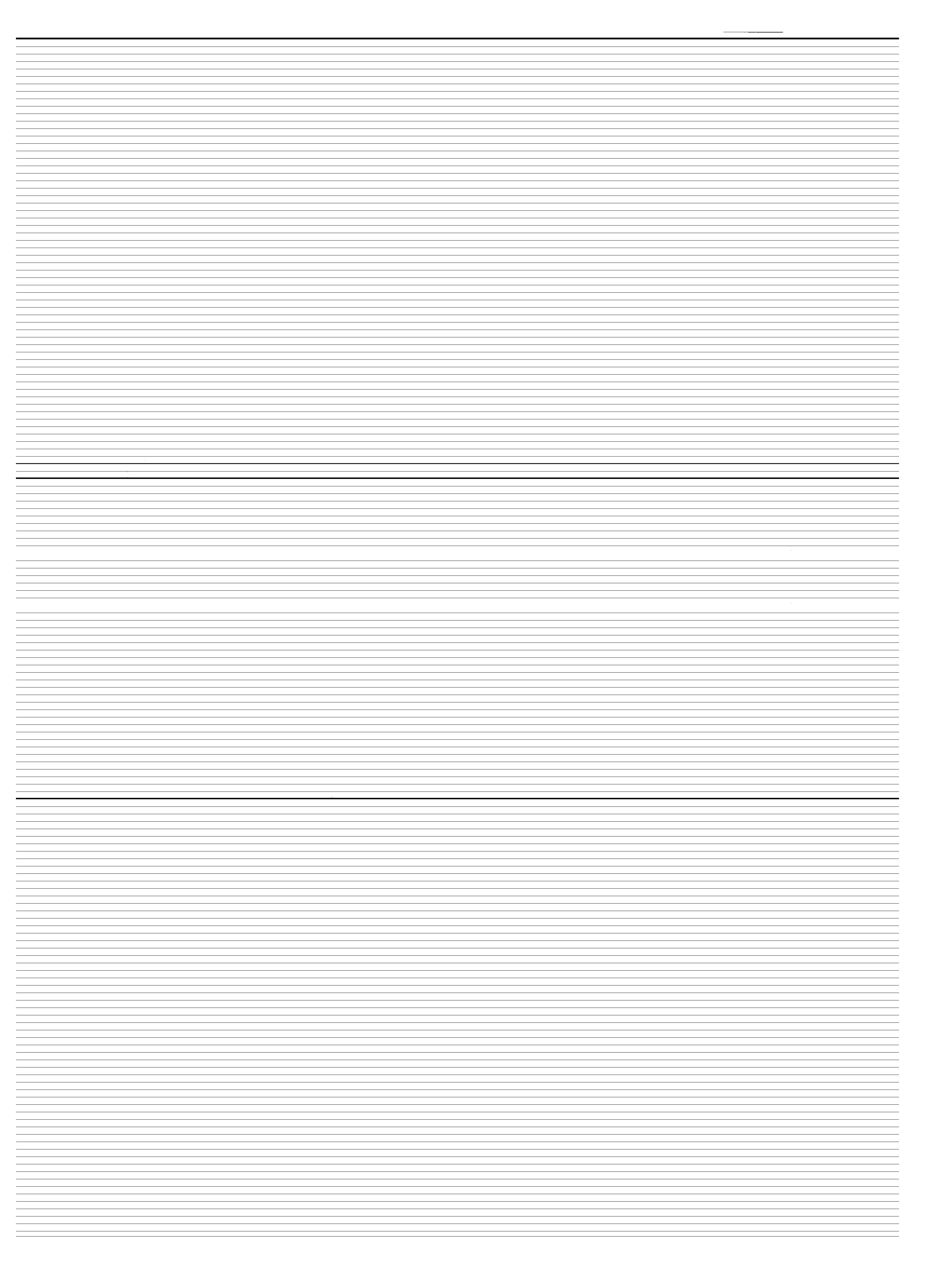
الفصل الرابع
ا لواجبات السياسية

ويشمل :

١- الإيجابية والمشاركة فى العمل السياسى.

٢- ومقاومة الانحرافات السياسية.

٣- والتمسك بممارسة الحقوق وأداء الواجبات.



الواجبات السياسية

الواجبات السياسية على المسلم روحه وعقله و جسده وجوارحه أكثر من أن تحصى أو تحصر، لأن كلمة السياسة واسعة المدلول فلابد أن تكون واجباتها عديدة.

ولسنا بحاجة إلى التأكيد بأن السياسة مفردة من مفردات الدين وجزء منه، لأن الدين مفهوم واسع يتناول كل مرفق من مرافق الحياة، ولهذا نظم الله تعالى به وبمفرداته الحياة الإنسانية فى كل أزمنتها وأمكنتها إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

لست بحاجة إلى ذلك لأننى أفردت كتاباً عن التربية السياسية الإسلامية فى هذه السلسلة(١).

كما أننى لست بحاجة إلى أن أؤكد أن الدين الحق يعتمد السياسة أسلوباً عاماً فى كل تشريعاته، لأنه بهذه التشريعات يسوس الناس ويقودهم إلى ما يصلح دينهم ودنياهم.

ولنطرح جانباً ما يهرف به الذين لا يعرفون الدين عندما يزعمون أن الدين لا شأن له بالسياسة، لأننا نشك فى صحة رؤيتهم للدين، ونقطع بسوء رؤيتهم للسياسة، ولقد أملى عليهم شيطان إقصاء الدين عن حياة الناس مصطلحات أشاعوها وملأوا بها أجهزة الإعلام وأدواته حتى عمت وصدق بها بعض الغافلين، ومن هذه المصطلحات:

– تسييس الدين أى جعله سياسة.

– وتديين السياسة، أى جعلها دينية.

– ووجوب عزل الدين عن السياسة.

– ووجوب إقصاء السياسة عن الدين.

– ومنع تكوين حزب سياسى دينى.

– وقصر منع الحزب السياسى على الإسلام، بينما العالم الغربى الذى يقلدونه أو يقدسونه فيه أحزاب سياسية مسيحية، ويهودية، بل إن إسرائيل، دولة يهودية!!!

– وقولهم: لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة(٢).

---

(١) هو الحلقة الخامسة من هذه السلسلة أصدرته دار النشر والتوزيع الإسلامية بالقاهرة: ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٢) لعل السر فى ذلك ان اعداء الإسلام يخوفونهم من الإسلام؛ نظامه ومنهجه، ويوهمونهم بانه سيعصف بهم، مع ان الإسلام يحرص على هدايتهم لا على القضاء عليهم، فليتهم يفيقون.

إلى آخر المصطلحات التى صكت فى الغرب عند أعداء الإسلام، وتلقفها أولياء الغرب وأولياء ثقافته، وهم الذين قد استولوا على السلطة بمعونة الغرب فى كثير من الأحيان، ليرددوا هذه الشعارات أو المصطلحات دون إحساس منهم بالغيرة على دينهم المنزوى فى أضيق الدوائر وأكثرها ظلاماً، مع أنهم مسلمون وكثير منهم يصوم ويصلى ويحج بيت الله الحرام!!!

● إن الرّد على تلك الشعارات والمصطلحات المغلوطة الضالة المضللة التى تؤثر الدنيا على الدين هو أن نحيلهم على كتاب الله وسنة رسوله وسيرته ﷺ؛ ليتعلموا منها كيف يسوسون الناس بالعدل والشورى والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات، وينظرون ما فى هذه المصادر الشريفة من احترام الرأى الآخر والاستماع إليه بل الترحيب به.

لكن النظر فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله وسيرته ﷺ يجب أن يسبقه الإخلاص فى النظر والتجرد من الهوى والتخلص من آثار الثقافة المعادية للإسلام.

● إن الأنظمة السياسية الغربية التى انخدع بها كثير من حكام العالم الإسلامى وإن كانت ديمقراطية فى الظاهر، إلا أن باطنها ملئ بالسلبيات التى أبرزها العلمانية بمعنى إقصاء الدين عن الحياة السياسية[1]، ومنها التفاوت فى التعامل مع الديمقراطية بين الناس أجناساً وألواناً وتمييزاً عنصرياً لايمت إلى الديمقراطية بصلة، ومنها النزعات الاستعمارية والاستيطانية واحتلال أراضى الغير بالقوة، واختراع مصطلحات للتحكم فى الشعوب من خلالها مثل: الوصاية، والحماية، والانتداب قديماً، والتنمية، والتطوير، والتنوير حديثاً، بل مصطلحات الشيوعية، والاشتراكية «والبروتاريا» عندما كان الاتحاد السوفيتى السابق يسيطر على كثير من بلدان العالم الإسلامى.

● الواجبات السياسية الإسلامية - على الرغم من الرافضين للسياسة الإسلامية - أوجبها الإسلام الدين الحق الخاتم، الذى ارتضاه الله تعالى للبشرية كلها منهجاً ونظاماً.

وهذه والواجبات السياسية يلزم بها النظام والسلطة من خلال ما جاء فى الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة الرسول ﷺ.

● ومهما تحدثنا فى الواجبات السياسية الإسلامية فلن نستقصيها، ولكننا نشير إلى عدد من القواعد العامة التى ترتكز عليها السياسة أو الواجبات السياسية الإسلامية. ومنها:

---

(١) السر فى تبنى الغرب العلمانية بمعنى إقصاء الدين عن الحياة السياسية هو ما عاناه الغرب فى فترة سيطرة الكنيسة على الحياة السياسية من ظلم وتحكم وسيطرة على الحكام والملوك، تعزلهم وتوليهم وتحرم بعضهم من دخول الجنة......!!!

- ضبط الذات والسلوك وفق المعايير والقيم التى جاء بها الإسلام، ضبطًا نابعًا من الذات دون رقابة خارجية من سلطة أو نحوها.

وهذا الانضباط الذاتى نتيجة لإحساس الإنسان بأن الله تعالى يراقبه ويعلم ما يفعل.

- ومعرفة الحقوق التى شرعها الإسلام فى كل مجال من مجالات الحياة وممارستها والتمسك بها والدفاع عنها حتى لا تنتقص أو تهدر من ظالم أو مستبد.

- ومعرفة الواجبات التى أوجبها الإسلام فى كل مجال من مجالات الحياة والقيام بأدائها بإخلاص ومراقبة لله تعالى دون خوف سلطة أو رقابة.

- والاستجابة لأمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، أى التعاون فى المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية ونحوها.

- والقدرة على نقد أى نظام أو نهج اجتماعى أو سياسى أو ثقافى نقداً موضوعيًا يستهدف الحق، ويقترح البديل الصالح، مستهديًا فى نقده بقيم الإسلام ومبادئه.

- وتكوين رأى خاص مستقل يمثل وجهة نظر صاحبه فى الأحداث والمواقف والناس والأشياء، على أن يكون هذا الرأى مستنداً إلى القيم والمبادئ الإسلامية ونابعًا منها وغير مخالف لشئ مما جاءت به.

وهذا واجب سياسى وإن بدا صورة لحرية الرأى.

- والقدرة على احترام الرأى الآخر مهما كان مخالفًا لرأيه، وإعطاء صاحبه الحق فى التعبير عن رأيه والدفاع عنه، ومناقشة هذا الرأى مناقشة موضوعية تستهدف إظهار الحق.

- ومن صميم الواجبات السياسية الإسلامية عدم الطعن على المخالف فى الرأى أو تشويهه، أو ازدرائه فضلاً عن حرمانه من بعض حقوقه عقابًا على المخالفة[1].

غير أن ما نركز على الحديث فيه من هذه الواجبات السياسية ثلاثة موضوعات هى:

١- الإيجابية والمشاركة فى العمل السياسى.

٢- العمل على مقاومة الانحرافات السياسية.

٣- والتمسك بممارسة الحقوق والقيام بأداء الواجبات.

والله تعالى هو المستعان.

---

(١) كثير من حكومات العالم الإسلامى تضطهد المخالف فى الرأى وتجرم المعارضة وتصطنع لها المحاكمات العسكرية والعرفية، وتتهم المخالفين بالتطرف حينًا وبالإرهاب حينًا آخر!!

١ – الإيجابية والمشاركة فى العمل السياسى:

الإيجابية تعنى عدم الانسحاب من الموقف وعدم الانزواء عن الحدث أو العمل السياسى، أى مواجهة الموقف أو الحدث بالفكر والتدبر والعمل، والمشاركة فيه بكل ما يستطيع الإنسان من إمكانات، ومهما يكن الموقف أو الحدث بالنسبة لقربه من حياة الإنسان أو بعده عنها؛ لأنه بكل تأكيد له تأثير فى حياة الإنسان المسلم، قلَّ هذا التأثير أو كثر.

الإنسان المسلم لا يقف من الأحداث والأعمال والناس موقفاً كأن شيئًا لا يعنيه، أو كأنه يتأمل فى أمر بعيد عنه ولا يجاوز هذا التأمل إلى الفعل والعمل والتأثير، لأن المسلم وجهه الإسلام إلى الإيجابية والفعل والتأثير، وبخاصة إذا كان العمل سياسيًا أى له علاقة بتدبير شئون الحياة.

والقاعدة العامة في السياسة التى يرتضيها الإسلام للمسلم هى: أن الإنسان المسلم لا يجوز له أن تدار أو تُدبَّر أمور حياته – وبخاصة الجوانب السياسية منها – دون أن يكون له موقف منها، لأن المسلم مطالب بالعمل والإيجابية والفعل والتأثير فى كل مجال من مجالات حياته، وليس الجانب السياسى منها فحسب، إذ العمل والمشاركة أساس أصيل فى سلوك المسلم، فالله تعالى يقول: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[التوبة : ١٠٥].

والعمل الذى أُمر به المسلمون – كما يرى المفسرون لكتاب الله – هو: عمل الخير وأداء الواجب، فلا يجوز التقصير فيهما .

بل إن كل عمل مهما صغر أو كبر، ومهما كان نوعه خيراً أو شراً محاسب عليه الإنسان بمثله، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] هذا عن العمل عمومًا.

أما العمل فى مجال السياسة بالنسبة للمسلم؛ روحه وعقله وجسده وجوارحه، فهو متعدد الدرجات والأبعاد، وذو تفريعات وشعب عديدة.

غير أننا سنقصر حديثنا هنا على أمور أو أعمال سياسية ثلاثة هى :

– الوعى والتوعية بالقضايا السياسية عمومًا.

- والوعى والتوعية بالقضايا السياسية على مستوى الوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى.

- ووجوب اليقظة السياسية والاستعداد.

أ- الوعى والتوعية بالقضايا السياسية:

أكثر القضايا السياسية التى يجب أن يعيها المسلم ويستوعب أبعادها، ويُوَعِّى بها غيره من المسلمين، وأن يأخذ منها موقفًا بعينه، لما لها من صلة بدينه أو وطنه المحلى أو وطنه العربى أو وطنه الإسلامى.

وأبرز هذه القضايا وأكثرها الحاحًا وأشدها ضررًا بالمسلمين هى:

- الصهيونية.
- والموجة الإلحادية.
- والصليبية الحديثة.
- والنظام العالمى الجديد أو القطب الأوحد «أمريكا».
- والتحدى السافر للإسلام فى مجال التطبيق.

إن المسلم يجب أن يكون على وعى بهذه القضايا، ليسهم فى مواجهتها بما يحمى به دينه ووطنه ونفسه، مما تخطط له كل قضية من هذه القضايا من ضرر وشر يُراد بالإسلام والمسلمين.

قضية الصهيونية أو اليهودية:

منذ ما يزيد على ثلاثين عامًا من يومنا هذا وأنا أقول: [1] إن الصهيونية واليهودية وجهان لعملة واحدة، وكلما مرَّتْ الأيام صدَّقتْ أعمالُ إسرائيل وكلمات رؤسائها ورؤساء الولايات المتحدة الأمريكية ما أقول.

ولكن الدعاية والإعلام المضلِّل الذى يتعمد الكذب والتزوير يُصِرّ على أن اليهودية دين والصهيونية مذهب سياسى، وهذا باطل من القول وزور.

ولقد ظل هذا الباطل والزور يجد له من يصدقه، بل من يروجه إلى أن كانت «خارطة

(١) قلت فى كثير من كتبى التى نشرت تباعًا فى هذه السنوات.

الطريق» التى تبنتها دول أوروبا والاتحاد الروسى والولايات المتحدة الأمريكية وهيئة الأمم المتحدة لحل قضية الفلسطينيين والصهيونيين، حلا لابد أن يكون فى صالح إسرائيل.

وعندما زار الرئيس بوش «الابن» المنطقة بمناسبة هذه الخارطة وعقد لقاءين فى شرم الشيخ بمصر والعقبة بالأردن أملا فى سلام بين الطرفين، فاجأتْ إسرائيل العالم كله دون حياءٍ أوخجلٍ من تكريس العنصرية والعرقية فأعلنت أنها دولة يهودية – وهذا يعنى أنه لا مكان فيها لغير اليهود حتى لو كانوا أصحاب الأرض الأصليين وهم الفلسطينيون، تعلن ذلك بعد مضى خمس وخمسين سنة على اغتصاب فلسطين بمعاونة انجلترا والغرب كله وأمريكا وما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى، مع أنه لم يصرح بذلك أحد من قادة إسرائيل مجرمى الحرب العنصريين المستوطنين، ولكنه شارون السفاح المدعوم بكل إمكانات الولايات المتحدة الأمريكية المادية والمعنوية.

وبذلك تبخرت دعاوى إسرائيل بأنها واحة الديموقراطية فى المنطقة، أين الديموقراطية من العنصرية، إن إسرائيل تعيد إلى الأذهان منطق دولة البيض فى جنوب إفريقية التى أقامها الإنجليز على العنصرية البغيضة سنوات طويلة ثم سقطت سقوطًا مدويًا – كسقوط الاتحاد السوفيتى – وأقام الأفارقة حكومة وطنية إفريقية رأسها «نلسون منديلا» سجين الإنجليز لمدة سبعة وعشرين عامًا !!!

● ماذا ينبغى أن يعلم المسلم عن الصهيونية ليوعى به غيره من المسلمين، بوصفها من التيارات الشديدة العداء للعرب وللمسلمين والإسلام، وأكثر نظم الأرض السياسية وحشية وانتهاكًا لحقوق الإنسان وأعنفها دموية وعنصرية.

هذه الصهيونية التى استطاعت بما لها من نفوذ فى الولايات المتحدة الأمريكية أن توجه سياسة أمريكا إلى الانحياز لها ضد العرب فى فلسطين وفى العالم العربى وفى العالم الإسلامى، وذلك من خلال يهود أمريكا أو الصهيو مسيحية فيها أو رجال المال والأعمال أو رجال الإعلام وأجهزته ومؤسساته – وليس هذا مبالغة فى الحديث عن إمكانات اليهود فى أمريكا أو تضخيمًا لإمكاناتهم ولكنه الواقع الذى يعبر عنه أعضاؤهم فى مجلسى الشيوخ والنواب وعدد الوزراء والمسئولين اليهود فى الإدارة الأمريكية.

والصهيونية حركة عنصرية دينية تقوم على الاستيطان وطرد السكان وإجلائهم عن بلادهم الأصلية، وهى حركة مرتبطة «بالإمبريالية»(١) من جانب وبالشيوعية من جانب آخر.

---

(١) الإمبريالية: ظاهرة سياسية اقتصادية – رأسمالية صناعية – تقوم على التوسع وفرض سيطرتها على الشعوب والأراضى الأجنبية بهدف استغلالها ونهب ثرواتها باستخدام العنف والاحتلال العسكرى بعد التمهيد=

وهدف الحركة الصهيونية هو إقامة دولة إسرائيل فى فلسطين بأسلوب الغدر والعنف والقتل والإجلاء والقهر، وهى فى هذه الصفات تتساوى فى شرها مع النازية والبلشفية بل فاقتهما شرا بما فعلته وتفعله حتى اليوم بالفلسطينيين.

وقد التهمتْ الصهيونية اليهودية وجرَّتْها بخطام إلى هاوية من الإجرام وانتهاك حرمات الإنسان.

● وللعلم الذى لا ينبغى أن يجهله مسلم: فإن أول مَنْ فكر فى تهجير اليهود إلى فلسطين هو رئيس وزراء بريطانيا «الفايكونت بالمرستون»[(١)] اللورد، وكان ذلك فى عام ١٨٤٠م.

وكان هدف «بالمرستون» (١٧٨٤ – ١٨٦٥م) من تهجير اليهود إلى فلسطين إقامة حاجز بشرى يهودى بين الغرب والمشرق العربى.

وعلي الرغم من أن الصهيونية التنظيمية ولدت على يد «تيودور هرتزل» سنة ١٨٩٧م فى «بال» بسويسرا، فإن محاولة إنشاء وطن لليهود فى فلسطين أخذت طريقها إلى التنفيذ على يد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا سنة ١٩١٧م بوعده المشهور وتعهده بإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين، وكانت بريطانيا تحكم فلسطين فى ذلك الوقت، فيسرت هجرة اليهود ومدتهم بالسلاح والعتاد فى نفس الوقت الذى صادرت فيه أسلحة الفلسطينيين، وقامت بالمعاونة على طردهم من بلادهم.

● إن هذه معلومات يجب أن يعلمها كل مسلم وأن يعيها وأن يوعى بها غيره عن الصهيونية أو اليهودية؛ تلك التى تفرز على الدوام سمومًا ضد الإسلام والمسلمين، مستعينة فى ذلك بدول الغرب معظمها، وبما كان يسمى الاتحاد السوفيتى أو الاتحاد الروسى الآن، وبالولايات المتحدة الأمريكية التى فاقت الجميع فى تأييدها لإسرائيل ومدها بالأموال والأسلحة المتطورة والعتاد والجسور الجوية الحامية لها عندما تعرضتْ

= بإرساليات تبشيرية وموجات سكانية بقصد الاستيطان.

(١) سياسى ورجل دولة بريطانى إمبريالى من أبرز أعماله المعادية للعرب والمسلمين أن كتب لسفيره فى إستانبول «الفايكونت بدنسونى للتوسط لدى السلطان بشأن إقامة دولة يهودية فى فلسطين لعزل مصر عن المشرق العربى، وكان ذلك قبل المؤتمر الصهيونى الأول بما يقرب من خمسين عامًا وقبل مولد تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية وزعيمها الأول.

وعندما تمكن إبراهيم باشا بن محمد على باشا والى مصر من التغلب على الجيوش العثمانية تمكن بالمرستون من تأليب الدول الغربية ضده، حتى تراجع إبراهيم باشا وتراجعت أحلامه فى إقامة دولة عربية عصرية موحدة تضم وادى النيل والجزيرة العربية والمشرق العربى.

للهزيمة عام ١٩٧٣م من مصر، وتعلن ذلك التأييد أو هذا الانحياز ضد العرب دون مبالاة بعلاقاتها بعدد من البلدان العربية، غير عابئة بالفلسطينيين وهم ثمانية ملايين إنسان ولا بالعرب وهم أكثر من مائتى مليون ولا بالمسلمين وهم أكثر من ألف وثلاثمائة مليون!!!

● يحدث كل هذا من أمريكا ودول الغرب والشرق، ومع ذلك تجد إسرائيل وأمريكا وكثير من دول الغرب من دول العالم العربى والعالم الإسلامى من يقيم معها علاقات «دبلوماسية»!!! وأغرب من ذلك أن تجد إسرائيل من بعض دول العالم العربى من يقيم معها علاقات سياسية واقتصادية خروجًا بذلك عما قررته جامعة الدول العربية، وعما تقتضيه نصرة المظلوم الذى اغتصبت أرضه وطرد منها بعد أن تعرض ولايزال يتعرض لأبشع أنواع الاعتداء الوحشى بالأسلحة الأمريكية والدعم الغربى!!!

وبعد: فتلك إشارة وجيزة إلى الصهيونية أو اليهودية، أرجو أن يحاول كل مسلم أن يعرف عنها وعن شرورها أكثر من ذلك، لكى يكون منها ومن شرورها على حذر، ولكى يواجهها بكل ما أوتى من حول أو حيلة.

● إن على كل عربى أن يدرك أن إسرائيل أو الصهيونية أو اليهودية يمكن أن تعيش فى فلسطين العربية، لا أن تُلْقى فى البحر كما كان يعلن ذلك بعض الكاذبين الخادعين الواهمين.

وليس من حق إسرائيل أن تستولى على ما استولت عليه من أراض فلسطينية احتلتها وأجلتْ منها سكانها عام ١٩٤٨م حتى بعد قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود بعد عدوان ١٩٤٨م لأنه قرار ظالم حركته الرغبة فى تحدى العرب والمسلمين وزرع إسرائيل فى فلسطين.

وكل ما فعلته إسرائيل بعون من الغرب وأمريكا من عدوان على الأراضى العربية عام ١٩٦٧م باطل فى عرف الحق والعدل لأنه استيلاء على أراضى الغير بالقوة المسلحة، لا أن يعترف لإسرائيل بما استولت عليه من أراض عام ١٩٦٧م، كما يرى ذلك الضعفاء المتخاذلون العاجزون، ولا أن تسترد الضفة الغربية وقطاع غزة لتكون فى المستقبل القريب مقبرة لكل فلسطينى، كما يهذى بذلك بعض الفلسطينيين والعرب.

إن التصور الصحيح للوجود الإسرائيلى الصهيونى اليهودى فى فلسطين أن يعيشوا فيها

مواطنين فى ظل حكومة فلسطينية عادلة، دون أن يقع عليهم من العنت والقتل والتشريد شيء مما يفعلونه هم مع الفلسطينيين والعرب، كما يشاهد العالم كل ذلك.

إن شأن اليهود منذ مئات السنين أنهم كانوا يعيشون آمنين فى بلدان إسلامية عديدة تدين بالدين الحق وتلتزم بقيم الإسلام ومبادئه، وإن العمل على الوصول إلى ذلك يجب أن يكون هو الشغل الشاغل لكل عربى ولكل مسلم، إيمانًا منهم بأن خارطة الطريق تتضمن حلاً لصالح الصهيونية ولصالح أمريكا والغرب، حيث سيؤدى ذلك الحل إلى أن تصبح إسرائيل أمريكا المنطقة العربية تتحكم فيها وتسيطر عليها سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا، وتلك أهداف خارطة الطريق التى يتمنى الغافلون أن تتحقق!!!

● **وقضية الموجة الإلحادية العاتية:**

الإلحاد: الميل والعدول عن الحق وعن الدين، وإدخال أمور على الدين ليست منه، والطعن فى الدين.

وهو نوعان:

● إلحاد – أى ميل – إلى الشرك بالله تعالى وهو الشرك العظيم. وهذا ينافى الإيمان ويبطله.

● وإلحاد – أى ميل – إلى الشرك بالأسباب، وهو يضعف الإيمان ويوهنه، لأن الأخذ بالأسباب مطلب دينى.

– والطعن فى الدين تكذيب لله تعالى منزل الأديان، وإلحاد فى أسمائه تعالى وصفاته، وكل ذلك يؤدى إلى إنكار الخالق سبحانه وتعالى.

– والملحدون يتوهمون أنهم يمارسون حرية العقيدة، وأنهم أحرار فى عدم التديُّن وعدم الإيمان، مع أن التدين والإيمان فطرة فى الإنسان تجرى فيه مجرى دمائه فى عروقه، ومن لم يكن مُتَديِّنًا مؤمنًا فلا يمكن أن يستقر نفسيًا أو عقليًا أو عصبيًا حتى ولو كابر وأظهر غير ذلك.

– إن الله تعالى خلق الإنسان وفطره على التدين والإيمان، وكل من ترك التدين ولم يكن له ما يؤمن به، فقد ناقض الفطرة الإنسانية وعاند نفسه وعقله بل عاند جسده وجوارحه.

● والإلحاد قديم فى البشر لأن الشيطان يغرى به ويزينه ويلبسه أردية خلابة تلائم كل عصر

وكل قبيل من الناس، وهو الذى أغْرَى الناس بعبادة الأصنام والأوثان والأشياء والكواكب وغيرها موهما إياهم بأن تلك آلهة مع الله تعالى، وفى كل عصر تعلو موجة من الإلحاد يزينها الشيطان ويضل الناس بها.

- والموجة الإلحادية التى سادت فى عصرنا هذا اتخذت لها أسماء عديدة وصفات متعددة تخفى بها وجهها الحقيقى مثل : الشيوعية - والماركسية - والاشتراكية - والوجودية - والداروينية - والهيجيلية - والمادية - والعلمانية - وغيرها وكل هذه التسميات لها دلالتها الفلسفية من جانب والإلحادية من جانب آخر، إذ تتفق جميعها على إنكار الدين بل إنكار الخالق سبحانه وتعالى.

- وهذه الموجة الإلحادية تهدد الحياة السياسية بل تضربها فى مقتل إذ تحول بين الإنسان وبين التحاكم إلى القيم النابعة من الأديان المستهدفة بكل تأكيد صالح الإنسان؛ حيث تصبح سياسة كل دولة يسود فيها الإلحاد مستهدفة مصالحها المادية مهما تعارضت مع مصالح غيرها، ومن هنا تنشأ أسباب الحروب والصراعات التى يذهب من ضحاياها الملايين من الناس دون ذنب أو جريرة.

- وهذه الموجة الإلحادية تتحدى القيم الفاضلة مادامت تقف فى وجه المصالح المادية، وتتحدى حقوق الإنسان مادامت متعارضة مع المصالح المادية للملحدين، وتتحدى الحق والعدل والخير والجمال، إذا ما انتقصت شيئًا من المصالح المادية للملحدين.

- والإلحاد تهديد مباشر بل قضاء على كل المؤسسات التربوية فى المجتمع المسلم؛ الأسرة والمسجد والمدرسة والنادى والجمعيات والجماعات والأحزاب، المدنى منها والحكومى؛ لأن هذه المؤسسات لا تمارس عملها إلا من خلال إيمانها بتحقيق أهدافها، وأهداف هذه المؤسسات فى المجتمع المسلم لابد أن تكون متلائمة مع قيم الإسلام ومبادئه، وذلك من صميم الإيمان بالله تعالى؛ فالإلحاد يعطلها ويصرفها عن أهدافها.

- والإلحاد سبب قوى مباشر لفساد الإعلام، والإعلام أصبح جهازًا بالغ الأهمية فى العصر الحديث، بحيث تقتحم أجهزته وآلياته على الناس بيوتهم ومساجدهم وأنديتهم وجمعياتهم وجماعاتهم وتؤثر فيهم أبلغ تأثير، وما لم يكن الإعلام صادقًا وشفافًا ومستهدفًا الحق فإن تأثيره فى الناس يصبح خطرًا عليهم؛ على حاضرهم ومستقبلهم.

ولن يكون الإعلام صادقًا وشفافًا مع موجة الإلحاد بحال من الأحوال، لأن الإلحاد قرين الضلال والتضليل وتفضيل المصالح الخاصة والمادية على المصالح العامة والمعنوية، لأنه يفقد

الإيمان بالله ومنهجه ونظامه، الذى تنبع منه قيم الحق والصدق والعدل والخير، وكل فضيلة يجب أن تسود المجتمع.

وبالإعلام غير المؤمن وغير الصادق وغير الشفاف تستطيع النظم «الدكتاتورية» أن تسود، وأن تبرر ظلمها واستبدادها.

وما أكثر الأمثلة على ذلك ابتداءً من الإعلام النازى إلى الإعلام الإسرائيلى إلى الإعلام الأمريكى الحديث الذى يبرر العدوان على الآخرين واحتلال أرضهم وتخريب بل تدمير كل شيء، لكى يعيد إصلاحه على حساب الضحية !!!

إن أدق وصف لهذا الإعلام هو أنه : الإعلام الملحد وحسبه بهذا الوصف سوءاً ومهانة.

إن الإلحاد تهديد بل تقويض للإيمان والإسلام والعدل والإحسان، وكل قيمة فاضلة.

وإن على المسلم أن يكون على علم بهذه الموجة الإلحادية التى تسود كثيراً من دول العالم، وإن عليه أن يفكر مليًّا كيف يواجه هذا الإلحاد بأسلوب علمى مدروس، وكيف يجهز عليه؛ وكيف يقلل خطره إن لم يستطع أن يجهز عليه.

وإذا كان لى أن أقترح شيئًا فى مقاومة الإلحاد، فإنى أقترح عدداً من الأعمال وهى :

– العمل على تجديد أمر الدين فى نفوس المسلمين، وذلك بالالتزام بقيمه ومبادئه، وتحبيب الناس فى الإيمان وتزيينه فى قلوبهم وعقولهم وسلوكهم، الإيمان بكُل شعبه السبع والسبعين[1].

– والعمل على تنفير الناس من الكفر والفسوق والعصيان، وكل رذيلة وكل شر، ورأس الرذائل وأقبح الشر الإلحاد، ومن الإلحاد يتفرع الكفر والفسوق وعصيان الله تعالى، وكل كبيرة وكل ما يغضب الله، لأن الملحد يمارس ذلك كله، ولا يصرفه عنه مثل تنفيره منه.

– وممارسة الدعوة إلى الله؛ إلى الإيمان والإسلام والإحسان بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتى هى أحسن، فإن هذه الدعوة بتلك الطريقة تطرد الإلحاد وتنفى فروعه كلها من حياة الناس.

---

(١) كما عدها الإمام البيهقى فى كتابه الجامع «شعب الإيمان» شرح فيه الحديث الشريف : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه.

– وممارسة الحركة بدين الحق فى الناس والآفاق، لتنتشر فيهم مبادئه وأخلاقه وقيمه، وفى هذا الانتشار حصار للقيم والأخلاق التى تخالف الإسلام وتتبع ما يتَتَايَعُ[1] فيه الملحدون.

– والعمل على المصاحبة لكتاب الله تعالى تلاوة وتدبراً، وبحثًا عما فيه من هُدًى للناس في دنياهم وأخراهم؛ فإن من تدبر القرآن الكريم وجد فيه كل ما يحتاج إليه الإنسان من خير في دنياه وآخرته، ووجد فيه ما يحول بينه وبين الوقوع فى أى ضرر أو شر فى دينه ودنياه، فقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه الدارمى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه: **«تعلموا القرآن وعلموه الناس...»**.

وإذا كان الإلحاد ضرراً وفتنة فإن المخرج منه هو التمسك بكتاب الله، فقد روى الدارمى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله: إن أمتك ستفتن من بعدك، قال: فسأل رسول الله ﷺ: ما المخرج منها؟ قال: **«الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، ومَنْ وَلِيَ هذا الأمر من جبار فحكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم، فيه خبر مَنْ قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، وهو الذى سمعته الجن فلم تتناها أن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبًا يهدى إلى الرشد، ولا يخلُق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه»** والعمل على الالتجاء إلى القرآن الكريم لالتماس الحل لكل قضية أو مشكلة تتصل بحياة الإنسان.

– والعمل الدائب على العناية بدراسة السنة النبوية المطهرة فهى تفصيل لكتاب الله تعالى فى كثير من الأحيان، ثم هى تضيف إلى كتاب الله تعالى أحكامًا أوحى الله تعالى بها إلى نبيه الخاتم ليبلغ بها الناس ولم ينزل فيها قرآنا، ففى السنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ تطبيق عملى للإسلام فى كل أمور الحياة، وفيها علاج لكل مشكلة تعترض طريق المسلم.

وقد أوصى النبى ﷺ بالتزام سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، فقد روى الدارمى بسنده عن عرباض بن سارية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشيًا، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً؛ فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ...»**.

---

(١) يتسارع ويلجُ ويبالغ.

- واتخاذ حياة الصحابة رضوان الله عليهم وما كانوا عليه من إخلاص لهذا الدين الحق وحسن فهم له، اتخاذ حياتهم نبراسًا يضيء للمسلمين اليوم طريقهم. وإنما يكون ذلك بدراسة حياتهم وتعليمها للمسلمين وأخذ العبر منها[1].

وبعد: فبهذه المقترحات يواجه المسلمون موجة الإلحاد، وأفضل من هذه المقترحات أن يجتمع عدد كبير من علماء المسلمين ومصلحيهم ليقترحوا وسائل أخرى لمقاومة الإلحاد.

● وقضية الصليبية الحديثة:

واجهتْ المسلمين صليبية قديمة قادتها الكنيسة، وقادت فيها ملوك أوروبا وأمراءها، ليشنوا على مصر والشام حملات عسكرية ضارية اتخذت «الصليب» شعارًا لها، وسموها هم «الحروب الصليبية» ليجمعوا تحت راياتها كل المسيحيين.

وقد استمرت هذه الحروب قرنين من الزمان تقريبًا من أخريات القرن الخامس الهجرى إلى أخريات القرن السابع الهجرى، وكانت حروبًا ضارية ارتكبت فيها الجيوس الأوروبية أبشع أنواع الجرائم - التى تشبه ما تفعله إسرائيل وأمريكا اليوم - وأبعدها عن المسيحية الحقة التى يدين بها أتباع المسيح عليه السلام، قبل أن يحرفها المغرضون الأشرار الذين لا يؤمنون حقًا بما أنزل على عيسى عليه السلام.

هذا عنوان فقط للصليبية القديمة[2].

أما الصليبية الحديثة فهى نزعة سياسية عدوانية تبنتها دول أوروبا وأمريكا، بعد انهيار ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى.

● ومجمل ما تنادى به الصليبية الحديثة:

- أن تتخذ من الإسلام عدوًا تقليديًا بديلاً عن الاتحاد السوفيتى السابق؛ لأنها تحب أن تعيش فى عداء مع غيرها، حتى لو لم يبدأها أحد بعداء - وفى تصورى أن السبب فى اتخاذ عدو هو ترويج صناعة السلاح وآلة الحرب، وما يترتب على ذلك من رواج اقتصادى ومصالح مادية، بغض النظر عن أى قيم خلقية مسيحية أو غير مسيحية.

---

(١) من أحسن الكتب الجامعة السهلة فى ذلك كتاب: حياة الصحابة لمحمد يوسف كاند هلوى رحمه الله وجزاه خيرًا عما قدم فى هذا الكتاب.

(٢) انظر لنا فى تلك الصليبية القديمة، الغزو الصليبى والعالم الإسلامى، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ط ثانية: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

- وأن تضرب المسلمين فى أوطانهم هنا وهناك لغير سبب معقول، وإنما التُهَم هى التى تصنعها وتشيعها بوسائل إعلامها المضللة، وأوضح مثال لذلك: الصومال، وأفغانستان، والعراق، وما تدبره لضرب إيران وسوريا ولبنان، وما بعدهما مما يدخل فى خطتها لعداء المسلمين فى كل مكان.

- وأن تبادر بضرب الحركات الإسلامية فى كل مكان فى العالم، وترصد قادتها وخططها ودعوتها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، وتحصى عليها كل نجاح فى مسعاها وكل خيرتقدمه للناس، ثم تغرى بها الحكومات المحلية بل تكافئها لكى تضرب هذه الحركات الإسلامية، وتعتقل أفرادها وتعذبهم وتحاكمهم محاكمات صورية أمام قضاء استثنائى عسكرى أو أمن دولة أو محاكم شعب أو محاكم ثورة، ولابد أن تدينهم وتحكم عليهم بالسجن أو الإعدام.

- وأن تتحدى بكل صراحة أي حكومة فى العالم الإسلامى تعلن أنها حكومة إسلامية، أو تعلن أن برنامجها فى الحكم مأخوذ من الشريعة الإسلامية، تتحداها الصليبية الحديثة أنواعًا من التحدى مثل: الحصار الاقتصادى، والحصار السياسى، والحصار الثقافى، وأحيانًا حظر الطيران فى أجوائها الإقليمية، وأحيانًا ضربها بسلاح الطيران أو بالصواريخ، أو بإثارة الفتن من داخلها أو بتسليط جار لها أو جيران بالعدوان عليها، وأحيانًا باصطناع متمردين فى داخلها يحملون السلاح ويطالبون بانفصال جزء من البلاد عن الوطن الأم ومدّ هذا المتمرد بالسلاح والخبراء، وتهديد الحكومة بالويل والثبور مالم تستجب لمطالب المتمردين!!!

- وقد اتخذت الصليبية الحديثة لخططها فى حرب الإسلام والمسلمين مرتكزات وقواعد تقف بالمرصاد لكل منهج إسلامى.

تضربه حتى تقضى عليه مهما سالت الدماء أنهاراً، قائلين لأنفسهم: فلتسل هذه الدماء مادامت دماء المسلمين!!!

وأوضح مثال على هذه المرتكزات:

- تركيا:

التى أقال الجيش فيها رئيس وزراء منتخبًا له تمثيل نيابى سمح له بتشكيل الحكومة(١)،

---

(١) هو نجم الدين اربكان رئيس وزراء تركيا آنذاك.

مع تحدى كل عمل إسلامي بحظره والتنكيل بمن قام به، وإغلاق كل مدرسة إسلامية، وعزل كل من له تمسك بالإسلام أو له توجه إسلامي من منصبه، عيانًا بيانًا دون مواربة، ومنع المرأة المسلمة من ارتداء زى يوافق ما أوجب الله على المرأة فى ملبسها، وأعجب من ذلك أنها حرمت طالبًا من الالتحاق بالكلية الحربية لأنه يعرف من القرآن الكريم : سورة الكوثر!!![1].

– الجزائر:

وقد بلغ تحديها للحركة الإسلامية أن ألغى الجيش فيها الانتخابات بعد أن جاءت نتيجتها لصالح الحركة الإسلامية «الجبهة الإسلامية» ولابد أن يكون ذلك بإيحاء من فرنسا والغرب وأمريكا، وأخذت الحكومة تطارد الإسلاميين تعتقلهم وتعذبهم وتصدر عليهم أحكامًا من محاكم عسكرية لا معقب عليها، ولم يبال الجيش ولا حكومة الجيش[2] بدماء ما يقرب من مائة ألف جزائرى سالت فى هذه المعركة الظالمة التى تشنها الصليبية الحديثة ضد الإسلام والمسلمين.

– وتونس:

حيث تتبنى حكومتها – وهى عسكرية أيضًا – حَظْر كل ما هو إسلامى حتى تدخلت فى النظم الاجتماعية الإسلامية والنظم السياسية والاقتصادية والثقافية بحيث تفرغها من كل ما هو إسلامى فيها وتذيع هذا وتنشره بلا تحفظ تقربًا إلى الصليبية الحديثة ومروجيها.

أما الحركة الإسلامية فى تونس فقادتها إما فى سجون تونس العامرة وإما فى المنافى خارج البلاد.

والجيش فى تونس يملك الحكومة ويوليها ويعزلها فى الوقت الذى يشاء.

– وليبيا:

وهي كذلك جيش تتبعه الدولة، ولجان شعبية يعينها الرئيس، ويوحى لها بأى قرارات تتحدى الحركة الإسلامية فيها، قرارات الاعتقال والتعذيب ومصادرة الأموال، وهى قرارات

---

(١) جريدة الأهرام المصرية فى عددها الصادر يوم ١٦/٨/٢٠٠٠م الصفحة «٧» بعنوان: العودة إلى تفتيش الضمائر – بقلم سيد عبد المجيد.

(٢) فى الأصل يقال: جيش الحكومة لأنه جزء منها، لكن فى حالة تركيا والجزائر تقول سيطرة الجيش على كل شيء: إن الحكومة تابعة للجيش بدليل أنه يقيلها أو يسمح لها بالبقاء فى الحكم.

شعبية لا دخل للرئيس ولا للجيش فيها، وإن كل مراقب لما يحدث فى ليبيا يعلم أن النظام فيها عسكرى ديكتاتورى يفعل ما يشاء باسم اللجان الشعبية.

بل إن ليبيا تتحدى الحركة الإسلامية فى أى مكان فى العالم وبخاصة فى أفريقيا، بل إن ليبيا تتحدى العروبة المتمثلة فى الجامعة العربية وتجمد عضويتها فيها، وتعلن إنسحابها منها بمناسبة وبغير مناسبة، ولندع جانباً ما أسهمت فيه ليبيا بإخلاص فى اختفاء واغتيال عناصر إسلامية ذات ثقل فى عالم السياسة[1] والفكر الإسلامى.

إن ليبيا بهذه السياسة المعادية للإسلام تقدم أكبر خدمة وأعظمها للصليبية الحديثة !!!

– ومصر:

وقصة عدائها لأكبر الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى حركة الإخوان المسلمين، معروفة بُعَيْد قيام ثورة ١٩٥٢م أو الانقلاب العسكرى الذى تحدى الحركة الإسلامية والحريات والأحزاب، وصادر الأموال، وتفنن فى الاعتقال والسجن والتعذيب والمحاكمات الهزلية التي يطلب فيها رئيس محكمة من أحد المتهمين أن يقرأ سورة الفاتحة بالمقلوب!!! هكذا نطق رئيس المحكمة الذى يحمل اسماً إسلامياً.

وأصبحت مصر قدوة للعالم العربى في ضرب الحركات الإسلامية ومثلاً يحتذى – وهذا دائمًا قدر مصر تكون لها القيادة في العالم العربى فى الخير أو فى الشر.

وأغرب ما تصر عليه الحكومات المصرية المتتابعة هو منع الإسلاميين فيها من تكوين حزب أو ممارسة أى نشاط سياسى أو اجتماعى أو ثقافي أو خيرى، حتى إن كثيراً من قوانينها أصدر لتجميد نشاط أى عمل إسلامى حتى لو كان من خلال جمعية خيرية أو تربوية، وذلك ما يسر الصليبية الحديثة بكل تأكيد.

– سوريا:

منذ تولى حافظ الأسد حكمها، حظر على الحركة الإسلامية أى مشاركة فى عمل سياسى، وتابع جمال عبد الناصر فى ملء السجون والمعتقلات بكل من له أدنى انتماء للحركة الإسلامية، وإذا كان لعبد الناصر السجن الحربى وما انتهك فيه من حقوق الإنسان فإن لحافظ الأسد سجن المزة؛ جهنم الحياة الدنيا، بل إنه فاق عبد الناصر فهدم البيوت على

(١) على رأس هؤلاء الإمام موسى الصدر، حيث ذهب لليبيا منذ أكثر من عشرين عامًا من اليوم ولم يعد حتى الآن ١٤٢٤هـ، وكذلك منصور الكيخيا وهو وزير ليبى سابق اختفى فى مصر منذ ما يقرب من عشر سنين.

ساكنيها في حماة لأن لهم انتماء إسلاميًا ، فى قصة تناقلتها وكالات الأنباء على مستوى العالم، تمامًا كما تهدم إسرائيل البيوت علي ساكنيها الفلسطينيين!!! والذى تولى كبر هذه الجرائم هو الجيش أيضًا الذى يقوده حافظ الأسد ، ونأمل ألا يستمر الوضع هذا فى حكم وريثه بشار الأسد .

وهل تطمع الصليبية الحديثة فى أكثر من هذا، دون أن تدفع بجندى غربى واحد فى هذه الساحات؟

- ونيچيريا :

وهى أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان فى إفريقيا وهى فى هذه الصفة تشبه « إندونيسيا » فى آسيا .

وأشهر قبائل نيچيريا وأكبرها عددًا قبيلة « الهوسا » وقبيلة « الفولانى » وكثير من أبناء هاتين القبيلتين يسكن شمال نيچيريا .

وقد حرص الإنجليز من يوم كانوا يحتلون نيچيريا على أن تكون مقاليد الأمور فى غير أيدى المسلمين، فجعلوها فى قبيلة « الإيبو » التى تسكن الجنوب الشرقى من نيچيريا وجعلوا فى أيديهم المال والتجارة والنفوذ .

وتُحْكَم نيچيريا حكمًا عسكريًا، يقوده جيش أغلب قادته من غير المسلمين بتخطيط من بريطانيا .

وتحدى المسلمين فى نيچيريا سافر لا يحتاج إلى دليل والتحرش بالمسلمين فى الشمال أدى إلى أكثر من حرب .

والصليبية الحديثة ممثلة فى بريطانيا هى التى حرشت ولا تزال تحرش الجيش وحكومته بالمسلمين .

- وفى إفريقيا أكثر من ثلاثين دولة إسلامية ، أغلبها يحكم بنظام عسكرى مستبد يتحدى الحركات الإسلامية ويحول بينها وبين أى عمل سياسى، ويعرضها كذلك للاعتقال والسجن والتعذيب والمحاكمات العسكرية الباطشة .
- وفى آسيا أكثر من خمس وعشرين دولة إسلامية، عدد كبير منها يحكم بنظام عسكرى مستبد ، يتحدى الحركات الإسلامية ويحول بينها وبين المشاركة فى العمل السياسى،

ويعرض المسلمين فيها للاعتقال والسجن والتعذيب والمحاكمات العسكرية الظالمة، وكل ذلك مما يحقق للصليبية الحديثة أهدافها بأيدى الحكام المسلمين أنفسهم!!!

- وقد بذلت الصليبية الحديثة بقيادة أمريكا وأوروبا جهوداً كبيرة فى الكيد لبلاد إسلامية بعينها مثل:

إيران والسودان، وباكستان ، وإندونيسيا وأفغانستان والعراق.

ثم تستحل الصليبية الحديثة الوطنيين الإسلاميين فى أفغانستان والعراق بحجج واهية لا تختلف عن حجة الذئب الذى أراد أن يأكل الحمل فاتهمه بأنه يعكر عليه الماء مع أن الذئب يقف عند منبع الماء والحمل يقف عند مصبه، تماماً كما تفعل أمريكا عندما تريد احتلال بلد صغير ضعيف تفصله عنها ألوف الأميال فتدعى أنه يهدد أمنها ومصالحها!!!

- ومن أجل الكيد للإسلام والمسلمين أطلقت أجهزة الإعلام الغربية، ثم تابعتْها على ذلك أجهزة الإعلام العالمية، بل كثير من أجهزة الإعلام فى العالم الإسلامى، أطلقت تهماً صاغتها فى مصطلحات تنفر من الإسلام، وتهدد من يدينون به ومن يتقربون إليه، وترهب العاملين فى الحركات الإسلامية على مستوى العالم الإسلامى كله.

ومن هذه المصطلحات المغالطة:

١- الأصولية الإسلامية:

ويقصدون بهذه الأصولية: الرجعية والجمود، وما هو قريب من دعوى الحق الإلهى فى الحكم، وما ينتظر أن يعانيه الناس من تحكم الدين ورجاله فى الحياة وفى الناس.

وهذه الأصولية التى يدعون إن جاز إطلاقها على بعض أهل الأديان من يهود ونصارى، لانطباقها عليهم وعلى رجال الدين فيهم، فلا يجوز بحال إطلاقها على الإسلام والمسلمين لاختلاف كبير بين هذه وذاك.

والأصولية عند المسلمين تعنى شيئاً آخر غير ما تعنيه عند الغرب؛ إنها عندنا تعنى التمسك بالأصول بالإسلامية وعدم مفارقتها بأى حال، والأصول الإسلامية عندنا هى الكتاب والسنة والسيرة النبوية المطهرة، فالمتمسكون بها هم الأصوليون(١)، وليس من مفهوم الأصولية فى تاريخ المسلمين جمود ولا رجعية ولا تحكم لحاكم باسم الحق الإلهى،

---

(١) ومن معانى كلمة : «الأصوليون» عندنا علماء الأصول أى: أصول الدين وهى الكتاب والسنة والسيرة أو أصول الفقه – وهو علم معروف فى تاريخ المسلمين، ويدرس حتى الآن إلى جوار علم الفقه.

ولا تحكم لرجال الدين فى الناس باسم الدين، وإنما الأمور كلها خاضعة لمنهج وضعه الله تعالى يخضع له الناس جميعًا، كما أن تسمية رجال الدين ليست فى تاريخنا وإنما هم علماء الدين المتخصصون فى فروعه.

ولا تحكم ولا مصادرة لحرية الإنسان فى الإسلام لأن الأصل هو حرية الفكر والإرادة، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...**﴾[الكهف: ٢٩] فإذا كانت الحرية الفكرية مكفولة فى اختيار الدين، فكيف يُحْرَم منها أحد فى أسلوب الحياة؟

٢- الإرهاب الإسلامى:

أصبح هذا التعبير الجاهل الحاقد على الإسلام مصطلحًا فى الغرب وفى إسرائيل، يطلقونه على كل جريمة أو خطأ يرتكبه مسلم!!! بينما نرى عدد المجرمين والخطائين من غير المسلمين أكثر وجرائمهم أبشع، وأخطاءهم أشنع، ومع ذلك لا توصف أعمالهم الإرهابية بأنها إرهاب يهودى!!! مع أن الإرهاب اليهودى يمارس كل ساعة لا كل يوم، فيغتال الناس ويقتلون وتهدم عليهم المنازل، وما سمعنا ولا قرأنا تعبير الإرهاب اليهودى!! مع أن دولة إسرائيل كلها ما قامت إلا على إرهاب الفلسطينيين وإجبارهم على الهجرة من ديارهم وسجنهم أو قتلهم!!!

وكذلك مارست بريطانيا أنواعًا وألوانًا من الإرهاب تقشعر لهولها الأبدان، فشنقت الأبرياء فى دنشواى - بمصر - وفى غيرها من بلدان العالم العربى، وفى السودان وفى غيرها من بلدان العالم فى إفريقيا وآسيا، فقتلت وسجنت وهدمت وطردت ونفت وصادرت الأموال وانتهكت الأعراض، ولها سجل حافل من المخازى الإنسانية فى جنوب إفريقيا وفى كل بلد إفريقى احتلته جيوشها، وسجلها فى شبة القارة الهندية أحفل بالمخازى وبالأعمال الهمجية البربرية المتوحشة، وما سمى هذا الإجرام إرهابًا مسيحيًا!!!

إن إرهاب بريطانيا وإجرامها فى كل ما احتلته بجيوشها وسمته مستوطنات تحتاج فى كتابتها إلى ألوف الصفحات؛ فهى أعتى وأكبر دولة إرهابية إجرامية منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن، وهى مسيحية لكن إرهابها لا يوصف بأنه إرهاب مسيحى!!! إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار!!!

- وما يقال عن بريطانيا فى إرهابها وإجرامها واتجارها بالرقيق وجعل سيراليون مركزاً لهذه التجارة، يقال مثله وأكثر منه عن فرنسا، وهولندا، وإسبانيا، والبرتغال، وبلچيكا، وإيطاليا وألمانيا ومعظم دول أوروبا التى مارست أبشع أنواع الجرائم فى حق الشعوب التى احتلت أراضيها، وكل شعوب أوروبا مسيحية كاثوليكية أو بروتستانتية، ومع ذلك لم نسمع عن وصف إرهابها بأنه إرهاب مسيحى!!!

ولا أنفى أن بعض المسلمين قد ارتكبوا أعمالاً إجرامية، مخالفين بذلك دينهم، لكنهم وحدهم الذين يوصف عملهم بأنه إرهاب إسلامى!!!

٣- والإسلام دين العنف:

أو يقولون: العنف الإسلامى، وهى مقولة ممعنة فى الجهل بالإسلام ودالة بالقطع على الحقد عليه، إذ لو كان الإسلام دين عنف ودماء ما انتشر فى أكثر من نصف العالم فى أقل من نصف قرن من الزمان، وأى دين سماوى من عند الله لا يمكن أن يكون دين عنف، لأن الله تعالى يوحى بهذه الأديان جميعاً رحمة بالناس.

ولقد اعترف بعض المنصفين من المفكرين الغربيين بأن الإسلام دين رحمة ومساواة وعدل فى كثير من كتبهم ودراساتهم[١]، بل الرسول الخاتم ﷺ أعلن عن أنه دين الرفق وأن العنف ما يكون فى شىء إلا شانه.

روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله»**.

ورواه مسلم والترمذى وغيرهما.

وروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه»**.

وروى عبد بن حميد - فى صحيحه - بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«ما كان الرفق فى شىء إلا زانه، ولا نزع من شىء إلا شانه»**.

---

(١) ذكرت أسماءهم وأسماء كتبهم فى كثير من مؤلفاتى وبخاصة كتاب: التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى وطرق التغلب عليه.

إن الإسلام بناء على هذه النصوص الشريفة دين الرفق لا دين العنف، وإن تاريخ الإسلام حافل بمواقف الرفق. وما حدث عنف إلا كان تجاوزاً ممن مارسه لحدود ما أنزل الله على رسوله، ومن ثم يحسب على المسلم المخالف لا على الإسلام.

إن هذا الوصف للإسلام بأنه دين العنف لجريمة ارتكبها مسلم مخالف لدينه، يجعلنا نتساءل قائلين:

بماذا نسمي ما ارتكبه اليهود من جرائم وحشية؟ أنقول: اليهودية دين العنف؟

وبما نسمي ما ارتكبه الصليبيون قديمًا والمستعمرون المستوطنون ممارسو تجارة الرقيق ومروجوها في أفريقيا؟ أنقول: المسيحية ديانة العنف؟

إن الأديان جميعًا بريئة من العنف، ولكنه وصف لبعض المتدينين بهذه الأديان المخالفين لجوهرها وما جاءت به من عند الله تعالى.

٤- والإسلام يهضم حقوق المرأة:

وهى أكذوبة كغيرها من الأكاذيب تدل - كما قلنا - على الجهل بالإسلام والإصرار على اتهامه بما ليس فيه بالباطل.

ولا أدرى من أين جاءوا بالدليل الذى جعلهم يطلقون هذه الفرية؟ لعلهم رأوا أحد المسلمين يسىء معاملة ابنته أو أخته أو زوجته فتسارعوا إلى إطلاق هذه التهمة لتشفى غليلهم وغيظهم من الإسلام، متجاهلين أن السلوك الفردى لا يمكن أن يكون حجة على الإسلام ومبادئه، وإلا لجاز لنا أن نقول: إن اليهودية أو المسيحية تهين المرأة وتجبرها على أن تدفع المهر لمن يتزوجها كما يحدث هذا من بعض اليهود والنصارى!!!.

- وإن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لتعطى المرأة حقها كاملاً وتلزمها بواجباتها، كما تفعل ذلك مع الرجل سواء بسواء.

- قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** ﴾ [النساء: ١٢٤].

- قال عز وجل: ﴿ **لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا** ﴾ [النساء: ٧].

- وقال جل شانه: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

[النساء: ٣٢].

- وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: **«اللهم إنى أُحَرِّجُ حق الضعيفين؛ اليتيم والمرأة»**.

- وروى الترمذى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»**.

- وروى ابن ماجة بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جِدَته كُنَّ له حجابًا من النار يوم القيامة»**[1].

٥- والإسلام يلزم بختان الإناث:

وتلك فرية كاذبة دالة على الجهل المطبق بالإسلام، دالة على أنهم يرغبون فى إلصاق أى تهمة بالإسلام.

والحق أن الإسلام كما دلت على ذلك كلمات الرسول ﷺ وأعماله وأعمال صحابته رضى الله عنهم وأعمال التابعين وتابعيهم، وإلى يومنا هذا؛ لم يوجب ختان الأنثى فيدخله فى دائرة وجوب الالتزام به، ولم يحرمه فيدخله فى دائرة الإثم والمعصية. وإنما جعله مباحًا لمن أراد واعتبره تجميلاً لهذا المكان من المرأة، ولم يسمح بنهك هذا النتوء واستئصاله وإنما نهى عن النهك وأشار وأوصى بالقطع، فقد روى أبو داود بسنده عن أم عطية رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«لا تنهكى[2] فإن ذلك أحظى للمرأة وأحبُّ إلى البعل»**.

● غير أن لأعداء الإسلام تعبيرات صدقوا فيها - وهم الكاذبون - وذلك مما أنطقهم الله به إحقاقًا للحق، وذلك مثل قولهم:

- الإسلام يحرم الصلات المثلية فى العلاقات الجنسية، والصلات المثلية بين الرجال هى

(١) ما يتصل بالمرأة حقوقها وواجباتها، انظر فيه كتابنا: المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، نشر دار الوفاء - ط الرابعة عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) النهك: المبالغة فى الشىء أى قطع معظم البظر أو ثلثاه، وهذا منهى عنه وإنما يكون القطع أقل من ذلك للتجميل وللاحتفاظ بجزء منه للإثارة الجنسية مع الزوج.

«اللواط»، وبين النساء هى السحاق؛ وصدقوا فإن الإسلام حرم هذا، وكذلك حرمته سائر الأديان السماوية لما فيه من تضييع المصلحة فى إبقاء النسل وهو هدف الزواج.

- والإسلام يرى الأسرة وحدة المجتمع ويصر على بنائها، وقد صدقوا فإن ذلك حماية للزوجين والأبناء.

- والإسلام لا يسمح أن تكتسب المرأة الأمومة بغير زواج، وصدقوا فإن المرأة التى تحمل وتلد من غير زواج زانية تستحق العقاب.

- والإسلام يحرم الإجهاض، وصدقوا، لأن ذلك قتل للنفس ولا يجوز إلا لضرورة يراها طبيب مسلم حاذق.

- والإسلام يبيح تعدد الزوجات، وقد صدقوا، فإن ذلك خير من اتخاذ الخليلات ومن الزنا ونحوه.

● إن كل ما يتصل بقضية الصليبية الحديثة وما يتفرع عنها يجب أن يستوعبه المسلم، وأن يشارك فى الرد عليه وبيان ما فيه من باطل وزيف، وذلك من صميم الإيجابية والمشاركة فى العمل السياسى.

● **وقضية النظام العالمى الجديد:**

النظام العالمى الجديد، مصطلح سياسى أطلقه چورچ بوش الأب «رئيس الولايات المتحدة الأمريكية» بعد حرب عاصفة الصحراء ضد العراق لتحرير الكويت من عدوان صدام حسين عميل أمريكا السابق، ومنفذ خطتها فى الحرب ضد إيران الجارة المسلمة، وهى نفسها أمريكا التى أغرته بالعدوان على الكويت لتجنى من ذلك نفوذًا فى المنطقة وقواعد عسكرية ونفطًا، وإصلاحًا لما دمرته الحرب.

ونفس الخطة وهى تضرب العراق، بعد أن أدى صدام وظيفته تريد أن تستولى على العراق وتؤمن إسرائيل، ويكون لها وجود فى المنطقة على بعد أقدام من إيران ومن سوريا ولبنان وفى داخل الوطن العربى.

● النظام العالمى الجديد له فى معظم الأوطان الإسلامية والعربية صدَّام كصدَّام العراق يؤمر فيطيع ويؤدى وظيفته ثم يُلْفَظ بانقلاب عسكرى أو بتنحية بالقتل أو غيره، وتلك خطة الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، أو بوش الابن وشارون الشريرين المجرمين اللذين يضمران للعالم الإسلامي والعالم العربى كل شر وحقد.

● إن النظام العالمى الجديد يستهدف سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، وفى مقدمته دول العالم الثالث ومنه العالم الإسلامى والعالم العربى، مع تكبيل العالمين الإسلامى والعربى بسلاسل غليظة من التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية والتعليمية، ليكون أولا سوقًا للسلع الأمريكية أو السلع غير الأمريكية التى تدفع بها إلينا لما لها فى ذلك من مصلحة مادية أو سياسية، وثانيًا سوقًا للسلاح من أجل الحروب التى تصطنعها أمريكا لترويج سلاحها.

إن النظام العالمى الجديد يعنى أن تكون الاحتياجات الأساسية للعالمين العربى والإسلامى من مزروعات ومصنوعات مجلوبة من أمريكا، مهما كانت بعض دول العالم الإسلامى قادرة على الزراعة والصناعة، لأن أمريكا هى التى تسمح بالزراعة أو الصناعة بالقدر الذى لا يحقق لدول العالمين الإسلامى والعربى الاكتفاء، إذ الخطة أن تكون محتاجة دائمًا لأمريكا فى الحاجات الأساسية.

● ومما يعنيه النظام العالمى الجديد أن يكون التعليم؛ مناهجه ونظمه ومقرراته الدراسية مُحبِّبة ومرغبِّة فى التبعية للثقافة الأمريكية، مزرية بالثقافة الإسلامية والعربية، وأن يكون التعليم ذا مشكلات كثيرة فى المدرسة والمدرس والمقرر الدراسى، بحيث لا يتاح لدارس أن يتعلم منهج البحث العلمى ولا أن يبدع أو يبتكر، وكيف يبدع أو يبتكر وهو محروم من حرية الفكر فى أوطانه التى تحكم معظمها حكمًا عسكريا، أو تخضع للأحكام العرفية، أو تعج بالقضاء العسكرى الذى لا يعقبه استئناف ولا نقض؟

كيف يتقدم المتعلمون فى عالمنا فى مجال العلم والتقنية والاختراع والمستشارون الأجانب فى مجال التعليم لا يشيرون إلا بما يعوق مسيرة العلم والتقدم والاختراع؟

● وإن مما يدخل فى النظام العالمى الجديد أن تهيمن الولايات المتحدة الأمريكية على ظروف العالمين الإسلامى والعربى، حتى تمنع أى عمل إسلامى أو عربى أو قومى يستهدف تخليص البلاد من هذه الهيمنة أو من هذا الاحتلال، تمنعه بإغراء الحكومات المحلية بضربه وإجهاضه، وتوجيه التهم إليه، وإلى الإسلام الذى يحركه، أو العروبة التى تشجعه، أو القومية التى ترغب فى التحرر من التبعية، أو العبودية التى تفرضها أمريكا على كثير من دول العالمين الإسلامى والعربى.

ولقد استطاعت أمريكا أن تجعل من كثير من حكام العالمين الإسلامى والعربى مستبدين قاهرين لشعوبهم بالأجهزة والآليات والأسلحة الأمريكية، وليس ببعيد عن الأذهان ولا عن

أعين المراقبين كثرة هذه النماذج من الحكام بحيث لا تخطئهم العين، تعرفهم بسيماهم وبتحديهم بل إهدارهم لحقوق الإنسان؛ لأن تاريخ أمريكا في اصطناع هذه النماذج معروف، فهى التى تأتى أعمالاً لا تبرير لها إلا رغبتها الشديدة فى أن يسود الحكم المستبد بلاداً إسلامية، وليست قصة إحلالها «سوهارتو» محل «سوكارنو» فى أندونيسيا ببعيدة عن الأذهان، حيث استبد «سوهارتو» فقتل أكثر من عشرة آلاف من معارضيه. وأمريكا بكل تأكيد وراء أى حكم استبدادى فى العالمين الإسلامى والعربى بغض النظر عن نظام هذا الحكم ملكيًا أو جمهوريًا أو جمهوريًا وراثيًا أو قبائليًا!!!

- إن النظام العالمى الجديد الذى تقوده الولايات المتحدة الأمريكية يستهدف إهدار حقوق الإنسان ثم يحسن التباكى على إهدار حقوق الإنسان !!!

- إن أمريكا ودول الغرب أصحاب المصالح المباشرة فى فساد أنظمة الحكم فى العالمين العربى والإسلامى، قد نجحوا بتفوق فى تعميم إهدار حقوق الإنسان فى العالم العربى من خلال التأثير المباشر وغير المباشر على أنظمة الحكم فيه، بدليل أن الميثاق العربى لحقوق الإنسان الصادر فى عام ١٩٩٤م لا يزال حبراً على ورق ولم يدخل حيز التنفيذ حتى الآن؛ لأن شرط تنفيذه أن توافق عليه سبع دول على الأقل من الدول العربية، وحتى الآن لم يحظ بموافقة سبع دول من اثنتين وعشرين دولة!!! فمن الذى يشجع الدول العربية على عدم الموافقة؟ إنه الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، لأنهم أصحاب المصالح فى ذلك، وليس كلامنا هذا رجمًا بالغيب ولكنه واقع يُرى ويُحَس وتقوم عليه الأدلة والبراهين.

والربط بين الاستبداد وإهدار حقوق الإنسان لا يحتاج إلى تعليل، والربط بين فساد النظام الحاكم والتدخلات الأمريكية لا يحتاج إلى دليل، وحسبنا فى هذا وذاك أن قوات أمريكا تغزو أفغانستان والعراق وتبنى قواعد عسكرية فى عديد من دول العالمين العربى والإسلامى؛ حسبنا ذلك لنؤكد به فساد نظام الحكم فى العالمين الإسلامى والعربى الذى لم يستطع حماية إحدى دوله من الغزو الأجنبى والاحتلال وبناء القواعد العسكرية!!!

- إن النظام العالمى الجديد (أمريكا) يريد أن يفرض على العالمين الإسلامى والعربى نظامًا استعماريًا استيطانيًا ضالعًا مع إسرائيل للسيطرة على العالم العربى، وضالعًا مع الصليبية الحديثة والإلحاد للسيطرة على العالم الإسلامى، ويتخذ للوصول إلى ذلك أساليب أصبحت مألوفة معروفة منها:

– تقوية نفوذ إسرائيل عسكريًا وماديًا ومعنويًا، ومساعدتها بشكل مباشر إن تعرضت لأزمة – سياسية أو اقتصادية أو عسكرية – كما حدث فى حرب ١٩٧٣م بينها وبين مصر.

– وإطلاق أيدى القوى الاستعمارية الغربية فى كثير من بلدان العالمين الإسلامى والعربى، كما هو حادث مع الاتحاد الروسى فى الشيشان ومع كثير من دول الغرب فى البوسنة والهرسك وكوسوفو وألبانيا، وكما هو حادث مع فرنسا فى عديد من بلدان العالم العربى؛ وكما هو حادث مع بريطانيا فى العراق من جديد، ومع كثير من القوى الاستعمارية الاستيطانية.

– واصطناع إطار للحريات المحدودة، التى لا تتجاوز مارسم لها، ولقد قلنا أكثر من مرة: إن حرية التعبير مكفولة فى العالمين العربى والإسلامى لكن فى الثناء على الحكومات ووصفها بأنها تعيش أزهى عصور الديموقراطية، وحرية النقد مكفولة لكن فى نقد معارضى الحكومة، فإن ندٌ عن هذا الإطار غافلٌ عن أصول اللعب على الحبال السياسية فإن مصيره معروف وقاضيه العسكرى جاهز بحكمه.

– واصطناع أوضاع شبه ديموقراطية مثل المجالس النيابية فى ظل الانتخابات المعروفة التى لا تفرز أقل من ثمانين بالمائة من حزب الحكومة من عدد أعضاء أى مجلس، ومثل مجالس الشورى التى يعين أعضاؤها من الحاكم ولى النعم، ومثل اللجان الشعبية، ومثل الجيوش المشرعة الأسلحة إن تسرب بعض الإسلاميين إلى المجالس النيابية على الرغم من الانتخابات المزورة، عندئذ تسقط الجيوش أى حكومة وتعود سريعًا إلى ثكناتها بعد أن يصبح كل شيء تحت السيطرة!!

– وتكوين أحزاب سياسية شكلية تسلبها حكومات الاستبداد كل صفات الحزب السياسى الجوهرية، وتبقى لها الاسم واللافتات، وربما تركت لها بعض الصحف التى تكتب ما تكتب بين حاصرتين من الرقابة، وخوف مصادرة الصحيفة وحل الحزب نفسه، على أن بعض البلاد لا تسمح بتشكيل الأحزاب مطلقًا، وبعضها لا توافق مطلقًا، وبعضها توافق بشروط!!!

– والسماح لبعض كتاب الحكومة المعينين فى وظائفهم بقرارات منها، السماح لهم بمداعبة مشاعر المواطنين الذين يبحثون عن حقوق الإنسان، بان يكتبوا فى صحف الحكومة أو يعرضوا فى إذاعة الحكومة أو يعرضوا فى تليفزيون الحكومة، ما يضلل الناس ويوهمهم بأن الحكومة السنية ترعى حقوق الإنسان!!!

– وإذا شعرت القوى المعادية الاستعمارية الاستيطانية بأن مساعى الحكومات أقل من طموحات تلك القوى، ربما غيرت الحكومة بانقلاب عسكرى أو انتخابات مزورة أو احتلال لتلك البلاد بقواتها العسكرية.

● وعلى الرغم من أن النظام العالمى الجديد ظل دائمًا واضح المعالم بيِّن الأهداف معروف الأبعاد والمساحات التى يتحرك فيها فى دول العالم الثالث كله، ودول العالمين الإسلامى والعربى، فإن دولة واحدة من دول العالمين الإسلامى والعربى لم تغضب فتتخذ ضد هذا النظام العالمى الجديد – النفوذ الأمريكى – أى إجراء يحد من شره وضرره!!!

بل الأعجب الأكثر إثارة للدهشة أن العلاقات السياسية بين دول العالمين الإسلامى والعربى وأمريكا وكثير من دول الغرب أحلى من السمن الممزوج بالعسل الذى ذُرَّ على وجهه «الهيل» ذو الرائحة الزكية[1].

● إن المسلم الذى لا يعى قضية النظام العالمى الجديد، أو تلك التيارات المعادية للإسلام والمسلمين والعرب والعروبة لهو من الغافلين، اللاهين المقصرين فى حق دينهم ووطنهم.

– وإن الاكتفاء بوعى هذه القضية دون خطة عمل ومشاركة فيه، بحيث تقضى على أخطار النظام العالمى الجديد أو تقلل منها لهو من الإثم والمعصية.

● ومن نافلة القول التأكيد على أن إسرائيل مستفيدة من النظام العالمى الجديد على حساب العالمين الإسلامى والعربى، وحسبها مكسبًا بهذا النظام أن تظل محتلة لفلسطين، مضطهدة للفلسطينيين والعرب، تفعل فى الأرض والبشر ما تشاء دون أن تخاف مقاومة تتصدى لمخططاتها على مستوى العالمين الإسلامى والعربى، إلا المقاومة فى داخل فلسطين التى أزعجتها وأجبرتها على الاستعانة بالغرب وأمريكا لإيقاف هذه المقاومة، وقام العالم الغربى معظمه يتحدى الضحية ويطالبها بالسكوت والسكون حتى يجهز عليها جزار إسرائيل «شارون» بسكينة أمريكا ومباركة بوش!!!

● وربما شعرت الولايات المتحدة الأمريكية أن النظام العالمى الجديد غير مشبع لنهمها، وغير ملائم لمطامعها، فأكملته بنظام مساند له فى خبيث أهدافه؛ ذلك هو: «العولمة». فصارت العولمة عندنا قضية يجب أن نعيها وأن نعمل ما وسعنا لتلافى أضرارها وشرورها.

---

(١) استعملنا هذا التعبير فى كتابنا التربية السياسية الإسلامية منذ ما يقرب من ثلاث سنوات، ولا يزال هذا التعبير فى عالمينا الإسلامى والعربى قادراً على تصوير العلاقة بين الضحية والقاتل!!!

- **قضية العولمة:**

العولمة - في إيجاز - وبدون أدنى تجميل - هي سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية - وذراً للرماد في العيون حتى لا ترىَ - والدول الصناعية الكبرى الثماني - بعد أن كانت سبعًا - على العالم كله، سيطرة اقتصادية ساحقة لأي أملٍ عند أي دولة من دول العالم الذي يعيش خارج تلك الدول الثماني، في أن تستقل اقتصاديًا أو تحقق لنفسها اكتفاءً ذاتيًا.

- ولأن هذا النظام ظالم وضاغط وغير إنساني، بل منطوٍ على استعباد هذه الدول الثماني الكبرى[1]، لدول العالم كله، بربط دول العالم بسلسلة قوية من عنقه وجره قسراً ليزداد فقراً بينما تزداد الدول الصناعية الكبرى غِنًى ورفاهية، ولأن هذا النظام غير أخلاقي وغير إنساني ثارت عليه بعض الفئات من المجتمعات الغربية المؤمنة بالحرية والعدالة، فنظمت مظاهرات ضد العولمة صاحبت عقد مؤتمرات العولمة مثل: سياتل بأمريكا وغيرها من مدن العالم الغربي كلما عقد مؤتمر «للعولمة»، ولا تزال هذه المظاهرات الاحتجاجية على العولمة ونظامها تجرى حتى اليوم ولا تزال الدول الصناعية الكبرى غير عابئة بهذه المظاهرات!!!

- إن العولمة في تبسيط لها وتوضيح تعني: منع أي دولة من دول العالم - ما عدا الدول الصناعية الكبرى - من أن يحدث له أي اكتفاء ذاتي في أي سلعة من السلع الضرورية كالقمح والزبد واللحوم وكثير من المصنوعات، لكي تظل في حاجة إلى قمح أمريكا وزبدها ومصنوعات الدول الثماني.

- ونستطيع أن نقدم على ذلك مثالاً واحداً، لكنه يقاس عليه دائمًا، وهو:

في إحدى البلاد الإسلامية ذات الأرض الخصيبة من ألوف السنين وذات المياه العذبة، والأيدي العاملة الرخيصة والعراقة في الفلاحة والزراعات العديدة، هذه الدولة وأمثالها، حظر عليها زراعة القمح إلا في مساحات محدودة من أرضها، حتى لا تكتفي من قمحها ذاتيًا فتلجأ إلى أمريكا راجية مشترية بالسعر الذي تحدده أمريكا.

ولقد سمعت ثم رأيت القمح الأمريكي والزبد الفائض عن الاستهلاك المحلي والتصدير يلقى في المحيط حتى تحافظ أمريكا على سعره عملاً بنظرية العرض والطلب.

---

(١) هي: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، والاتحاد الروسي، واليابان والصين.

تفعل أمريكا ذلك دون حياء أو خجل، كما تفعل نظير ذلك فى النفط، فكلما ارتفع سعره أَمَرَتْ الدول المصدرة له بأن تزيد فى الإنتاج حتى يظل السعر منخفضًا، لأنها أكثر دول العالم استهلاكًا للنفط!!!

وبغض النظر عن أن الدول المصدرة للنفط تعلم علم اليقين أن احتياطيها منه محدود مهما كان كبيرًا، وبأن ارتفاع سعره فى صالحها - لأنها دول تحسن التجارة كما صرح بذلك أكثر من مسئول فيها - على الرغم من ذلك فإنها لا تملك إلا أن تسارع بالاستجابة إلى ما طلبت منها سيدة العالم وإمبراطورته أمريكا.

نقول هذا ونعلم أنه حق ولا ينكره أحد ممن يقرأون الصحف، فضلاً عن أن يكونوا من خبراء النفط، ولقد نعلم أن خبراء النفط عندما يسمعون ما نقول يتهموننا بجهل سياسة النفط وجهل سياسة أسعاره وإنتاجه، ويُفلسفون الأمور حتى يبيحوا لأنفسهم الاستجابة لأوامر سيدة العالم صاحبة نظام العولمة، وربما اتهمنا بعض الواثقين فى سياسة الموالين لكل ما يقوم به الغرب حتى لو كان تجويع دول العالم، فيقولون عنا وعن أمثالنا: إننا مغرمون بالتفسير التآمرى للأحداث لأننا تحكمنا عقد الحقد والكراهية لكل ما هو غربى وكل ما هو أمريكى، ليقولوا ذلك وغيره ما شاءوا... ولتتهمنا إسرائيل ما دام ذلك رأينا فى سياسة القمح والنفط والعولمة والنظام العالمى الجديد بأننا أعداء السامية!!! إذْ أصبحت هذه التهمة تطلق على كل من لا تعجبه سياسة إسرائيل النازية المتوحشة، وما أسرع ما تطلقها على العرب الساميين لنسبتهم إلى سام بن نوح عليه السلام!!!

- ولمجرد العلم - لمن لا يعلم - السامية تتسع لتشمل العرب، والأكاديين (قدماء البابليين والأشوريين)، والكنعانيين (الأموريين والعمونيين والفينيقيين والعبرانيين أو اليهود)، وتشمل جزءًا كبيرًا من أثيوبيا.

ولكن اليهود أو الصهاينة هم الساميون وحدهم مع أنهم كما أوضحنا فرع من عشرة أفرع تشملهم السامية، ولكنهم كأمريكا فى الصفاقة والبجاحة والمغالطة!!!

ومَنْ اتهمه اليهود بعداء السامية يُعَادَى إسرائيليا وأمريكيا وعالميا، والويل له إن لم يتراجع ويسجد مستغفرًا ويدفع تعويضات مالية فادحة تصب فى خزانة إسرائيل بمباركة أمريكا ودول الغرب، وما سمعنا عن معادٍ للسامية دفع للعرب أو للبابليين أو الأشوريين أو غيرهم ممن ينتسبون إلى سام بن نوح عليه السلام تعويضًا قليلاً أو كثيرًا!!

وما أصبر ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية وهى تكره على دفع تعويضات باهظة لإسرائيل وحدها منذ ما يقرب من سبعين عامًا، ولا يدرى إلا الله كم تستمر فى هذا الغُرم الفادح؟

● ومن أجل العلم المحدود الذى أتاحه الله لنا والمعرفة الضئيلة نؤكد - والحق معنا والتاريخ يؤيدنا - أن مصطلح: «التفسير التآمرى» مصطلح صُكَّ فى إسرائيل، وصُدِّر إلى الغرب فختمه بخاتمه وأعطاه شرعية غربية متحضرة، ثم ذهب إلى أمريكا حتى تدمغه بخاتمها كذلك حتى لا يزيف أو يتشكك فيه أحد، فيصبح بهذا التشكك عدواً لأمريكا، ثم تفرضه أمريكا فرضاً على البلاد والعباد، بقوة الإعلام وأجهزته أو بقوة المال والاقتصاد، أو بقوة السلاح والقوات المتحالفة!!!

● وبنفس الأسلوب ونفس الدورة صُكَّ مصطلح: معاداة السامية، بل صكت معظم المصطلحات التى تسىء إلى الإسلام كالإرهاب والعنف، والأصولية، وهضم حقوق المرأة...... إلخ.

● إن العولمة التى تتبناها الولايات المتحدة الأمريكية وتحشد لها الدول الصناعية الكبرى الثمانى، وتريد أن تسيطر بها على العالم كله، هى قسمة بينها وبين إسرائيل من حيث الأسباب والنتائج.

- أما الأسباب؛ فإن العولمة لا تقوم لها قائمة حتى يجتمع لها الخبث والدهاء، والرذائل والشرور اليهودية المأثورة عن اليهود كحب الشر للآخرين وإفسادهم واستغلالهم، ومحاولة جعلهم حميراً ليركبها اليهود، والظلم الذى يمارسه اليهود فى كل من ليس يهودياً أى أمميا، فهم يرون أن ليس عليهم من حرج إذا سرقوا الأممى أو زنوا بنسائه، فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿ ..... **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧٥].

يزعمون أنهم شعب الله المختار وأنهم أولياء الله وأحباؤه، وأنه سبحانه وتعالى أباح لهم ما لم يبح لسواهم من البشر، وحاشا لله تعالى أن يقضى بهذا فضلاً عن أن يأمر به، وكذب اليهود على الله تعالى وهم يعلمون أنهم كاذبون.

- وأما النتائج فإنها نتائج مادية تجارية اقتصادية وهى قسمة بين إسرائيل وأمريكا حتى إذا لم تكن إسرائيل من الدول الصناعية الثمانى، لأن أمريكا تعهدت ولا تزال تتعهد بحماية إسرائيل ومدها بالسلاح والمال والحرب معها - كما صرح بذلك رئيسها «كلينتون» صاحب قصة «مونكا».

إن أمريكا تقسم مع إسرائيل ثمرات العولمة، لا يشك فى ذلك أحد؛ إذ تصرح به أمريكا من يوم أنشئت إسرائيل وحتى اليوم وغد، حتى يأذن الله بالتغيير، كسنته فى خلقه سبحانه وتعالى فى الأولين منهم والآخرين.

تلك كلمة وجيزة عن العولمة(١).

وآخر هذه القضايا التى يجب أن يشارك فيها كل مسلم بما يستطيع من جهد أو وقت أو مال أو نفس هى:

- قضية التحدى السافر للإسلام فى مجال التطبيق:

أىْ تحدى كل ما هو إسلامى، وهؤلاء الذين يتحدون الإسلام والمسلمين هم الذين تحدثنا عنهم ونحن نذكر قضاياهم وهم: الصهاينة، والإلحاديون، والصليبية الحديثة، والنظام العالمى الجديد، والعولمة، وهؤلاء يكونون فيما بينهم مذهبًا أو منهجًا يقوم على تحدّى كل ما هو إسلامى من فرد متدين أو كاتب أو مفكر، أو جماعة أو هيئة أو دولة وحكومة.

إنهم يقفون لأولئك جميعًا بالمرصاد يحولون بينهم وبين أى تمسك منهم بالإسلام فى مجال النظرية أو التطبيق، لأن الإسلام هو عدوهم اللدود، والمسلمون نماذج له.

● ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

- على مستوى تحدى الفرد المسلم:

أذا تمسك الفرد المسلم بدينه حاربه هؤلاء الأعداء حتى يتخلى عن تمسكه به، فلقد منعت فرنسا - التى ترفع شعار الحرية والإخاء والمساواة - التلميذات المسلمات من ارتداء الزىّ الذى يستر من أجسادهن ما أمر الله بستره، ضاربة بالحرية الشخصية عرض الحائط متنكرة للمساواة إذ تسمح هى وغيرها للعراة أن يجوبوا الشوارع!!!

وكذلك تفعل تركيا اللاهثة وراء أن تكون جزءًا من أوروبا - وكثير من بلدان العالم التى تدعى التحضر وتنتهك أوليات هذا التحضر - إذ تحارب الحرية الشخصية!!!

- وعلى مستوى الأفراد:

شوهت فرنسا أسماء الجزائريين فحظرت عليهم الانتماء إلى قبائلهم ذات التاريخ

---

(١) تحدثنا عن العولمة بتوسع أكبر من ذلك فى كتابنا «التربية السياسية الإسلامية» الحلقة الخامسة من سلسلة مفردات التربية الإسلامية - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

الإسلامى المعروف، وجعلت الأسماء هناك مكونة من اسمين فقط[1]، وأصدرت بذلك قانونًا وظل هذا القانون ساريًا عشرات السنين حتى ألغاه الرئيس هوارى بومدين بعد استقلال الجزائر عن فرنسا.

– وكذلك فعلت الدول المستعمرة كلها فى تشويه أسماء المسلمين بقطعها عن ماضيها وتراثها وأجدادها، فقد مارست ذلك بريطانيا، وهولندا وبلجيكا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا وكل بلد مسلم أصيب بوباء الاحتلال الأجنبى.

وهذا الذى تريد به الدول المعادية قطع أنساب المسلمين يعطل حديثًا نبويًا شريفًا – وهذا هدفهم – هو ما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه – تحت باب ما جاء فى تعليم النسب – عن النبى ﷺ قال: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة فى الأهل، مثراة فى المال، منسأة فى الأثر**» أى زيادة فى العمر.

فالرسول ﷺ يدعو إلى تعلم الأنساب وأعداؤنا يريدون قطع هذه الأنساب!!!

– وعلى مستوى الكتاب والمفكرين:

أغرى الأعداء بعض حكومات العالم الإسلامى بحظر كتب بعض المصلحين المسلمين، إذ حظرت فى كثير من بلدان العالم الإسلامى كتب أبى الأعلى المودودى، وكتب حسن البنا، وسيد قطب، ومالك بن نبى، وغيرهم.

وشجعت حكومات بعض الدول الإسلامية بعض الكتاب بالتهجم على نظام الحكم الإسلامى[2]، وعلى بعض الصحابة من كبار رواة الحديث النبوى[3]، واصطناع الأذناب الأذلاء الذين يوالون أعداء دينهم فيقربون إليهم بمؤلفات تافهة تطالب بإعادة النظر فى القرآن والسنة النبوية ومناقشتها بحرية، وكوفئوا على ذلك بالمناصب والأموال، ولما أدانهم القضاء وجدوا فى بلاد الغرب[4] ملاذًا آمنًا وترحيبًا وتكريمًا.

---

(١) للتأمل: انظر فى أسماء الجزائريين حتى اليوم تجدها غير منسوبة لقبيلة أو عائلة، ومثال ذلك أسماء رؤساء الجزائر بعد الاستقلال: أحمد بن بيلا، هوارى بومدين، الشاذلى بن جديد، محمد بوضياف، عبد العزيز بوتفليقة، حتى الشيخ محفوظ نحناح، وكذلك تونس والمغرب وليبيا!!!

(٢) مثل كتاب: الإسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق.

(٣) مثل كتاب: أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبى رية حيث هاجم أبا هريرة رضى الله عنه، وقدمه له وأبدى إعجابه به طه حسين.

(٤) هى هولندا حيث استقبلت نصرا أبا زيد الذى هاجم القرآن الكريم.

- وعلى مستوى الجماعات والهيئات:

تضافرت جهود الصهاينة والإلحاديين والصليبية الحديثة والنظام العالمي الجديد والعولمة، ومثلتهم إسرائيل وأمريكا والاتحاد الروسي وأذنابه من متوحشي الصرب وهمجيي الكروات النازيين لحمًا ودمًا وسلوكًا، تضافرت جهود هؤلاء جميعًا ليكيدوا وليضربوا كل جماعة أو هيئة إسلامية، وليحولوا بينها وبين التعبير عن مشروعها الإصلاحي، وتشويه كل عمل تقوم به، ومحاربتها بالاتهامات الباطلة والإشاعات الكاذبة لتنفير الناس منها، فإن لم يُجْد ذلك كله في القضاء عليها لجأوا إلى التضييق عليها وحظر حركتها ونشاطها، فإن لم يُجْد ذلك كله لجأوا إلى اعتقال المنتسبين إليها ومحاكمتهم بعد تعذيبهم أمام محاكم استثنائية عسكرية أو ثورية أو شعبية، كما كانوا يسمونها، ثم تصدر الأحكام المعروفة مسبقًا بالإعدام أو السجن المؤبد أو غير المؤبد بعد مصادرة الأموال والأملاك حتى الشخصي منها!!![1].

وعندما لم يُجد ذلك نفعًا جندت بعض الحكومات رجال مخابراتها لاختراق هذه الجماعات ليكونوا عيونا لهم، وأغروا بعضهم بالقيام بأعمال لا يقرها الإسلام فإذا فعلوا انقلبوا عليهم وعلى الجماعات التي ينتمون إليها وقالوا: الإسلام دين العنف والإرهاب.

وكثير من بلدان العالمين الإسلامي والعربي أصدرت قوانين تحظر تشكيل الجماعات والجمعيات والهيئات إلا بإذن من أمن الدولة وأجهزة المخابرات وغيرها، على حين لا تأذن الدولة أبداً، وليذهب الراغبون في الإصلاح عن طريق منهج الإسلام إلى حيث يريدون، حتى الصحف لا تأذن الحكومة بنشرها فيذهب الصحفيون إلى الخارج وينشرون!!!

إنها القوانين الجائرة التي تتحدى حقوق الإنسان وحرياته والتي تستمر في بعض البلدان أكثر من خمسين عامًا باسم الأحكام العرفية، وكيف تقبل الحكومات في المجتمعات الإسلامية بجماعات أو هيئات إسلامية وهي تعلن أنها حكومة علمانية، أو تقبل حكومة أخرى في بلد إسلامي تعلن عداءها للإسلام وتصفه بأقبح الأوصاف وأبعدها عن الصواب.

- وعلى مستوى الدولة والحكومة:

أصرت الدول المعادية للإسلام والتيارات التي روجتها هذه الدول على أن توجه أعتى

---

(١) حدث ذلك وأكثر منه ضد جماعة الإخوان المسلمين أيام حكم جمال عبد الناصر، وانتقل أسلوبه المعادي للإسلام إلى كثير من بلدان العالم الإسلامي.

ضَرَباتها وأوسعها وأكثرها تنوعًا لكل حكومة فى بلد مسلم، تعلن أنها شكلت حكومة إسلامية.

وقد تكالبت دول الشرق والغرب من أعداء الإسلام على نموذجين من هذه الحكومات التى أعلنت برنامجًا إسلاميًا لنظام حكمها هى:

إيران «الثورة الإسلامية».

والسودان وتطبيق الشريعة الإسلامية.

● أما ما فعله الأعداء بالثورة الإسلامية فى إيران، فهو العداء الشديد الذى يستعمل الإجرام ويرتكب جرائم الحرب والسلم؛ وكان لذلك مقدمات شجع عليها الغرب كله وتولَّتْ كبرها الولايات المتحدة الأمريكية، من هذه المقدمات التى تستهدف القضاء على كل ما هو إسلامى:

– دَعْم نظام شاه إيران، وهو نظام عائلى ظالم مستبد، ومده بالسلاح والخبراء.

– وشراء نفطه بعد المعاونة فى استنباطه.

– وفرض الرعب والقهر والإرهاب على الشعب الإيرانى بوساطة جهاز «السافاك»[1] الذى أنشأته أمريكا لإيران عام ١٩٥٦م وظل متعاونًا مع جهاز أو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية حتى قضت عليه الثورة الإسلامية.

– ومَدُّ الشاه وأجهزته القمعية بكل المعلومات التى جمعتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ليحكم إيران بقبضة من حديد.

● وعلى الرغم من كل ذلك قامت الثورة الإسلامية فى إيران بتوجيه من الإمام الخمينى الذى كان هاربًا من بطش الشاه إلى باريس.

فماذا فعلت أمريكا عندما فشلت فى مقاومة الثورة الإسلامية فى إيران ومنعها من النجاح؟ ونجحت الثورة وهرب الشاه؟

– رفضت أن تؤمن ملجأً للشاه مع أنه عميلها!!!

– وجندت أولياءها وأصدقاءها وشركائها فى المصالح التى تجتنى من ضرب الثورة

---

(١) سافاك كلمة مكونة من حروف يرمز كل حرف منها إلى كلمة وهى مجموعة تعنى: «المنظمة الوطنية للأمن والمعلومات».

الإسلامية فى إيران، من أوروبين شرقيين أو غربيين، بل من بعض البلدان الإسلامية للضغط على الثورة الإسلامية الإيرانية وتحديها اقتصاديًا وتجاريا ونفطيًا وسياسيًا وإقليميًا.

– فجرّت أمريكا إحدى الطائرات الإيرانية فى الجو كانت تحمل مائتى راكب فى عمل إجرامى وحشى، يعرف مثله من أمريكا التى فجرت قنبلتين ذريتين فوق هيروشيما ونجازاكى فى اليابان، ومع ذلك لم يحاسبها ولم يعاتبها أحد لأنها فوق القانون وفوق المساءلة!!!

أما طائرتها التى فجرت فوق «لوكيربى» فقد ترتب على تفجيرها حصار ليبيا اقتصاديًا وتجاريًا وسياسيًا وأمنيًا ومحاكمة ليبيين وإدانة أحدهما وأخذ تعويضات من ليبيا فى هذه الأيام – النصف الأول من أغسطس ٢٠٠٣م – بلغت مليارين وسبعمائة مليون دولار أمريكى لأسر الضحايا.

– ثم وجهت أمريكا إلى إيران غزوة عسكرية بقيادة عميلها مشئوم العراق صدام حسين، فأكلت هذه الحرب الأخضر واليابس من بلدين مسلمين جارين، وهذا بحد ذاته هدف لأعداء الإسلام.

– وعلى الرغم من كل ذلك وغيره مما لم نجد مجالاً للحديث فيه، فلم تسقط الثورة الإسلامية فى إيران، وكان هذا من فضل الله على المسلمين فى كل بقاع الأرض، واليوم تحاول أمريكا بعد غزوها العراق أن تعيد الكرة فى حربها لإيران، لكن الله تعالى من ورائهم محيط.

● وأما ما فعله الأعداء للإسلام – ورأس حربتهم أمريكا – مع السودان يوم أعلنت حكومة البشير أنها ستطبق الشريعة فهو أغرب من الخيال وأعجب من العجب، ومن ذلك:

– إعلان أن تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين فى السودان يهدد أمن أمريكا ودول الغرب!!!

– وإطلاق تهمة أن حكومة السودان بتطبيقها للشريعة الإسلامية حكومة إرهاب، وإكراه لغير المسلمين من السودانيين على القبول بأحكام الشريعة الإسلامية فى أمورهم، وهذا باطل لم يقل به سودانى واحد من المسلمين أو من غيرهم، ولم يكن من أهداف الحكومة السودانية ولم تتفوه به.

- وأوجدت ودعمت عدداً من المتمردين على الحكومة السودانية فى جنوب السودان بقيادة «جارانج» ومدته بالسلاح والخبراء، فشن حروبًا على حكومة السودان فى الجنوب راح ضحية لها عشرات الألوف من السودانيين.

- وأغْرَتْ مجموعة الدول التى تقترح حلاً للمشكلة السودانية «الإيجاد» بأن تقترح ما فيه الجور على حكومة السودان والمجاملة والممالأة لثوار الجنوب السودانى ومتمرديه.

- وحاربت السودان اقتصاديًا وتجاريًا وسياسيًا، وحظرت عليه الطيران فى أجوائه، وأوقعت بين صفوف الحكومة السودانية حتى أخرج الترابى من الحكومة إلى السجن إلى الإقامة الجبرية إلى تحدى الجبهة الإسلامية وتحجيمها إلى درجة الاختناق.

- وضربت أمريكا بسلاح طيرانها مصنعًا للأدوية بدعوى أنه ينتج مواداً ناسفة، ثم تبين لها خطؤها فاعتذرت بكل وقاحة وبجاحة وكان شيئًا لم يكن!!!

ولا تزال محاولات أمريكا غير الأخلاقية مستمرة لإسقاط حكومة السودان لأنها أعلنت تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين.

ومثال ثالث فى الجزائر:

وهو ما دبرته فرنسا وبعض دول الغرب وبمباركة من أمريكا غداة نجحت الجبهة الإسلامية فى الانتخابات، فتضافرت جهود كل أولئك على حرمان الإسلاميين من حقوقهم التى حصلوا عليها، فاختير الجيش الجزائرى ليعلن إلغاء الانتخابات الحرة وإلغاء ما أسفرت عنه من نتائج، وإلغاء الديمقراطية وطرحها فى القمامة، وإهدار حقوق الإنسان وحرياته، وضربها بأسلحة الجيش التى أعدت لحماية البلاد من الأعداء؛ أعداء الحرية وأعداء الحق وأعداء الاستقلال!!!

ثم يزعمون بل يتباكون على الديمقراطية، ويهاجمون الإرهاب الذى بدأوه بأسلحة الأمة وجيش حمايتها.

إنهم كذابون خداعون غادرون، لا يريدون الحرية ولا يريدون الحق، وإنما يريدون مصالحهم المادية التى سيحرمون منها لو قامت حكومة إسلامية فى الجزائر، وإن الأكذب منهم والأكثر خداعًا وغدراً وتحديًا للحق وللإسلام هم الذين وسدوا الجيش هذه المكانة وسلحوه لينقض على أبناء البلاد لا على أعدائها، إن دول الغرب بهذا العمل قد تنكرت لكل شعاراتها التى تخدع بها الناس وأغرقت نفسها عشرات السنين فى وحل الخداع،

والتناقض والنفاق، وازدواجية المعايير، والخروج من الإنسانية إلى الحيوانية والوحشية، والخوض في دماء عشرات الألوف من ضحايا الحرية والإخاء والمساواة والعدل والديمقراطية المزعومة وحقوق الإنسان المدَّعاة.

ومثال رابع في تركيا، وخامس في نيجيريا، وسادس في إندونيسيا، وسابع في سوريا، وثامن في مصر، وتاسع في اليمن، وعاشر هنا وحادي عشر هناك، إنها نماذج في تحدى كل ما هو إسلامي على مستوى العالم كله وعلى مستوى العالمين الإسلامي والعربي.

إن الغرب فقد مصداقيته في ادعائه الديمقراطية، وأصبح لا يصدق حتى إن قال: إن الشمس ساطعة في رائعة النهار. وكيف يصدَّق الكذوب المخادع الغادر الذى احترف سرقة حريات الشعوب واختلس حقوقها وامتهن إنسانية شعوبها؟

وأين هي ديمقراطية الغرب والحرية والإخاء والمساواة وهو يمارس في البوسنة والهرسك وكوسوفو وألبانيا أبشع أنواع الجرائم الجماعية يقتل الرجال ويغتصب النساء على أيدى الصرب والكروات وكثير من جنود مرتزقة أتَوا من هنا وهناك ليشربوا من دماء المسلمين ويأكلوا من لحومهم أحياء وموتى، ثم يرمون جثثهم في المقابر الجماعية، وأمريكا تسمع وترى وتفرك يديها فرحًا، ثم تتدخل بعد موت عشرات الألوف لتحل القضية لصالح الصرب والكروات!!!

إن الغرب استطاع أن يقنعنا بأن حقوق الإنسان قد نُمِّقت بها وثيقة صدرت من هيئة الأمم المتحدة في ديسمبر عام ١٩٤٨م، وأن يؤكد لنا أنها لم تطبق على أحد من المسلمين في العالم مع أن المسلمين يمثلون ربع سكان العالم!!!

وأن يقدموا لنا عشرات الأدلة على أن الذين ينتهكون حقوق الإنسان بأيديهم وأسلحتهم وازدواجية معاييرهم هم الذين يطنطنون بحقوق الإنسان والحريات والديمقراطية!!!

- إن الدول التى تتمتع في مجلس الأمن بحق الاعتراض على أى قرار لا يحقق مصلحتها دليل على أن العالم يعيش همجية وظلمًا واستبدادًا وتفرقة عنصرية وانتهاكًا حقيقيًا لحقوق الإنسان.

- ثم حذت كثير من دول العالم الإسلامي حذو دول الغرب فداست حقوق الإنسان وأهدرت حرياته، تقربًا بذلك للغرب وتأكيدًا لمشيها على طريقه واحتذاء أسلوبه في

تحدى الإسلام والمسلمين، وقد يقول أحد الناس: «إن فى هذا الكلام مبالغة» وأنا أحيل هذا القائل المخدوع إلى مؤسسات لانتهاك حقوق الإنسان فى العالم العربى بلغت من الشهرة مبلغ النجوم المتلألئة فى السماء.

أحيله على السجن الحربى فى مصر أيام عبد الناصر.

وعلى سجن المزة فى سوريا أيام حافظ الأسد.

وعلى سجون باطن الأرض فى المغرب.

وعلى أحواض حامض الكبريتيك فى العراق.

وعلى سجون ليبيا وتونس والجزائر، وغيرها من مؤسسات وهيئات تختص بإهدار حقوق الإنسان، ومن يجادل فى صحة ذلك فإنما يجادل بالباطل ليدحض به الحق، وهيهات... ثم هيهات.

وما يكذب هذه الحقائق إلا جاهل أو مخادع أو مأجور أو كانت له يد فى هذه الممارسات.

وبعد: فإن المسلم الإيجابى المشارك فى العمل السياسى بحكم ما أوجب عليه إسلامه، يجب أن يحيط بهذه القضايا وتلك التيارات السياسية من صهيونية وإلحادية وصليبية حديثة ونظام عالمى جديد وعولمة وتحدٍّ لكل ما هو إسلامى من فرد أو جماعة أو هيئة أو حكومة، ليكون على علم بما يدبر له ولوطنه المحلى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى لضرب حاضره ومستقبله ودينه ودنياه.

عليه أن يعى ذلك ويشارك فى التوعية به والتعاون مع غيره من إخوانه ليفكروا ويتدبروا فى كيفية مواجهة هذا التحدى بالأساليب المناسبة والوسائل المشروعة، دون أن يشعر أحد باليأس من كثرة الأعداء، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، ولا من قوتهم فإن الضعيف مع الحق قوة لا يستهان بها.

والمتغيرات جميعًا بيد الله تعالى، ولو كنا مؤمنين حقًا لتنزل علينا نصر الله فهذا وعده، ووعده الحق: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، فهل نستطيع أن نكون المؤمنين الموعودين بالنصر؟

إن ذلك ممكن إذا صدقت النوايا وصلحت العزائم، واحتسب عند الله الأجر على أى جهود وجهاد.

ب - ومعرفة القضايا السياسية على مستوى الوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى:

الإنسان المسلم مطالب بالكثير، لأن الله تعالى أعطاه الكثير من النعم وحسبه نعمة الإسلام ونعمة أن كان من خير أمة أخرجت للناس، ونعمة أن الله تعالى أورثه كتابه الكريم ليعمل بما فيه، فيكون من ورثة النبى ﷺ، ونعمة الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق، ونعمة عبادة الله وفى ذروتها الجهاد فى سبيله.

من أجل ذلك كثرت واجباته، لكن من رحمة الله به أنه لم يكلفه إلا بما يطيق ولم يجعل عليه فى الدين من حرج.

إن المسلم عليه أن يعرف ما يحيط به بوطنه المحلى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى من قضايا ذات تأثير فى دينه ودنياه.

وهذه القضايا السياسية الإسلامية تحتاج إلى دراسة واعية لكل ما يحيط بها من ظروف وملابسات لتكون الإحاطة بها عن علم، إذ لابد له أن يعرف عن كل قضية من هذه القضايا:

- الأسباب التى أدَّتْ إليها.
- والأبعاد التى يمكن أن تصل إليها.
- والأعداء الذين يثيرونها ويوجهونها ويؤرثونها.
- والنتائج التى تترتب عليها فى الوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى.
- والطريق التى يجب السعى فيها لمواجهة هذه القضايا.
- وكيفية السعى فى هذه الطريق.
- والوسائل والآليات اللازمة للوصول إلى نهاية الطريق.

● وكل ذلك يحتاج إلى نشر الوعى بهذه القضايا السياسية وإلى تضافر الجهود للتفكير فى التغلب عليها وحلها[1].

---

(١) فى المجتمع المسلم يعتبر ذلك واجبًا على مؤسسات عديدة منها:
- أجهزة الإعلام ووسائله، والمدارس والجامعات، والبيوت المسلمة، والمساجد، والجماعات والجمعيات والهيئات والأندية، كل ذلك يجب أن يتضام ليكوّن الرأى العام الواعى بهذه القضايا.

● وأبرز هذه القضايا على مستوى الوطن المحلى:

– قضية الخروج من التبعية لإحدى دول الأعداء، اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا وتعليميًا وإعلاميًا، وأخلاقيًا، وذلك يحتاج إلى حكومة قوية يدعمها الشعب بكل ما يستطيع من قوة مادية ومعنوية.

– وقضية الحرية على جميع مستوياتها، وفى اختصار شديد:

حرية الوطن، وحرية المواطن.

– وقضية حقوق الإنسان، لكى يعيش كريمًا آمنًا فى وطنه، حريصًا على الاعتزاز به والانتماء إليه وتقديم كل العون له.

– وقضية التعليم: وسائله وأهدافه ومؤسساته.

– وقضية الثقافة الإسلامية والثقافة القومية.

– وقضية اللغة العربية لغة القرآن والإسلام.

– وقضية الإعلام: محتواه وأهدافه، وتحرره من سيطرة الأجانب عليه.

– وقضية التمثيل النيابى الصحيح من خلال انتخابات نزيهة.

– وقضية إقرار العدل، ورفع القوانين الاستثنائية كقوانين الطوارئ والأحكام العرفية والقضاء الاستثنائى.

وغير ذلك من القضايا.

● وأبرز القضايا السياسية على مستوى الوطن العربى:

– قضية فلسطين المغتصبة:

حيث لا حياة للعرب إلا باسترداد كامل أرض فلسطين على أن يعيش فيها اليهود مواطنين آمنين لهم حقوقهم وعليهم واجباتهم، هذا هدف العرب وعليهم أن يعملوا على تحقيقه مهما طال الزمان، وكل تفكير فيما هو أقل من ذلك فهو استسلام للاحتلال والاستيطان ومزيد من الضياع والذل والاستعباد.

– وقضية الخلافات العربية:

وهى خلافات يثيرها قصر النظر من جانب والغرور من جانب آخر، وضعف الإيمان بالعروبة من جانب ثالث، وكثرة المستشارين الأجانب من جانب رابع، وهذا الجانب الرابع

هو أخطر الجوانب لأن هذا المستشار ينتمى إلى أمة معادية ترى مصلحتها فى إثارة الخلافات بين العرب، ومادامو أعداء فكيف نستشيرهم - تلك قضية أخرى ليس هذا محل الحديث فيها.

والمستجيبون لهؤلاء المستشارين الأجانب مخطئون واهمون إذ يتصورون أن هذا المستشار مؤتمن، وأن قرب هذا الحاكم العربى من الدولة التى ينتمى إليها المستشار يجعله مؤتمنا، أو أن هذا الحاكم قد تعلم وتربى فى بلد أجنبى فكان له فيه أصدقاء فاتخذ منهم مستشارين تصور فيهم الإخلاص!!!

إن الثقة فى هؤلاء المستشارين الأجانب أو العرب -الذين ربوا فى بلاد الأعداء على الولاء للغرب- غفلة كبيرة إذ لا يمكن أن يشير واحد من هؤلاء إلا بما يعمق الخلاف بين العرب.

والخطأ فى ذلك على من يثقون فى هؤلاء المستشارين، ومن قبله كان الخطأ على الحكام العرب الذين يربون أبناءهم فى مدارس الأجانب وجامعاتهم ومعاهدهم العسكرية.

وهنا سؤال هو:

من صاحب المصلحة فى إحداث الخلافات العربية أو استمرارها؟ والإجابة القاطعة هى: أن أصحاب المصلحة فى ذلك هم الأعداء، وفى مقدمتهم إسرائيل التى ينتمى إليها عدد كبير من هؤلاء المستشارين دون علم الحكام العرب - والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ومن وراء إسرائيل أمريكا ودول الغرب والشرق.

- وقضية الجامعة العربية:

وهى مؤسسة نافعة ومجمعة للعرب ومحققة لبعض مصالحهم، ولكنها مكبلة بميثاق يشترط الإجماع على أى قرار ليجد طريقه إلى التنفيذ، وبما أنه لا إجماع إلا فيما ندر، فلا تنفيذ لقرار إلا فيما ندر، وأتصور أن من وضع شرط الإجماع مستشار أجنبى أو عربى «مبرمج» ليشير بما فيه صالح الأعداء.

إنه ميثاق يعمق فكرة حق النقض «الفيتو» لكل دولة عربية لكى تقف عائقًا أمام كل قرار يقرب بين العرب ويزيل ما بينهم من خلافات، وما من قرار للجامعة العربية إلا ويجد دولة عربية يشار عليها بعدم الموافقة عليه.

إن الجامعة العربية قد أنشئت منذ أكثر من خمسين عامًا منذ عام ١٩٤٦م، ومع ذلك فإن نجاحها محدود فى إزالة الخلافات بين دولها.

إنه لا أمل فى الجامعة العربية إلا إذا عدل ميثاقها، ثم صيغ تعديله بعيداً عن هؤلاء المستشارين غير الأمناء.

– وقضية التعليم فى العالم العربى:

وهى من أهم القضايا التى يجب أن يعرف أبعادها كل عربى، وأن يعمل ما وسعه على أن يقاوم انحراف التعليم عن أهدافه العربية فى الوطن العربى.

ولابد أن نسلم أولاً بأهمية التعليم فى تكوين الإنسان وصياغته صياغة تمكنه من الإسهام فى بناء مجتمعه العربى وتطويره نحو الأحسن والأنفع لحاضره ومستقبله.

ولابد أن نسلم ثانياً بأن التعليم فى العالم العربى أصابته أمراض خطيرة جعلته يعجز عن تحقيق أهدافه، وأن هذه الأمراض جاءته على أيدى أعدائه الذين كانوا يحتلون أرضه واقتصاده وسياسته وحكوماته؛ بأسماء عديدة اخترعوها ليستولوا بها على بلدان العالم العربى كله – بعد أن تحالفوا على القضاء على الدولة العثمانية – مثل: الوصاية، والانتداب، والحماية، والاستعمار.

وهذه كلها مصطلحات اخترعتها الدول الغربية التى تطمع فى احتلال بلاد الغير والسيطرة على مقدراتها الاقتصادية والتدخل فى سياستها وثقافتها بما يكفل لها البقاء أطول مدة فى تلك البلاد تنهب ثرواتها، وتكبل قدراتها باتفاقيات استسلامية، بل ربما استغلت أبناءها لتخوض بهم حروبها كما كانت تفعل بريطانيا وفرنسا وغيرهما من دول الاستعمار.

- إن هؤلاء الأعداء الذين احتلوا بلدان العالم العربى[1] وضعوا سياسة للتعليم فيه تحقق مصالحهم، وتجعل التعليم قاصراً عن تحقيق مطامح أى بلد عربى سياسيًا أو اقتصاديًا أو ثقافيًا، فأدَّت هذه السياسة بكل تأكيد إلى تجميد التعليم وعجزه عن الوصول بالمتعلمين إلى العلم والبحث العلمى الجاد المؤدى إلى الإبداع والاكتشاف والنهضة العلمية الصحيحة، وكان التعليم على مدى فترات طويلة يستهدف تخريج موظفين لدول الاحتلال.

- وأقول – مع أسفى الشديد –: إن سياسة التعليم التى وضعها المحتل لبلدان العالم العربى

---

(١) كانت العراق والأردن وفلسطين وسوريا ولبنان تحت يد الانتداب. وكانت مصر والسودان تعانى احتلالاً بريطانيا، وتونس والجزائر والمغرب تعانى احتلالاً فرنسيا، وليبيا والصومال تعانى احتلالاً إيطاليا، والجزيرة العربية ودول الخليج تعانى احتلالاً بريطانيًا... وهكذا...

ظلت هى المسيطرة على التعليم بعد جلاء المحتل عقوداً من السنين فى تبعية منظورة أو غير منظورة لهذه السياسة، بحيث استمرت الحكومات العربية فى نظام التعليم على جانب من القصور غير قليل، لأن التعليم لم يحظ من هذه الحكومات بما يجب أن يحظى به لأسباب عديدة من أبرزها أن التعليم يفتح عقول المتعلمين على مساوئ أنظمة الحكم فى العالم العربى، فربما أدى إلى اعتراض أو معارضة وربما أدى إلى ثورة ومطالب تزعج الحكام.

والقضية التعليمية فى العالم العربى، يمكن إدراك خطورتها وخطورة فشل الحكومات العربية فى النهوض بالتعليم وجعله قادراً على تخريج علماء وباحثين ومتخصصين فى كل مجال يحتاج فيه العالم العربى إلى متخصصين.

ودليل فشل حكوماتنا فى مجال التعليم التفكير والتدبر فى الحقائق التعليمية التالية فى الوطن العربى.

- كم عدد الأميين منسوبًا إلى عدد المواطنين فى كل بلد عربى؟
- كم عدد الذين أهَّلهم التعليم لكى يعرفوا عن دينهم ولغتهم ما لا يجوز جهله؟
- وكم عدد الذين يجيدون اللغة العربية فى العالم العربى على مستوى الإذاعيين، وهم أولى الناس بإجادتها.
- وكم عدد العلماء الذين أتاح لهم التعليم فى العالم العربى أن يقدموا للعالم العربى - عن طريق العلم والتقنية - ما يُسدُّ احتياجاته فى مجالات: الزراعة والصناعة والتقنية والتجارة والاقتصاد والاستثمار، وكل ما يطور المجتمع وينهض به؟
- وما مدى قدرة التعليم فى العالم العربى على تكوين إنسان عربى يعتز بانتمائه لعروبته ودينه، ويعرف حقوقه وواجباته ويلتزم بممارسة حقوقه وأداء واجباته؟
- وكم نسبة الأموال التى تنفق على التعليم فى العالم العربى، إلى مداخيل تلك البلدان وبخاصة بلدان النفط؟
- وكم عدد المدارس الصالحة علميًا وفنيًا لتلقى التعليم فيها؟
- وكم عدد الجامعات القادرة على تخريج جامعى ذى كفاءة فى مجال تخصصه؟ وهل الكليات العملية صالحة ومجهزة بالمعامل والأجهزة الجيدة؟

- وما هى الطريقة التى يعد بها المعلم فى العالم العربى ابتداء من المدرسة الابتدائية إلى الجامعة، إلى مدارس تعليم أصحاب الإعاقات؟ وهل يستطيع المعلم أن يعطى القدوة للمتعلم؟

- وما وظيفة التعليم الخاص إلى جانب التعليم الحكومى؟ وهل تشترط الحكومات على أصحاب تلك المدارس إعداداً علمياً فنياً لهذه المدارس؟ وتتدخل فى تحديد مصروفاتها، وواردتها، وما يدفعه المتعلمون لها من مال؟

- وما جدوى المدارس الأجنبية والجامعات الأجنبية فى كثير من بلدان العالم العربى؟ وما صلة ذلك بالسيطرة على عقول المتعلمين وتحويل ولائهم إلى تلك البلاد التى يسمح لها بإنشاء المدارس والجامعات؟

- وما قصة الدروس الخصوصية التى واصلت سيرها حتى وصلت إلى الجامعات؟

- وهل نظام الشهادة الثانوية غير الإنسانى المعذب للأسر وللأبناء والأقارب والجيران قد اختير عن قصد ليخدم الدروس الخصوصية وأباطرتها؟

- ولماذا تحارب بعض وزارات التربية الدروس الخصوصية وهى قد أجبرت الناس عليها بتكدس عدد التلاميذ وسوء المدرسة وسوء المدرس؟ أما كانت تستطيع أن تفعل شيئًا فى هذه المأساة؟

- ولماذا تعجز الجامعات عن استيعاب الحاصلين على الشهادة الثانوية؟ بل يزداد عجزها عامًا بعد عام؟

- وهل تدخلت ولا تزال تتدخل الدول المعادية للعالم العربى فى التعليم، مناهجه ومقرراته الدراسية ومدرسيه، وبخاصة مقررات التربية الدينية؟

- وهل لا يزال مستشارو التعليم الأجانب لحمًا ودمًا، أو الأجانب عقلاً وولاء هم المسيطرين على وزارات التربية فى العالم العربى؟

- وما موضوع ابتعاث بعض المدرسين إلى بلاد غربية بعينها؟ وما أهداف هذا الابتعاث؟ وكم يكلف من الجهود والأموال؟

- ومتى يحدث ارتباط بين التعليم وحاجات المجتمع؟ أم أن ذلك يتعارض مع سياسة الاستيراد من دول الأعداء؟

– وما مدى علاقة الجامعات فى العالم العربى بالشركات والمصانع والمؤسسات والجمعيات الأهلية، وهل تسهم الجامعات فى توفير احتياجاتها من القوى البشرية المتخصصة؟

● إلى غير ذلك من مئات الأسئلة التى يضيق عنها مجالنا هذا، ونرجو أن تعالج هذه القضية فى كتابَيْنا:

– التربية الإسلامية فى المدرسة.

– والتربية الإسلامية فى المجتمع، وهما فى طور الإعداد.

ونسأل الله تعالى أن يعين على الانتهاء من تأليفهما.

– وقضية الوحدة فى العالم العربى:

الوحدة بين الدول العربية علاج لكثير من مشكلاته، ودعم لكيانه، وقوة له فى حاضره ومستقبله، وقدرة على مواجهة أعدائه وما يدبرون له.

– فلماذا تأخرت وحدة العرب أو اتحادهم أكثر من خمسين عامًا بعد إنشاء جامعة الدول العربية، أو بعيد ذلك بقليل من يوم اغتصبت إسرائيل فلسطين وطردت منها أهلها عام ١٩٤٨م؟

– وهل العوائق والعقبات فى تأخير الوحدة العربية؛ عربية أو أجنبية، أو إسرائيلية أوروبية أمريكية؟

– وهل يرى الحكام العرب أن الوحدة العربية طوق نجاة وحماية من التشرذم والضعف والضياع والانهزامات المتوالية أمام إسرائيل؟ أم يرون فى الوحدة مجالاً للنزاع والخلاف والتباعد بين الحكام؟

– وما موقف الحكومات العربية من إصرار العدو بأساليبه العديدة على تجزىء المتجزئ، وتقسيم المقسَّم أصلاً، من يوم كان العدو رابضًا فى العالم العربى فجزأه إلى دويلات وإمارات، وترك فيه من الأسباب ما يجعل وحدته صعبة؟

وفى موقف لاحق تمارسه أمريكا هناك محاولة لتقسيم بعض البلدان العربية من جديد كالصومال والسودان والعراق وفلسطين ولبنان والجزائر والمغرب.

– ولماذا تعثرت المشروعات التى تمهد للوحدة؛ كالسوق العربية المشتركة، والتجارة العربية العربية، والاستثمار فى الأوطان العربية؟

– ومتى تلغى الرسوم الجمركية بين بلدان العالم العربى؟ ومتى تعطى الأولوية والأفضلية للسلع العربية داخل العالم العربى؟

– ومَن وراء هذا التعثر فى أسباب الوحدة أو الاتحاد بين الأوطان العربية؟ أهم العرب أنفسهم الذين يحب بعضهم أن ينخلع من عروبته؟ أم بعض الحكام العرب الذين ولاؤهم للغرب، مستشاروهم من الغرب، وطعامهم ولباسهم من الغرب؟

– وقضية النفط فى العالم العربى:

وهو ثروة حقيقية لمن يمتلكه، وهو نعمة حقيقية أنعم الله تعالى بها على كثير من دول العالمين العربى والإسلامى، ولعل الله تعالى قد اطلع على ضعفنا وانهزامنا أمام أعدائنا، فأراد أن يمدنا بأسباب من عنده تزيد فى قوتنا وفى قدرتنا، فهيأ لنا هذه الآبار النفطية الثرة التى تعد مصدر قوة مادية هائلة، لينظر كيف نعمل فيها؟

وتحتاج قضية النفط فى العالم العربى إلى طرح عدد من الأسئلة مثل:

– لماذا لا يكون النفط فى خدمة الأمة العربية، ليغطى احتياجاتها أولاً، ثم يباع فى الدول العربية فيما بينها بسعر تفضيلى؟ ثم يصدر للخارج ليباع للدول الأقل عداء للعالم العربى؟

– ومتى يتحرر النفط من سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا المعلنة لعدائها لنا؟

– وإلى أى زمن يستمر استنزاف المخزون النفطى العربى لصالح بعض دول الأعداء؛ خضوعًا لمعادلة مغلوطة بالنسبة لنا وهى: كلما ارتفع سعر النفط عالميًا هرعت الدول العربية المنتجة للنفط إلى زيادة الإنتاج ليهبط السعر؟ لأن المستشار القابع إلى جوار الحاكم يشير بذلك لصالح دولته، ونحن لا نستطيع رفض مشورته!!!

– وهل يستطيع النفط أن يكون – فى العالم العربى – وسيلة ضغط سياسى واقتصادى توظف لصالحنا وضد أعدائنا؟ لقد حدث ذلك مرة فى حياة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله أيام حرب ١٩٧٣م بين مصر وإسرائيل، فلماذا لا تتكرر هذه المحاولة؟

هل مات فيصل رحمه الله فماتت بموته القدرة على اتخاذ قرار نفطى لصالح العرب؟

- وقضية الممرات المائية فى العالم العربى:

ثلاثة ممرات مائية هامة فى العالم العربى لا يستغنى عنها العالم فى تجاراته وتنقلاته، هى:

- ممر قناة السويس.
- وممر باب المندب.
- وممر مضيق جبل طارق.

- ممر قناة السويس:

أهم شريان ملاحى فى العالم لاختصاره طريق الملاحة البحرية بين الشرق والغرب، وظلت قناة السويس خاضعة لشركة أجنبية منذ افتتاحها ١٨٦٩م إلى تأميمها سنة ١٩٥٦م، حيث أصبحت تدار وتملك لمصر.

- وممر باب المندب:

وهو مجموعة من المضايق العربية ذات الأهمية «الاستراتيجية» تصل البحر الأحمر بالمحيط الهندى، والدول المحاذية لهذه المضايق هى اليمن جنوبه وشماله من جهة قارة آسيا، ومن الجانب الأفريقى الصومال وجيبوتى والحبشة، وتسيطر على الملاحة فيها جزيرة بريم التابعة لليمن.

- وممر جبل طارق أو مضيقه:

وهو يصل البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسى، يقع بين أراضى المغرب العربى جنوبًا وأراضى إسبانيا من شماله، لكنه يتبع بريطانيا، وتتنازع عليه مع إسبانيا، ومع أن الأمم المتحدة أصدرت قراراً عام ١٩٦٨م بوجوب انسحاب بريطانيا من جبل طارق إلا أن بريطانيا رفضت الإذعان لهذا القرار.

ومع خلاف بريطانيا وإسبانيا على مضيق باب المندب فإنه فى الأصل كان عربيًا لأن شاطئه الجنوبى هو طنجة وسبتة وهما مغربيتان لكن بريطانيا وإسبانيا من عتاة الدول الاستعمارية.

والأسئلة التى ترد على هذه الممرات أو الممرين المائيين التابع أحدهما لمصر والآخر لليمن هى:

- هل تستطيع مصر أن تعدل اتفاقية المرور فى قناة السويس بحيث تصبح أكثر فائدة لمصر وللعرب؟ أم أن ذلك فوق قدرة الحكومة المصرية؟ وماذا تستطيع بلدان العالم العربى أن تفعل لمصر فى هذه القضية؟

- وهل فى إمكان اليمن أن تفعل الشىء نفسه فى ممر باب المندب؟ أم أن ذلك فوق طاقتها؟ وماذا يستطيع العرب أن يقدموا لليمن فى هذا المجال؟

- وهل فى الإمكان إنشاء مجلس يتبع الجامعة العربية وتمثل فيه كل الدول العربية لترمى بثقلها فى وضع نظام لهذين الممرين المائيين الهامين، وبحيث تكون كلمة العرب جميعاً أقوى من كلمة مصر وحدها أو اليمن وحده؟

● وليست هذه القضايا التى ذكرت هى كل قضايا العالم العربى أو أهمها، وإنما هناك قضايا ذات أهمية سياسية واقتصادية وعسكرية وقومية، نشير إليها وإلى عناوينها فيما يلى:

- قضية الزراعة فى العالم العربى..
- وقضية الصناعة فيه...
- وقضية التعدين...
- وقضية العلم والتقنية...
- وقضية الملاحة البحرية والنهرية...
- وقضية الثروة السمكية...
- وقضية الإعلام...
- وقضية السياحة فى العالم العربى...
- وقضية الاستثمار فى العالم العربى...
- وقضية التصدير والاستيراد...
- وقضية الصناعات العسكرية..
- وقضية ترشيد استهلاك المياه فى أنهار العالم العربى..
- وقضية الأيدى العاملة فيه..
- وقضية البطالة والعجز عن العمل..

- وقضية توليد الطاقة وحسن توزيعها...

- وقضية تحرير الأوطان العربية من غاصبيها...

- وقضية التخلص من القواعد العسكرية الأجنبية فى العالم العربى...

- وقضية الخلافات على الحدود بين بعض بلدان العالم العربى...

- وقضية النزاع على الجزر الثلاث مع إيران الجارة المسلمة وكيف تحل عربياً وإسلامياً.

● كل هذا وغيره يجب أن يُوَعَّى الإنسان العربى بها ليسهم فى حل تلك القضايا بما يستطيع من جهد ووقت ومال.

جـ - واليقظة والاستعداد:

هذه اليقظة وذلك الاستعداد مكملان للإيجابية والمشاركة فى العمل السياسى؛ إذ لا قيمة لهذه الإيجابية والمشاركة فى العمل السياسى دون يقظة وتنبه لما يجرى من أعمال سياسية تنعكس على المجتمع المسلم بآثار ضارة فى الحاضر أو فى المستقبل، كما أنه لا قيمة للإيجابية والمشاركة فى العمل السياسى دون استعداد لمواجهة المخططات والمؤامرات.

● والمسلم مطالب دائمًا بأن يكون يقظًا متنبهًا لما يجرى حوله وما يدبر له ولوطنه على جميع مستوياته، ولدينه وما يحاك حوله من مؤامرات.

● هذه اليقظة وذاك التنبه من صفات المؤمنين فى حالتى السلم والحرب على السواء، وإن كانت الحاجة إليهما فى الحرب أشد وأولى، ولقد دلَّت على وجوب اليقظة والتنبه آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية ومواقف سيرة الرسول ﷺ، ومن ذلك:

- قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٧١].

- وقوله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤].

- وقوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

فهذه الآيات الكريمة الثلاث تطالب المؤمنين فى كل أحوالهم بالتبين أى التثبت بالدليل والبرهان العقلى أو الحسى، قبل أن يقدم على أى عمل فى حربه أو سلمه، لأن تلك صفات المؤمن حتى لا يقع فى خطأ يحاسب عليه.

بل إن المؤمن مطالب بألا تكون مواقفه وأعماله مبنية على الظنون والاحتمالات، بل لابد من التأكد خشية الوقوع فى الخطأ.

– قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ... ﴾ [الحجرات: ١٢].

– وقال جل وعلا: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ... ﴾ [النساء: ٨٣].

– وروى أحمد بسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ بَيْن يَدَى الساعة كذاباً بين فاحذروهم».

ورواه مسلم بسنده عن جابر أيضاً.

– وروى ابن ماجة بسنده عن عطية السعدى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس».

● وفى الآيات الكريمة دعوة المسلم إلى أن يأخذ حذره وهو ينفر للقتال، بأن يستجمع شروط الجهاد فى سبيل الله وآدابه وعدته وعتاده حتى لا يؤخذ على غرة، وأن تكون هذه اليقظة صفته على الدوام مهما كلفته من جهد وعناء، ولا تخدعه عنها منافع الحياة الدنيا إن هو تركها فوقع فى الخطأ يريد عرضاً من أعراض الحياة الدنيا.

والرسول ﷺ يعلمنا أن نكون يقظين حذرين فلا ننخدع بالكذابين المضللين، بل نكون حذرين نضع أنفسنا حيث ينبغى لا حيث نشاء، وندع مواقف الشبهات ونكون حيث تقوى الله وخوفه.

● وأما الاستعداد فإنه خلق إسلامى، وقيمة راسخة من القيم التى جاء بها الإسلام، وفى كل العبادات الإسلامية لابد أن يسبقها إعداد واستعداد، فالاستعداد للصلاة يكون بالطهارة فى الثوب والبدن والمكان، وباستقبال القبلة، وبالنية، وكذلك الشأن فى العبادات كلها لابد أن يسبقها استعداد لأدائها على وجهها الصحيح.

والمعاملات فى الإسلام كالعبادات لابد ان يسبقها استعداد، فكل عقد بين متعاقدين يستعد له المتعاقدان بإيجاب وقبول وتعيين المتعاقد عليه ورؤيته... إلخ.

● والنيّة التى لا تكون الأعمال كلها إلا بها هى استعداد يسبق القيام بالعمل لابد منها ولا يصح عمل إلا بها.

وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ فى ذلك كثيرة، والبيان العملى لهذا الاستعداد هو عمل الرسول ﷺ وسيرته المطهرة.

ومن ذلك:

– قول الله تعالى: ﴿ **لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

– وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥].

ففى هاتين الآيتين وأمثالهما كثير يعلمنا الله تبارك وتعالى أن نعد لكل أمر فإنه سبحانه –وله المثل الأعلى– أعد للمؤمنين جنات تجرى من تحتها الأنهار وأعد للكافرين سعيراً، قبل أن يذهبوا إلى ذلك الذى أعده الله، إنها تربية وتعليم خلاصتهما أن المؤمن يجب أن يعد لكل أمر عدته.

ثم طالبنا بهذا الإعداد صراحة عند لقاء مرتقب مع العدو:

– قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والإعداد فطرة فى الناس عموماً؛ مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم كما يفهم ذلك من؛ قوله تعالى: ﴿ **... وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً...** ﴾ [التوبة: ٤٦].

● ومن الأحاديث النبوية:

– روى أبو داود بسنده عن بعض أصحاب النبى ﷺ ورضى الله عنهم قال: رأيت رسول الله ﷺ أمر الناس فى سفره عام الفتح بالفطر، وقال: **«تقووا لعدوكم»**.

– وروى أحمد بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: ... فلما كان رسول الله

ﷺ ببعض الطريق نزل فى شعب من الشعاب وقال: **«مَنْ رجلان يكلآنا فى ليلتنا هذه من عدونا»**.

– وروى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«حَرَسُ ليلة فى سبيل الله أفضل من صيام رجل وقيامه فى أهله ألف سنة»**.

– وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«... الخيل ثلاثة، فهى لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وِزْرٌ، فأما الذى هى له أجر فالرجل يتخذها فى سبيل الله ويعدها له.....»**.

• وأىّ استعداد كان أكمل من حفره ﷺ الخندق فى غزوة الأحزاب؟ وفى كل غزوة أو سرية كان يستعد ويوصى بالاستعداد.

• الخلاصة أن المسلم يجب أن يكون مستعداً لكل موقف يواجهه فى حياته، ومن أهم هذه المواقف الخطط والتدابير السياسية التى يجب على المسلم أن يشارك فيها بإيجابية تقتضى يقظته لعدوه واستعداده له، هذا فى الحرب، أما فى السلم فإن اليقظة والاستعداد مطلبان شرعيان لا يتخلى عنهما المسلم أبداً.

٢ – ومقاومة الانحرافات السياسية:

أوضحنا فى النقطة الأولى من هذا الفصل الرابع أن الإيجابية والمشاركة فى العمل السياسى واجب على كل مسلم.

ونود أن نوضح فى هذه النقطة الثانية من هذا الفصل أنّ مما يتمم هذه الإيجابية وتلك المشاركة فى العمل السياسى مقاومة الانحرافات السياسية والوقوف فى وجهها بكل سبيل، وبكل وسيلة مشروعة.

• فكيف نعرف هذه الانحرافات السياسية حتى نقاومها؟ وبخاصة أن السياسة حمالة أوجه، وأنها فى كثير من الأحيان تقبل الأمر ثم تعدل عنه أو تقبل نقيضه، حسبما يواجهها من متغيرات أو مستجدات.

• نحاول هنا أن نضع بعض الضوابط التى تعرف بها الانحرافات السياسية، فنقول:

إن الانحراف بالسياسة يعنى خروجها عن الإطار الذى وضعه الإسلام لسياسة أى عمل يقوم به مسلم حاكم أو محكوم، وإنما أمكن ضبط هذه السياسة فى إطار؛ لأنها سياسة نابعة من القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ، إذ ما من سياسة لعمل من الأعمال الصادرة عن المسلم فى دينه أو دنياه إلا وقد وضع الإسلام لها نظاماً، والزم به فيما يتصل بالعقائد والعبادات والمعاملات وسائر ما يجرى بين المسلمين.

● فأمور الدين نفسه خاضعة لسياسة يختارها المسلم لنفسه، والله تعالى يوضح لنا ذلك حتى مع الذين اصطفاهم فأورثهم الكتاب، فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

والمعنى أن لهذا الإنسان الذى اصطفى فأورثه الله الكتاب يعمل بما فيه، هذا الإنسان له أن يختار لنفسه سياسة من ثلاث:

– أن تغلب سيئاتُه حسناتِه فيظلم نفسه بنفسه فهو الذى اختار دون إكراه.

– أو أن لا يسرف فى السيئات ولا يكثر من الحسنات، فيكون من المقتصدين فى عبادته.

– أو أن يفعل الخيرات ويترك السيئات فيكون بذلك من السابقين لسواهم فى فعل الخير، وذلك هو الفضل الكبير.

● وأمور الدنيا جميعها يضع لها الإسلام سياسة، ويعطى للفرد والجماعة والمجتمع والدولة والحاكم حرية التحرك فى إطار عام بدايته امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، وما أيسر هذه السياسة وما أحكم إطارها، إنه إطار ما أحلَّ الله وما حرَّم.

ثم تتسع دائرة السياسة فيتسع إطارها الذى تتحرك فيه، فيعطى لجميع الناس الحق فى جلب المصلحة الدينية أو الدنيوية، ودفع المفسدة، وذلك الإطار يدخل فيه الاجتهاد وما يجمع عليه المسلمون وما يرونه حسناً، أو ما أجمعوا على فساده، ورأوه سيئًا، فيأخذون بهذا ويتركون ذاك.

● ومن أجل أن هذا الدين الحق خاتم الأديان أتمه الله تعالى وأكمله، فقضى الله ألا يفرط فى كتاب هذا الدين من شىء، لأنه ليس بعده كتاب يتلافى ما سكت عنه.

ولأن الرسول ﷺ هو الخاتم فلا رسول بعده يكمل أو يتم، فإن الرسول الخاتم ﷺ ما ترك من خير إلا أمر به، وما ترك من شر إلا نهى عنه، وأعلن أنه ترك فى المسلمين ما إن تمسكوا به ما ضلوا أبداً ولا انحرفوا إطلاقًا، كتاب الله وسنته ﷺ.

● ونحن عندما نعطى للسياسة مفهومها الصحيح وهو: التدبير الحكيم، والنظر الدقيق فى عواقب الأمور من الشخص أو الجماعة أو الدولة عندما يضع سياسة لعمل يستهدف منه هدفًا معينًا مع ربط ذلك بالعمل التنفيذى.

نحن عندما نصنع ذلك ونتجه إليه نستطيع القول بأن الإسلام له سياسة وتدبير حكيم لكل عمل من أعمال الإنسان حاكمًا كان أو محكومًا.

وقد تضمن المنهج الإسلامي صورة هذا العمل وهدفه، بل رسم له أبعاده وحدّد خطاه بحيث يحقق هدفه.

● وأود أن أؤكد - في هذه النقطة من الكتاب - بعض الحقائق التي تتصل بالسياسة التي وضعها الإسلام ،فلا يجوز لمسلم أن ينحرف عنها، فإذا انحرف كان على المسلمين أن يقاوموا انحرافه عن سياسة الإسلام.

تلك الحقائق في تصوري ثلاث هي:

- أن للمسلمين سياسة في دنياهم نابعة من منهج دينهم.

- وأنه لا يجوز للمسلمين استيراد المناهج السياسية.

- وأن على المسلمين في كل زمان ومكان أن يضعوا سياسة عامة للعالم الإسلامي كله نابعة من منهج الإسلام.

وذلك ما نرجو أن نوضحه فيما يلي، والله الموفق.

أ - للمسلمين سياسة نابعة من منهجهم:

منهج المسلمين في الحياة كلها بجميع شعبها أوضحه الرسول الخاتم ﷺ، فيما أوحى الله تعالى إليه من كتاب وسنة، والكتاب الخاتم الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ يهدي للتي هي أقوم، وفصَّله الله على علم هدى ورحمة، وجعله تبيانًا لكل شيء، وصراطًا مستقيمًا يضل من اتبع سواه.

بكل هذه المعاني من الكتاب الخاتم جاءت آيات القرآن الكريم، فمن تلك الآيات:

- قوله تعالى: ﴿ **يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٩]. أي إلى أقوم السبل في الحياة الدنيا وأسلمها.

- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾[الأعراف: ٥٢]. أي أن القرآن الكريم قد فصل الله فيه ما يحتاج الناس إليه، ففيه علم كثير وهدى عام، وشريعة ونظام وقيم فاضلة، بل فيه ما لو اتبعه الناس لكان رحمة بهم.

– وقوله جل شأنه: ﴿ ... **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: ٨٩]، فما من شيء فى حياة الإنسان إلا وفى القرآن الكريم بيان له وهدى ورحمة بل بشرى لمن اتبعه وعاش على هداه.

– وقوله عز وجل: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فصراط الله تعالى هو القرآن بكل ما فيه، فهو المنهج وهو الواجب الاتباع لأن فيه سياسة كل شىء وتدبيره أحسن تدبير.

● وسنة النبى الخاتم ﷺ تفصيل للقرآن الكريم، وبيان لما أجمله، وهى فى حكم القرآن الكريم فى وجوب الأخذ بها، فقد روى ابن ماجة بسنده عن المقدام بن معديكرب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك الرجل متكئًا على أريكته يُحدَّثُ بحديث من حديثى فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حَرَّمَ رسولُ الله مثلُ ما حَرَّمَ الله**».

وسنة رسول الله ﷺ رسمت منهجًا مفصلاً لحياة الإنسان شاملاً لكل مفرداتها، مهتمًا بوضع سياسة لكل صغير وكبير فى حياته.

ولأضرب لذلك مثلاً، وهو: النوم.

النوم حاجة إنسانية فطرية قد لا تحتاج إلى خطة أو سياسة لأن النوم عندما يغالب الإنسان يغلبه، ولكن شمول منهج الإسلام وتفصيل السنة النبوية لكل شىء جعل للنوم نظامًا وشروطًا وآدابًا وأدعية عند النوم وعند اليقظة، أى جعل له سياسة، ومن المعروف أن المسلم يجب أن يتبع كل سياسة وضعها الإسلام لأى أمر من أموره.

ومما اشتمل عليه منهج الإسلام فى النوم – أى سياسته –:

– أن يكون النوم على طهارة، وأن يبدأ بدعاء مأثور، وإذا استيقظ أثناء نومه سأل الله من خير الدنيا والآخرة.

– ويكون النوم على الجانب الأيمن ويمنع النوم على البطن.

– ولا يجوز النوم على سطح بيت لا حاجز له.

– ويحظر ترك سراج موقد أثناء النوم.

– ويكره النوم عند عدم الحاجة إليه.

- ويكره النوم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.
- ويُسَنُّ ألا يكون البطن ممتلئًا بالطعام والشراب عند النوم.
- ويُسَن لمن أراد النوم أن يعد لنفسه، ماءً للطهور وماء للشراب، وسواكًا لتطهير الفم قبل النوم وبعده.
- ويُسَن عند الاستيقاظ أن يذكر المستيقظ الله ثم يتوضأ ثم يصلى، لتنحل عقد الشيطان الثلاث إحداها تحل بذكر الله والثانية بالوضوء والثالثة بالصلاة، فيصبح نشيطًا طيب النفس، فإن لم يفعل أصبح خبيث النفس كسلان.

● وفى هذه التفصيلات وردت أحاديث نبوية شريفة، حتى أن بعض علماء السنن عقدوا فى كتبهم أبوابًا تحت عنوان «باب النوم»، وكذلك فعل علماء الفقه الإسلامى.

وإنما ضربت النوم مثلاً لأنه لا يتبادر إلى الذهن أن النوم بحاجة إلى خطة وسياسة لأنه حاجة فطرية - كما قلت - ولكن الإسلام وضع له سياسة وتدبيراً محكمًا.

ومثل النوم سائر حاجات الإنسان الفطرية التى يجمعها تعبير «سنن الفطرة»[1] وهى معروفة، ويمارسها الإنسان تلقائيًا وفطريًا، ولكن الإسلام وضع لكل سنة منها نظامًا وسياسة.

كذلك موضوع التبول والتبرّز، وضع الإسلام لذلك منهجًا وسياسة وتدبيراً وآدابًا وأدعية تقال عند التخلص من هذه الفضلات الجسدية وبعده، مما جعل بعض الناس يدهشون من أمر هذا الدين الشامل، فقد روت كتب التاريخ الإسلامى وكتب تاريخ الصحابة، قصة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عندما كان خارجًا من الخلاء يدعو ويتمتم، فرآه أحد الأجانب غير المسلمين عند ذلك، فسأله ماذا تقول؟ فقال له عمر رضى الله عنه: إنى أقول دعاء قضاء الحاجة، فدهش هذا الأجنبى وقال:

دينكم هذا علمكم كل شىء حتى الخراءة!!!

● فإذا كان المنهج قد تتبع هذه الأمور على بساطتها وفطريتها ووضع لها نظامًا وآدابًا -أى سياسة يدبرها بها- فما بالنا بما هو أكبر من ذلك وأهم فى شئون حياة الإنسان؟

---

(١) وسنن الفطرة عشرة ذكرها العلماء فى كتب الفقه الإسلامى وهى:

● الختان، والاستحداد أى حلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب أى إحفاؤه، وإعفاء اللحية، وإكرام الشَّعْر، وترك الشيب أى إبقاؤه وعدم نتفه، وتغيير الشيب بالحناء ونحوها، والتطيب بالمسك ونحوه.

نستطيع أن نؤكد – وتشهد لنا بذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ وسيرته أن الإسلام قد وضع خطة وسياسة لكل ما له علاقة بالحياة الإنسانية كلها، على كل مستوياتها، على مستوى الفرد والأسرة، وعلى مستوى الجماعة والمجتمع، وعلى مستوى الحاكم والمحكوم، وعلى مستوى ظروف الحرب أو السلام، وعلى مستوى الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق، وعلى مستوى الجهاد فى سبيل الله تعالى – أى على كل مستوى فى الحياة الإنسانية.

- بل إن الكون كله بجميع مخلوقاته من جماد ونبات وحيوان قد أخضعه خالقه سبحانه وتعالى لتدبير محكم ونواميس ثابتة لا يستطيع أن يخرج عنها ولا عن نظامها وسياستها، فإن خرج أو ند عن هذه السياسة اضطرب وتهاوى ولم تعد الحياة الإنسانية صالحة فيه.

والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة، منها:

– قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

– وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥].

– وقوله جل شأنه: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٣٧–٤٠].

– وقوله عز وجل: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ... ﴾ [الملك: ٣ – ٥].

هذه الآيات الكريمة دالة على أن الكون يجرى على سنة لا تختل وناموس لا يتقادم وسياسة دائمة.

وغير هذه الآيات الكريمة كثير مما يحمل نفس هذه الدلالة، وكذلك عشرات الأحاديث

النبوية الشريفة، كلها تقوم دليلاً -أقوى دليل- على أنه لا شيء من مخلوقات الله تعالى في الكون كله- وفى مقدمة هذه المخلوقات الإنسان الذى كرمه الله تعالى وخلق له ما فى السموات والأرض وحمله فى البر والبحر وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً- تتعارض مع هذا الناموس الثابت.

وبعد: فمن كان الله تعالى قد أنعم عليه بهذا المنهج الشامل المنظم لكل شئون حياته صغيرها وكبيرها، هل يحتاج إلى أن يستورد منهجًا وسياسة تغنى أو تنوب عن هذا المنهج وسياسته فى حياة الإنسان؟

ذلك ما نجيب عنه فى الصفحات التالية بعون من الله وتوفيق.

ب - لا يجوز للمسلمين استيراد المناهج السياسية:

لأن المنهج السياسى إسلامى أى ملائم للمسلمين وقادر على أن يجلب لهم المصالح ويدرأ عنهم المفاسد، ولأنه نابع من الكتاب والسنة، فإنه لا يجوز استبداله بأى منهج آخر، لما يتضمنه هذا الاستبدال من: أن المنهج السياسى الإسلامى عاجز عن تلبية كل مطالب الإنسان - وهذا غير صحيح - أو أنه محتاج إلى أن يكمله أو يتممه سواه، وهذا - والعياذ بالله - تكذيب لقوله تعالى: ﴿ ... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ...** ﴾ [المائدة: ٣]، إلى غير ذلك مما يتضمنه استيراد منهج آخر غير الإسلام، مما سنوضحه بعد قليل.

أقول: لا يجوز للمسلمين أن يستوردوا مناهج أُخْرى غير منهج الإسلام، ولا سياسة غير سياسته التى تضمنها منهجه؛ لعدد من الأسباب:

أولها: أن المسلمين لديهم أكمل منهج وأتمه وأرضاه لله تعالى دينًا، وهو سبحانه قد ختم به الأديان، وقال فيه كلمته الأخيرة التى أوحاها إلى خاتم رسله محمد ﷺ، فلا ينتظر منهج إلهى سواه ولا رسول يوحى إليه ربه بعد محمد ﷺ.

ومن كان لديه هذا المنهج بتلك الصفات، فليس بحاجة إلى سواه، فإن خدعه زمان أو مكان أو متغيرات فرأى أن مواكبتها وملاءمتها تقتضى الاستعانة بمنهج جديد غير الإسلام، فهذا يدل على أمرين متلازمين فيه:

الأول منها: جهله بكمال منهج الله وتمامه، إذ تصور أن المتغيرات المستمرة فى حياة الإنسان قد تفوت منهج الإسلام فلا يستطيع أن يُطب لها.

والآخر: ضعف إيمانه بالله وكتابه ورسوله، وقلة ثقته فيما رآه الله تعالى علاجًا لكل مشكلات الإنسانية فى أى زمان وأى مكان.

وهذان الأمران: الجهل بالدين وضعف الإيمان متلازمان فى هذه الحالة لا يُفارق أحدهما الآخر.

وثانيها: أن نظرة متأنية فى الآيات الإحدى عشرة الأوائل من سورة المائدة تقنع صاحب النظر الصحيح والرأى الرجيح أن هذه الآيات: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ**

قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١ - ١١] تجمع منهجًا شبه متكامل، وهذا فى حد ذاته إعجاز.

إن سورة المائدة سورة جامعة وهى من آخر ما نزل من القرآن الكريم، حيث يقول العلماء: إنه ما نزل بعدها إلا سورتان: التوبة والنصر، ولذلك جمعت فى آياتها الأولى كثيرًا مما اشتمل عليه منهج الإسلام فى الحياة من الحلال والحرام فى مجالات عديدة من مجالات حياة الإنسان، مثل:

- وجوب الوفاء بالعقود والعهود بين المسلمين وبين سائر الناس.
- وبيان ما أحل الله وما حرّم من الطعام والصيد.
- وتوضيح ما يجوز وما لا يجوز من أعمال الحج ومناسكه.
- ووجوب التعاون على البر والتقوى، وتحريم التعاون على الإثم والعدوان.
- وتحديد بعض المحرمات من الطعام كالميْتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر على ذبحه اسمٌ غيرُ اسم الله، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية والنطيحة، وما أكل السبع إلا ما ذكى منها قبل موتها، وما ذبح تقربًا به لغير الله، والنهى عن الاستقسام بالأزلام وما فى بابه من القمار والميسر، وكل ذلك يستثنى منه ما يضطر المسلم إليه فى مجاعة أو نحوها ليدفع عن نفسه الهلاك غير مقارف للإثم والمعصية.
- وبيان حكم التعامل مع أهل الكتاب فى الأكل من طعامهم والزواج من نسائهم.
- وبيان ما خفف الله تعالى به على عباده إذا أرادوا الطهارة ففقدوا الماء حقيقة أو حكمًا، حيث شرع لهم التيمم للتطهر به من الحدثين الأصغر والأكبر.

- هذه الآيات الكريمة وحدها تناولت مفردات عديدة من المنهج الإسلامى فى الحياة، وسياسته لكل شعبة من شعب هذه الحياة، فما بالنا بسائر القرآن الكريم.

- ومن كان هذا كتابه الذى ختم الله تعالى به كتبه فكيف يحتاج إلى استيراد مناهج أخرى؟

وثالث الأسباب التى تحظر على المسلمين استيراد مناهج غير منهجهم: أن المناهج الأخرى المستوردة لا يخلو أمرها من احتمالين:

أحدهما: أن تكون مما أنزل الله على أهل الكتاب قبلنا، وهذه قد حرفت وبدلت، وما عاد فيها مما أنزل الله إلا القليل، مع أن الله تعالى أمر أتباعها أن يتبعوا محمداً عند ظهوره، ويلتزموا بمنهجه.

والآخر: أن تكون مما تواضع عليه الناس، وهذا المنهج الذى يضعه الناس يحمل من العجز والقصور ما يكفى لرفضه.

الرابع: أن لجوء المسلمين إلى استيراد مناهج أخرى غير منهجهم فيه تعطيل لمنهج الله وحظر له ومنعه من العمل، وذلك مخالفة لله وإثم ومعصية، لأن الله تعالى قال: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وخامسها: أن المسلمين إذ يستوردون مناهج أخرى غير منهج الإسلام يكونون مثل مَن فى يده مصباحٌ قوى يضىء له طريقًا دامسًا فيهتدى به إلى معالم هذا الطريق؛ فإذا به يلقى هذا المصباح بعد إطفائه فى عرض هذا الطريق، ثم يبحث فى الطريق المظلم الدامس عن بصيص من نور، وما هو بواجد، لأن الله تعالى قضى ألا يضاء هذا الطريق إلا بمصباحه، بمنهجه، بنظامه، بسياسته لهذا الكون وذلك الإنسان.

- لقد تحدث الرسول ﷺ بذلك، فقد روى الحاكم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى، ولن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض**».

- إن التمسك بمنهج الإسلام ونظامه وسياسته للحياة هو مقاومة لأى انحراف سياسى، ينحرف به حاكم أو محكوم من المسلمين، وإن لمعرفة انحراف المناهج الأخرى عن الحق وعن جلب الخير للإنسان ودفع الشر عنه وسيلة مثلى هى: عرض هذه المناهج وسياستها على منهج الإسلام وسياسته، فما وافقه منها فليس فيه انحراف، وربما كانت الاستعانة به بعد هذا الاختبار جائزة فى التعامل مع بعض المستجدات فى حياة الإنسان، ومثال ذلك عندى كاستعمال الكهرباء مكان المصباح، والطائرة والسيارة مكان الخيول ونحوها، والآلة العسكرية الحديثة مكان السيف والرمح ... وهكذا ...

وإن كان المنهج المستورد مخالفًا لشيء مما فى منهج الإسلام فإن الأخذ منه معصية لله تعالى ورسوله ﷺ.

- والمقاومة للانحرافات عن سياسة المنهج الإسلامى وحسن تدبيره للأمور، واجبة على كل فرد مسلم فيما يحيط به من الناس، وواجبة على كل أسرة مسلمة فى تعاملها مع الأقارب والجيران، واجبة على الجماعات والهيئات وجميع مؤسسات المجتمع.

كما أن هذه المقاومة للانحراف عن سياسة المنهج الإسلامى واجب كل حكومة مسلمة عندما ترى هذا الانحراف فى مؤسسة من مؤسساتها أو جماعة أو فرد.

- وللمقاومة لهذه الانحرافات أساليب شرعها الإسلام، يمكن إجمالها فيما يُتَّبَع فى النهى عن المنكر من مراعاة لشروطه وآدابه؛ لأن الانحراف عن سياسة وضعها الإسلام فى أى مجال من مجالات الحياة الإنسانية، منكرٌ تجب مقاومته.

ولنذكر ببعض ما جاء فى ذلك على لسان خاتم المرسلين:

روى مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**».

- وما يستطيعه الحاكم فى النهى عن المنكر لا يستطيعه المحكوم، وما تستطيعه الهيئة أو المؤسسة أو الجماعة أو الجمعية لا يستطيعه الفرد.

غير أن الفرد مطالب بالنهى عن المنكر وعن أى انحراف سياسى فى حدود استطاعته، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وشرط النهى عن المنكر أن يكون المنكر موجوداً فى الحال.

وأن يكون ظاهراً لمن ينهى من غير تجسس.

وأن يكون ليس محل خلاف أو اجتهاد.

وألاَّ يؤدى النهى عن المنكر إلى منكر أشد منه.

- على أن ترك تغيير المنكر مخالفة لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، ويتعرض التارك لعقاب الله تعالى.

روى الترمذى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»**.

- وليستبشر الذين يقاومون الانحرافات السياسية عن منهج الإسلام بأن الله تعالى معهم وناصرهم ومؤيدهم، وقد قضى سبحانه أن يكونوا ظاهرين على الناس منصورين غير مخذولين.

روى البخارى بسنده عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم مَنْ خذلهم، ولا مَنْ خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس»**.

إن الله تعالى لن يتخلى عن الذين ينهون عن المنكر، ويقاومون الانحرافات السياسية عن منهج الإسلام ونظامه وسياسته للحياة الإنسانية، ذلك المنهج الذى يحمل بين طياته أحسن سياسة وأحكم تدبير.

جـ- وعلى المسلمين فى كل مكان أن يتعاونوا على وضع سياسة عامة للعالم الإسلامى كله نابعة من منهج الإسلام فى الحياة:

أقصد بالمسلمين - هنا - أهل العلم، وأهل الخبرة، وأهل الفكر والرأى، وكل مشغول بقضايا الإصلاح فى أى وطن إسلامى.

يجتمع هؤلاء فى شكل مؤتمر يدعو إليه الغيورون على دينهم فى العالم الإسلامى، ليفكروا ويتدبروا ويتحاوروا فى أبرز القضايا التى تهم العالم الإسلامى المعاصر فى حاضره ومستقبله.

وأبرز هذه القضايا هى: قضية الإصلاح والتجديد فى العالم الإسلامى المعاصر الذى تتحالف ضده قوى عديدة لتكبله بسلاسل الديون، والتبعية السياسة والاقتصادية والثقافية، وتباعد بينه وبين التقدم والنهوض والاتحاد والوحدة.

- تجتمع هذه الصفوة من العلماء والخبراء؛ لتخطط وتدبر، وترسم سياسة عامة للعالم الإسلامى، فى إطار مسلمات لا خلاف عليها بين المسلمين جميعًا وهى:

- وحدة العقيدة: القائمة على توحيد الله تعالى إلهًا وخالقًا وربا ... إلخ.

– ووحدة العبادة: عبادة الله تعالى وفق ما شرع وما أنزل على رسوله الخاتم ﷺ، وهى عبادة تستهدف إصلاح الروح والعقل والجسد، والأسرة والمجتمع.

– ووحدة التوجه بهذه العبادة إلى الله تعالى.

– ووحدة العمل من أجل دعم الدين الحق ونشره فى الناس.

– ووحدة اتخاذ القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين لأى نظام يحكم المسلمين فى أى مرفق من مرافقهم.

– ووحدة المصالح المشتركة بين الأوطان الإسلامية فى العالم.

– ووحدة دفع المضار والمفاسد عن كل وطن إسلامى.

– ووحدة جلب المصالح الدينية والدنيوية لكل وطن إسلامى.

– ووحدة التعامل مع أعداء العالم الإسلامى والحشد المعنوى والمادى لمواجهتهم.

– ووحدة التعامل مع القضايا العالمية.

● هذه المسلَّمات التى لا يختلف عليها المسلمون، يجب أن تكون هى المرتكز الذى تبنى عليه السياسات الخاصة بالعالم الإسلامى، كما ينبغى أن يدرسها هذا المؤتمر، لما فيها، وما فى الوصول فيها إلى رأى مُوَحَّد من تأمين حاضر العالم الإسلامى ومستقبله.

أولاً: هذه السياسات التى يضعها هؤلاء العلماء والخبراء من أجل الإصلاح والتجديد؛ يجب أن تكون عامّة، ومَرِنة، وهادفة، وأن تتناول أهم ما تحتاج إليه الأوطان الإسلامية وفق أولويات ليست محل خلاف أيضًا بين المسلمين، ومن أهمها:

– العقيدة الصحيحة:

ومصدرها الكتاب والسنة، لكى تخلو من الشوائب والمبالغات.

العقيدة الصحيحة فى الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه، والكون، والإنسان، والشيطان...

– والشريعة المتكاملة:

ومصدرها الكتاب والسنة كذلك حتى تخلو من التهاون ومن المغالاة.

وهى شريعة غنية بنفسها عن الحاجة إلى استكمال من شرائع أخرى، لقدرتها الفائقة على استيعاب كل ما يحقق للإنسان سعادة معاشه ومعاده.

ثانيًا : تتناول هذه السياسات كل شعب الحياة بغير استثناء، لأن المصدرين الأساسين الكتاب والسنة قادران على ذلك، بل موفيان عليه.

وهذا العمل يتطلب جهوداً فى التخطيط والتدبير، يحافظ فيها على اتجاهات ثلاثة هى :

التمسك الدقيق بالمنهج الإسلامى.

والتعمق فى مجال الدراسات الإنسانية.

والتوسع والشمول فى مجال العلوم المتخصصة والتقنية.

ونود أن نحيط كل اتجاه من هذه الثلاثة بإشارة تذكر وتعين بإذن الله تعالى، وتجعل الإصلاح والتجديد فى مجال العمل والتناول.

ففى اتجاه التمسك الدقيق بالمنهج الإسلامى نشير إلي خطوط رئيسة يعين التمسك بها على الوصول إلى الهدف، وهى :

- الإيمان بمفرداته الستة المعروفة.
- والإسلام بأركانه الخمسة المعروفة أيضًا.
- وممارسة الإحسان بمعانيه المتعددة.
- والالتزام بالعدل فى كل تعامل.
- والالتزام بالشورى وما تتضمنه من احترام الرأى الآخر.
- وممارسة الدعوة إلى الدين الحق على بصيرة، والحركة به بقيمه ومبادئه فى الناس والآفاق.
- وممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.
- وممارسة الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.
- والانتماء إلى الإسلام وقيمه والاعتزاز بهذا الانتماء.
- والالتزام بمنهج الإسلام فى الحياة بكل مفرداته.

هذه الإشارات توضع فى الحسبان ويضيف إليها العلماء والخبراء ما يشاءون مما يتراءى لهم، ولا يتراءى لفرد مهما كانت درجة اهتمامه.

ثالثًا: التعمق فى مجال الدراسات الإنسانية:

نعنى بالدراسات الإنسانية العلوم التى تخضع أو يجب أن تخضع للقيم أو تتحرك فى مجالاتها، وتستمد منها وتحافظ عليها، أى العلوم والدراسات التى تهتم بتوضيح العلاقة بين الإنسان وخالقه، والإنسان وغيره من الناس، وبينه وبين المجتمع الصغير اللصيق؛ الأسرة، والمجتمع الكبير الذى يضم ألوف الأسر، ثم المجتمع الأكبر العالم الإسلامى، ثم المجتمع الإنسانى كله.

كما تُعنَى هذه العلوم بتوضيح العلاقة بين الإنسان ومفردات الكون كله من أرض وسماء وماء ونبات وحيوان وجماد، كما أن لهذه العلوم عناية بكل ما له صلة بالمجالات الاجتماعية.

● والتعمق فى هذه الدراسات الإنسانية يجب أن يسبقه تشخيص لواقع العالم الإسلامى، ومعرفة ما يعانيه من ضعف وتراجع حضارى، وسياسى، واقتصادى، وتربوى، وإعلامى، أى لابد من معرفة الداء ليسهل وضع سياسة للتعامل معه والتخلص منه.

● وواقع العالم الإسلامى - فى تصورى - يعانى من أدواء كثيرة أشير إلى بعضها فى التيارات التالية:

- تيار إخمال التراث الإسلامى:

محاولة إخمال تراثنا الإسلامى وتاريخنا، وتجاهل المصلحين المجددين من قادتنا وعلمائنا ومفكرينا؛ وذلك بمزاحمة هذا التراث وذلك التاريخ وأولئك الرجال بتراث أمم غابرة، مضى تاريخها قبل الإسلام بقرون عديدة مثل:

- بعث التراث الفرعونى فى مصر.
- وبعث التراث الطورانى فى تركيا.
- وإحياء التراث الفينيقى فى سوريا.
- والاهتمام بالتراث البابلى والأشورى فى العراق.
- والتراث القحطانى فى اليمن.
- والتراث البربرى و«الأمازيجى» فى المغرب العربى (المغرب والجزئر).
- وإحياء التاريخ القومى العربى فى العالم العربى.

وكل ذلك مفيد فى معرفته لكن لا ينبغى أن يترتب على الاهتمام به إخمال التراث الإسلامي.

– وتيار إشهار بعض المذاهب المنحرفة المعادية للإسلام مثل:

– الشيوعية والاشتراكية.

– والوجودية.

– والحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان.

– والنظام العالمى الجديد.

– والعولمة.

وكل ذلك لو عرف، فإن معرفته لن تضر بل ستنفع لأنها تكشف ما فى هذه المذاهب من زيف ومغالطات وتفاوت بين ما يقال وما يطبق، ولكن الهدف من إشهار ذلك هو إخمال ما يقابل هذه المذاهب والتوجهات فى الإسلام.

– وإطلاق فرية أن الإسلام قد انتشر بالسيف والإكراه.

– وادعاء أن الإسلام قد هضم حقوق المرأة المادية والمعنوية وأكرهها على الختان، ومنعها حق الإجهاض، ومنعها من تكوين أسرة أو أمومة بغير زواج.

– وتشويه تاريخ المصلحين المجددين من المسلمين.

إلى غير ذلك من الأعمال المعادية للإسلام الضارة بالمسلمين التى تستوجب استنفارهم علماء المسلمين ومفكريهم ليفكروا فى مقاومة هذه التيارات ورد عدوانها، وإنه لعمل صعب ولكنه ضرورى وحيوى لحاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها، فهو بإذن الله المخرج من هذه الضوائق.

● وإن أبرز ما تحتاج إليه الأوطان الإسلامية فى مجال الدراسات الإنسانية هو – فى تصورى–:

التربية وعلومها.

وعلوم الاجتماع.

وعلوم الاقتصاد والسياسة.

وعلوم التاريخ والجغرافيا.

وعلوم الأخلاق .

وعلوم الصحة والإسكان .

وعلوم العمران .

وما لا أستطيع إحصاءه من العلوم الإنسانية فى هذا الكتاب، ولكنى أسوق الشاهد والمثال، ويظل العلماء والخبراء هم الأدرى والأبصر بما ينبغى أن يركزوا عليه من علوم ودراسات، يرون فى العناية بها أسباباً لإخراج بلدان العالم الإسلامى مما تعانيه من تأخر وتراجع حضارى .

– إن العالم الإسلامى فى حاجة إلى دراسة علمية وعملية تخرجه من عالم التبعية إلى عالم الاستقلال، استقلال الإرادة واستقلال القرار بعد استقلال الأرض والديار .

– وإنه بحاجة إلى دراسة علمية عملية تخرجه من دائرة الاستهلاك فقط، إلى دائرة الإنتاج لتغطية الاحتياجات .

– وإنه بحاجة إلى دراسة علمية عملية تقيم اقتصاده على قدمين قويتين، وتحقق له الاكتفاء الذاتى فيما يحتاج إليه من سلع أو خدمات، ثم تحلق به فى عالم التصدير .

– وإنه بحاجة إلى دراسة علمية عملية تهيئ له سياسة تصنيعية قادرة على المنافسة كماً ونوعاً، وقادرة على مواكبة أرقى أنواع الصناعات .

– وإن العالم الإسلامى بحاجة إلى دراسة علمية عملية يرصد فيها الخبراء ما يزخر به من «خامات» واحتياجات أساسية وأراض صالحة للزراعة، ومياه، ومعادن، ونفط، وسائر المقدرات الاقتصادية، ليستفاد بذلك كله فى تأمين العالم الإسلامى وتحقيق نموه .

– وإن هؤلاء العلماء والخبراء عليهم أن يجعلوا دراساتهم وبحوثهم قائمة على إعطاء الأولوية لتعامل الأوطان الإسلامية بعضها مع بعض، وهى بفضل الله سبعة وخمسون وطناً، منح الله كلاً منها من الخيرات ما منح، مما يشكل فيما بينها تكاملاً قد يغنيهم عن سواهم .

– وإن العلماء والخبراء فى الوطن الإسلامى الذى يقرب عدد سكانه على ألف وخمسمائة مليون إنسان، لابد أن يكون فيه من العلماء والخبراء من يستطيعون القيام بهذه الدراسات . . ألا هل بلّغت، اللهم فاشهد .

٣ - التمسك بممارسة الحقوق والالتزام بأداء الواجبات :

ليس كالإسلام نظام احترم الحقوق ودعا إلى التمسك بها، وبَيَّن الواجبات وألزم بأدائها، وسر ذلك أن الإسلام ومنهجه فى الحياة يقيم التربية الاجتماعية كلها على مبدأ الحقوق والواجبات ووجوب المساواة فيهما بين الناس.

إن الإنسان مع المنهج الإسلامى يعيش حياة إنسانية كريمة فى ظل الحقوق والواجبات التى أقرها الإسلام، وألزم بها الحاكم والمحكوم.

إن الإنسان عند الله من أهم مخلوقاته، وعند المنهج الإسلامى كريم معزَّز محترم حتى إن حرمته لتفوق حرمة الكعبة المشرفة، روى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: **«ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذى نفسى بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله، ودمه، وأن نظن به إلا خيراً»**.

هذا الإنسان تقرر احترامه فى القرآن الكريم بكثير من آياته، التى تتلى إلى أبد الآبدين، وفى السنة النبوية المطهرة فى عشرات الأحاديث النبوية، وبهذا أصبح احترام الإنسان فريضة من فرائض الإسلام، ما يجادل فى ذلك إلا الذين لا يعلمون من جاهل أو حاقد.

- إن الحقوق التى كفلها الإسلام للإنسان، أعلنها ونادى بها قبل أن يسمع عنها العالم كله بأكثر من ستمائة عام [١].

- ولهذه الحقوق التى أعلنها الإسلام خصائص تميزها، وتدل على أنها جاءت فى أكمل صورة وأحسنها وأنفعها للناس.

ومن أبرز هذه الخصائص:

- أنها شاملة تتناول كل ما له صلة بحياة الإنسان، حتى تصل فى شمولها وتعددها وتناولها لأبسط حقوق الإنسان، أنها أقَرَّتْ له الحق فى أن يبتسم له من يراه من الناس، وأن يلقاه بوجه طلق، هذا من حقه على أخيه المسلم.

وأما حقه على حكومته المسلمة فأكثر تنوعًا وشمولاً، حيث يجب عليها أن ترعاه

---

(١) أقول هذا بالنظر إلى أن أقدم ما عرف عن حقوق الإنسان هو «الماجناكرتا» التى أعلنت عام ١٢١٥م، أى بعد الإسلام بأكثر من ستمائة سنة، أما هيئة الأمم المتحدة فقد أعلنت وثيقة حقوق الإنسان فى ديسمبر ١٩٤٨م.

وتعتنى به ليعيش حياة إنسانية كريمة وتكفل سائر احتياجاته، ما دام يعمل أو لا يمتنع عن العمل وهو قادر عليه، وحقه فى كفالة الحكومة له عند عجزه أو شيخوخته حتى لو كان من غير المسلمين لكنه يعيش فى ظل حكومة مسلمة .

- وأنها حقوق قد تكفل النظام الإسلامى بحمايتها بتشريعاته وقيمه مهما كثرت أو اتسع مداها، بل إن الحكومة وهى تكفل للمواطن حقه فى ممارسة هذه الحقوق، تحول بتشريعاتها بين أى إنسان وهضم هذه الحقوق أو إهدارها، وتذهب التشريعات الإسلامية فى ذلك مذهب إيقاع العقاب على من يعطل هذه الحقوق، أو يحول بين صاحبها وبين ممارستها، عقاباً يتدرج من التعزير إلى الجلد إلى القتل، وفى المقابل مذهب العقوبة تضمنت تشريعات الإسلام بالنسبة لهذه الحقوق مذهب الإثابة، ابتداء من الدعاء له بالخير واستمراراً بهذا الثواب إلى دخول الجنة.

- وأنها حقوق متوازنة توازناً دقيقاً فيما يتصل بحقوق الفرد وحقوق المجتمع ، وحقوق الحاكم، وذلك التوازن الذى لا يسمح لهذه الحقوق بأن تتضارب أو تتعارض، وإنما تتناغم ويكمل بعضها بعضاً ، وبالملاحظة والتدبر لم نجد هذا التوازن بين الحقوق فى نظام غير الإسلام.

ففى النظام الرأسمالى مبالغة فى حقوق الفرد صاحب رأس المال، على حساب حقوق المجتمع .

وفى النظام الشيوعى أو الاشتراكى أو الشمولى سحق لحقوق الفرد وتضخيم لحقوق المجتمع الذى يتمثل فى الحكومة أو الحزب، أو اللجان الشعبية - كما يقال - فالفرد مقهور ضائع الحقوق لحساب المجتمع، أما الإسلام فقد وازن بينهما موازنة عادلة حكيمة .

● وكذلك شأن الواجبات التى أوجبها الإسلام على الإنسان فلها نفس الخصائص من: شمول وتكفل بحمايتها، وتوازن فيها بين واجبات الفرد وواجبات المجتمع.

أما شمولها فقد وصل إلى وجوب أن يغيث الإنسان من استغاث به، وألا يرد سائلاً حتى لو كان غير مسلم، وأن يميط الأذى عن الطريق.

وأما تكفل المجتمع والدولة بوجوب أدائها، فقد نصت عليه التشريعات الإسلامية، وألزمت بأداء هذه الواجبات، وفرضت عقوبات على الممتنع عن أدائها، وتكفلت تشريعات الإسلام - الكتاب والسنة - بوعد الذى يستجيب لأداء واجبه بثواب الله تعالى وجنته .

وأما توازن هذه الواجبات، فقد جاء على أكمل صور التوازن؛ فهناك توازن بين واجبات الفرد وواجبات المجتمع والدولة ، وهناك توازن بين واجبات الروح والعقل والجسد .

● وهناك ثواب من الله على أداء الواجبات وعقوبات فرضتها الشريعة على من قصر فى أدائها .

● وما بين تمسك الإنسان بحقوقه وممارسته لها، وقيامه بأداء واجباته وعدم التقصير فيها، تظهر قيمة الحقوق والواجبات السياسية التى شرعها الإسلام وأحاطها بما يزيد من احترامها وتقديرها .

ومن أجل توضيح ذلك نتحدث – فى هذه النقطة الأخيرة من هذا الفصل – عن موضوعات ثلاثة :

– التمسك بأداء الحقوق .

– الالتزام بأداء الواجبات .

– والنتائج المرجوة من هذا التمسك بالحقوق والالتزام بأداء الواجبات .

والله تعالى هو المستعان .

أ– التمسك بممارسة الحقوق :

الإنسان؛ روحه وعقله وجسده وجوارحه له حقوق شرعها الله له لكى يعيش بها حياة إنسانية كريمة، وعلى الإنسان أن يتمسك بحقوقه ويمارسها ، وإلا أصبحت حياته بلا معنى، وأصبح هو حيًّا كميِّت فى الدنيا، وأصبح فى الآخرة محل مؤاخذة من ربه سبحانه وتعالى، لأنه فرط فى حقوقه اللازمة له لكى يحيا حياة كريمة، كما أرادها له الله .

● وهذه الحقوق – كما أشرنا إليها من قبل – شاملة ومتنوعة، أهمها حقوقه الأساسية الخمسة التى اعتبرها الإسلام من مقاصد شريعته، وهى :

– حقه فى الحياة .

– حقه فى الحفاظ على عقله .

– حقه فى الحفاظ على ماله .

- حقه فى الحفاظ على نسله وعرضه وأهله.

- حقه فى الحفاظ على دينه وحريته فى اختيار الدين الذى يشاء دون إكراه.

وبهذه الحقوق وتقريرها ووجوب المحافظة عليها جاءت آيات قرآنية كثيرة، كما وردت فى ذلك أحاديث نبوية شريفة، وهذه الحقوق الخمسة التى هى مقاصد شريعة الإسلام مكفولة للمسلم ولغير المسلم ممن يعيشون فى كنف حكومة مسلمة.

ولنلق بعض الضوء فى كلمات وجيزة على كل حق من هذه الحقوق:

● حقه فى الحياة أى فى الحفاظ على حياته:

للإنسان الحق فى الحياة سليماً معافى لا يتعرض أحد لحياته بالتهديد أو الانتقاص أو القتل، حتى لو كان هو نفسه الذى يعرض حياته لذلك، فقد حرم الله ذلك تحريماً.

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال جل شأنه: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ [النساء: ٢٩].

وروى أبو داود بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَتَل مؤمنًا فاغتبط بقتله، لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً»**.

وروى الحاكم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً»**.

● وحقه فى الحفاظ على عقله:

حرّم الإسلام كل ما يضر العقل كالخمر ونحوها، كما حرّم تضليل العقل وخداعه بالغش والتحايل ونحوهما، وأكد القرآن الكريم وجوب المحافظة على العقل بعدم شرب الخمر، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ...** ﴾ [المائدة: ٩٠]، وجعل معصية الله ضلال للعقل وإضلال، فقال عز وجل: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا...** ﴾ [النور: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وروى الطبراني - في الكبير - بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخمر أمُّ الفواحش وأكبر الكبائر؛ مَنْ شربها وقع على أمه وخالته وعمته**».

وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يَتْرك عالِمًا اتخذ الناس رؤساء جُهَّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلوا**».

● وحقه في الحفاظ على ماله:

المال - على وجه الحقيقة - مال الله استخلفنا فيه وطالبنا بأن ننفق منه فيما وجهنا إليه من سبل الإنفاق التي تؤمن حاجة ذوي الحاجة في المجتمع، كما يتأكد ذلك من قول الله تعالى: ﴿**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [الحديد: ٧].

وروى الديلمي بسنده - في مسند الفردوس - عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نِعْمَ العَوْنُ على تقوى الله المالُ**».

ولذلك صان الإسلام المال وحرّم الاستيلاء عليه بغير وجه حق، وجعل له حرمة، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ...**﴾ [البقرة: ١٨٨].

وروى أبو داود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**... كل المسلم على المسلم حرام؛ مالُه وعرضُه ودمُه...**».

● وحقه في صيانة عرضه ونسله:

والعِرْض هو من يلزمه أمره، ويقصد به الأهل أي الزوجة والمحارم اللاتي يلزم الإنسان أن يصونهن ويحميهن، حتى إنه لو قتل دفاعًا عن عرضه فهو شهيد، فقد روى أبو داود بسنده عن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله - أو دون دمه أو دون دينه - فهو شهيد**».

وقد أوجب العفة وحرّم الزنى ودواعيه، وحرّم كل ما يخدش العفة والطهارة كاللواط والسحاق وغيرهما.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ٣٢].

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ...».**

وقد حرص الإسلام كل الحرص على حياة الإنسان كما قدمنا، وعلى حرمة حياة الجنين، حيث قضى فيه رسول الله ﷺ بدية تسمى غُرَّة؛ وهى عبد أو أمة يدفعه من تسبب فى قتل الجنين وأمه إن كان قد نزل ميتًا، ففيه الغرّة وفى أمه الدية كاملة، أما إن خرج الجنين من بطن أمه حيًّا ثم مات ففيه دية كاملة..

● وحقه فى اختيار الدين الذى يتدين به:

كفل الإسلام حقه فى اختيار الدين الذى يتدين به، ولم يجعل على إرادته قيدًا، ولا أكرهه على دين بعينه، قال الله تعالى مخاطبًا رسوله الخاتم ﷺ: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...**﴾ [الكهف:٢٩].

وقال جل وعلا: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة:٢٥٦، ٢٥٧].

وكم عرض الرسول ﷺ الإسلام على أناس فرفضوا فما أكرههم ولا حاربهم لرفضهم الدخول فى الدين، وكتب السنة والسيرة النبوية مليئة بذلك لمن أراد أن يقرأ.

وبعد: فهذا مجمل لحقوق الإنسان الأساسية التى يتفرع عن كل واحد منها عشرات الحقوق الفرعية، كما فصل ذلك علماء الفقه الإسلامى.

وإذا تمسك المسلم بحقوقه ومارسها فإن ذلك يعود عليه وعلى المجتمع الصغير والكبير بالخير فى الدنيا والآخرة، ومثل ذلك الخير يعود عليه وعلى المجتمع كله إن هو التزم بأداء واجباته.

أما تفريطه فى التمسك بحقوقه والالتزام بأداء واجباته فإنه إثم ومعصية لله ولرسوله، وفرصة للظالمين أن يزيدوا فى ظلمهم واستبدادهم.

ب- والالتزام بأداء الواجبات:

بداية؛ نؤكد أن الواجب فى الإسلام هو ما أوجبه الله تعالى ورسوله ﷺ.

كما نؤكد أن ما أوجبه الله ورسوله لابد أن يتقبله العقل السليم والفطرة السوية التى فطر الله الناس عليها.

● وقد أوجب الله تعالى على الإنسان كل ما يجلب له مصالح دنياه وآخرته، وكل ما يدفع عنه شرور دنياه وآخرته.

– والواجب الذى أوجبه الإسلام هو كل عمل أو قول، وكل تَرْك أو سكوت عن قول يستحق صاحبه العقاب إن أخل به ولم يؤده على وجهه، عقاب الدنيا بما شرع الله من قصاص وحدود وديات وتعزيرات، وعقاب الآخرة لأنه خالف الله ورسوله.

– والواجبات التى أوجبها الإسلام كثيرة، ولكنها مع كثرتها لا يشق على الإنسان أداؤها، ونحاول هنا أن نجمل لها صورة تقربها إلى الأذهان، فيما يلى:

● **واجبات على الإنسان نحو نفسه:**

وأهمها طاعة الله ورسوله، بامتثال ما أمر الله به ورسوله واجتناب ما نهيا عنه، وبذلك ينال الطائع ثواب الطاعة وينجو من عقاب المعصية.

ومن هذه الواجبات واجبه نحو فعل الخير لنفسه وللناس، وواجبه نحو الامتناع عن فعل الشر نحو نفسه وغيره.

● **وواجبات الإنسان نحو ربه سبحانه وتعالى:**

وإنما يكون ذلك بالإيمان به وبكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وذلك يعنى الدخول فى الإسلام برغبة واختيار، ومعنى الدخول فى الإسلام هو طاعة الله ورسوله، فى كل أمر، واجتناب المخالفة لكل نهى.

● **وواجبات نحو المجتمع:**

أوجب الإسلام على الإنسان نحو المجتمع الذى يعيش فيه، واجبات كثيرة ولكنها مستطاعة لا عنت فى أدائها ولا حرج، ومن هذه الواجبات – وكلها لصالح المجتمع –:

التعاون على البر والتقوى، ومنع التعاون على الإثم والعدوان، وإنما يطبق ذلك بتطبيق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

والدعوة إلى الدين الحق والحركة به فى الناس والآفاق.

وإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر وسائر الصدقات، وإعمار الأرض بالعلم والعمل والإخلاص، وعمارة المساجد بالعبادة، وطاعة الحاكم وولى الأمر ما لم تكن هذه الطاعة فى معصية لله تعالى ولرسوله ﷺ.

وإذا كانت الواجبات نحو الفرد، فإنه يقابلها واجبات على المجتمع وعلى الحكومة يقومان بها نحو الفرد والمجتمع ومن ذلك:

● **واجبات المجتمع:**

نقصد بالمجتمع: المجتمع المدنى بكل جماعاته وجمعياته وأنديته ونقاباته وجميع مؤسساته.

على هذا المجتمع المدنى واجبات عندما يؤديها تعود عليه وعلى الفرد وعلى الحكومة بالخير والفائدة، ومن هذه الواجبات:

- توجيه كل جماعة أو جمعية أو ناد أو نقابة أو أى مؤسسة إلى المشاركة فى أعمال البر بمختلف أنواعها من رعاية اليتيم والأرملة، إلى الإسهام فى المشروعات الخيرية إلى التعاون مع الفقير والعاجز عن العمل والمحتاج، لدفع هذه الحاجات عنه.

- والعمل الدائب من خلال هذه المؤسسات المدنية على حصر الجريمة والخروج على قيم المجتمع، ومحاصرة المجرمين والتضييق عليهم، حتى تقل جرائمهم أو تمتنع؛ لأن فى ذلك السلام والأمان للفرد وللمجتمع.

- والعمل الدائب على إيجاد فرص عمل للباحثين عن العمل، ولهذا فإن لهذه المؤسسات قدرة على العمل أكثر مما لدى أى حكومة، وقد تستهدف هذه المؤسسات المدنية من مشروعاتها ربحاً، فلا بأس بذلك، وهى مشكورة لأنها أوجدت فرصة عمل من يعانى البطالة.

- وعلى المجتمع المدنى من خلال مؤسساته وأعضائها أصحاب العلم والجاه والنفوذ أن يسهموا فى حل النزاعات التى تنشب بين الناس، قبل وصولها إلى القضاء، لأن ذلك الأسلوب يصل بالناس إلى الحق عن طريق التراضى لا التقاضى، وقديماً قال أسلافنا: «ما يُدْرَك بالتراضى أيسر مما يدرك بالتقاضى».

- والمجتمع المدنى جماعات وجمعيات ومؤسسات، وهذه كلها تتكون من أفراد يشكلونها ويرأسونها ويديرونها، فلو وجههم المجتمع - وهذا واجبه - إلى نشر الوعى عن الحقوق والواجبات لكان ذلك أماناً للمجتمع كله وسبباً من أسباب طمأنينته.

● واجبات الدولة أو الحكومة:

وهى أوسع أنواع الواجبات وأكثرها فائدة للناس جميعًا أفرادًا وجماعات ومؤسسات، أهلية أو حكومية؛ لأن الحكومة بيدها الأمر والنهى وإصدار الأنظمة ومتابعة العمل بها، كما أن بيدها وفى سلطتها عقاب من أخل بأداء واجباته فى أى موقع من مواقع العمل، وهى بسلطاتها الثلاث قادرة على كثير مما لا يقدر عليه الفرد ولا المجتمع المدنى.

وأبرز واجبات الحكومة:

- إقرار العدل والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات وتلك أولى علامات الحكومة الصالحة.
- وتأمين الفرد والمجتمع بكفالة الحقوق ومنع انتقاصها أو العبث بها، ليعيش المجتمع آمنًا على نفسه وذويه وماله وعرضه من المخاوف والمظالم والاعتقالات والتعذيب والمحاكمة أمام قضاء استثنائى عسكرى أو غيره.
- وتأمين الحريات للمجتمع، الحريات كلها ابتداء من حرية الفكر إلى الحرية فى الإضراب عن العمل والتظاهر السلمى للتعبير عن مطلب لم تستجب الحكومة له، وما فى ذلك من:
  - ● حرية تكوين الأحزاب السياسية دون إذن من سلطان.
  - ● وحرية تكوين الجماعات والجمعيات والمؤسسات دون اعتراض من سلطة.
  - ● وحرية إصدار الصحف وطبعها وتوزيعها فى البلاد دون رقابة أو قيود.
  - ● وحرية العمل والتنقل والسفر إلى خارج البلاد والعودة إليها دون قيود من سلطة أو سلطان.
- وتأمين التعليم الراشد الهادى الذى يضع فى اعتباره تثبيت القيم السائدة فى المجتمع، لأنها قيم الإسلام وقيم الآباء والأجداد، ولا تسمح الحكومة لمستشار أجنبى عنها أن يدس أنفه وينفث سُمَّه فى قضايا التعليم ومسائله؛ لأن تحرير التعليم من النفوذ الأجنبى من صميم حرية المواطن فى وطنه.

وإذا كان هذا الكلام غير مقبول لدى المسئولين عن التعليم فى الأوطان الإسلامية فليسألوا أنفسهم: منذ متى ونحن نلجأ للمستشارين الأجانب فى التعليم، إنها مدة تزيد على المائة عام ... ثم يتساءلون: هل هم راضون عن التعليم وعن مستواه وهل انقضت أو تناقصت مشاكله؟

ولسنا نشك فى وطنية أحد ولا فى كفاءة مسئول، ولكننا نطرح ذاك السؤال وندعوهم إلى التأمل والتدبر فى إجابته.

- وتحرير الإعلام من سلطة الحكومة، لأن حرية الرأى وهى أم الحريات لا تتعلم إلا من أجهزة الإعلام الحرة الصادقة الشفافة ...

أما أن يكون الإعلام تابعًا للحاكم يسبح بحمده ويشيد بعبقريته على مدار الساعة، وفى عشرات الأجهزة الإعلامية ويعطى الحديث عن أبسط أمور سيادته أولوية على أكبر الأحداث العالمية، فذلك شيء مَلَّه الناس وضاقوا به وهربوا إلى الإعلام الأجنبى، ولم يقتنعوا بالحاكم الملهم الخالد الذى يشير بالتوجيهات السديدة فى كل شيء!!!

لقد نجح مستشارو الإعلام الأجانب فى أن يفقدوا المواطنين فى العالمين العربى والإسلامى احترامهم للإعلام أو تصديقهم له فى شيء مما يقول.

ونكتفى بهذا القدر فى واجبات الحكومة التى يجب عليها أن تؤديها بإخلاص ومصداقية وشفافية، حتى تكون حكومة جديرة بالاحترام.

- وليس بخاف على أحدٍ أن أداء الواجب تعقبه راحة نفسية لمن أدَّاه، ويترتب عليه حل كثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتى لا تحل إلا بأداء الواجب نحوها.

وأن الوطن أى وطن لا ينمو ولا ينهض إلا بأن يؤدى فيه المواطن والمجتمع المدنى والحكومة ما أوجب الله، وما أوجبت مصلحة الوطن، وأن من التزم بذلك فإنه يعيش عز الدنيا وسعادتها، وثواب الله فى الآخرة على طاعته.

- أما الحكومات التى تتنكر لأداء واجبها وبخاصة فى مجال الحريات، متعللة بأوهام وأضاليل، وأسباب واهية لا يقبلها العقل ولا يقرها المنطق فهى الحكومات الشمولية المستبدة التى تقمع مواطنيها وتحرمهم حرياتهم وحقوقهم، وتحكمهم فى الغالب من خلال قوة جيش استولت عليه بانقلاب عسكرى، أو من خلال حزب أوحد يتحكم فى ممتلكات الدولة ومؤسساتها، وبالتالى فى حريات المواطنين وحقوقهم الإنسانية، أو من خلال أسرة يتوارث أفرادها الحكم لا يشاركهم فى ذلك أحد من خارج هذه الأسرة.

- ومن هذه الأسباب التى تتعلل بها هذه الحكومات لحجب الحريات العامة وتجاهل حقوق الإنسان:

– ادعاؤهم أن الحريات العامة وحقوق الإنسان (المسمَّاة عند الغرب بالديموقراطية) مما يتعارض مع الإسلام وشريعته، لأنه لجوء إلى قوانين وضعية، وضعها البشر فى حين أن الشريعة وضعها رب الناس الأدرى بما يصلحهم، فلا معدل عنه إلى قانون آخر بحال!!!.

وهذا تفكير واهٍ لأنه مبنى على المغالطة، لأن الحريات العامة وحقوق الإنسان لم تجد فى تاريخ البشرية من يحترمها ويلزم بها كالإسلام وشريعته. وإذا كانت الديموقراطية تكفل ذلك فكيف يكون بينها وبين الإسلام وشريعته تناقض أو تعارض؟

ومن قال : إن الشريعة الإسلامية منغلقة على ذاتها لا تستفيد من معطيات الحضارات الأخرى؟ ألم يأخذ المسلمون عن الفرس والروم فى أنظمة الدولة ما أخذوا على عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، ولم يعترض على ذلك أحد من الصحابة رضوان الله عليهم؛ وكان معظمهم لا يزالون أحياء؟

إن القاعدة العامة التى اتفق عليها علماء الإسلام أن كل ما فى الإسلام مما يتصل بالعقيدة والعبادة والخُلُق فهو ثابت لا يجوز الأخذ فيه من غيره، وأن ما عدا ذلك فلا بأس من الأخذ فيه من الحضارات الأخرى بشرط ألا يتعارض مع هذه الثوابت.

على أن هذه الحكومات نفسها تأخذ عن الغرب بما لا يتفق مع الإسلام فى كثير من الأمور!!!

– وبعض هذه الحكومات يذكر سببًا آخر لتغييب الحريات العامة وهضم حقوق الإنسان، وهو ادعاؤهم أن الوطن يعيش حالة استثنائية – يقصدون استيلاء اليهود على فلسطين وتكرار عدوانها على الأمة العربية ومواجهتها تقتضى ظرفًا استثنائيًا وقانون طوارئ وأحكامًا عرفية، وتلك حجة واهية، بل سبب من أسباب انتصار إسرائيل على العرب فى معظم حروبها ضدهم، لأنها تحارب من حرموا الحريات العامة، وحرموا حقوق الإنسان، وهؤلاء أجدر أن يهزموا، وما انتصروا إلا فى معركة واحدة سنة ١٩٧٣م لإجادة الحشد لهذه المعركة، وإيمان الجنود والقادة بأنهم يجاهدون فى سبيل الله حيث تعالت هتافاتهم «الله أكبر» فى أرض المعركة، وبهذه الانتصارات أعادت مصر للعرب بعض كرامتهم، أما سائر كرامتهم فلن يعود إلا بعد استعادة فلسطين كلها لا جزء منها فحسب.

- وبعض الحكومات تذكر سببًا - فكّر فيه العدو وصدره إلى العالمين العربى والإسلامى- هو حرب الإرهاب ومقاومته!!!

وهذه الحكومات تتجاهل أنها بتغييبها الحريات وإهدارها حقوق الإنسان ومسارعتها إلى الاعتقال والتعذيب والمحاكمة أمام قضاء استثنائى تزرع الإرهاب وتغذيه وتوجد له البيئة الصالحة!!!

وقد خلطت هذه الحكومات بين الإرهاب والإسلام، وانطلق كتابها وأجهزة إعلامها تهاجم وتنتقص من كثير من الشعارات الإسلامية، وتتهم الإسلام عن جهل بأنه دين العنف والإرهاب والأصولية - كما يعرفها الغرب -(١) وغير ذلك من البهتان الذى ينمقه كتبة الحكومات الموظفون فى صحفها وأجهزة إعلامها وتتجاهل هذه الحكومات التى تقاوم الإرهاب بالأحكام العرفية وقوانين الطوارئ، أنها تمارس من الإرهاب ما يجعلها أسوة فيه لكل من أراده(٢)، فهى تعتقل وتعذب وتحاكم محاكمات استثنائية، وتعتقل النساء وتتعرض لشرفهن، وتصادر الأموال وتنتهك الأعراض وتقتل وتدفن فى مقابر جماعية!!!

إنها فى الحقيقة تلجأ إلى قانون الطوارئ لتمارس من خلاله الإرهاب.

ولقد طال أمد التعامل بقانون الطوارئ فى بعض البلدان إلى أكثر من أربعين عامًا!!! مما يوحى بأن هذه القوانين باقية أبد الآبدين ودهر الداهرين، وسكوت الناس وصبرهم له حدود ولابد من نفاده. فماذا يقول المنادون بالحريات وأنصار حقوق الإنسان؟

- وبعض الحكومات التى تحكمها نخبة عسكرية مُسَيَّسة، أو نخبة أصحاب المصالح، لا ترى الحريات العامة ولا حقوق الإنسان من واجباتها، بل لا ترى عليها واجبًا ما دامت آمنة بالنخبة التى تحكمها، فهى نخبة قادرة على قمع كل من تحدثه نفسه عن الحريات والحقوق، وذلك أن نخبة العسكريين تطيح بكل أنصار الحريات والحقوق كأنها تقاتل عدوًا، ونخبة أصحاب المصالح تتمثل فى الحزب الواحد الذى يستميت فى الدفاع عن مصالحه ومكاسبه ويسميها مكاسب الشعب، ويبطش بها من خلال أجهزة الأمن العديدة التى يتحكم فيها بوصفه الحزب الحاكم، ويصبح أنصار الحريات والحقوق فى غياهب المعتقلات والسجون بعد المحاكمات أمام قضاة استثنائيين!!! ويتبارى كتاب

---

(١) أوضحنا ذلك فيما سبق فلا حاجة لإعادته.

(٢) ضربت فى ذلك الأمثال حكومات عبد الناصر وحافظ الأسد وصدام والقذافى وحكومات تركيا والجزائر وتونس ... إلخ.

الحكومة فى تبرير هذه الكبائر، وإلا صنفوا أعداء وجرى عليهم ما جرى على أنصار الحرية - كما حدث فعلاً لبعض الكتاب الذين قالوا كلمة الحق فدفعوا ثمنًا لذلك وظائفهم ورواتبهم ومكانتهم وحرياتهم وحقوقهم، وسكت عنهم وعن مآسيهم زملاؤهم!!!

- وبعض الحكومات نصحها مستشاروها - الأجانب لحمًا ودمًا أو الأجانب رأيًا وفكرًا - بأن تسمح بتكوين أحزاب سياسية معارضة ورسمت لها أبعاد تلك المعارضة، وأخذت على هذه الأحزاب التعهدات والمواثيق بذلك.

وظهرت هذه الأحزاب السياسية الورقية إلى جوار الحزب الأوحد الأضخم، تعارض شكلاً وكلامًا، وإن كانت تنافق حقيقة، فأصبحت دُمًى سياسية تتحرك بخيوط فى يد الحاكم وحزبه ولكنها تبدو كما لو كانت تتحرك بإرادتها.

● ولقد كذبت هذه الحكومات وهى تتخيل أسبابًا لتغييب الحريات العامة وحقوق الإنسان، كذبت وهى تعلم أنها كاذبة مخادعة، لكنها تتصور - كما أشار عليها مستشاروها - أنها بهذا تضمن بقاءها فى السلطة إلى غير ما نهاية، لكن الولايات المتحدة الأمريكية صانعة سياسة العالم وقطبه الأوحد أوضحت كيف تكون نهاية هذه الحكومات بما فعلته فى العراق فقد أشارت على صدام بحربين ضروسين وشجعته على الاستبداد وتغييب القوانين والحريات والحقوق، ثم غزت العراق لتعيد الحرية إلى أهله وتخلصهم من عدو الحرية؛ وستفعل ذلك فى كثير من بلدان العالم العربى لتصوغ عالمًا عربيًا جديدًا حرًا يحسن تقبل إسرائيل والخضوع لها!!!

فهل تعى هذه الحكومات ذلك الدرس فتتحاشى نفس النتيجة أم لا بعد أن تخوض تجربة صدام حتى تنتهى إلى نهايته؟

ألا هل بلّغت، اللهم فاشهد.

● إن ممارسة الحقوق تشعر المواطن بكرامته فى وطنه، وتدعوه إلى الاعتزاز بالانتماء إليه، بل العمل من أجله، بل التضحية بالمال والوقت والجهد والنفس من أجل وطنه، وتلك فطرة الإنسان.

وإن أداء الواجبات يُشْعِر من أداها براحة نفسية تصل به إلى الرضا والسعادة، وتحببه فى

الناس وفى المجتمع وبذلك يتهيأ إلى مزيد من أداء الواجبات عن رضا وإحساس عميق بأن هذا واجبه، وأنه بغير أدائه يرتكب خطأ فى حق نفسه ودينه والمجتمع الذى يعيش فيه.

وبعد هذه الكلمات فى وجوب ممارسة الحقوق، ووالالتزام بأداء الواجبات، فلابد أن يكون لذلك نتائج إيجابية تعود على الفرد والأسرة والجماعة والمؤسسات الأهلية كلها، بل على الحكومة بأحسن النتائج وأقدرها على تحقيق الوئام الاجتماعى بين الناس، بل بينهم وبين حكوماتهم، ولابد أن تعود بأحسن النتائج الاجتماعية والسياسية على العالمين العربى والإسلامى، وذلك ما نرصده فى الصفحات التالية تحت عنوان:

المنتائج المرجوة من ممارسة الحقوق وأداء الواجبات.

والله تعالى ولى التوفيق وصاحب الإنعام.

جـ - النتائج المرجوة من ممارسة الحقوق وأداء الواجبات:

مهما تحدثنا عن النتائج المرجوة من ممارسة الناس لحقوقهم، والتزامهم بأداء واجباتهم، فلن نبلغ بحديثنا هذا إلا قليلاً من كثير، وقطرة فى بحر زاخر.

وحسبنا أن نقول عن الإنسان الذى يمارس حقوقه ويلتزم بأداء واجباته إنه لبنة صالحة فى بناء بيته ومجتمعه ووطنه المحلى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى، وما صلاحه هذا إلا بتوفيق الله تعالى ورغبته هو فى أن يكون طائعًا لله ولرسوله وحسبه بذلك مجداً وشرفًا.

إننا مهما تحدثنا عن ذلك فلن نستطيع أن نرصد كل النتائج التى تتحقق من وراء ممارسة الناس لحقوقهم والتزامهم بأداء واجباتهم.

- فهناك نتائج اجتماعية عديدة تبدأ بحب الناس بعضهم لبعض، وينمو هذا الحب وذلك التقدير والاهتمام حتى يجد الناس أنفسهم وقد تغلبوا على مشكلاتهم، فأعان القوىُّ منهم الضعيف، ورحم الكبيرُ الصغيرَ، وتواضع منهم صاحب السلطان فلم يتعال على من لا سلطان له، وعرف الغنى منهم أن في ماله حقًّا للسائل والمحروم غير الذى فرضه الله بالزكاة، تآزروا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجاهدوا جميعًا فى سبيل الله كل فيما يقدر عليه.
- وهناك نتائج ثقافية ومعرفية، تبدأ بأن يجيب المسئول عن أمر من أمور الدين أو الدنيا من سأله إن كان من أهل العلم فيما سئل عنه، وتستمر لتشمل نشر العلم وتنظيم الدروس

والمحاضرات في المساجد والنوادى ومؤسسات المجتمع المدنى كلها، ثم تنتهى إلى مستوى تقديم النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم.

- وهناك نتائج سياسية، تبدأ بتعريف الناس بعضهم لبعض جميع الحقوق وسائر الواجبات، ثم تشمل الولاء لله ولرسوله والدين الحق، وطاعة الحاكم ما لم يأمر بمعصية لله، ولتشمل مقاومة كل انحراف عن منهج الإسلام ونظامه وقيمه، إلى أن تصل إلى المشاركة السياسية فى كل ما من شأنه أن يشارك فيه المواطن، بحيث لا تهمشه حكومة ظالمة، ولا تتجاهله حكومة مخادعة.

- ونتائج تربوية تعليمية تبدأ بأن ينشر أهل العلم ما لديهم من علم، وأن يوعوا الناس بوجوب تربية أبنائهم تربية إسلامية من خلال البيت والمسجد والمدرسة، وتستمر لتشمل اهتمام أولياء الأمور بالمدارس وزيارتها والمشاركة فى حل مشكلاتها، وعدم الضنّ عليها برأى أو مشورة، وتصل إلى أن المدرسة مؤسسة يعنى بها البيت والمسجد ووزارة التربية وكل مؤسسة قادرة على أن تمد المدرسة بما يساعدها على أداء واجباتها على أكمل وجه.

- ونتائج دينية تبدأ بالتعود على طاعة الله ورسوله وتستمر لتشمل تجنب الكبائر والصغائر، وتصل إلى رضا الله تبارك وتعالى عمن مارس حقوقه وأدى واجباته.

ولنتحدث بإيجاز عن بعض هذه النتائج، والله الهادى إلى سواء السبيل.

أولى النتائج: تحقيق الوئام بين الناس:

الوئام هو التوافق وعدم الاختلاف، وإذا حدث بين الناس فإن سببه أن الناس قد شاهدوا أن كل واحد منهم قد مارس حقوقه فلم يعترضه أحد، وأنهم قد أدوا واجبهم فلم يجبرهم على ذلك أحد.

وما يكون ذلك الوئام إلا بعد وعى اجتماعى يعنى: أن كل واحد فى المجتمع قد تحمل مسئوليته وبذل فيها ما يملك من جهد ووقت ومال، وهذا الوئام الاجتماعى الناتج عن ممارسة الإنسان لحقوقه وممارسته لواجباته، يحدث نضجًا اجتماعيًا هو هدف لعديد من العلاقات الاجتماعية الراشدة، لأن هذا النضج الاجتماعى له معان كثيرة كلها طيب ومطلوب لأن الإسلام دعا إليها، من ذلك:

- احترام حقوق الآخر والعمل على أن تصل إليه كاملة غير منقوصة.

- وحسن التعامل مع الآخر واحترام رأيه والحوار معه بالحكمة والموعظة الحسنة.
- والرغبة في عمل الخير له، حتى إذا لم يطلبه.
- وعون الآخر وإغاثته، والسعي في تأمين احتياجاته. وهذه الأمور التي دعا إليها الإسلام هي التي تنفي عن الناس التخاصم والتشاحن والخلاف، ولا يكون ذلك كله إلا نتيجة لأن الإنسان قد مارس حقوقه دون أن يعترضه أحد، وقد أدّى واجباته بوازع من ذاته دون أن يكرهه على ذلك أحد.

وثانية هذه النتائج: تحقيق العدل والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات:

ممارسة الإنسان لحقوقه دون معوقات أو اعتراضات، تشعر الإنسان بأنه حر الإرادة، حر الاختيار، وتطبعه على أن يحترم حقوق الآخر ولا يحول بينه وبين أي منها، وهذا من صميم العدل الذي أمر الله تعالى به، وممارسة الإنسان لحقوقه تعني أنه يتمتع بالحريات المكفولة في الإسلام بكل أنواعها، بشرط واحد هو ألا يسيء إلى أحد وهو يمارس حرياته وحقوقه، وإنما يدعه أو يعينه على أن يعبر عما يريد من هذه الحقوق، وهذا دعم للعدل وللمساواة بين الناس.

كما أن أداء الإنسان لواجباته دون ضغط عليه أو إكراه له، يعني العدل والمساواة أيضاً، لأن كثيراً من هذه الواجبات التي يؤديها تتضمن خدمة للآخر وجلب مصلحة له، أو دفع ضرر عنه.

كذلك أداء الواجبات يعود بالنفع على المجتمع ومؤسساته الحكومية والأهلية، لأن أداء الواجبات يتضمن تعاوناً على البر والتقوى وينفي أي تعاون على الإثم والعدوان.

وإذا انصرف كل مواطن إلى ممارسة حقوقه والتزم بأداء واجباته، فإن في ذلك مساواة بين الناس قررها الإسلام حين لم يُعْفِ أحداً من القيام بواجباته مجاملة له مهما كان كبير القدر أو عالي المنزلة، لأن الإسلام يحتم المساواة بين الناس جميعاً في الحقوق والواجبات، وكل من عمل على تحقيق العدل والمساواة فهو في موضع الرضا والمثوبة من الله تعالى الذي أمر بذلك.

وثالثة هذه النتائج: مقاومة كل انحراف عن المنهج الإسلامي:

المنهج الإسلامي عند التأمل فيه وتحليله هو مجموعة من الحلال الذي سمح المنهج بممارسته ومجموعة من الحرام الذي منع منهج الإسلام من ممارسته أو الاقتراب منه.

وإذا مارس الإنسان حقوقه والتزم بأداء واجباته فقد استقام مع المنهج الإسلامى، ولم ينحرف عنه أو يخرج عن إطاره، ثم يصبح هذا شأن الإنسان يستقيم مع المنهج، ثم يجد نفسه وقد استقام راغبًا فى مقاومة أى انحراف عن منهج الإسلام الذى يهدى للتى هى أقوم من السبل، وتأخذ المقاومة للانحراف شكل كلمة حق تقال لمن انحرف، ثم قطيعة له إن استمر حتى يقلع.

على أن الحكومة فى مقاومة الانحراف لها المكانة الأولى فهى التى تملك منع الانحراف بالقوة وهى التى تفرض العقاب لمن أصرَّ على هذا الانحراف.

ومقاومة الانحراف عن المنهج تعنى بالنسبة للفرد النصيحة والتشجيع على الالتزام بالمنهج.

وتعنى بالنسبة للجماعة وسائر المؤسسات المدنية أو الحكومية الكف عن معونة هذا المنحرف والتضييق عليه حتى يلتزم.

وتعنى بالنسبة للحكومة تطبيق العقوبات على كل منحرف عن منهج الإسلام ونظامه شريفًا كان أو وضيعًا وغنيًا كان أو فقيرًا، لأن الالتزام بالمنهج واجب على الجميع، ومقاومة الانحراف عن المنهج واجب على الجميع كذلك.

ورابعة هذه النتائج: القضاء على الصراع الطبقى أو العرقى:

الصراع الطبقى أو العرقى إنما يظهر ويُضَيِّع حقوق بعض الناس ويُيَسِّر لبعضهم التهاون فى أداء واجباتهم، إذا لم يلتزم الناس بممارسة حقوقهم فتركوها خوفًا من ظالم أو مستبد، فتولد فى نفوس هؤلاء الذين حرموا من حقوقهم حقدًا على من ظلمهم واستبد بهم وضيع حقوقهم، وهكذا ينقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الظالمين المستبدين وطبقة المظلومين المقهورين، ثم يدور الصراع بين الطبقتين.

وكذلك الشأن فى الالتزام بأداء الواجبات، إذا أعفيت طائفة من المجتمع من أداء واجباتها، حدث تقصير فى هذه الواجبات وتخلص من أعبائها، ومن هنا يتولد الحقد فى نفوس من يقومون بواجباتهم إذا رأوا من يهملون هذه الواجبات ولا يُساءلون، فضلاً عن أن يعاقبوا.

ويزيد الصراع بين طبقتين من المجتمع ويتفاقم حتى يصيب الناس والمجتمع بالعداوات والمشاحنات، فإذا التزم الناس جميعًا بممارسة حقوقهم والالتزام باداء واجباتهم زال سبب جوهرى من أسباب الصراع بين طبقات المجتمع، اغنياء واصحاب جاه يُعْفَوْن من واجباتهم وفقراء ومن ليس لهم جاه مثقلون بأداء واجباتهم.

على أن جعل المجتمع فى صراع من أجل هذه الطبقية مخالف لدين الله ومنهجه، فإن الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بآبائها، مؤمن تقى، وفاجر شقى، والناس بنو آدم، وآدم من تراب**».

ومعنى ذلك أن الناس أمام الحق وأمام الواجب سواء، فإن حدث اختلال فى ذلك حدث الصراع.

وخامسة هذه النتائج: تطبيق الأخوة فى الإسلام تطبيقًا عمليًا:

وذلك أن الأخوة فى الإسلام فى جوهرها حقوق وواجبات من الأخ نحو أخيه المسلم، والأخوة فى الإسلام مطلب أكده منهج الإسلام وجعله لازمًا للمسلمين جميعًا، إذ قرر أن المؤمنين إخوة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ – ٤٨].

وروى أحمد بسنده عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**...ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى**».

وفى التمسك بممارسة الحقوق والالتزام بأداء الواجبات تحيا الأخوة فى الإسلام فى نفوس المسلمين، ومن خلال ذلك تطبق تطبيقًا عمليًا فى المجتمع المسلم، ولا حياة للمجتمع المسلم ولا تقدم إلا إن كان المؤمنون إخوة فى الله يمارسون حقوقهم ويؤدون واجباتهم نحو دينهم ونحو إخوانهم فى هذا الدين.

وسادسة هذه النتائج: تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس:

لا يغيب العدل عن الناس إلا إن غمطت الحقوق وأهمل أداء الواجبات، وفى غيابه ضرر للمجتمع، ولذلك أوجبه الله تعالى وأمر به فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...﴾ [النحل: ٩٠].

وكلمة العدالة الاجتماعية تعنى تطبيق العدل فى المجتمع، وهى وصف لمجتمع إنسانى يتعاون أفراده على تحقيق أهداف معينة هى:

– التضامن الاجتماعى المؤدى إلى التكافل فيما بينهم.

– والمساواة بين المواطنين، أى تحقيق تكافؤ الفرص فيما بينهم دون تمييز.

– وتأمين الحاجات الاقتصادية والاجتماعية للناس.

– وتأمين الحقوق السياسية، وما تشتمل عليه من حريات عديدة.

– وتأمين حقوق الإنسان كلها، وبخاصة فى الأمن، والتعليم والصحة، والعمل، والكسب، وتأمينه ضد العجز عن العمل، وضد البطالة، والمرض، والشيخوخة.

● وليس كالإسلام منهج أو نظام كفل تحقيق العدل والعدالة الاجتماعية بين الناس، كما دلَّتْ على ذلك عشرات الآيات القرآنية الكريمة وعشرات الأحاديث النبوية الشريفة، ونذكر من ذلك:

– قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

– وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

– وقال عز وجل: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

– وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة العديدة التى تقرر العدل والقسط والعدالة الاجتماعية بكل معنى من معانيها بحيث تحقق أهدافها الخمسة التى ذكرناها آنفاً.

وأما الأحاديث النبوية الشريفة فنذكر منها:

– ما رواه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إنما الإمام جُنة**

يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعَدَل فإن له بذلك أجْراً، وإن أمر بغير ذلك فإن عليه فيه وِزراً».

– وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن وكلتا يَدَيْه يمين؛ الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وَلُوا».**

● ومن أجل أن العدل والإنصاف وتحقيق العدالة الاجتماعية مسئولية الحاكم المباشرة، تعلق هذا الواجب به ولزمه، فإن قَصَّر فى أدائه نُصح ووُعظ، فإن لم يستجب ذُكِّر بحق مَنْ يحكمهم فى العدل والإنصاف، فإن لم يستجب ذُكِّر بعقاب الله وخُوِّف من غضبه، وكان على الناصح الواعظ المذكر له ألأ يخاف من عقاب قد يتعرض له، وإنما عليه أن يحتسب ما يصيبه من هذا الحاكم الظالم عند الله تعالى.

كان نصح الحكام دأب أسلافنا الصالحين رحمهم الله استجابة منهم لهدى الرسول ﷺ فى ذلك.

– فقد روى الحاكم بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه فى ذات الله تعالى فقتله على ذلك».**

– وروى أحمد بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».**

● ولهذا اتجه الوعاظ إلى السلاطين ينصحونهم ويذكرونهم غير مبالين بما ينالهم من هؤلاء السلاطين من عقاب أو أذى، حتى لو وصل العقاب إلى حد القتل، واعتبروا ذلك جهاداً فى سبيل الله تعالى، ولنذكر على ذلك بعض الأمثلة:

– فقد وعظ أبو مسلم الخولانى[1] معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما حين حَبَس معاويةُ العطاء، فقال له أبو مسلم: يا معاوية: إنه ليس من كَدِّك ولا كدِّ أبيك ولا من كدِّ أُمِّك، فغضب معاوية ونزل عن المنبر، وقال لهم: مكانكم، وغاب عن أعينهم ساعة، ثم خرج عليهم وقد اغتسل؛ فقال: إن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى، وإنى

---

(١) أبو مسلم الخولانى تابعى من أهل الشام، وأصله من خولان من اليمن وهو فقيه عابد زاهد، توفى سنة ٦٢هـ ٦٨٢م.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنما تُطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليغتسل**» وإنى دخلت فاغتسلتُ، وصدق أبو مسلم؛ إنه ليس من كدى ولا من كد أبى، فهلموا إلى عطائكم.

– ووعظ عطاءُ بن أبى رباح[1] عبد الملك بن مروان، فدخل عليه وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة فى وقت حجِّه فى خلافته، فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه وقال: يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله فى حَرَم الله، وحَرَم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله فى أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلستَ هذا المجلس، واتق فى أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم. فقال له: أجل أفعل، ثم نهض وقام، فقبض عليه[2] عبد الملك، فقال: يا أبا محمد، إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟ فقال: ما لى إلى مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبد الملك: هذا وأبيك السؤدَد.

وسابعة هذه النتائج: تأمين حقوق غير المسلمين فى المجتمع المسلم

ممارسة المسلم لحقوقه والتزامه بأداء واجباته تعود على المجتمع كله بالخير والطمأنينة والعدالة الاجتماعية، وكل من يعيش فى المجتمع المسلم يستفيد من أن المجتمع يمارس حقوقه ويؤدى واجباته حتى لو كان من غير المسلمين، لأن ممارسة الحقوق وأداء الواجبات تستهدف فائدة إنسانية عامة يدخل فيها المسلمون وغيرهم ممن يعيشون معهم.

- والإسلام وهو يحرص على إقرار الحقوق والواجبات فى المجتمع مستعينًا فى ذلك بما أتاح الله للمسلمين من علم وكشف وإبداع فى سائر الميادين التى تيسر للناس ممارسة حقوقهم وأداء واجبهم، يعتبر ذلك من الفوائد التى يجب أن تعم المسلم وغير المسلم فى المجتمع، لأن الإسلام – كما سبق أن ذكرنا أكثر من مرة – أعطى للإنسان الحرية والاختيار فى أن يؤمن أو لا يؤمن، فإن بقى على عدم إيمانه وعاش فى مجتمع مسلم فهو كالمسلمين فى الحقوق والواجبات وبخاصة فيما له صلة بالمواطنة.

---

(١) عطاء بن أبى رباح تابعى من أجلاء الفقهاء ولد فى اليمن سنة ٢٧هـ ونشأ بمكة المكرمة وعاش فيها، وكان مفتيها وتوفى فيها سنة ١١٤هـ.

(٢) قبض عليه يعنى أمسك بيده لينتظر قليلاً معه، وليست كما تطلق اليوم بمعنى اعتقله.

ومن الخطأ والبهتان القول بأن غير المسلمين فى المجتمع المسلم أقل من المسلمين فى مجال الحقوق والواجبات، فهذا رسول الله ﷺ وهو القدوة يعود غلامًا يهوديًا مَرِض، فقد روى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه أن غلامًا من اليهود كان يخدم النبى ﷺ، فمرض فأتاه النبى ﷺ يعوده، وهو بالموت، فدعاه إلى الإسلام، فنظر الغلام إلى أبيه وهو عند رأسه فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم ثم مات، فخرج رسول الله ﷺ من عنده وهو يقول: **«الحمد لله الذى أنقذه بى من النار»**.

- إن الإسلام وفاء لا غدر؛ حتى لو كان المسلمون فى حرب مع أعدائهم، مهما كان دين هؤلاء الأعداء وثنيين أو من أهل الكتاب.

– روى أحمد بسنده عن سليم بن عامر رحمه الله[1] قال: كان معاوية يسير بأرض الروم وكان بينهم وبينه أمد، فأراد أن يدنو منهم؛ فإذا انقضى الأمد غزاهم، فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاءً لا غدرًا، إن رسول الله ﷺ قال: **«من كان بينه وبين قوم عهد فلا يَحُلَنَّ عقدة ولا يشدها حتى ينقضى أمَدُها، أو ينبذ إليهم على سواء»** فبلغ ذلك معاويةَ فرجع، وإذا الشيخ عمرو بن عبسة أبو نجيح السلمى رضى الله عنه.

وبعد: فإن احترام حقوق الإنسان وحقوق المجتمع كله يحرص الإسلام على تمكين الناس من ممارستها ،ويعطيهم الحق فى الدفاع عنها أن تنتقص أو تهدر، كحرصه على أن يؤدى الفرد والمجتمع والحكومة والحاكم واجبهم كاملاً غير منقوص؛ وذلك أن الإسلام يعتبر هذا لُبَّ العدالة الاجتماعية بين الناس جميعًا.

■■■■

(١) هو سليم بن عامر أبو يحيى الكلاعى، تابعى من أهل الشام، من خيارهم فقهًا وعبادة.

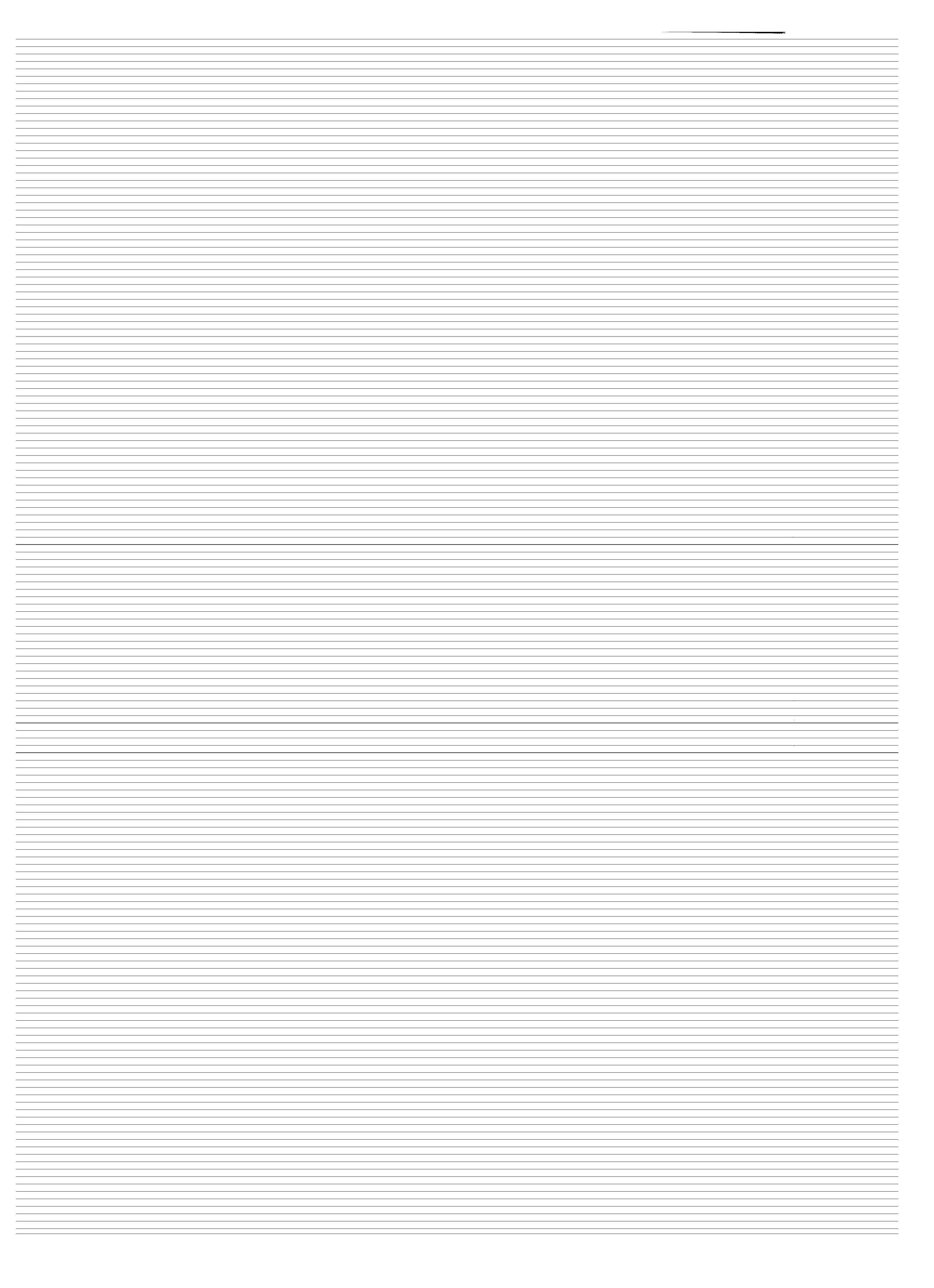
خاتمة الكتاب

لله الحمد فى الأولى والآخرة، ومنه كان العون على إتمام هذا الكتاب : «التربية الجسدية فى الإسلام» الذى ختمنا به سلسلة «مفردات التربية الإسلامية» فجاءت فى حلقات عشر سائلين الله تبارك وتعالى أن ينفع القارئ الكريم بها.

كما نسأله سبحانه وتعالى أن يجد كل مهتم بالتربية الإسلامية فى هذه المفردات العشر، ما يعينه على أن يربى نفسه وغيره تربية إسلامية تجعله بفضل الله أهلاً لأن يتحقق على يديه الخير والنصر والتمكين للدين الحق فى الأرض، فيحظى برضا الله تعالى وحسن مثوبته، إنه سبحانه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

د. على عبد الحليم محمود



فهرس الكتاب

قائمة بأعمال المؤلف المنشورة

أولاً: فى الفكر الإسلامى وقضاياه:

١ – مع العقيدة والحركة والمنهج – دار الوفاء بمصر.

٢ – الغزو الصليبى والعالم الإسلامى – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣ – المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى – دار المنار – بالقاهرة.

٤ – الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى – دار المنار – بالقاهرة.

٥ – التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى وطرق التغلب عليه – دار الوفاء – بمصر.

٦ – التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٧ – نحو منهج بحوث إسلامى – دار الوفاء – بمصر.

٨ – السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – دار عكاظ بالسعودية.

ثانيًا: فى التربية:

أ – سلسلة التربية فى القرآن الكريم:

٩ – التربية الإسلامية فى سورة المائدة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٠ – التربية الإسلامية فى سورة النور – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١١ – التربية الإسلامية فى سورة آل عمران – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٢ – التربية الإسلامية فى سورة الأنفال – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٣ – التربية الإسلامية فى سورة الأحزاب – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٤ – التربية الإسلامية فى سورة النساء – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٥ – التربية الإسلامية فى سورة التوبة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

ب – سلسلة مفردات التربية الإسلامية:

١٦ – التربية الروحية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٧ – التربية الخُلُقية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٨ – التربية العقلية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٩ – التربية الدينية (الغائبة) – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٠ – التربية السياسية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢١ – التربية الاجتماعية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٢ – التربية الاقتصادية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٣ – التربية الجهادية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٤ – التربية الجمالية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٥– التربية الجسدية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

جـ – فى التربية الإسلامية المعاصرة:

٢٦ – تربية الناشئ المسلم – دار الوفاء – بمصر.

٢٧ – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٨ – منهج التربية عند الإخوان المسلمين – دار الوفاء – بمصر.

ثالثًا: فى فقه الدعوة الإسلامية:

٢٩ – فقه الدعوة إلى الله – دار الوفاء – بمصر.

٣٠ – فقه الدعوة الفردية – دار الوفاء – بمصر.

٣١ – فقه الأخوة فى الإسلام – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٢ – المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله – دار الوفاء – بمصر.

٣٣ – فقه المسئولية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٤ – عالمية الدعوة الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٥ – التوثيق والتضعيف عند المحدثين والدعاة – دار الوفاء – بمصر.

رابعًا : سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا :

٣٦ – ركن الفهم – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٧ – ركن الإخلاص – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٨ – ركن العمل أو منهج الإسلام الإصلاحى – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٩ – ركن الجهاد – الذى لا تحيا الدعوة إلا به – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٤٠ – ركن التضحية – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٤١ – ركن الطاعة – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٤٢ – ركن الثبات – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٤٣ – ركن التجرد – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٤٤ – ركن الأخوة – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٤٥ – ركن الثقة – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

خامسًا : فى الأدب الإسلامى المعاصر :

٤٦ – مصطفى صادق الرافعى، والاتجاهات الإسلامية فى أدبه – دار عكاظ بالسعودية .

٤٧ – جمال الدين الأفغانى، والاتجاهات الإسلامية فى أدبه – دار عكاظ بالسعودية .

سادسًا : فى الدراسات الأدبية :

٤٨ – القصة العربية فى العصر الجاهلى – دار المعارف – بمصر .

٤٩ – النصوص الأدبية، تحليلها ونقدها – دار عكاظ بالسعودية .

سابعًا : كتابان معدان للنشر إذا أذنَ الله تعالى :

١ – التربية الإسلامية فى المدرسة .

٢ – التربية الإسلامية فى المجتمع.

